الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية



● الإسلام والعدل الاجتماعي

● القمر الصناعي العربي بين الحقائق والأوهام

● الدوحة في بيت الروائي العالمي تشارلز ديكنز

أبو زيد الهلالي

من مزالق الاجتهاد المعاصر

بقلم: الدكتور يوسف القرضاوي

للاجتهاد المعاصر ــ سواء كان اجتهاداً حقيقياً أم دعوى اجتهاد ــ مزالق يتعرض فيها للخطأ اذا صدر من أهله فى محله بشرطه ، أو للانحراف اذا صدر من غير أهله ، أو غلب فيه الهوى ، أو لم يستفرغ الفقيه وسعه فى معرفة الحكم الشرعى .

وأول هذه المزالق : الغفلة عن النصوص التى يجب اتباعها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

هذا مع أن أول ما يجب على المجتهد أن يرجع إليه هو النص من القرآن إن وجده ، ثم من السنة المبينة للقرآن ، فان لم يجد فيهما طلبته اجتهد رأيه لا يألو .

وهذا الترتيب هو الذى جاء فى حديث معاذ المشهور ، وهو ما جرت عليه سنة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . وهو ما نبه عليه أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب فى كتابه الى شريح وغيره : إن اقض بكتاب الله ، فإن لم تجد فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن لم تجد فاقض بما قضى به الصالحون والا فاجتهد رأيك .

أما الاجتهاد بالرأى قبل البحث عن النص فهو خطأ .

والخطأ الأكبر منه أن تدع النص المعصوم وتجري وراء الرأى الذى لا عصمة له .

ولهذا قالوا : لا اجتهاد مع النص ، يعنون النص الثابت الصريح الدلالة على الحكم .

وأسباب ترك النص الصحيح الصريح متعددة .

منها : الجهل بثبوت النص ، وهذا قلما يحدث مع القرآن الكريم لظهوره لكل مسلم يشتغل بطلب العلم . فكيف بمن يدعى الاجتهاد ؟ وانما يحدث هذا مع السنة المطهرة ، لقلة المعنيين بها ، وجراءة كثير ــ ممن ينسبون أنفسهم الى الفقه والاجتهاد ــ عليها . كما سيتبين ذلك بعد .

ومنها : الغفلة والذهول عن النص ــ مع ثبوته وظهوره والقطع به ــ نتيجة سوء فهم ، أو غلبة هوى ، أو تحكم عصبية أو دعوى مصلحة ، أو غير ذلك مما شاهدناه ولمسناه فى دعاوى الاجتهاد فى عصرنا .

جواز استلحاق اللقطاء

ولعل أقرب مثال يحضرنى الآن ما أفتت به المحكمة الشرعية العليا فى (البحرين) الشقيقة فى شأن (اللقطاء) حيث أجازت بصريح العبارة لكل أحد أن يستلحق اللقيط ويضمه الى نسبه ، ويصبح بذلك إبنا له ، تترتب له وعليه كل حقوق البنوة

وواجباتها .

ونذكر هنا نص الفتوى كما نشرته جريدة (أخبار الخليج) :

وقد جاءت هذه الفتوى فى صورة جواب على وزير العدل البحرينى بشأن اقتراح قدمته إحدى الصحفيات بعمل شهادة ميلاد للطفل اللقيط ــ عدا الشهادات الأصلية المعتمدة لدى الجهات الرسمية ــ يتعامل بها فى المجتمع على أنه ابن المحتضن وإن لم يكن له حق فى الميراث ... الخ .

فأرسلت المحكمة الى الوزير هذا الجواب :

جواباً على كتابكم رقم ١٠/ ١٦٩/ ٨٣ المؤرخ فى ٢٣ رمضان ١٤٠٣ هـ ، الموافق ٣ يوليو ١٩٨٣ م المرفق بطيه صورة من الرسالة الواردة الى سعادتكم من السيدة / (س . ى . م) المتضمنة اقتراحها فيما يختص بالطفل اللقيط وطلبكم من دراسة الاقتراح المذكور وافادتكم برأينا حوله .

نفيد سعادتكم أننا درسنا الاقتراح المذكور ومع تقديرنا وشكرنا لصاحبة الاقتراح على غيرتها وحرصها على حفظ كرامة الطفل اللقيط ، نود أن نطمئنها الى أن الشرع الاسلامي الحنيف لم يترك أى أمر من الأمور إلا وأوجد له حكماً عادلا ومن ذلك الطفل اللقيط أو ولد السفاح أو مجهول النسب فقد حرص الشرع على حفظ كرامته وعمل على دمجه فى المجتمع الاسلامى ، وذهب فى هذا المضمار الى أبعد مما تتصوره صاحبة الاقتراح حيث لم يكتف بالضم وانما الاستلحاق وأعطى لكل أحد الحق فى أن يستلحق الطفل اللقيط أو ولد السفاح أو مجهول النسب ويعتبره ولدا له يحمل اسمه ولقبه ونسبه بالاستلحاق ويكون لكل منهما على الآخر جميع ما يترتب على ذلك من ولاية وحضانة ووراثة وهذا ما هو عليه العمل فعلا كما هو وارد من بعد بالتقارير المرفقة للاطفال وأما ما ذكرته صاحبة الاقتراح من أن يكون للطفل اللقيط اسمان اسم اصلى واسم رسمى فنعتقد أن ذلك مما يسيء الى الطفل ويشعره بالنقص وتصيبه المعرة من ذلك بعد ما يكبر ويعرف الحقيقة هذا ما وجب بيانه حول هذا الموضوع .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

قضاة محكمة الاستئناف العليا الشرعية

ولا يكتفى قضاة محكمة الاستئناف العليا بالرسالة وانما يرفقون بها ما يؤكد انهم سبق ان اجازوا لبعض الأشخاص استلحاق بعض مجهولى النسب بأنسابهم ..

حيث يذكر نص احدى القضايا أن أحد الأشخاص لديه فتاة مجهولة النسب وهى فى حضانته وكفالته وأنه يريد استلحاقها بنسبه ويكون له عليها جميع حقوق الأبوة كما يكون لها هى جميع حقوق البنوة وحيث انه يسوغ شرعاً استلحاق مجهول النسب واعتباره ولداً للمستلحق فقد أجاز له قضاة محكمة الاستئناف العليا ذلك .

والواقع ان رد قضاة محكمة الاستئناف واضح وهو يعنى حل المشكلة تماماً .. اهـ .

مقتضى هذه الفتوى : ان (التبنى) مباح ، وان سمى « الاستلحاق » فمدار الحكم على المسميات لا على الاسماء .

ويعجب المرء كيف تصدر الفتوى بهذه الصورة . وبهذا التعميم ، وهى مخالفة لنصوص القرآن الحاسمةالقاطعة ، التى حرمت (التبنى) وأبطلته ، وأجمع على ذلك المسلمون من جميع المذاهب ، وفى جميع الأزمان ، اجماعاً مستقراً متصلا بعمل الأمة طوال أربعة عشر قرنا ؟ !

وحسبنا أن نقرأ اوائل سورة الأحزاب ، وفيها قول الله تعالى : « وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلك قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل . ادعوهم لابائهم هو أقسط عند الله ، فإن لم تعلموا اباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم » (سورة الأحزاب : ٤ : ٥) .

ويبدو أن أصحاب هذه الفتوى لم يقصدوا معارضة القرآن ، ولا السنة ، ولا الثابت باجماع الأمة ، ولكنهم اساءوا فهم ما جاء عن الفقهاء فى الاستلحاق أو الاقرار بالنسب وما ذكروا له من شروط معروفة فى الفقه .

فقد فهموا مما ذكره الفقهاء ان لكل أحد أن يستلحق أو يقر بنسب من يشاء والفقهاء انما ارادوا الاقرار بنسب حقيقى وبنوة حقيقية مبنى على نكاح سرى أو نكاح فيه خلاف ، أو وطء بشبهة ، أو غير ذلك ، بل اجاز جماعة من السلف استلحاق ولده من الزنى اذا لم يكن فراش ، ورجحه ابن تيمية .

أما اذا لم تكن هناك بنوة من حلال ولا من شبهة ولا من حرام ، وانما هو مجرد تبَنٍ ، فهذا هو الحرام الصرف الذى لم يقل به فقيه قط .

ولهذا نصوا على أن الاستلحاق أو الاقرار بالبنوة أو النسب ــ اذا كان مبنياً على الكذب ــ حرام ، بل من الكبائر ، ويكاد يؤدى الى الكفر .

وتكثر مزالق الاجتهاد المعاصر فى الغفلة فى كثير من الأحوال عن السنة النبوية خاصة ، والاعتساف فى تأويلها ، بل الجرأة عليها فى بعض الأحيان ، وخصوصاً من غير المتخصصين فى الدراسات

• الاجتهاد بالرأى قبل البحث عن النص خطأ وانحراف

• الغفلة عن روح العصر وثقافته ودوافعه والعزلة عما يدور فيه ينتهى بالمجتهد إلى الخطأ والزلل

• تحريم المجزر الآلى لا أساس له فى الدين ، والتسمية عند الشافعى ليست شرطا لصحة الذبح

الاسلامية .

وسبب ذلك فيما أراه : أن الفقه المذهبي الذي غلب على الحياة الاسلامية قروناً طويلة ولاسيما القرون الأخيرة ، جعل أكبر همه أقوال مشايخ المذهب في الدرجة الأولى وتصحيحات علمائه ، وترجيحاتهم ، دون توجيه مثل هذا الاهتمام الى المصدرين الأساسيين : القرآن والسنة ، ولكن القرآن قد يسر الله حفظه ، فلا يكاد يوجد عالم مسلم لا يحفظه عن ظهر قلب ، بخلاف السنة ، فانها لسعتها وتنوعها ، لم تحظ بمثل ذلك . مما جعل كثيراً من الفقهاء يستدلون بأحاديث واهية أو منكرة ، بل موضوعة أحياناً لا أصل لها . واشتهر قولهم : هذا من أحاديث الفقهاء ! يعنون انه ليس له سند يعرف .

وهذا ما جعل بعض كبار العلماء المشتغلين بالحديث يتجهون الى تخريج الأحاديث التي توجد (معلقة) في كتب الفقه . كما فعل ذلك الامام أبو الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) في كتابه « التحقيق في تخريج التعاليق » وقد نقحه ابن عبد الهادي تلميذ ابن تيمية (ت ٧٤٤ هـ) في كتابه « تنقيح التحقيق » وكلاهما حنبلي المذهب .

والحافظ جمال الدين الزيلعي الحنفي (ت ٧٦٢ هـ) خرج أحاديث أشهر كتاب عند الحنفية وهو « الهداية » للمرغيناني (ت ٥٩٣ هـ) وسماه « نصب الراية لأحاديث الهداية » وقد اختصره الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٤ هـ) واضاف إليه بعض الفوائد في كتاب سماه « الدراية في أحاديث الهداية » .

كما خرج ابن حجر نفسه أحاديث كتاب « فتح العزيز في شرح الوجيز » للامام الرافعي (ت ٦٢٣ هـ) في فقه الشافعية ، وسماه « تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير » .

والمقصود ان كتب الفقه المذهبي وحدها — وبخاصة كتب العصور الأخيرة — لا تصل الدارس بالسنة النبوية ، ولا ترده الى أصول الأدلة فيها ، وهذا ما جعلني أنادي بوجوب الوصل بين الحديث والفقه ، حتى لا يبقى المحدثون في واد ، والفقهاء في واد ، وكل مستمسك بما عنده ، لا يبصر ما عند الآخر ، ولا يسمع لـه .

وهذا ما حدث لكثير ممن تعرض للفقه فتوى أو كتابة ، ممن لا يتقنون الحديث رواية ودراية فنفوا ما يجب أن يثبت ، أو اثبتوا ما يجب أن ينفى ، وهو ما حذر منه أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه اذ قال : « اياكم والرأى ، فان أصحاب الرأى أعداء السنن ، اعيتهم الأحاديث أن يعوها ، وتفلتت منهم ان يحفظوها ، فقالوا في الدين برأيهم » وفي بعض الروايات : فضلوا واضلوا(١) والمراد بالرأى هنا : مالا يعتمد على أصل شرعي معتبر ، أو ما يتبع فيه الهوى ويخالف النصوص .

من ذلك ما أفتى به بعض المفتين من اجازة « وصل الشعر » لغير ضرورة ولا حاجة معتبرة ، فيما سمي في عصرنا « الباروكة » مع ما ورد من أحاديث صحيحة متفق عليها في لعن (الواصلة والمستوصلة) وتسميته (زورا) والتشديد فيه : كما هو واضح في الصحيحين ، مع أن الوصل هناك لم يبلغ أن يكون شعراً كاملاً ، كما هو الشأن اليوم .

ومن ذلك ما ذكروه في اباحة التصوير كله ، حتى المجسم منه « التماثيل » استناداً الى أن التصوير انما حرم لقرب العهد بالوثنية ، وما كان فيها من صور تعبد من دون الله ، أما اليوم ، فقد تحررت العقول ، ولم يعد ثم مجال لأن يعبد انسان القرن العشرين صورة أو تمثالاً !

وهذا التأويل مردود كله . فالنصوص التي حرمت التصوير قد نصت على علته ، وهي مضاهاة

« الدكتور محمد حسين الذهبي

خلق الله ، وليس مشابهة الوثنية . وقد رد على مثل هؤلاء الامام ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢ هـ) منذ سبعة قرون !

أما تحرر العقول في القرن العشرين ، فليذهب صاحب هذا الكلام الى الهند وبلاد كثيرة في آسيا وأفريقيا ليرى أن الوثنية لازالت معششة حتى في رؤوس كبار المتعلمين !

ومن ذلك ما ذهب اليه الدكتور عبد الحميد متولى أستاذ القانون الدستوري من اشتراط انفرد به ، ولم يسبقه اليه أحد ، ولم يوافقه عليه أحد أيضاً فيما أعلم ، وهو أن يكون الحديث الذي يعمل به في المجال الدستوري متواتراً أو مشهوراً .

ومن ذلك ما صرح به شيخنا العلامة الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله في ندوة التشريع الاسلامي في ليبيا من انكار الرجم في زنى المحصن

سوء فهم النصوص او تحريفها عن موضعها

وقد لا يكون المزلق في الاجتهاد من الجهل بالنصوص أو الغفلة عنها ، وانما يأتي من سوء فهمها ، وسوء تأويلها ، كأن يخصصها وهي عامة ، أو يقيدها وهي مطلقة ، أو بالعكس ، بأن يحملها على العموم وهي مخصوصة ، أو على الإطلاق وهي مقيدة .

أو ينظر إليها معزولة عن سباقها وسياقها ، أو عما ورد في موضوعها من نصوص أخرى تحدد مدلولها ، وتبين المراد منها ، أو عما يؤيدها من اجماع يقيني لم يخرقه أحد على توالي العصور .

وربما دفع الى ذلك التسرع والتعجل والخطف للنصوص ، قبل الدراسة اللازمة والتأمل الكافي ، والموازنة المطلوبة ، واستفراغ الوسع في البحث والطلب ، حتى يحس من نفسه بالعجز عن المزيد ، كما يعبر الأصوليون في تعريف الاجتهاد .

وربما كان الدافع هو اتباع هوى النفس ، أو هوى الغير ، سواء كان هذا الغير يتمثل في الحكام الذين ترجى منفعتهم أو تخشى سطوتهم ، أم في الجماهير التي يلتمس بعض الناس رضاها وثناءها .

وقد قال الله تعالى لداود عليه السلام من قبل « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » (سورة ، ص : ٢٦) .

وقال لخاتم رسله من بعد : « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين

لا يعلمون ، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً » . (سورة الجاثية : ١٧ ، ١٨) .

وهو خطاب للأمة كلها الى يوم القيامة .

وقد يكون الدافع الى ذلك هو التأثر بالواقع القائم ، ومحاولة تبريره ، بوعى أو بغير وعى ، وخصوصاً لدى المفتونين بالحضارة الغربية وبكل ما يفد منها ، وهو أيضاً ضرب من اتباع الهوى المضل .

وقد لا يقف الأمر عند حد سوء الفهم ، بل يصل الى حد التحريف الجائر لكلام الله تعالى ، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، واخراجه عن المراد به تماماً . وهو الذى أنكره القرآن الكريم على أهل الكتاب من قبل ، حين بدلوا كلام الله ، وحرفوا الكلم عن مواضعه ، فليس المراد بتحريفهم المذموم التحريف اللفظى فقط بحذف عبارة أو تبديلها بأخرى ، بل يشمل التحريف المعنوى ، بلى الكلام عن مقصوده ، وتفسيره بما لا يراد منه بحال ، وقد يفسر بضد المراد منه .

وهذا اللون من التحريف لا يأتى من قبل من هو أهل للاجتهاد من أهل العلم ، وانما يأتى دائماً من الدخلاء على فقه الشريعة ، المتطفلين على علومها الأصلية ، الذين لم تتوافر فيهم أدنى شروط الاجتهاد ، ولا يعرف أحدهم ما يجوز الاجتهاد فيه وما لا يجوز . وربما لا يحسن أن يقيم لسانه بقراءة صفحة من كتاب الله تعالى ، أو من صحيح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وادخال هذا الضرب من التحريف والتزييف فى الحديث عن الاجتهاد انما هو بقصد التحذير منه ، ولفت الانظار الى زيفه وبطلانه ، لأنهم قد يخدعون بعض البسطاء بانهم مجتهدون عصريون ، ليسوا جامدين ولا مقلدين ، كغيرهم ! يقصدون أهل الاختصاص من علماء الشريعة .

والحقيقة ان عملهم هذا ليس من الاجتهاد الشرعى فى شىء ، وإن سموه اجتهاداً بزعمهم .

واكتفى هنا بنموذج واحد ذكره الدكتور محمد حسين الذهبى رحمه الله فى كتابه « التفسير والمفسرون » لأصحاب الاتجاه الالحادى فى التفسير ، لكاتب من هؤلاء ، ننقله فيما يلى (٢) :

قال هذا الكاتب تحت عنوان (التشريع المصرى وصلته بالفقه الاسلامى) :

« قرأت فى السياسة الاسبوعية الغراء مقالا بهذا العنوان (٣) . حوى أفكاراً أثارت فى نفسى من الرأى ما كنت أريد أن ارجئه إلى حين ، فإن



الشيخ محمد ابو زهرة

النفوس لم تتهيأ بعد لفتح باب الاجتهاد ، حتى اذا ظهر المجتهد فى هذا العصر برأى جديد ، كذلك الآراء التى كان يذهب اليها الأئمة المجتهدون فى عصور الاجتهاد ، قابلها الناس بمثل ما كانت تقابل به تلك الآراء من الهدوء والسكون ، وإن بدا عليها ما بدا من الغرابة والشذوذ ، لأن الناس فى تلك العصور كانوا يألفون الاجتهاد ، وكانوا يألفون شذوذه وخطأه ، إلفهم لصوابه وتوفيقه ، أما فى هذا العصر ، فإن الناس قد بعد بهم العهد بالاجتهاد ، حتى صار كل جديد يظهر فيه شاذا فى نظرهم ، وان كان فى الواقع صواباً ، وما اسرعهم فى ذلك الى التشنيع والطعن فى الدين ، والمحاربة فى الرزق ، فلا يجد من يرى شيئاً من ذلك إلا أن يكتمه أو يظهره بين أخصائه ، ممن يأمن شرهم ولا يخاف كيدهم ، وتضيع بهذا على الأمة آراء نافعة فى دينها ودنياها ، ولكنى سأقدم على ما كنت أريد اخفاءه من ذلك الى حين ، وسأجتهد ، ما أمكننى فى أن لا أدع لأحد مجالا فى ذلك التشنيع الذى يقف عقبة فى سبيل كل جديد » ..

ثم أشاد بما كتبه صاحب المقال المشار إليه ، ثم قال : (ولكن يبقى بعد هذا فى تلك الحدود ذلك الأمر ، الذى سنثيره فيها ، ليبحث فى هدوء وسكون ، فقد نصل فيه الى تذليل تلك العقبة التى تقوم فى سبيل الأخذ بالتشريع الاسلامى من ناحية تلك الحدود بوجه آخر جديد .. وسيكون هذا باعادة النظر فى النصوص التى وردت فيها تلك الحدود ، لبحثها من جديد بعد هذه الأحداث الطارئة ، وسأقتصر فى ذلك ــ الآن ــ على ذكر ما ورد فى تلك الحدود من النصوص القرآنية ، وذلك قوله تعالى فى حد السرقة : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ، فمن تاب من بعد ظلمة وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم » (٤) وقوله تعالى فى حد الزنى : «الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (٥) .

فهل لنا أن نجتهد فى الأمر الوارد فى حد السرقة وهو قوله تعالى : « فاقطعوا » والأمر الوارد فى حد الزنى وهو قوله تعالى : « فاجلدوا » فنجعل كلا منهما للاباحة لا للوجوب ، ويكون الأمر فيهما مثل الأمر فى قوله تعالى : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين » (٦) . فلا يكون قطع يد السارق حداً مفروضاً ، لا يجوز العدول عنه فى جميع حالات السرقة ، بل يكون القطع فى السرقة هو أقصى عقوبة فيها ، ويجوز العدول عنه فى بعض الحالات الى عقوبات أخرى رادعة ، ويكون شأنه فى ذلك شأن كل المباحات التى تخضع لتصرفات ولى الأمر ، وتقبل التأثر بظروف كل زمان ومكان .

وهكذا الأمر فى حد الزنى .

وهل لنا أن نذلل بهذا عقبة من العقبات التى تقوم فى سبيل الأخذ بالتشريع الاسلامى ، مع انا فى هذه الحالة لا نكون قد أبطلنا نصاً ، ولا ألغينا حداً ، وانما وسعنا الأمر توسيعاً يليق بما امتازت به الشريعة الاسلامية من المرونة والصلاحية لكل زمان ومكان ، وبما عرف عنها من ايثار التيسير على التعسير ، والتخفيف على التشديد » (٧) .

وهذا الاجتهاد المزعوم مردود على صاحبه ، لأنه اجتهاد فيما لا مجال للاجتهاد فيه ، لأنه أمر قطعى ثابت بالكتاب والسنة واجماع الأمة ، ومعلوم من الدين بالضرورة .

وكيف يكون الأمر للاباحة ، وهو يقول : « جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » .

وكيف رفض النبى صلى الله عليه وسلم أى شفاعة فى حدود الله من أحب الناس إليه ، وكيف قال قولته المعروفة : « وايم الله ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ؟ !!

وكيف يكون الأمر فى قوله تعالى فى حد الزنى « فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » للاباحة لا للوجوب وهو يعقب على الأمر بقوله « ولا تأخذكم

بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » ؟ ايكون كل هذا التحريض والتحذير والتهييج فى شأن أمر مباح يجوز فعله ويجوز تركه ؟

ان أى انسان له معرفة باللسان العربى ، ولديه أدنى تذوق له لايرتاب أدنى ريبة فى أن الأوامر فى هذه الآية وفى آية السرقة للوجوب ، والوجوب المؤكد بلا جدال . « فليحذر الذين يخالفون من أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

الاعراض عن الاجماع المتيقن

ومن مزالق الاجتهاد المعاصر : تجاوز ما أجمعت عليه الأمة فى عصور الاجتهاد غفلة عن هذا الاجماع وجهلا به ، أو اعراضاً متعمداً عنه ، مع أن الأصوليين جميعاً جعلوا من شروط المجتهد المتفق عليها : العلم بمواضع الاجماع ، حتى لا يجهد المجتهد نفسه فى أمر فرغت منه الأمة ، وهى لا تجتمع على ضلالة .

ونؤكد هنا اننا لا نريد مجرد دعوى الاجماع ، فكم من مسائل ادعى فيها الاجماع وقد ثبت فيها الخلاف ، كما تدل على ذلك الوقائع الكثيرة .

وانما الذى نقصد إليه هنا : هو الاجماع المتيقن الذى استقر عليه الفقه والعمل جميعاً ، واتفقت عليه مذاهب فقهاء الأمة فى عصورها كلها ، وهذا لا يكون عادة الا فى اجماع له سند من النصوص . فالنص هو الحجة والمعتمد . ولكن الاجماع المستمر على العمل به أعطاه قوة أى قوة ، ونقله من الظنية الى القطعية .

وانما قيدت الاجماع بالمتيقن ، خشية من دعاوى الاجماع الكثيرة فيما ثبت الخلاف فيه ، كما يشهد بذلك كل من له اطلاع على المصادر الجامعة لمذاهب العلماء .

ومن ذلك ما قيل من جواز زواج المسلمة فى عصرنا بالكتابى ، كما جاز زواج المسلم بالكتابية ، هذا مع أن الفرق بينهما واضح جلى ، فالمسلم يعترف بأصل دين الكتابية فهو يحترمها ويرعى حقها ولا يصادر عقيدتها . أما الكتابى فهو لا يعترف بدين المسلمة ولا بكتابها ولا برسولها . فكيف تعيش فى ظل رجل لا يرى لها أى حق باعتبارها مسلمة ؟

والقول بأن القرآن إنما حرم (المشركات) والكتابيات غير المشركات ، ينقضه قول القرآن (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ، لا هن حل لهم ، ولا هم يحلون لهن » . سورة الممتحنة : (آية ١٠) ، فهنا رتب الحكم على الكفر لا على الشرك حيث قال : « فلا ترجعوهن الى الكفار » واذا كانت العبرة بعموم اللفظ فلفظ (الكفار) هنا يشمل الكتابى كما يشمل الوثنى .

القياس فى غير موضعه

ومن مزالق الاجتهاد المعاصر : القياس الفاسد ، كأن يقيس النص القطعى على الظنى فى جواز الاجتهاد فيه ، أو يقيس الأمور التعبدية المحضة على أمور العادات والمعاملات فى النظر الى حكمها ومقاصدها ، واستنباط علل لها بالعقل ترتب عليها الأحكام .

والخطأ فى القياس باب من أبواب الشر من قديم . حتى قيل : ان انحراف ابليس وعصيانه لله واستكباره عن امتثال الأمر ، كان بسبب قياس فاسد ، حين قال عن آدم : أنا خير منه . خلقتنى من نار ، وخلقته من طين ! .

وأكلة الربا من اليهود واتباعهم أرادوا أن يستدلوا على اباحة الربا بقياسه على البيع كما حكى الله عنهم : « ذلك بانهم قالوا : انما البيع مثل الربا . واحل الله البيع وحرم الربا » . (سورة البقرة : ٢٧٥) .

ونحن لا ننكر القياس ، كما فعلت المدرسة الظاهرية ، بل نرى مع جمهور الأمة من السلف والخلف : أنه مصدر خصب من مصادر الأحكام ، ودليل على اثراء الشريعة وخلودها وقدرتها على مواجهة التطور فى كل زمان ومكان وحال .

المهم فى القياس ان يكون مستنداً الى نص ثابت فى قرآن أو سنة ، اتضحت علته ، ولم يوجد فارق بين الأصل المقيس عليه والفرع المقيس .

فلا اعتبار مثلا لقياس على غير أصل منصوص عليه .

أو على نص غير ثابت .

أو على نص ثابت ولكن لم تتضح علته .

أو اتضحت علته ، ولكن وجد فارق معتبر بين الأصل والفرع .

فالذين يقيسون على حديث ضعيف ، أو صحيح ولكن لم تتضح العلة فيه ، أو يقيسون مع وجود الفارق ، أو يقيسون على أقوال الفقهاء ... كل هؤلاء لا يقبل قياسهم .

وقد رأينا من يجيز للحكومة أن تستقرض من الشعب بالفوائد الربوية ، مستدلا بالقياس على أنه (لا ربا بين الوالد وولده) فكذلك لا ربا بين الحاكم والشعب !

والحق ــ كما قلنا فى موضع آخر ــ ان هذا الحكم : (لا ربا بين الوالد وولده) لم يثبت بنص ولا اجماع ، انما هو أمر قال به بعض الفقهاء وخالفه الأكثرون . فكيف نقيس على غير أصل ؟

على اننا لو سلمنا بثبوت هذا الحكم ــ وهو غير مسلم ــ لم يسلم لنا القياس أيضاً ، لوجود الفارق الواضح بين الوالد وولده من ناحية ، وبين الحكومة والرعية من ناحية أخرى ، وذلك لأن هناك نصاً نبويا فى شأن الوالد وولده يقول : « أنت ومالك لابيك » . ولا يوجد مثل هذا فى الجانب الآخر ، فلم يأت نص يقول : « أنت ومالك للحكومة » ! .

وفتح باب الاقيسة من هذا النوع انما هو فتح لباب الفوضى ، حتى رأينا حاكماً يريد أن يسوى بين الابن والبنت فى الميراث قياساً على اجتهاده فى منع تعدد الزوجات . أى أنه جعل اجتهاده ــ المرفوض ــ أصلا يقاس عليه ما لا يجوز ان يدخل دائرة القياس ولا دائرة الاجتهاد أصلا ، لأنه من باب المعلوم من الدين بالضرورة .

الغفلة عن واقع العصر

وكما أن من مزالق الاجتهاد فى عصرنا عند بعض الناس : انسياقهم وراء الواقع القائم ، واستسلامهم لتيارات العصر ، وان كانت دخيلة على المسلمين ومناقضة للاسلام ، ومحاولتهم تبرير هذا الواقع باعطائه سنداً من الشرع اعتسافاً وقسراً ــ فإن فى مقابلة هؤلاء قوماً يريدون أن يجتهدوا فى

• منع التدخين بين التحريم والاباحة

غفلة عن واقع هذا العصر ، وما يمور به من تيارات ، وثقافات ، وما تتمخض عنه أيامه ولياليه من مطالب ومشكلات .

أما لأنهم حبسوا أنفسهم فى سجن لمذهب معين لا يخرجون عن أقوال علمائه ، فضيقوا على أنفسهم فيما وسع الله عليهم ، وألزموا أنفسهم بمالم يلزمهم به الله ورسوله ، وخالفوا أئمة المذاهب أنفسهم ، الذين نهوا عن تقليدهم .

وأما لأنهم عاشوا فى الماضى وحده ، دون معاناة للحاضر ، ولا استشفاف للمستقبل ، فهم داخل القفص الذهبى (قفص التراث) محبوسون طوعاً واختياراً ناسين ما قرأوه فى هذا التراث نفسه : أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والانسان .

أو لأنهم لم يلموا بثقافة العصر ومعارفه الأولية ، فهم يتكلمون بلغة غير لغته ، وهو يتكلم بلسان غير لسانهم ، فكيف يفهمون عنه ، ويفهم عنهم ؟ فهم فى واد ، وعصرهم فى واد آخر . وكيف يحكمون لهذا العصر أو عليه ، والحكم على الشيء فرع عن تصوره ، كما يقول علماء المنطق ؟!

أو لأنهم يعيشون فى دوائرهم الخاصة مع من يشبههم من أهل الدين والورع ، غافلين عما تحفل به الحياة من غرائب ، وما تلده الليالى من عجائب وما يفرضه التطور السريع من أوضاع ، تدخل الى حياة الناس جهرة ، أو تتسلل إليهم خفية ، منها المستقيم ومنها الأعوج ، وفيها الصواب والخطأ ، والخير والشر وكلها تتطلب اجتهاداً يبين حلالها من حرامها ، وحقها من باطلها .

وأياً كانت الأسباب فإن الغفلة عن روح العصر وثقافته وواقعه ، والعزلة عما يدور فيه ، ينتهى بالمجتهد فى وقائع هذا العصر الى الخطأ والزلل . وهو ينتهى غالباً بالتشديد والتعسير على عباد الله حيث يسر الله عليهم .

كالذين حرموا ذبح (المجزر الآلى) وأوجبوا أن يكون الذبح باليد والسكين المعتادة ولابد .

وقد يليق هذا بمجتمع بسيط قليل العدد ، قليل الاستهلاك للانتاج الحيوانى ، أما فى المجتمعات الكبيرة ، وحيثما يكون الانتاج الحيوانى بمئات ألوف الرؤوس ، ويراد ذبحها للاستهلاك المحلى أو التصدير الخارجى ، فالأمر يحتاج الى هذه المذابح الآلية ، التى تقوم فيها (الماكينة) مقام الانسان فتوفر جهده ووقته ..

وإذا كان المحذور هنا هو عدم التسمية عند كل ذبيحة ، فيمكن تسجيل شريط يعلن التسمية طوال مدة الذبح .

- حد السرقة لا مجال للاجتهاد فيه

- حكم الإسلام في التبنى واضح وصريح

وقد يجوز الاكتفاء بالتسمية عند بدء كل مرة نشغل فيها الآلة ، كما نسمى عند ارسال الكلب أو الصقر أو السهم عند الصيد .

على أن مذهب الشافعى لا يجعل التسمية شرطاً لصحة الذبح .

ومثل آخر : الذين اجتهدوا فى قضية (أطفال الأنابيب) ومنعوها منعاً باتاً ، خشية اختلاط الأنساب ، وسداً للذرائع .

وأقول هنا ما سبق أن قلته فى مناسبة أخرى : إن المبالغة فى سد الذرائع ، قد تحرم الناس من خيرات كثيرة ، ومصالح كبيرة ، كما أن المبالغة فى فتحها قد تؤدى الى شر مستطير ، وفساد كبير .

والواجب على أهل الاجتهاد هنا : ألا يبيحوا باطلاق ، ولا يمنعوا باطلاق .

فالمنع باطلاق فيه تحريم ما لم يحرمه الله ورسوله ، وتضييق على المكلفين فى أمر لهم فيه سعة .

والاباحة باطلاق توقع فيما حرمه الله ورسوله ، وتجر إلى مفاسد جمة .

فلابد من التفصيل : بإباحة بعض الأساليب والصور بقيود وشروط ، ومنع البعض الآخر .

وهذا ما انتهت إليه ندوة (الانجاب فى ضوء الاسلام) التى انعقدت فى الكويت بين الفقهاء والأطباء ، وكان قرار الأغلبية فى هذا الأمر : أنه جائز شرعاً إذا تم بين الزوجين ، أى كان الحيوان المنوى من الزوج والبييضة من الزوجة ، أثناء قيام الزوجية فلا يجوز أن يتم ذلك بعد موت الزوج ، أو طلاق الزوجة ، وبشرط أن تراعى الضمانات الدقيقة الكافية لمنع اختلاط نطف الرجال أو بييضات النساء ، فتختلط بذلك الأنساب .

واتفق الجميع على أن ذلك يكون حراماً اذا كان فى الأمر طرف ثالث ، سواء كان منياً من غير الزوج ، أم بييضة من غير الزوجة ، أم جنيناً من غيرهما ، أم رحماً من امرأة أخرى تقوم بالحمل عن صاحبة البييضة .

ونحو هؤلاء الذين اجتهدوا فى تحريم التصوير الفوتوغرافى الذى اشتدت الحاجة إليه ، وعمت البلوى به ، وأصبح من الضرورات الاجتماعية فى بعض الأحوال ، كصور البطاقات الشخصية ، وجوازات السفر ، والشهادات الدراسية ، وملفات الخدمة ، كما أصبح أمراً لازماً للصحافة المعاصرة ، ولم تعد تقرأ صحيفة تقدم أخبارها واستطلاعاتها كلاما بلا صور تؤيده وتبعث فيه الحياة .

وأكثر من ذلك (التلفاز) الجهاز الخطير الذى بات أقوى المؤثرات فى حياة الناس ، وتوجيه أفكارهم وميولهم واذواقهم ، ونقل العالم إليهم وهم فى قعر بيوتهم .

هل يتصور أن نحرم المجتمع الاسلامى والدولة الاسلامية من هذه الاداة الجبارة لأنها تقوم على التصوير ، فى حين يستخدمه أعداؤنا بقوة وجدارة ، لما له من تأثير ساحر يجمع بين الصوت والصورة ؟

ومن هذا النوع من الاجتهادات التى اغفلت واقع العصر : ما لا يزال بعض العلماء يرددونه من اباحة التدخين ، بناء على قاعدة أن الأصل فى الأشياء الأباحة ، وما قاله بعض العلماء أول ظهور التدخين منذ قرون .

ولا ريب أن هؤلاء العلماء لم يتبين لهم ما تبين لنا فى هذا العصر من أضرار التدخين التى أجمعت عليها الهيئات العلمية والطبية فى العالم ، وألفت فيها كتب وعقدت لها ندوات ومؤتمرات ، حتى إن شركات تصنيع (الدخان) وتعبئته غدت ملزمة بأن تكتب على علب (السجاير) أنها ضارة بالصحة .

إن الاجتهاد الحقيقى هو الذى يجمع بين الأصالة والمعاصرة معا .

يوسف القرضاوى

الهوامـــش

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر حـ٢ ص ١٣٥ ، وذكر ابن القيم هذه الآثار فى (الاعلام) وقال : واسانيدها فى غاية الصحة (حـ١ ص ٥٦) كما بين المراد بالرأى المذموم والرأى المحمود . فليراجع .

(٢) التفسير والمفسرون حـ٣ ص ١٩٤ ، ١٩٦ .

(٣) هذا المقال المشار اليه يوجد بالعدد الخامس من السنة السادسة (سنة ١٩٣٧ م) .

(٤) الآيتان (٣٨ ، ٣٩) من سورة المائدة .

(٥) الآية (٢) من سورة النور .

(٦) الآية (٣١) من سورة الاعراف .

(٧) السياسة الاسبوعية ص ٦ من العدد السادس من السنة السادسة (٢٠ فبراير سنة ١٩٣٧ م) .


من صور الاحتلال الإسرائيلي:

حكاية أخرى أمام شبّاك التصاريح

مهداة الى الطفلة «طروب» حفيدة شقيقتي في الضفة الشرقية

شعر: فدوى طوقان



آه يا غنوة حبٍ عذبةً ، يا لحن مزْهَر
أنت ، يا أثمن من درّ وجوهر
اقرئيني في الغد الآتي واذ تضحين يا حلوة أكبر
اقرئيني في الغد الآتي فشعري
صورةٌ من واقع جهمٍ مكدَّر
أمس يا حبة عيني
فاض بي شوقٌ الى مرآك ، شوقٌ لا يُصَوَّر
فتجهزت بتصريح لكي يأذن ضباط وعسكر
بعبوري نهرنا الغافي على حلم التحرُّر
ولدى الشباك في الجسر انتظرت الدَّوْر في صمتٍ في صبر
ان دوري فتقدمتُ أحثُّ الخطوَ جذلى
ولتعْسي
ردَّ لي الجنديُّ تصريحي وأقصاني بعيداً وتأمَّر :
« ارجعي من حيث أقبلتِ »
ـ : لماذا ؟ !
ـ : « ارجعي من حيث أقبلت » وزمجر
قلت : ما ذنبي ؟ أنا لم أعص أمراً ، لا ولا زَعْزعتُ أمناً ،
لا ولا حَرَّضتُ أو شاغبتُ في دولة « قيصر » ..
خبّروني
اين ألقى ضابط الجسر عسيٰ
يشرح الضابط لي ما لم يُفسَّر
فأنا من فرط حرصي
وأنا من فرط حبي
لبلادي ولأرضي
ولبيتي ولبستاني وجيراني وللأشجار والأطفال والأحجار ـ
« والدوّار » والسوق وأصحاب الدكاكين ومن خوفي من ـ
الابعاد والنفي الذى يقطع فينا مثل خنجر
لم أزل أحتمل الإذلال والقهر وأصبر
صاحَ في حدّته القصوى : « افهمي يا هذه ما قلت هيّا وارجعي
من حيث أقبلت » وأقصاني وأقصاني بعيداً وتوتَّر
فتراجعتُ بخَطو يتعثَّر
أى وربي لم أعد أفهم شيئاً غير كوني
في زمان اليتم والحكم اليهودى المقدَّر
ليس لي « معتصمٌ » يأتي فيثأر
لا ولا « خالدُ » في « اليرموك » يظهر
....
عدتُ أدراجي وجرح القلب يدمىٰ
وبعينيَّ دموعٌ تتحدر

فدوى طوقان

نابلس ـ الضفة الغربية

القروي شاعر العروبة سيرته في ذكريات

بقلم : أكرم زعيتر



الشاعر القروى (رشيد سليم الخورى)



فى هذه الحلقة يختتم الكاتب الكبير « أكرم زعيتر » سلسلة مقالاته الرائعة عن القروى شاعر العروبة ، وهى المقالات التى اختص بها مجلة الدوحة ، وأعادت إلى الأذهان روح المؤلفات العربية الكبرى مثل « الأغانى » و « العقد الفريد » فكتابات أكرم زعيتر هى امتداد عصرى لهذه المؤلفات العربية المجيدة .. والدوحة على موعد آخر مع الكاتب الكبير فى سلسلة جديدة من مقالاته الممتعة عن الشاعر العربى الراحل بدوى الجبل :

نشرت صحيفة لبنانية أن قيصر الخورى ، الشاعر المدني ، قد توفى فى البرازيل ، وكنت أعلم أن الشاعر القروى جاء من « البرازيل » ونزل بيت صهره فى الأشرفية ، فبادرت إلى زيارته للمواساة والتعزية على الرغم من اضطراب الأمن وخطر اجتياز الحدود بين بيروت الغربية والشرقية .

وبدا لي من حرارة ترحيبه ، وطلاقة وجهه أنه لما يعلم بوفاة شقيقه ، فلم أشأ أن أكون الناعى . وقد جرنى الحديث عن أصدقائه من شعراء المهجر الراحلين ، وتعمدت الإفاضة فى القول عن صديقه وصديقى الشاعر النابغ الذى بلغ إعجابى به الغاية ، الأستاذ شفيق معلوف ، وقد لذنى ثناؤه الجم عليه ، وتنويهه ببداعة شعره ، وجمال ديباجته ومتانة لغته ، ولو ترجم شعره إلى أى لغة لأعجب وأطرب ... ومات شفيق وأنا على الطريق وقلت هذا فى رثائى له ، وساعفته ذاكرته فتلا متأثراً :

قسماً بحبك يا شفيق
و « بعصبة » الأدب العريق
وبطبعك السّمح الكريم
وشعرك الفخم الرقيق
إنى كعهدك يا شقيق الروح
اقرب من شقيق
عفوا اذا أنا لم أسر
كفى بكفك يا رفيق
السبق دأبك والزمان
محملي ما لا أطيق
اسعى ونورك رائدي
وأدب خلفك فى الطريق !







ثلاث لقطات للشاعر القروي في السنوات الأخيرة من حياته

وتذكرنا قصيدته في «كلب الصيد» وكنا سمعناها معاً من شفيق فى بيته فى سان باولو ، ولا أقوى وأنا أدون هذه الذكريات على حرمان الدوحة جمالها :

تشممَ كلب الصيد طيراً فأبرزت
نواجــذه نصلاً وأظفاره مدى
وساف خبايا العشب شماً بمخطم
تنسم خلف العشب ريحاً بها اهتدى
كأن له عيناً على أنفه ترى
خلال مهب الريح صيداً تلبدا
نضى ذَنَباً صلبَ القناة مصوباً
وشال برجل عاقفاً بعدها يدا
وحملق لم يطرف بعينيه طارف
يلوك شجىً في حلقه مترددا
ومال باحدى مقلتيه يهيب بي
كعبـــد يمني بالغنيمة سيدا

والحديث عن شفيق يذكر بأخيه الشاعر النابغ فوزى معلوف ، الذى قضى شاباً ، واشتهر بقصيدته « شاعر فى طيارة » وفى رأى القروى أنه امتاز فى شعره برقة العاطفة امتياز شفيق بالحكمة والرصانة ..

وأقيم لفوزى فى بلده ، زحلة ، تمثال نصفي سنة ١٩٣٧ ودعي شفيق من البرازيل الى الاحتفال بإزاحة الستار عن وجه أخيه ، فلا أجمل ولا أروع من مطلع قصيدته :

فوزى ، ومالي في الخطوب يدان
مـا هـكـذا الأخـوان يلتقيان
قدمت صدري للعناق فلم يقع
إلا على حجـــر من الصوان

وناهيك بمطلع قصيدته فى رثاء أخيه روعة :

أقبلت أبحث عنه في الترّب
تاج تدحــرج عن جبين أبي

وبعد تردد ، واستشعار بالرهبة ، سألت القروى عن أخيه قيصر ، فقال : إنه لم يتلق منه منذ مدة أى رسالة .. وسألته عن أبيات لأخيه عن فلسطين فابتسم واستنجد بذاكرته قليلا ثم تلاها :

سقيناك يا غرب ماء الحياة
فكان وفاؤك نفث الحمم
تعلمت رعي النجوم وفاتك
أن تتعلم رعــيَ الـذمـم
سننتَ النيوب كأن فلسطين
مرعى تسمن فيها الغنم
وإن فلسطين للعرب روحاً
وجلداً ولحماً وعظماً ودم

وعدت أدعوه الى تكريم يقام له فى المركز الثقافى الاسلامى وحسبنا محض حضوره فاعتذر بسبب هذه الظروف فى بيروت ثم قال ، «إن اتحاد الكتاب اللبنانيين دعونى الى حضور مؤتمرهم ضيف شرف فذهبت إليه ، وأنا كما ترى ، وبيروت كما ترى وتسمع ، وأهديت اليهم قصيدة مستوحاة من هذه الحال ، فاستنشدته اياها وفيها يقول :

طيور الكتــاب حججن الحمى
عصائب من كل جوب وصوب
يَسقنَ من الهَدي باقات فكر
ولوحــات فن وروضات كتب
ولما رنــونَ مــن البيت
حوّلنَ أبصارهن وصحنَ برعب
آلهى ! آلهى ! لماذا؟ وماذا؟
أصــابك ياخير أرض وشعب
أذا وجه بيروت أم الحضارة
مبدعة الحـــرف ؟ كلا وربى
أكل البلا د خراب ونهب
أكل المطارح ساحات حرب ؟
وقد ذهب العقل من كل رأس



صورة تذكارية تضم من اليمين إلى اليسار : وديع ديب ، زهير عسيران ، الشاعر القروى ، أكرم زعيتر ، ميشال أبو جودة .

وقد نضب الحب من كل قلب .

وسألني : « هل ترى .. » ويبدو أنه نسي الاسم .. وراح يستذكره .. ثم ذكره باسمه ، وواصل « وقيل لي إنه في مقال نقدي انتقصني حقي » فقلت : « ما شاء الله ذاكرتك قوية تتلو القصائد الطوال بلا تلبث ، وتذكر دقائق المناسبات ، قال : ولكن الذاكرة تخونني أحيانا بالنسبة إلى الأسماء .. وقد حدث أن نسيت اسم آنسة ، فعاتبتني وفي هذا أقول :

قالت : نسيت اسمي فقلت لها اعذري
ذهب الشباب الغض وانقطع الرجا
ذهني تيبس طينةً حتى غـدت
تتدحرج الأسماء عنه تدحرجا

وعاد إلى سؤالي عن الأديب الذى بلغه أنه تنقصه فوكدت له أنه يجله ويعجب به ويتوق الى لقائه ، قال : لعلي تجنيت عليه حين ظننت أنه ممن قلت فيهم :

اليس في العمر يوم استريح به
من شر منتقم أو لؤم منتقد
من كان يطمع فيما نلت من شرف
فليشد وليعتقد شدوى ومعتقدى
لو كان يدرى حسودى ما أكابده
في الحق ما اكلته جمرة الحسد
إني صعدت إلى مجدي على جبل
مما تهدم من روحي ومن جسدي

وواصل : « على أن هناك أحباباً اضطر إلى مقارعتهم ، ونفسي لا تطاوعني أهجرهم ولكنني أحن إليهم وقد خاطبتهم :

أرمي بكعب السمهري صدوركم
وسنانه بيدي يقطع أنملي
أبكي وأضحك للعذاب كمرضع
شد الوليد بشعرها المسترسل

أي إنه كالأم التي تحنو على رضيعها وهو يوجعها بشد شعرها ..

قلنا : ومع ذلك فإنه سيستغفرك متمثلا بقول بدوي الجبل :

أنا البرىء ، ولكن حرمةٌ وهوى
أقر بالذنب كى ترضى وأعترف

واستعادني هذا البيت وقال : أما أخوك القروى فقد قال :

كم صاحب حرصاً على وده
طلبت أن يغفر لي ذنبه

وأذكر أنني سألته : ما آخر مانظمت ؟ فأجاب ضاحكاً : « أبياتاً في ذات الثوب المطعج » وتلاها من ذاكرته ، وكأنه يرتلها منغمة ، وكنت اسمعها ، أشبه بالمذهول ، مدهوشاً من شاعر تجاوز التسعين ، وكنت أحمل ملفاً فيه قصاصات قدمتها إليه ، فقلت : ألا تكتب هذه الأبيات بخطك على ظهر هذا الملف تكون من أثمن ما احتفظ من ذكريات » ؟ فتناول القلم المداد وكتب أبياتاً بعنوان « ذات الثوب المطعج » :

أمخبـآت كنوز حسنك
أم ثنيـات الحـرير
جنبا الى جنب ينمنَ
منـامـة الطفل الصغير
كشفاه وَرد الشـام
مطبقة الثغور على الثغور
ماذا طويت وراء هذا
الثوب من نار ونور
آلراك بين يدي مسـ
ـبلة الغديـرة كـالغدير
من لى بأسعد ساعة
في العمر للشيخ الوقور
فيـهـا ربـيـع صـبـاك
يغمـرنـي بفـواح العبير
حلم يـراود مقـلتـى
وأستفيق على غـرورى

ولا أذكر أنني لقيت القروى إلا تذكرت صنوه الشاعر الياس فرحات ، وكان يستأنس بالحديث عنه ، وكثيراً ما استشهد ببيت أو بيتين له مثل قوله :

ونشرب مما تشرب الخيل تارة
وطوراً تعاف الخيل ما نحن نشرب
حـيـاة مشقات ولكن لبعدها
عن الذل تحلو للأبيّ وتعذب

وكنت أعلم أن جفوة رانت على العلاقات بينهما ، والقروي برهافة حسه سريع التأثر وتصديق ما يسمع ، مما يؤدى إلى جفاء بعض أصحابه جفاء لا يلبث حتى يزول ، وكان فرحات يرسل تحياته إلى القروي استرضاء له ، فلما قضى

فرحات التاع قلب القروي وبكاه ورثاه ناحباً بقصيدة منها قوله :

على قَدر سني لا شعورى خذ منى
قضى معك الشعر المعبر عن حزنى
تضاعف بعد الفرقة الحب بيننا
وفي القرب ماينئي وفي البعد ما يدني
حماقات أطفال صغار نسيتها
ولَم ينطبع غير الصداقة في ذهني
لنا في ميادين الجهاد ملاحم
سينقلها التاريخ قرناً الى قرن
وأقوى حبال الود حبل عروبة
ربطنا به بين العقيدة والفن
تحيتك المعطار بالأمس كم بكى
لها فرحاً قلبي ، وكم ضحكت سني

* * *

وعلمت بعد أيام أن القروى قد تلقى نعي أخيه قيصر وأنه متفجع عليه يحس وحشة الدنيا لغيابه ، فانتهزت هدنة بين المتقاتلين ، ويممت الأشرفية ، وأقبل وئيد الخطى ، رابط الجأش ، وأجملت القول في التعزية كما أجمل الجواب .. وأحسسنا أننا في مأتم .. ومالبثت حتى سألته : هل رثيت أخاك ؟ فاغرورقت عيناه ثم تناول ورقة ، وادناها منهما ، وراح يندب شقيقه :

أطيق العيشَ بعدك كي أنوحا
وأشفق أن أموتَ فأستريحا
أجدد ذرف دَمعيَ كل يوم
ولو جاوزت في الأيام نوحا
أخى «المدني» يا أوفى وفي
فقدت بفقده الحب الصحيحا
ويا عينيي التي تعمَى بكاء
ويا قلبي الذى يحيا ذبيحا
مللتَ من الحياة فرحتَ قبلي
وكنت أود قبلَك أن أروحا
شكوتَ العيش في «طَلّل(١)» فقل هل
وجدتَ بديله البيت المريحا
أإن لم تشبع الخبز ابتساماً
لتشبع جائعاً تدعى شحيحا

وهنا استوقفت الشاعر وقلت : إنني لم أفهم المراد بهذا البيت .. فأجابني : إنني اشير في هذا البيت الى قصيدة لشقيقى عنوانها «الجائع والرغيف» وفيها يقول :

جاءنى يسأل الطعام بصوت
خافت يستعين في إيمانه
غائر العين لا تكاد تراه
وهى كادت ترى طوى أحشائه
حارت النفس في بقية جسم
بات لا يستطيع حمل رجائه
جئت أحمل الرغيفين : خبزاً
وابتساماً لجوعه وشقائه

الى آخر القصيدة .. فأنت ترى أنه جعل الابتسام رغيفاً .. ثم واصل تلاوة مرثاته أخاه :

أبعد «مخازن الأظلال»(٢) ظل
تدير به غبوقك والصبوحا
أباريقاً من الأدب المصفى
شبيهي كنت سيماء وفنا
كأنك توأمي جسداً وروحا
أتطوى النسختان معاً ترى ام
تغلف كل خالدة ضريحا

وأحسست وهو يتحدث عن رفاقه من العصبة الأندلسية الذين سبقوه أننا نقيم الساعة حفلا تأبينياً لهم نمجد فيه ذكراهم .. فذكر صديقه الشاعر الراحل ميشيل المغربي وقد رثاه بقصيدة هى الروعة .. وذكرني مطلعها :

ذهب الرفاق جميعهم من دوني
لم يبق منهم شاعر يرثيني

بمطلع قصيدة أحمد شوقي في رثاء حافظ ابراهيم :

قد كنت أوثر أن تقول رثائي
يا منصف الموتى من الأحياء

وقال بعد المطلع :

وغدت عناوين الفحول قبورهم
فرسائلي قطع من التأبين
الشعر يبكيهم بكل بحوره
وبما حوت من لؤلؤ مكنون

والقصيدة طويلة تغنى فيها بصداقة المغربى ومحبته :

كم ضحكة كنا نزقزقها معاً
كالطير بين حدائق وعيون
ولكم تساقينا القوافي الغُرّ لا
أرويه ما رُويتُ ولا يرويني

وذكر أخاه المدني آخر درة في عقد العصبة .. وأنهى المرثية شادياً :

ماذا أؤمل بعد من عيشى وها
قدماى غارقتان في التسعين
لولا البكاء لخلت أنى ميت
حصرت حياتي كلها بعيوني
بدموعي الحري أبل ترابهم
ليعيد ربي خلقهم من طين

وتذكر صديقه الشاعر المهجرى الراحل «نعمة الحاج» وهو من أعضاء الرابطة الأدبية في الولايات المتحدة : وقد رثى في رثائه إخوانه ونفسه وفيه يقول :

بكيتهم حتى بكوا لبكائي
ولم يبق لي دمع لنظم رثائي
يغيبون عني كوكباً إثر كوكب
ويخبو أمامي من أطل ورائي
أتى يعزيني بنعمة صاحبى
وعاد يعزيني بفقد عزائي
اذا نعمتي ولت الى غير عالم
فهل بعد لي في الأرض غير شتائي
حياتي صارت علة مئوية
فيارب عجل بالممات شفائي

* * *

وغادرت بيروت الى عمان صيف سنة ١٩٨٢ بدعوة من جلالة الملك الحسين بعد أن تركت بيتي لاجئاً الى فندق الكومودور ، ضيفاً على صاحبه شهرين : ولم أكد أجترح المعجزة فأصل الى عمان حتى صمخ اذني نبأ الصاروخ الاسرائيلي الذى حرق مكتبتي كلها .. ولكن حقيبة وثائق وأوراق قد نجت لوجودها في سرداب سري لم تستطع زبانية اسرائيل أن تهتدى إليه .

وتيسرت العودة إلى بيروت في مطلع سنة ١٩٨٣ لتفقد الأوراق المخبوءة واصلاح البيت المخرق ، واستجابة لرغبة مجلس أمناء المركز

تنويه

وقعت بعض الاخطاء المطبعية في الحلقات الثلاث الماضية وقد بعث الينا الكاتب الكبير أكرم زعيتر بتصويب لها :

العدد	الحلقة	الخطأ	الصواب
١٠٧	الأولى	في صبرا	في صيدا
«	«	الزيني	الزين
«	«	كالشقاعة	كالشماعة
١٠٨	الثانية	صحبني	صبحني
«	«	تفوقك	ففوقك
١٠٩	الثالثة	فقرعتها	فقرعتهما
«	«	مدافع لة	أمة

القـــروكـي
شاعر العروبة
سيرته في ذكريات

ذات الثوب المطعج : آخر ما نظم الشاعر القروى ، وقد كتبها بخط يده بناء على طلب كاتب المقال .

الثقاف الذين قدروا أسباب إقامتى فى عمان وكرمونى برئاسة المركز الشرقية .

وفى اليوم التالى لبلوغي بيروت رن جرس التليفون وكانت المفاجأة السارة أن يهاتفنى الشاعر القروى من الأشرفية : « حبيب القلب أكرم .. انتظرتك طويلا .. تعال إلى . أريد أن أراك وأخشى ان اقضى قبل ذلك .. » فأجبت متأثراً : « لبيك وسأكون عندك فى أقرب مما تظن من ميعاد » .

وعلى ما فى اقتحام الحواجز من مغامرة فقد هاتفت صديق القروى وصديقى الأديب وديع ديب واتفقنا على زيارة القروى ، وقد تعهد صهرى « حسن » بأن يضمن ايصالنا الى القروى بسيارته مقتحماً كل عقبة . وفى الطريق الى بيت شفيق الخورى ، صهر القروى ، كنت أهامس نفسى : « يبدو أنه اللقاء الأخير ! » وهانت كل مشقة حين بلغنا الدار ، وقالت لنا بنت أخته ، ربة الدار ، بعد الترحيب والتأهيل والتسهيل : « القروى ينتظركم بقلق » . وأقبل علينا بقامته السمهرية يعانقنا .. ثم بدا لي أنه يعلم خبر « نزوحي » الى الأردن ناجيا بنفسي وكان سؤاله غير المرتقب : « وكيف حال الملك حسين ؟ » فأجبت — : « إنه بخير وله فضل استدعائى الى عمان » وما رأيك فى أن توجه إليك دعوة من الجامعة الأردنية فتعتمر عمان ، ونحتفى بك ويستقبلك الحسين مرحبا .. » وهنا تطلق وجهه وقال : ليت صحتى تمكننى من السفر .. يا أخى ضعف بصرى وكل سمعى .. على اننى سألبى الدعوة حين استطيع .. » .

وأشار الأستاذ وديع الى احتراق مكتبتى بالصاروخ المجرم : فقلت « وعز على أن تلتهم النار الطبعات الأولى من ديوانك ، وتلتهم معها عبارات التقدمة بخط يدك ، وهى أسانيد وأوسمة أدبية » فقال . « مهلاً » ونهض الى غرفته وعاد بالديوان فى جزئين ، بطبعته الأنيقة الخامسة التى نشرتها « دار المسيرة » ببيروت وقال قبل أن يدلى بها الى : « الحمد لله ذهنى لم يتثلم وخطى لم يترجرج .. » وتناول القلم المداد وكتب كلمة الاهداء : وقد تأثرت بها أكثر مما ازدهيت لأن خاطراً لم يبرح ذهنى أن هذا آخر لقاء . وهذه السطور آخر ماكتب : « إلى أخطب من سمعت فى سبيل فلسطين ، الأخ المناضل الأستاذ أكرم زعيتر هدية مضمخة بطيب المودة والاحترام وذكرى من قلب الى قلب . رشيد سليم الخورى « وجعل التاريخ بالأرقام الهندية ، ولما اراد الامضاء « القروى » ارتجفت يده قليلا .

وبينما كنت اتصفح الديوان اذا بدوى القذائف وازيز الرصاص يصمخان الآذان ، ومع أننا ألفنا هذا فقد تمعر وجه القروى ، فقلت : « علمت أنك نظمت أبياتاً تصف هذه الحال أو تندد بالأشرار . » قال ، والقلم المداد بيده : « لعلى تجاوزت كل قساوة على بلدى .. » . وتلا الأبيات الخمسة ، ورأيتنى أقدم له الجزء الثانى من ديوانه ليكتبها بيده على الصفحة الأولى البيضاء ، فكتب متمهلا :

لبسنا الصليب والهلال ورحنا
لسفك الدماء تسوق الجيوشا
فباتت قرانا قبوراً وأمست
أسرتنا الحالات نعوشا
فكم ألف مليون عام ستمضى
لكي نرتقى ونصير وحوشا ؟

كانون الثاني ١٩٨٣

وبعد أن وقع الأبيات أحس بتعب فى عينيه ، فعركهما وقال القروى لصهري حسن . « وعدتنى بالمكبرة ، فما عندى لا تحقق غرضي » فاجابه : غداً تكون عندك ان شاء الله » وواصل القروى : على أننى لا أخشى العمى وأنا القائل :

طلقت دنياى على حبها
كأنى حي بهـا ميت
ما عدت استصعب فيها العمى
لطول ما عنها تعاميت

قلت : ولكن بصيرتك أنفذ بصيرة فقال : « لعل الله يعوضنى من البصر بالبصيرة » وأنشد :

ولولا أن حباني الله نوراً
غريباً يلمح الوهم المريبا
لصدقت ابتسامة كل ذئب
يسن لى الأظافر والنيوبا

وكان مما تحدثنا عنه فى ذاك اللقاء الأخير بطولة الفدائيين الفلسطينيين في مقاومة الغزو الصهيوني ، وما انتهى إليه الحصار من خروجهم من بيروت ، والحملات المتجنية عليهم ، واحتفالهم ، وهم مشردون هنا وهناك ، قبل أيام بالذكرى الثامنة عشرة لانطلاقتهم فسألنى : « هل اطلعت على ما قلت عند انطلاقة الثورة ؟ » قلت : « كلا وما أحوجنى إلى ما يبدو « إحباطاً » أحسه .. » .. فنهض الى غرفته وعاد يحمل « ملزمة » من ديوان أو كتاب قيد الطبع وأدناها فى عينيه ، وتلاها ثم ناولني اياها تذكارا . وعندى أنها جديرة بأن تكون نشيد النازحين الفلسطينيين الثائرين الذين أخرجوا من ديارهم لاجئين فما لبثوا حتى غدوا مجاهدين :

بعث الشهيد ودحرج الحجرا
من قال : إنى لاجىء كفرا
مزقت أكفانـى وهـأنـذا
خلف الحدود أجابه الخطرا
وأثـور عـاصـفة مدمرة
هوجاء لن تبقى ولن تذرا
أنا من فلسطين ، وهل عجب
إن ثار مظلوم وإن ثأرا
أنا رب أقدس تربة اثرا
وسليل أعظم أمة خبرا
غدرت بنا الدنيا وشردنا
بغي تحدى البدو والحضرا
جعنا ولم نركع ، ولا أكلت
أختي بثدييها كمن غدرا
حملت معي شم الجبال وما
عثرت ، وحامل رأسه عثرا
يا نسل شيلوخ الألى عرفوا

بالشح مسخرة لمن سخرا
رووا مزارعكم بكوثرنا
عما قريب نقطف الثمرا
وندك دولتكم بكل فتى
ينقض كالصاروخ منفجرا
وتعيد تل أبيبكم خبرا
للناس لاعيناً ولا اثرا
قسماً بأمة يعرب قسماً
لنعود ، فاسمع يا زمان ورّ

وقبل أن أودعه قلت : « نثرك رائع روعة شعرك .. ألا نطمع في ديوانك النثرى ؟ » فأجاب : جمعت ما أمكنني جمعه من منثوري وأرجو أن ينشر وقد قدمته بأبيات :

هذى السطور سحائب الشهب
بدمي أزيتهن لا بمدادي
آياتهن لدى الحجى شفاقة
عن خير أخلاق وخير مبادي
فاقبل اذا طالعتهن تحيتي
واذكر جهادي في سبيل بلادى

وقلت : قبل النهوض للوداع : « طال عمرك .. ستظل الأجيال تذكر جهادك وتشدو شعرك ما ظلت عروبة .. » . وتعانقنا وما ساورني شك أنه الوداع الأخير ..

وهاتفني في اليوم التالى : « حبيب القلب . غداً أعود الى البرازيل فاذا تيسرت المكبرة فاعطها الأخ وديع ديب وهو يتكفل بايصالها ، ولعلي لا ألقاك بعد الآن » . وبادر صهرى حسن الى ارسال المكبرة ..

* * *

وأراني في ختام هذه الذكريات أقيم ، تحت ظلال « الدوحة » ، لشاعرنا الراحل حفلة تأبين أدع المنبر فيها لخمسة من أعلام الأدب وأئمة البيان :

قال صديقي الأثير الكاتب المهجري الكبير ، نظير زيتون : « إن القروى لم يولد في البرازيل ، بل ارتدى هناك قميصه الترابى فانتسب اليها . ولكنه ولد مع الأعاصير في الغابات ، ومع الزلازل في الجبال ، ومع الصواعق في البحار ، ولد مع الندى في الفجر ومع الأزاهير في الربيع ، ومع البلابل في الجنان ، ومع الجمال في نشوة نيسان ، ولد الأسطورة في عبقر ، ومع الرؤى في ومضة الروح ومع السحر في أهداب العذارى . ولد مع الدمع الأخرس اللاهب في غصة اليتيم ، وزفرة المنكوب ، وعثرة الكريم ، وكربة المظلوم . ولد الشاعر القروى مع أمته في شروقها وغروبها ومدها وجزرها وخمرها وخلها » .

وقال الشاعر العظيم ايليا أبو ماضى :

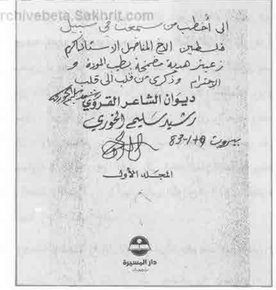
واذا نظرت إلى الجبال لمحته
فالشاعر القروى طود إباء
من كان يحلم بالغدير فإنني
شاهدته في كل قطرة ماء
صارت اليك تحيتي ولو أنني
خيرت كنت تحيتي ورجائي

وقال شاعر العربية بدوى الجبل : « لقد رشفت عطور القومية العربية حين رشفت ديوانك ، وأدرت على سريرتي ألحاناً عذبة حين أدرت الحانك . وأبدعت ربيعاً في كل نفس ، ودللت شعرك أن أقرأه سطوراً فنهلته نوراً ، وأشتففته عبيراً . وما اختصر حسن في الدنيا بأحلى مما اختصرت به الروضة في قارورة عطر ، ولا بأندى مما أوجزت القومية العربية في هذا الشعر ، فكبرياؤها مجلوة في كبريائك ، وحياؤها منور في زهدك وحيائك ، وعنفوانها محتدم بتمردك وابائك . وتجمع ارضها وسماءها جذوة من حنينك ، وتضم جراحها وأمجادها دمعة في جفونك .. فأنت دنيا في وجدان وأمة في انسان » .

وقال صنوه وشقيق روحه الشاعر الياس فرحات : « إن المعامل والسحابيات والقصور المنيفة التى شادها المهاجرون العرب في مهاجرهم ستتحول مع الزمن الى ركام وحطام ، وسيصبح ما بقي منها ملكاً للبلاد التى هى فيها . أما ديوان القروى فإنه إرث للعرب ، ووالله يا رشيد لو اجتمعت طوائف الانس والجن في مؤتمر تبحث فيه عن أثمن وأعظم هدية تقدمها لي في هذه الأعياد لما وقع اختيارها على أفضل من هذه الهدية التى وصلت عصر أمس والتى كدت ، لولا ثقلها المادي ، أطير بها فرحاً » .

وبعد فأحسب أنني وفيت صديقى القروى بعض حقه في هذه « الدوحة » التى أرجو أن تتفيأ بها ذكريات أخرى مع أعلام في البيان .

أكرم زعيتر



الكلمة التى كتبها عندما أهدانى ديوانه الشعرى .

هوامش

(١) و (٢) اشارة الى قصيدتي الشاعر المدني « الطلل المأهول » و « ومخازن الاظلال » .

الإسلام

والعدل الاجتماعي

بقلم: عبد القادر بن محمد العماري

هناك من يتهم الاسلام أنه لا يقدم حلولا لمشاكل الجماهير الاقتصادية والاجتماعية ، ويتهم دعاة الاسلام بالتهرب من معالجة ذلك ، وأنهم لا يقفون مع مصالح الطبقة العريضة من الفقراء ، ولكن الحق الذى لا مراء فيه أن الدين الاسلامى هو الذى بدأ بتقرير المساواة المطلقة بين بنى البشر قبل أن يقررها أى مذهب اجتماعى فى هذا الكون ، واذا كان المسلمون لم ينهجوا نهج دينهم فى هذا الأمر وتنكبوا الطريق وساد العسف والظلم فى بعض أدوار تاريخهم ، فإن ذلك كان بسبب تجاهل مبادىء الاسلام وطمسها وبروز التقاليد الجاهلية وطغيان الأنانية واتباع الهوى ، أما القرآن الذى حفظه الله من التبديل والتغيير وجعله نبراساً مضيئاً فى مختلف العصور والأزمان ، ولم تستطع يد أن تمتد اليه بالتحريف لطمس نوره وضيائه ، ولم يحرف كما حرفت الكتب السماوية الأخرى ، هذا القرآن بقى شاهداً يعلن الحقيقة وينطق بالحق ويدمغ الباطل ، ولازالت آياته تعلن العدالة والمساواة . (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء) (١) .

(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم) (٢).

فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض) (٣).

وحفظت لنا السنة قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لافضل لعربي على عجمي ولا أبيض على أسود الا بالتقوى وكلكم لآدم وآدم من تراب وان الله أذهب بالاسلام نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها) . كما أن للمرأة مكانتها اللائقة في الاسلام . واذا كان المسلمون قد فرضوا عليها الجهل فليس هذا من الاسلام في شيء ، لأن الاسلام هو الذى أنقذها من الهوان الذى كانت تعيشه وجعل لها كياناً مستقلا فملكت نفسها ومالها وساوت الرجل في الحقوق والواجبات (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) . وقد أسأنا نحن فهم هذه الدرجة كما أسأنا فهم القوامة التي للرجل على المرأة فتجاهلنا أن الحياة الزوجية شركة بين الرجل والمرأة ، والرجل هو المناسب ليتولى رئاسة هذه الشركة عقلا ومنطقاً ، فعلينا ألا نصغي للصوت الذى يأتى من الغرب في هذا المجال فأن الحياة الاسرية في الغرب لا يرتضيها عاقل ، وليست من مصلحة المرأة في شيء .

المال والثروة

أما فيما يختص بمسألة العدل الاجتماعي بالنسبة للمال والثروة ، فإن الأساس الذى تبنى عليه هذه القضية ، أن المال هو مال الله في الأصل . (لله ملك السموات والأرض) (٤) . (ولله ما في السموات والأرض) (٥) . (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) (٦) . (آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) (٧) .

والملكية في الاسلام لا تعدو أن تكون وظيفة اجتماعية ، وشرط استمرارها أن تنفق فيما هو خير وفيما يسعد الفرد والمجتمع ليعيش الناس في ظل التكافل الاجتماعي الذى جاء به الاسلام ، قال تعالى (إنما المؤمنون إخوة) (٨) . وفي الحديث (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً) . ويرفض الاسلام أن تتكدس الأموال في أيدى فئة قليلة ، بينما تعاني الأغلبية من الفقر والفاقة ، ومحاربة الاسراف ، إنما هو في الحقيقة محاربة للفقر والفاقة عند المحرومين .

قال قائلون : إن تحقيق العدل الاجتماعي في الاسلام لن يتأتى لأنه يعتمد على دعوة الأغنياء على سبيل الأرشاد والندب الى الصدقة احساناً منهم ، أما اذا امتنع الأغنياء عن سد حاجة الفقراء فلا قانون ولا نظام يلزمهم ، وستقف الدولة مكتوفة اليدين أمام مشكلة الفقر الذى يطحن أغلبية مواطنيها بينما لا تستطيع في حكم الاسلام أن تمد يدها الى مال الأغنياء ، لأن الاسلام يحترم الملكية الفردية وستبقى مشكلة الفقر في المجتمعات الاسلامية مشكلة معقدة على مر العصور والأزمان .

وللاجابة على ذلك نقول :

انطلاقاً من الآيات السابقة التى قررت أن المالك الحقيقى للمال هو الله ، والناس جميعهم غنيهم وفقيرهم عباده وعياله ، وأن الغنى ما هو الا مستخلف على هذه المال ، يجب عليه أن يتقيد بأوامر من استخلفه وجعل الله لهذه الأوامر قوة تضمن تنفيذها قال تعالى (وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) (٩) . قال المفسرون والحديد اشارة إلى أنهم لو تمردوا لوجب أن يحملوا عليها بالسيف . والاسلام أول نظام أقر حقوق الفقراء في أموال الأغنياء وقاتل في سبيل ذلك .

ولا يخفى على أحد أن حرب الردة ، التى قادها الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضى الله عنه ، انما كانت لأقرار حق الفقراء ولازال قول أبى بكر وان شئت قل تصريحه عند إعلانه تلك الحرب على المرتدين صداه الى اليوم (والله لو منعونى عناقاً واحداً (أو عقالاً) كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه) .

والزكاة تمثل الحد الأدنى لما يفرض على الأغنياء للفقراء ، فإن في المال حقاً غير الزكاة كما جاء في الحديث . فمن حق كل فرد في المجتمع المسلم أن يوفر له تمام الكفاية من مطالب الحياة الأساسية من الغذاء الكافي والملبس للصيف والشتاء والسكن اللائق ، ولهذا يقول الامام أبو محمد بن حزم في المحلى (وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك ان لم تقم الزكاة بهم ولا في سائر المسلمين فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لابد منه ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة) . وقال سيدنا على إبن أبى طالب رضى الله عنه (إن الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفى فقراءهم) .

لا مشكلة فقراء

فالمجتمع الاسلامى اذا اكتمل بناؤه على أساس الاسلام ، فإنه لن تكون هناك مشكلة فقراء في المجتمع يطالبون بحقوق مهضومة ، ولن يكون هناك صراع بين الأقوياء والضعفاء لأنه سيكون مجتمعاً متضامناً متكافلا ، وقد مثل هذا المجتمع وصوره الحديث الشريف (مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر) فيجب ألا يكون في المجتمع الاسلامى أغنياء وفيهم جائع (أيما أهل عرصة أصبح فيهم أمرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله) .

ويجب الا يغيب عن البال أن حضارة الاسلام مبنية على قاعدتين روحية واقتصادية ، بينما حضارة الغرب لم تحفل بالناحية الروحية . ولذلك يقول اينشتين (ان الانسان تقدم في ناحيته الحسية ، أى المادية ، ولم يتقدم في ناحيته الروحية) فاذا نظرنا الى حقوق الفقراء في الاسلام فيجب الا ننظر اليها من منظار غربى .

فالقاعدة الاقتصادية وهى تتمثل في التنمية والعمل . والقاعدة الروحية وهى تتمثل في التكافل والتراحم واعطاء الحقوق لأربابها ، كفيلتان بإقامة المجتمع الاسلامى القوى . فلن يكون هناك صراع بين الطبقات ، فالدولة الاسلامية تتدخل لاقامة ميزان العدل عندما يختل وهى ملزمة بتهيئة الفرص الكاملة أمام كل مواطنيها بالتساوى . وحقوق الفقراء مرتبطة بحياة الانسان الروحية فقد قرنت الصلاة بالزكاة (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) (١٠) وقرنت الصلاة أيضاً بالماعون الذى قال بعض المفسرين أنه يشمل المال وما يجرى الانتفاع به غالباً قال تعالى (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون) (١١) وجاءت الآيات المحذرة في القرآن من أهمال حق الفقراء (ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين) (١٢) وهناك حقوق الأقارب والكفارات على أن تلك هى حقوق العاجزين عن العمل . أما القادرون على الكسب فملزمون شرعاً به . وعلى الدولة الاسلامية أن تبذل قصارى جهدها في توفيره . وليس بخاف توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذلك في مسألة الصحابى الفقير الذى منعه عن المسألة واشترى له قدوماً وأعطاه حبلا . وقال له : اذهب فاحتطب .

فالاسلام يحارب البطالة والكسل لذلك نص الفقهاء على أنه اذا تفرغ انسان قادر على الكسب لعبادة الله بالصلاة والصيام ونحوهما لا يعطى من الزكاة لأنه مأمور بالعمل ، بخلاف الذى يتفرغ للعلم فأنه يعطى من الزكاة واشترط بعض العلماء في إعطاء طالب العلم من الزكاة أن يكون نجيباً يمكنه أن يتفوق فينفع المسلمين ، كما يعطى الفقير إذا أراد أن يتزوج لأنه من تمام الكفاية اذا لم يكن له زوجة وهذه اجتهادات للفقهاء تسند الى قواعد الشريعة العامة .

مذهبان

وقد تعرض الفقهاء للقدر الذى يعطاه الفقير من الزكاة وكان لهم فى ذلك مذهبان :

الأول : أن يعطى كفاية العمر بمعنى أن ترسم خطة لفقراء الحى أو القرية أو المدينة بأن يعطى قسماً منهم من الزكاة ما يغنى كل واحد منهم طيلة عمره بحيث لا يدفع له من الزكاة مرة أخرى : فاذا كان حرفياً واحتاج الى ما يطور حرفته فيزداد دخله ويستغنى عن الناس أعطي حاجته . وإذا كان مزارعاً أعطي ما يشترى به أو يستأجر أرضاً زراعية وآلة حرث يستغنى بالغلة طيلة عمره ، وان كان تاجراً أعطي ما يسد حاجته . والعاجز عن الكسب يعطى مثلاً ما يشترى به عقاراً يكريه لتوفر له الأجرة ما يحتاجه فى العمر الغالب .

أما المذهب الثانى فيعطى المستحق كفاية سنة . ويقول الدكتور يوسف القرضاوى : بحق إن كلاً من المذهبين له مجاله . ذلك أن الفقراء والمساكين نوعان : نوع يستطيع أن يعمل ويكتسب ويكفى نفسه بنفسه كالصانع والتاجر والزارع ولكن ينقصه أدوات الصنعة أو رأس مال التجارة أو الصنعة وآلات الحرث والسقي . فالواجب لمثل هذا أن يعطى من الزكاة ما يمكنه من اكتساب كفاية العمر وعدم الاحتياج الى الزكاة مرة أخرى . وفى عصرنا هذا يمكن تنفيذ ذلك عن طريق بناء مصانع ومنشآت من مال الزكاة تملك للفقراء القادرين على العمل . والنوع الآخر عاجز عن الكسب كالزمن والأعمى والشيخ الهرم والأرملة والطفل ونحوهم ، فهؤلاء لا بأس أن يعطى الواحد منهم كفاية السنة أى يعطى راتباً دورياً يتقاضاه كل عام بل يصح أن يوزع على أشهر العام ان خيف من المستحق الاسراف وبعثرة المال فى غير حاجة ماسة . وهذا الذى ينبغى اتباعه فى عصرنا كما هو الشأن فى (رواتب الموظفين)اهـ وما قاله الدكتور القرضاوى يتفق تماماً مع ما نص عليه بعض الفقهاء من الحنابلة فى كتبهم .

والزكاة فى نظر الاسلام حق للفقراء لا منة فيه . وتقوم الدولة بجبايته وتصرفه على مستحقيه ممن لا دخل له أو له دخل لا يكفيه ، والعبرة بالكفاية لا الكفاف ولعل من نافلة القول أن نقرر أن الزكاة فى الاسلام هى أول ضمان اجتماعى فى العالم لا يعتمد على الصدقات الفردية ، ويخطىء من يدعى أن التكافل الاجتماعى بتدابير حكومية قد بدأ فى الغرب فى القرن السابع عشر وأخذ شكله الرسمى بعد الحرب العالمية الثانية عندما اتفقت بريطانيا وأمريكا على تحقيق التضامن الاجتماعى للأفراد خوفاً من انتشار الشيوعية وقيام الثورات ، فإن التضامن الاجتماعى فى الاسلام تميز بالسبق ولم يفرض لأسباب سياسية وتقوم الدولة فى الاسلام برعاية من هو فى كنفها من المسلمين وغيرهم وتكفل لكل ذى حاجة حاجته .

والعمل هو الأساس الأول والمهم فى مجتمع الاسلام قال تعالى (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور)(١٣) وقال (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله)(١٤) . فلا مكان للكسالى والعاطلين فى مجتمع الاسلام .

روى أن عمر رضى الله عنه رأى بعد الصلاة قوماً قابعين فى المسجد بدعوى التوكل فعلاهم بدرته وقال لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة . وقرن القرآن السعي من أجل المعاش بالجهاد فى سبيل الله فقال (وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله)(١٥) وقال عمر : (ما من حال يأتينى عليها الموت بعد الجهاد فى سبيل الله أحب الى من أن يأتينى وأنا ألتمس من فضل الله) . وحث نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم على التجارة والزراعة والصناعة والحرفة فقال (التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء) . وقال (ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة) وقال (ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده) وقال (من بات كالاً من طلب الحلال بات مغفوراً له) وقال (لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف وجهه خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) . ولا غرابة أن يكون الأنبياء حرفيين أو رعاة ضاربين المثل لأتباعهم قال صلى الله عليه وسلم : (ما بعث الله نبياً إلا ورعى الغنم قالوا وأنت يا رسول الله ؟ قال نعم كنت ارعاها على قراريط لأهل مكة)(١٦) وروى ابن عباس ان داود كان زراداً وكان آدم حراثاً وكان نوح نجاراً وكان أدريس خياطاً وكان موسى راعياً)(١٧) .

ورأينا أكابر العلماء وفحولهم ممن لا تزال آثارهم ومؤلفاتهم بين أيدينا تدل أسماؤهم على مهنهم ، ولم يجدوا هم ولا المجتمع الذى هم فيه أى غضاضة فى ممارستهم للحرف ، رأينا الخراز والقفال والبزار والزجاج والصباغ والجصاص والصبان والخياط والخواص والقطان وغيرهم ممن برعوا فى شتى العلوم والثقافة والأدب .

العمل هو الأساس

فالعمل إذاً هو الأساس ، والاسلام شجع عليه بمختلف الوسائل والطرق ، فالكسالى والمتبطلون ليس لهم مجال فى المجتمع الاسلامى ، والاسلام لم يجعل لهم حقاً فى صدقات المسلمين وحذر من التسول ففى الحديث الشريف (لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى)(١٨) (ولاحظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب)(١٩) وقال صلى الله عليه وسلم (اليد العليا خير من اليد السفلى ولأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره ليتصدق به ليستغنى عن الناس خير له من أن يسأل رجلا اعطاه أو منعه) والامام الغزالى قرن التسول باللصوصية لأن اللص والمتسول يأكلان من سعي غيرهما فهما حرفتان خسيستان وتتكون عصابات اللصوص وجيوش المتسولين من ترك التدريب على العمل فهما مهنتان تفرزهما البطالة وعدم التعود على العمل .

ولعل توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم الذى أشرنا إليه فيما سبق للرجل الذى جاء يسأل ابلغ مثل على حرص الاسلام على العمل وعلاجه المشكلة بموقف عملى والحديث كما جاء فى السنن ان رجلا من الأنصار أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اما فى بيتك شىء ؟ قال : بلى حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب منه الماء قال ائتنى بهما فأتاه بهما فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من يشترى هذين ؟ قال رجل أنا أخذهما بدرهم . قال من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثا قال رجل أنا أخذهما بدرهمين . فأعطاهما أياه وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصارى وقال اشتر بأحدهما طعاماً وانبذه الى أهلك واشترى بالآخر قدوماً فأتنى به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً بيده ثم قال له اذهب فاحتطب وبع ولا أراك خمسة عشر يوماً فذهب الرجل يحتطب ويبيع فجاءه وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة ان المسألة لا تصلح الا لثلاثة لذى فقر مدقع أو لذى غرم مفظع أو لذى دم موجع .

أليس فى هذه الحادثة على بساطتها يتمثل الحل العملى لمشاكل الجماهير واهتمام القيادة وحرصها على تهيئة الفرصة وفتح الطريق أمام كل عامل عنده الاستطاعة للعمل بدلاً من المواعظ والخطب المجردة التى لا تسمن ولا تغنى من جوع ولكنها مسئولية الحاكم فى الاسلام الذى يرى أنه مسئول عن كل من

• المال في الاسلام هو مال الله والملكية لا تعدو أن تكون وظيفة اجتماعية مشروطة بالانفاق في الخير.

• العمل هو الأساس الأول والمهم فلا مكان للكسالى والعاطلين في مجتمع الاسلام

• الإسلام هو الذي أنقذ المرأة من الهوان الذي كانت تعيشه والامتلاك لا يعدو أن يكون وظيفة اجتماعية

في ولايته ورعايته ولقد عبر عن هذه المسئولية الخليفة الثاني عمر رضي الله عنه وأرضاه عنها قال (لو عثرت بغلة في العراق لكنت مسئولا عنها لاني لم أمهد لها الطريق).

ان قائد الأمة وهو يرى أنه مسؤول عن كل صغيرة وكبيرة في أمته لا يرى لنفسه حقاً مميزاً عن أي فرد منهم . وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أول قائد للأمة الاسلامية لم يستأثر بشيء من أمور الدنيا كما أن كل معاونيه وقواده وأهل بيته لم يتميزوا عن الآخرين بأي حق وكان يقسم الغنائم بين المسلمين بالسوية كما أمره الله ولعل ما جرى في أعقاب معركة حنين تلك الغزوة التي ضمت كثيراً من الذين لم يتمكن الاسلام بعد من قلوبهم وظنوا أن المسألة مجرد غنائم ومكاسب مادية تعطينا فكرة عن سلوك القائد الذي يهتدي بهدى الاسلام.

روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (ان الناس اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حنين يقولون أقسم علينا فيأنا حتى ألجأوه الى شجرة فاختطفوا عنه رداءه فقال ردوا على ردائي . أيها الناس والله لو كان لكم عدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم وما ألفيتموني بخيلا ولا جباناً ولا كذوباً ثم أخذ وبرة من سنام بعيره فرفعها وقال : أيها الناس مالي ـ من فيئكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود فيكم فأدوا الخيط والمخيط فإن الغلول يكون على أهله عارا وشنارا يوم القيامة فجاء رجل من الانصار بكبة من خيوط شعر فقال يا رسول الله أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة بعير لي قد برء فقال اما نصيبي منها فلك . فقال : اما اذا بلغت هذه فلا حاجة لي فيها ثم طرحها بين يديه) وقد كان أهل الجاه والنفوذ في الجاهلية يحمون الكلأ ويمنعون من الاقتراب من حماهم فجاء الاسلام وحرم الحمى وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (لا حمى الا لله ولرسوله) فمنع أن يحمى الرجل لنفسه وأصبح الحمى للمصلحة العامة فقط وأبطل الاحتكار مثل ما كان يفعله كليب ابن وائل فانه كان يوافي بكلب على نشاز من الأرض ثم يستدعيه ويحمى ما انتهى اليه عواؤه من الجهات ويشارك الناس فيما عداه حتى كان ذلك سبب قتله وفيه يقول الشاعر :

كما كان يبغيها كليب بظلمه
من العز حتى طاح وهو قتيلها

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الناس شركاء في ثلاثة : الماء والكلأ والنار وحمى للفقراء والمساكين وابل الصدقة وحمى أبو بكر وعمر كذلك وقال عمر لعامله على الحمى (ضم جناحك عن الناس واتقى دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مجابة وادخل رب الصريمة ورب الغنيمة وأياك ونعم ابن عفان وابن عوف فانهما ان تهلك ماشيتهما يرجعان الى نخل وزرع وأن رب الصريمة ورب الغنيمة يأتني بعياله فيقول يا أمير المؤمنين افتاركهم أنا لا أبالك ؟ قال الكلأ أهون على من الدينار والدرهم والذي نفسي بيده لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبرا).

عدم اقطاع الأراضي

ولما أمتدت الدولة الاسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الى خارج حدود الجزيرة العربية وأصبحت العراق والشام ومصر وهي بلاد زراعية ضمن حدود الدولة الاسلامية كانت سيرة الخلفاء وتعليماتهم تقضي بعدم اقطاع الاراضي للجند والقواد والأمراء ورفض عمي عمر رضي الله عنه تقسيم اراضي السواد على الفاتحين عندما طالب بعضهم بذلك.

وأستقر رأى عمر على عدم القسمة وأبقاءها بأيدي أهلها على أن يؤخذ منهم الخراج فقط عندما رأى أن المصلحة العامة تقتضي ذلك وأن آيات القرآن تدل عليه قال أبو عبيد في كتاب الأموال (قدم عمر الجابيه فأراد قسم الاراضي بين المسلمين فقال له معاذ بن جبل رضي الله عنه والله اذا ليكونن ما تكره انك أن قسمتها صار الربع العظيم في أيدي القوم ثم يبيدون فيصير ذلك الى الرجل الواحد أو المرأة ثم يأتي من بعدهم قوم يسدون من الاسلام مسدا وهم لا يجدون شيئاً).

فكان بعض الصحابة ومنهم بلال والزبير يرون قسمتها قياساً على قسمة الغنائم وكما قسم الرسول صلى الله عليه وسلم واحتج عمر ومن أيده من الصحابة بآيات سورة الحشر التي نزلت في أموال بني النضير وهي قوله تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب . للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم) (٢٠)

وكانت وجهة نظر عمر رضي الله عنه أن

الأرض اذا قسمت فلن يصيب من يأتى من المسلمين من الأجيال القادمة شيئاً فكان يقول فاذا قسمتها فما يسد به الثغور؟ وما يكون للذرية والأرمل؟ وبعد أن جمع كبار الصحابة واستشارهم فأيدت الأغلبية رأى عمر وكان مما قاله: لو قسمتها لصارت دولة بين الاغنياء (يشير الى ما جاء بالآية: كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) ولم يكن لمن جاء بعد من المسلمين شيء وقد جعل الله لهم فيها الحق بقوله تعالى (والذين جاؤا من بعدهم). الآية ثم قال استوعبت الآية الناس الى يوم القيامة.

وسيدنا علي بن أبى طالب رضى الله عنه حذر الاشتر النخعى واليه على مصر من مغبة تمييز الخاصة والبطانة والحاشية بشيء من الاقطاعات قائلا: (ان للوالى خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة انصاف فى معاملة فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الاحوال ولا تقطعن لأحد من حاميتك وحاشيتك قطعة) (٢١).

تطبيق العدل الاجتماعى

ومن المعلوم انه عندما يكون الحاكم يهتدى بالكتاب والسنة تكون النتيجة تطبيق العدل الاجتماعي فى المجتمع الاسلامى ولذلك كان عهد عمر بن عبد العزيز لا يوجد فيه جياع ولا معدمون فلم يوجد فى عهده من يقبل الصدقة لأنه قد أغنى الناس كما يشهد بذلك التاريخ الموثوق وأخذ فضول أموال أهل بيته وردها الى بيت مال المسلمين فاذا اتصف المسئول الأول بالعدل عمت العدالة كل المجالات فى المجتمع وفى المثل الناس على دين ملوكهم ومما يلفت النظر أن علاقة الحسن البصرى بعمر بن عبد العزيز كانت لها تأثير على توجهات عمر فى حكمه ولعلنا اذا قرأنا رسالة الحسن الى الخليفة عمر بن عبد العزيز التى يبين فيها صفات الحاكم العادل قدرنا مدى فعالية المفكر والكاتب وتأثيره على أسلوب الحكم فى المجتمع الذى ينتمى اليه. يقول الحسن موجهاً خطابه الى عمر بن عبد العزيز ونحن نوردها هنا مع طولها لما فيها من نصح مفيد لكل حاكم فى أمتنا الاسلامسة (اعلم يا أمير المؤمنين ان الله جعل الامام العادل قوام كل مائل وقصد كل حائر وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف والامام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على أبله الرفيق الذى يرتاد لها أطيب المراعى ويذودها عن مواقع الهلكة ويحميها من السباع ويكنفها من أذى الحر والقر. والامام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحنى على ولده يسعى لهم صغاراً ويعلمهم كباراً يكتسب لهم فى حياته ويدخر لهم بعد مماته. والامام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها حملته كرها ووضعته كرها وربته طفلا تسهر بسهره وتسكن بسكونه ترضعه تارة وتفطمه آخرى وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته. والامام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح تصلح بصلاحه وتفسد بفساده،

والامام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم وينظر الى الله وينقاد الى الله ويقودهم فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال فافقر أهله وفرق ماله. واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزخر بها عن الخبائث والفواحش فكيف اذا أتاها من يليها؟ وأن الله جعل القصاص حياة لعباده فكيف اذا قتلهم من يقتص لهم؟ واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده وقلة اشياعك عنده وانصارك عليه فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر. واعلم يا أمير المؤمنين ان لك منزلا غير منزلك الذى أنت فيه يطول فيه رقادك ويفارقك أحباؤك يسلمونك فى قعره وحيداً فريداً فتزود له ما يصحبك (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) (٢٢) واذكر يا أمير المؤمنين (اذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور) (٢٣) فالآن يا أمير المؤمنين وأنت فى سهل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل لا تحكم يا أمير المؤمنين فى عباده بحكم الجاهلين ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين فانهم لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمه فتبوأ بأوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمل أثقالا مع أثقالك ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ويأكلون الطيبات فى دنياهم باذهاب طيباتك فى آخرتك لا تنظر الى قدرتك اليوم ولكن أنظر الى قدرتك غداً وأنت مأسور فى حبائل الموت وموقوف بين يدى الله فى جمع من الملائكة والنبيين والمرسلين وقد عنت الوجوه للحى القيوم، انى يا أمير المؤمنين وان لم أبلغ بوعظى مابلغه أولو النهى من قبلى فلم آلك شفقة ونصحاً فأنزل كتابى عليك كمداوى حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له فى ذلك من العافية والصحة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) (٢٤).

وهذا هو تراثنا وهذه هى مبادئنا ولكن مع الأسف ان يتنكب المسلمون الطريق وقد كان عند الاوروبيين اقطاع وظلم أشد فظاعة مما عندنا كان الفلاحون عندهم يباعون مع الأرض كالعبيد والحيوانات فاصلحوا حالهم بعد ذلك وأعادوا للفلاح كرامته وانسانيته ولكنهم احتفظوا بثروة البلاد وتقدمت الزراعة عندهم وزادت غلة الأرض الزراعية وارتفع المستوى الاقتصادى لمواطنيهم بينما نحن عندما حاولنا أن نقلدهم فى التقدم والاصلاح أجدبنا الأرض وافقرنا الأغنياء وزدنا الفقراء فقراً وبعد أن كان العالم الاسلامي يصدر كل المنتوجات الزراعية أصبح يستورد أكله اليومى وصادرنا الحريات وأهدرنا كرامة الانسان وقلنا ان الأمر كله موكول الى الحاكم يفعل ما يشاء فألغينا الشورى وقد أمر بها رب العزه رسوله الذى لا ينطق عن الهوى فقال له (وشاورهم فى الأمر) (٢٥) ووصف عباده المؤمنين بقوله: (وأمرهم شورى بينهم) (٢٦) فأيدنا الاستبداد وأطلقنا العنان لأصحاب الأهوية يتحكمون فى رقاب الناس وران علينا التخلف فى كل المجالات أما آن لنا أن نصحح المسار ونتعاون على البر والتقوى ونقيم فى بلاد الاسلام مجتمعاً فاضلا يسود فيه التراحم والتكافل؟

عبد القادر بن محمد العمارى

هـــوامش

(١) النساء: ١
(٢) الحجرات: ١٢ ـ ١٣
(٣) آل عمران: ١٩٤ ـ ١٩٥
(٤) الشورى: ٤٩
(٥) البقرة: ٢٨٤
(٦) النور: ٣٢ ـ ٣٣
(٧) الحديد: ٦ ـ ٧
(٨) الحجرات: ٩ ـ ١٠
(٩) الحديد: ٢٤ ـ ٢٥
(١٠) المزمل: ١٩ ـ ٢٠
(١١) الماعون: ٣ ـ ٧
(١٢) المدثر: ٤١ ـ ٤٤
(١٣) الملك: ١٤ ـ ١٥
(١٤) الجمعة: ٩ ـ ١٠
(١٥) المزمل: ١٩ ـ ٢٠
(١٦) رواه البخارى.
(١٧) الحاكم.
(١٨) رواه الخمسة.
(١٩) رواه أحمد.
(٢٠) الحشر ٥ ـ ١٠
(٢١) الاقطاع فى الشرق الأوسط.
(٢٢) سورة عبس: ٣٣ ـ ٣٦
(٢٣) سورة العاديات: ٨ ـ ١٠
(٢٤) العقد الفريد.
(٢٥) آل عمران: الآية ١٥٩
(٢٦) سورة الشورى: الآية ٣٨

المجـــلس الوطـــني للشـــقافة بالكـويـت في عيـــده العاشـــر

تجربة عربيّة في الإبداع وحرّيّة الفكر

كيف يتحوّل النفط إلى وقود حضاري وعقلي للنهضة العربية؟

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

في الكويت ، ظاهرة اسمها « المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب » .

وهذه الظاهرة لا تمثل ، في نظري ، مجرد مؤسسة أخرى من مؤسسات الثقافة ، أو المدعوة كذلك ، في وطننا العربي .

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت يمثل في نظري ذروة اتجاه متميز رسخته الكويت ، لتحويل النفط الى وقود حضاري وعقلي لحركات النهضة العربية ، منذ أن قررت إصدار مجلة « العربي » عام ١٩٥٨ منبراً علمياً ثقافياً عربياً : « للوطن العربي ولكل قارىء للعربية في العالم » .. واستننت التقليد الحميد في استقطاب العقول العربية المتميزة لتطعيم تربة المنطقة النفطية العربية ، التي تعاني من محاذير الهجرات الأجنبية ، بالبذور العربية الصالحة من كل أرض عربية شقيقة ، فجاءت بذلك الرجل والانسان والعالم المصري العربي الكبير ، المغفور له ، الدكتور أحمد زكي لتأسيس مجلة « العربي » ، فاستطاع أن يثبت ، باحتضان الكويت لموهبته العربية العالية ، ان طاقات العرب مجتمعة ـــ من عقول ونفط ورجال شرفاء .. (أكرر : شرفاء ! !) ـــ تستطيع أن تحول الظاهرة النفطية الى « شيء آخر » ، مختلف تماماً ، بل ومتناقض تماماً مع مظاهرها المبتذلة الشائعة (من سماسرة يديرون مشروعاتهم من الريفييرا الفرنسية وجزر هاواي ، ومن سائحين يمثلون كل شيء إلا شيم العرب ، ومن نزعات استهلاكية مهلكة ، ومن فئات اجتماعية طفيلية متعطلة عن العمل والانتاج تعيش على رصيف الحركة الحضارية للجنس البشري) .. شيء آخر مختلف تماماً عن هذه الفقاعات ، والذين يتذكرون تلك الاهتمامات العقلية الرائعة التي خلقتها كتابات الدكتور أحمد زكي العلمية ، رحمه الله ، لدى الملايين من أبناء الأمة العربية من خليجهم الى محيطهم ، سيعرفون مذاق وطعم ذلك الشيء الآخر المختلف الذي أنجبه ذلك التلاقح الخصب بين التوجه الكويتي الرفيع وبين العقل المصري المبدع ، في ساحة النهضة والثقافة العربية ، أواخر الخمسينات ، في تلك الفترة ذاتها التي قامت خلال تمخضاتها الخصبة دولة الوحدة العربية بين مصر وسوريا ؛ فكانت مجلة « العربي » الكويتية ـــ المصرية ـــ العربية ، معادلا ثقافياً ـــ في مجال الوحدة ـــ لذلك المشروع المصري ـــ السوري الوحدوي الرائد ، الذي سيبقى إلهاماً لعصر جديد مقبل من تاريخ العرب مهما طالت أيام الانفصال .

ولا اعتقد انها مصادفة بحتة صدور « العربي » بما تعنيه ، وقيام الوحدة ، بما توحيه ، في سنة واحدة ، بل في موعد متطابق « وهنا يجب التنويه بالتفاتة « العربي وهي تستعيد قوة اندفاعها الأولى بجهود رئيس تحريرها الدكتور محمد الرميحي ، لإعادة نشر كتابات الدكتور أحمد زكي وصحبه من كتاب « العربي » ، في تلك الفترة الحية ، ضمن السلسلة الجديدة « كتاب العربي » .



عبد العزيز حسين

الرئيس الأعلى للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت

بداية موسم الحصاد

فمن صميم هذه المعاناة العربية الوحدوية الحضارية أتى توجه الكويت ، لتوظيف طاقتها

النفطية وأصالتها العربية معاً ، لاستنهاض حركة التحضر العربى ، والثقافة العربية ، والقضايا القومية : واذا كانت مجلة « العربى » هى الخطوة الأولى فى ذلك التوجه فان « المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب » هو بداية موسم النضج والحصاد بحكم ما أخذ يتجمع فى محصوله من ثمرات ، لا يمكن إلا أن يقدر مذاقها كل معني بالثقافة العربية ، وعامل من أجلها ، ومتألم لمآلها ، فى هذا الزمن الصعب الذى خسرت فيه هذه الثقافة أكثر من موقع ومعقل مشرقاً ومغرباً ، فجاءت الكويت فى أقصى هذا الامتداد الشرقى للوطن العربى ، تقيم لها معقلا جديداً تشير الدلائل الى أنه مرشح لأن يكون واحداً من أرصن وأخصب المعاقل الفكرية فى تاريخها المعاصر .

فالمجلس الوطنى للثقافة ، الذى احتفل مؤخراً بمرور عشر سنوات على تأسيسه ، يصدر السلسلة الثقافية الشهرية « عالم المعرفة » التى لا أشك فى ان ملايين القراء والمثقفين العرب ، قد انتفعوا بكتاب واحد على الأقل من كتبها العلمية أو الأدبية أو الاجتماعية أو الفلسفية أو المستقبلية ، التى انتظم صدورها شهرياً منذ عدة سنوات ، وصار المجلس نفسه يتحمل مسئولية توزيعها فى الوطن العربى كله ، بأسعار تشجيعية ، فى ظاهرة تنويرية تذكرنا بتلك المشروعات الثقافية الرائدة التى قدمتها للثقافة العربية كل من القاهرة وبيروت ، أيام خصوبتهما الثقافية ، ومنذ مطلع النهضة العربية الحديثة .. عندما كانت تمطران التربة العقلية العربية بعشرات الكتب القيمة كل شهر ، وبأقلام الكتاب والباحثين العرب مشرقاً ومغرباً ، بلا تمييز ، وبلا تحديدات اقليمية ضيقة ، تماماً كما تحرص عليه الآن سلسلة « عالم المعرفة » باستقطابها لكل عقل عربى يبدع ، أو يترجم عن الثقافات العالمية .

وبالاضافة لهذه السلسلة ، التى تمثل اليوم حبل الوصل الثقافى الوحيد ، تقريباً ، بين مشرق الوطن العربى ومغربه على صعيد النشر المنتظم لكتب الثقافة العامة ، يشرف المجلس على سلسلة أخرى من « منشورات التراث » التى تحقق وتنشر مخطوطات عربية ذات وزن من تراث العرب ، كان آخرها وأهمها كتاب « المناظر » لابن الهيثم الذى يعد من أبرز انجازات الحضارة العربية فى علم البصريات وأحد المراجع التاريخية التى مازالت معتمدة لدراسة تطور هذا العلم .

كما تصدر عن المجلس مجلة « الثقافة العالمية » التى بدأ صدورها منذ نوفمبر ١٩٨١ ، مرة كل شهرين ، وتوزع على صعيد الوطن العربى ، وتهتم بترجمة الدراسات والمقالات الجديدة فى المجلات الثقافية العالمية ، مواكبة للفكر الانسانى .

هذا فضلا عن اقامة الأسابيع الثقافية الكويتية فى الأقطار العربية واستقدام العروض المسرحية للكويت وتنظيم مهرجان الكتاب السنوى الذى يتحول الى مناسبة عربية لبحث مشكلات الكتاب العربى ، وظروف الطباعة والتوزيع والرقابة والنشر . ويدرس المجلس الآن تنفيذ قرار مشروع « سوق الكتب » الذى ينتظر أن يكون مجمعاً مركزيا ضخماً للكتاب ، الى جانب المكتبات العامة العاملة حالياً فى الكويت .

ومن ضمن مكتبات المجلس المتميزة ، « مكتبة التراث الموسيقى العربى » التى تهتم بجمع التراث الموسيقى وخاصة ما تعلق بمنطقة الخليج والجزيرة العربية . كما أنشأ المجلس قسماً للعناية بثقافة الطفل ، فى حقل الابداع الفنى التشكيلى وبراعم الطفولة المبدعة ، على وجه الخصوص .

وقد بلغ من ثقة الدولة فى الكويت ، بمجلسها الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، أن أحالت اليه مسئولية الاشراف على إعداد اتفاقات التعاون والتبادل الثقافى والعلمى بين الكويت وسائر الدول العربية والأجنبية ، ووضع البرامج التنفيذية لتلك الاتفاقيات التى اصبحت سارية المفعول مع العديد من تلك الدول .

* * *

وهذا النشاط الثقافى .. الفكرى .. العلمى .. الفنى .. الأدبى ، المتنوع ، ليس مجرد نشاط « مهني » متخصص تقوم به إدارة بيروقراطية من الموظفين الثقافيين ، وانما هو ، فى جوانب لا يستهان بها من وجوهه ، نشاط عقلى ابداعى مرتبط بقيم الحرية الفكرية الهادفة ، المسئولة والملتزمة والجريئة فى آن معاً . وقيم الحرية الفكرية الهادفة هذه لا يمكن أن تنمو فى فراغ ، ولا أن تأتى ، بأى حال ، كممارسة إدارية بيروقراطية ، ولكنها فى صميمها تمثل الوجه الآخر لقيم الحوار الديمقراطى فى المجتمع الكويتى من أعلى مستوياته الى أوسعها قاعدة .

فى البدء كانت حرية الفكر

وظاهرة هذا الحوار المتحضر المنفتح فى المجتمع الكويتى كله ، هى التى تفسر لنا : لماذا استطاع ويستطيع المجلس الوطنى للثقافة فى الكويت أن يكون مؤسسة لممارسة حرية الفكر ، لا على صعيد الكويت وحدها وانما على صعيد الوطن العربى كله .

ثم ان هذه الحرية الفكرية التى وفرتها الكويت لمجلسها الوطنى للثقافة ، كما وفرتها لمؤسساتها الثقافية ومنابرها الصحفية الأخرى ، هى التى جعلت هذا المجلس يتميز ويتفرد فى المجال الثقافى العربى الحاضر ، بهذا الانتاج والعطاء الفكرى المبدع ، لأن الابداع الفكرى هو توأم حرية العقل ، ولا وجود لأحدهما دون وجود الآخر .

فليس سر هذا العطاء وهذا النشاط المتميز الملفت ، هو المال الذى توفر ، ولا الإدارات التى انشئت ، ولا الكوادر الوظيفية التى استخدمت ، على ما لهذه العناصر من أهمية لا تنكر ، ولكن العنصر الذى اكمل تضافر هذه العناصر وتوجها ، هو عنصر حرية العقل وحرية الفكر والروح المنفتحة الرحبة التى تتقبل تعدد الآراء والاجتهادات لصالح المجتمع ككل ، والأمة بأجمعها ، وليس بالمال وحده تزدهر الثقافات ، لأن المال متوفر حتى فى أكثر الدول الأفريقية تخلفاً من حيث الثقافة والحضارة لما تتمتع به من وفرة فى انتاج الألماس واليورانيوم والذهب الخام ! ! ..

بين سوق « عالم المعرفة »
و « سوق المناخ »

ولا أشك ان سوق الكتاب المزدهر الذى أحياه المجلس الوطنى للثقافة فى الكويت ، سيكون ، بمقياس الحضارة والتاريخ ، هو السوق الذى سيبقى للأجيال عوضاً عن « سوق المناخ » واسهمه الكاسدة ، وسيكون هو وجه الكويت الحقيقى ، وستبقى كتبه الرصينة الهادئة طويلا .. طويلا .. بعد أن تفقد الاسهم المالية آخر فلس من قيمتها الزائلة .. نعم ! .. سيبقى سوق « عالم المعرفة » بعد اغلاق وافلاس « سوق المناخ » .. وجميع اسواق الأسهم الكاسدة ..

وهذه المقارنة ، بين أسهم المال وأسهم العقل ، لا تعني الكويت وحدها ، وانما تعني الأقطار العربية كلها من نفطية منشغلة بفوائض النفط ، ومن غير نفطية ساعية بكل طاقتها للحاق بركب الاستهلاك المادى المهلك .. كى تفيق وتستفيق وتستعيد الوعى قبل فوات الأوان .. خاصة فى هذه المرحلة التى بدأت فيها الوفرة المالية تنحسر ، وأصبح ترشيد الانفاق ضرورة وطنية وقومية ،



أحمد مشارى العدوانى



د. أحمد زكي



د. محمد الرميحي

واتضح لكل من يعي ويفكر ان مظاهر الطفرة التى أحاطت بنا من أسهم ورقية ومقاولات خرافية واستثمارات وهمية ، وافراط فى الانشغال بهذا كله على حساب متطلبات التحضر الحقيقى والبقاء القومى والقيم الفكرية والروحية الكفيلة ــ وحدها ــ ببقاء الأمم ، نقول اتضح ان مظاهر هذه الطفرة لن تدوم لأحد ، ولن تحقق حتى المنافع المادية المنتظرة منها ، ولن تجلب غير الهم والحسرة للغارقين فيها ، ولن تضمن فى النهاية لا بقاء ولا عزة ..

وهذا ما يدعونا اليوم للاشادة بطريق آخر وبنهج آخر ، مختلف تماماً ، فى الحياة والتفكير والسلوك .. وهو النهج الذى تمثله مؤسسة استطاعت أن تقوم وتبقى وتنتج فى خليجنا ووطننا العربى .. هى مؤسسة المجلس الوطنى للثقافة والآداب والفنون بدولة الكويت ، وهى مؤسسة على تميزها ومستواها الرفيع ، بامكان أمتنا العربية ، ان وفرت لذاتها شروط الانتاج الحضارى الصحيح ، ان تؤسس على نهجها ومثالها عشرات منها ، وذلك ليس بالجديد على هذه الأمة إطلاقاً منذ عهود دار الحكمة ببغداد ولكن الجديد علينا ، للأسف ، هو هذه الطفرة القشورية التى حجبت وجهها الأصيل بالمساحيق الباهتة والمزورة .

وفى حياة الأمم ، لابد أن تركد أسواق المال والمتاجرة والاستثمار بين وقت وآخر ، وقد لا تعود الى ازدهارها أبداً ، مرة أخرى .. ومن يعول على عودة ازدهار هذه الأسواق فى طفرتها فانما يبنى قصوراً على الرمال ، ولكن الأمم الحية ، والأمم التى لها أمل فى مجابهة التحديات ، هى تلك التى لا تسمح لأسواقها الفكرية ومجالاتها الحضارية بالركود . فان ركدت هذه ذهبت ريح الأمة الى الأبد ، حتى لو عاشت فى وفرة مالية بعض حين .. بل ان الازدهار الاقتصادى المضمون هو الذى يقوم على ازدهار حضارى خصب ، قبل كل شىء ، كما هو الحال لدى الأمم الحية من شرق وغرب . ولذا هذا ندعو تجارنا وأثرياءنا وكافة مواطنينا ، ان هم أرادوا الثراء الحقيقى ، والثراء المضمون ، وقرروا الخروج من سباق الطفرة المنتهية .

* * *

... وتحية للرجل

ثم يبقى خلف كل مشروع حضارى متميز ، إنسان متميز ورجل متميز .

وفى العيد العاشر لهذا المشروع الكبير ، يحتم واجب الوفاء وقيم العرفان ، باسم المثقفين فى هذا الخليج وهذا الوطن العربى كله ، أن نذكر بالتقدير الانسان والرجل الكبير ، عبد العزيز حسين ، الذى يقف كالجندى المجهول ، مع جنوده المجهولين ، فى خندق المعرفة ، دفاعاً عن قيم الفكر فى زمن عز فيه الدفاع عن هذه القيم وندر فيه المدافعون عنها .

وكالجندى المجهول ، يقف ، زاهداً فى الاعلان والظهور ، فى زمن تيسرت وتكاثرت فيه وسائل الاعلام والظهور للمغرمين بها ، وصار نجماً كل من ألف بيتاً من الشعر النبطى !

كالجندى المجهول ، يقف ، رغم انه ملء الضمير الفكرى والتربوى لأجيال من المثقفين العرب فى هذا الخليج وفى هذا الوطن الكبير ، منذ أن كان مسئولا تربوياً رائداً فى بلده ، الى أن تولى وزارة الدولة بها ، الى أن أضاف الى مسئولياته الكبيرة هذه المسئولية الحضارية الأكبر باعتباره الرئيس الأعلى للمجلس الوطنى للثقافة ، الى أن صار من مسئولياته ، أيضاً وأيضاً ، قيادة لجنة فكرية عربية لوضع استراتيجية للثقافة العربية على صعيد الوطن الكبير .

كان تصورى ، دائماً ، ان رجل الدولة ، ليس من يصبح وزير دولة ، وانما من يستحق هذه الرتبة بالمفهوم الحضارى ، لا بالمرسوم الادارى !

وعبد العزيز حسين واحد من القلائل ، فى المنطقة العربية ، الذين يتجسد فيهم المفهوم الحضارى لرجل الدولة كمعاناة فكرية وشعورية لشئونها وشجونها ، وابداع عملى مثمر فى صيرورتها الحضارية ، أولا وأخيراً .. وكون هذا الرجل وزيراً للدولة فى الكويت هو واحد من انجازاتها الحضارية المشهودة .. بلا جدال .

ومع ذلك ، كالجندى المجهول ، يقف ببدلته العصرية الثابتة التى يتمسك بلبسها فى أوقات العمل وفى كل المناسبات فى الكويت وخارجها مثبتاً لمواطنيه ان الانتماء يتحقق بالعمل والمعاناة الشريفة المنتجة ، وليس بلباس أو ثياب .

ويقف معه ، فى الخندق الفكرى ، متمسكاً ببدلة العمل المنتج أيضاً ، أحمد مشارى العدوانى ــ الأمين العام للمجلس ــ وشاعر الكويت المتميز ، وأحد روادها الثقافيين الأوائل من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فلم يغيروا أو يبدلوا فى موقف أو قيمة ، ومعهما يقف لفيف من شباب الكويت ورجال العرب كل فى موقعه المتميز .

فمن على صفحات « الدوحة » حيث تتنامى وتزدهر تجربة ثقافية مماثلة فى الطموح والغايات بدولة قطر العربية الفتية ، ومن البحرين حيث معاناة الكلمة والابداع أقدم وأعرق من الغوص على لآلىء الخليج ، نتقدم للشقيقة الكويت بتهنئة من القلب على هذا الانجاز الحضارى الذى هو الكويت ، وهو الخليج وهو العروبة فى الصميم .

البحرين : محمد جابر الأنصارى

مشاكل التغير الحضاري في منطقة الخليج



بقلم: عبد الرزاق البصير

شهدت منطقة الخليج العربى منذ اكتشاف النفط هجرات تشبه مد البحر وجزره . فالإحصائيات تقول بأن الهجرات البشرية فى هذه المنطقة لا تبقى على شكل واحد ، بل هى فى تغير مستمر ، فهى تنتقل من قطر الى آخر فى هذه المنطقة ، وهذه حالة لا تكاد تشهدها أى منطقة من مناطق الوطن العربى الكبير .

صحيح أن كثيراً من الأقطار العربية تشهد مداً هائلا من القرى الى المدن لكن تأثيره من النواحى النفسية والاجتماعية لا يشبه ما يحدث فى هذه المنطقة من تأثير وتأثر . فالمهاجرون من القرى المصرية الى الاسكندرية والقاهرة مثلا ، والمهاجرون من القرى فى سوريا الى دمشق وحلب واللاذقية والمهاجرون فى العراق من القرى الى بغداد والبصرة لا ينظر اليهم كما هو الحال فى الامارات المتحدة والبحرين وقطر والكويت لأن تجانس الأفراد المهاجرين فى الشام والعراق ومصر واضح معروف . إذ أن كلا منهم يحمل هوية واحدة ، أما المهاجرون فى منطقة الخليج العربى فإنهم يحملون هويات مختلفة متنوعة وينطقون بلغات مختلفة ، والعرب أقربها الى سكان هذه المنطقة ، أما بقية الأجناس فإنها تختلف اختلافاً كبيراً عن السكان باللغة التى يتحدثون بها والعادات والتقاليد التى اعتادوا عليها . لهذا أعتقد أن تقسيم العمل بين المهاجرين لا يكاد ينشىء إلا رابطة ضعيفة بين هذه الجماعات من جهة وبين السكان من جهة أخرى . فكل فرد من السكان أو من الوافدين يرى أن القيام بأى عمل من الأعمال هو حالة مؤقتة قد تنتهى بانتهائه ، ولكن ما ذكرناه لا ينطبق على جميع الأعمال ، كما أنه لا يشمل العربى بطبيعة الحال ، إذ أن المجموعات التى تأتى لبناء مجموعة من البيوت مثلا لا تماثل المجموعة التى تؤدى عملا فى الطب والتعليم على سبيل المثال ، لأنك حين تصادف من قام ببناء منزلك لا تشعر نحوه بعاطفة مثلما تشعر حين تلقى من قام بتعليمك أو بشفائك من مرض من الأمراض ، وجملة القول أن العلاقات بين الجماعات الوافدة وبين السكان فى هذه المنطقة علاقات تختلف من جماعة إلى أخرى ، ومهما يكن من أمر فإن ما ذكرناه من اختلاف العلاقات لا ينفى مطلق التفاعل بين هذه الجماعات وبين السكان . حتى ولو كانت تلك الجماعات غير عربية . ولكن هذا التفاعل قد يكون نافعاً لأن لكل أمة أخلاقاً وصفات لا يمكن أن تكون كلها أخلاقاً وصفات ذميمة ، كما أن بعض صفات هذه الجماعات وأخلاقها غير صالحة على الإطلاق . فإن ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية كثيراً ما تخلق فى بعض النفوس صفات وأخلاقاً غريبة تدفعهم إلى القيام بجرائم لم تكن معروفة فى هذه المنطقة . فقد حدثتنا الإحصاءات عن جرائم لم تكن معروفة فى هذه المنطقة . ولقد اهتم العلماء الاجتماعيون منذ الثلاثينات من هذا القرن بدراسة العلاقات المتبادلة بين جماعات الأغلبية والأقلية فى المجتمعات المختلفة وبخاصة فى المجتمعات غير المتجانسة من الناحية العنصرية أو الدينية أو الثقافية ، وعلى الرغم من أن الدراسات العلمية لهذا الموضوع بدأت فى مرحلة متأخرة نسبياً إلا أن المفكرين الاجتماعيين شغلوا أنفسهم بالتفكير فى كثير من المسائل المتصلة بالعلاقة بين الأجناس البشرية منذ العصور القديمة ، ومما يؤكد على أهمية هذه الدراسات هو أننا إذا سألنا الإحصائيات عن الأعداد الوافدة إلى هذه المنطقة وجدناها تقول بأنهم أصبحوا أكثرية وأن السكان أصبحوا أقلية ، الأمر الذى نتج عنه مشاكل نفسية واجتماعية ، لأن الوافدين لابد لهم من أن يحتاجوا الى رعاية صحية وتربوية ، ومعنى ذلك أن السكان لابد وأن يشعروا بمضايقات فى المدارس والمستشفيات مما يجعلهم يطالبون بإصدار قوانين تقضى بتفضيلهم على الجماعات المهاجرة ، وهذه القوانين تصبح غير عادلة بالنسبة الى تلك الجماعات لأن التعليم والصحة حقوق انسانية لا يمكن الاستغناء عنها بأى حال من الأحوال . فإذا أضفنا إلى ذلك ترفع الكثير من السكان عن ممارسة قسم من الأعمال وتطلعهم الى المناصب القيادية حتى ولو لم يكونوا مؤهلين علمياً لها لاعتقادهم أن ممارسة العمل تجعلهم أهلا للقيام بتلك الأعمال ، على أن هذه المطالب لا يمكن الاستجابة اليها فى كل مرافق الحياة . فنحن نعلم أن بعض المناصب القيادية فى الناحية الهندسية والطبية والتعليمية مثلا لا يمكن أن يقوم بها إلا من يحمل شهادة عالية بالإضافة الى

خبرة طويلة فى العمل . وهكذا تتضح لنا صورة ما يجرى من مشكلات عديدة ، إذ أن التغير السريع لابد وأن يخلق مصاعب لم يحسب لها أى حساب . وليس شيء أدعى الى الاهتمام من بناء المجتمع بناء صحيحاً يرتكز على قواعد علمية ثابتة يؤدى الى عدم الصراع بين أفراد المجتمع ، غير أن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى منطقة الخليج العربي لا تسير حسبما يتمناه المثقفون المخلصون ذلك أن منطقة الخليج العربى تسعى بصورة حثيثة الى استبدال الأوضاع القديمة كلها بأوضاع جديدة تلائم العصر لتلحق بركب التطور بكل جوانبه ، فلابد لسكان هذه المنطقة من أن يتحملوا ضريبة التغير السريع ، بمعنى أن لا يتصوروا بأن يبلغوا ما يصبون اليه من ترق وتقدم بدون نشوء مشاكل تواجههم فى حياتهم . ذلك أمر نتنماه ولكن :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه
تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

المجتمعات الخليجية قبل النفط

وأود أن نتذكر جميعاً أن المجتمعات فى منطقة الخليج العربى كانت قبل التغير الحضارى مجتمعات بسيطة متجانسة لأن أفرادها كانوا متقاربين فى النواحى الثقافية والاجتماعية والاقتصادية . لولا بعض الفروق القليلة فى هذه النواحى : ولكنها فروق لم تكن كبيرة ، ولما شاء الله أن يحدث هذا التطور السريع فى كل جوانب الحياة أخذ السكان فى هذه المنطقة يتحسسون هذا التغير مما جعلهم يشعرون بالقلق فى أول الأمر ثم ما لبثوا أن تكيفوا مع هذا التطور فأدركوا أن علاج ما يواجهونه من مشاكل يكمن فى دراسات المتخصصين فى شتى النواحى من اقتصاد واجتماع وتربية ، وهو أمر يدعو الى الاطمئنان ، لأن كل مجتمع يعتمد على العلم فى علاج مشاكله لابد وأن يسلك الطريق السليم فى معالجتها . على أن ذلك لا يمكن أن يتم فى يوم وليلة . كما أنه لا يمكن أن يتم بدون أخطاء وعثرات ، لأن ما نواجهه من مشاكل شديدة التعقيد يحتاج الى أناة وروية ، وليس من شك أن كل من سار على الدرب وصل .. أعنى أننا وصلنا الى حالة تدعو الى كثير من الاطمئنان لما ذكرناه من أننا اصبحنا نعتمد على معالجة مشاكلنا بالعلم والتخطيط . ولأن فئات كبيرة من أبنائنا وبناتنا قد نهلوا من مختلف العلوم والمعارف وبذلك صاروا قادرين على المساهمة فى صنع مسيرة حياتنا .

وبعد فإن هذه الكلمة ليست الا إشارة بسيطة لما نشأ من مشاكل بسبب التغير الحضارى السريع ، قصدت منها أن أدعو المتخصصين فى علوم الاجتماع والاقتصاد والتربية وكل الميادين ، أن يقوموا بدراسات مستفيضة لما أحدثه التغير الحضارى فى خليجنا العربى من مشاكل لنتوصل الى معالجتها بصورة صحيحة .

عبد الرزاق البصير ــ الكويت



شعر: يعقوب السبيعي

هل في الخيال لدى الصبابة مقنع كلا ؟ ويشهد طيفها المتمنع
يا كوكب الصبح البعيد تحية ممن يحبك فوق ما تتوقع
ظمآن يأبى الحزن في عينيه ان يسقيه من عين الحبيبة مدمع

* * *

هل تذكرين لقاءنا في موعد كادت لنا الدنيا به تتجمع
بالأمس هيأت الدروب عطورها لك وارتقي بالزائرين الموضع
وتزينت لك في المحاجر أعين وتزاحمت في الصدر نحوك اضلع
وتفتحت لك في الصدور نوافذ والقلب في لقياك باب مشرع
وترشفتك عيوننا وقلوبنا شيئاً فشيئاً حين بثك مطلع
ودنوت منك : ولا أصدق انني ـ من روعة اللقيا ـ أعي ما أصنع
فرأيت في عينيك صوتاً حالماً يدعو السميع ، وليس غيرى يسمع
فتراكضت عيني لتسرق منك ما تهوى ، ويمنعها الحياء المسرع
لك مثل مالي في التلاقي غاية فدعي التلاقي يا حبيبة ينفع
ماذا ترين اذا اعتنقنا إن هـ ـذا الحسن يغري والتهيب يردع
خوفي عليك أضاعني فتوسدي صدرى فاني بعدها لا أجزع

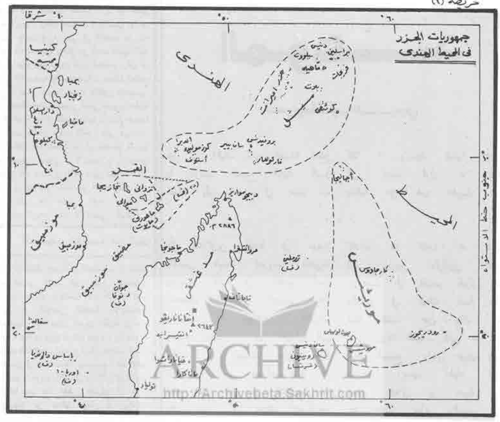
* * *

ويضيع في لغو الطيور تنهدى والروح في ارجاء حسنك أضيع
وكأنما قدري فراقك حينما الهاك عني للرقيب توقع
وتجاوزتني نظرة داست على وجهي الى صوت كنصل يلمع
وتركتني والخوف في عينيك لا يدرى بأي في ذهابك أصرع
وتركتني عجلى وقلتِ سنلتقي لا بأس إني بانتظارك مولع

* * *

يا موعداً لازلت أنشق عطره ماذا يعيق الواعدين ويمنع
الدرب ورد ، والنسائم غضة والصبح طفل والغمامة مرضع
لن ينتهى شوقي اليك حبيبتي الا اذا انتهت الجهات الأربع

الكويت



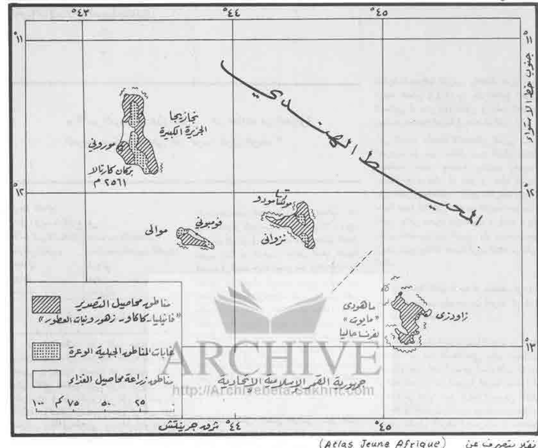
خريطة توضح موقع مجموعة جزر القمر بين دول الجزر في المحيط الهندي

دولة صغيرة تتمسك بعروبتها وإسلامها

جمهورية القمر الإسلامية الاتحادية آخر بلاد الإسلام والعروبة جنوبا

بقلم: الدكتور محمد رياض

خريطة (٢)



نقلا بتصرف عن (Atlas Jeune Afrique)

جمهورية القمر الاسلامية الاتحادية التى تتكون من أربعة جزر كبيرة وعدد من الجزر الصغيرة

هذه الدولة الصغيرة تتمسك بعروبتها واسلامها تمسكاً عميقاً ، وخسارة أن تضيع فى خضم الثقافة الفرنسية أو تندمج فى تركيب إقليمى مجاور . ومن هنا فإن المطلوب من أجلها كثير ، يتمثل فى انشاء مدارس عربية حديثة وامدادها بالمعلمين . كما أنها فى حاجة الى مزيد من دعم التنمية من جانب الدول العربية بشروط سخية تمكن جمهورية القمر الاسلامية من مواجهة مشاكلها مع الحفاظ على شخصيتها ..

تتكون مجموعة جزر القمر . التى يطلق عليها «كومورو» فى اللغات الأوروبية ـ من أربع جزر كبيرة ، وعدد من الجزر الصغيرة تمتد فى شمالها الشرقى . وتشغل الجزر الأربع حيزاً يمتد على محور من الجنوب الشرقى الى الشمالى الغربى لمسافة ٣٠٠ كيلومتر وسط الجزء الشمالى من مضيق موزمبيق ، ويفصلها عن ساحل مدغشقر نحو ٣٠٠ كم . ومثلها عن ساحل موزمبيق . وتبلغ المسافة بين جزر القمر وجزيرة زنجبار ٧٥٠ كم ، والمسافة الى مدينة «كيلوه» العربية القديمة على ساحل تنزانيا نحو ٥٥٠ كم ، والمسافة الى مدينة «سفالة» العربية القديمة والتى تقع فى منتصف ساحل موزمبيق نحو ١٥٠٠ كم . وبذلك فإن جزر القمر كانت تقع فى مركز هام بين مراكز الاستقرار والتجارة العربية القديمة مع أفريقيا . واستراتيجياً تقع هذه الجزر فى كل الأوقات فى مركز حاكم وسط مياه مضيق موزمبيق ، وهو مسار أهم الطرق الملاحية قديماً وحديثاً من جنوب آسيا الى رأس

• الأسر العربية في هذه الجزر : هل جاءت من الجزيرة العربية مباشرة أم هي من عرب شرق أفريقيا ؟

الرجاء الصالح

والجزر الرئيسية الأربع هي :

الاسم قبل الاستقلال	الاسم بعد الاستقلال
جراند كومورو	نجازيجا (الجزيرة الكبرى)
انجوان	نزواني
موهيلي	موالى
مايوت	ماهورى

العرب واستيطان جزر القمر

فى مثل حالات جزر القمر حيث لا توجد وثائق قديمة ، فإن الحفريات الأثرية هى المنهج العلمى فى محاولة التعرف على التاريخ القديم . وتدل نتائج التنقيب التى أجراها الاركيولوجيون الفرنسيون فى جزيرة نزوانى على أن أقدم آثار الاستقرار السكنى فى الجزر تعود الى نحو القرن الخامس الميلادى . وتشير دراسة الهياكل البشرية والآثار المادية الى أوجه شبه بين هؤلاء المستوطنين وسكان مدغشقر القدماء الذين يسميهم علماء الآثار الفرنسيون باسم مجموعة « السابقين على الملاجاشى » .

وتمر فترة طويلة دون اشارة معروفة عن جزر القمر . وتقول دائرة معارف لاروس الكبيرة الفرنسية (١) إن تجاراً من شيراز (الخليج) قد غزوا جزر القمر فى القرن ١٦ م . وتلاهم العرب بعد ذلك .

وصحيح أننا لم نعثر للآن على اشارة عربية لجزر القمر ، لكن فى ضوء معلومات الجغرافيين العرب فى القرنين العاشر والثانى عشر الميلادى (٢) ، لابد أن نتوقع ــ استقراء ــ أن الملاحين العرب قد عرفوا جزر القمر ، وربما استفادوا منها فى رحلاتهم جنوباً الى ميناء « سفالة » المشهور فى تلك الفترات . فالمسعودى يذكر فى منتصف القرن العاشر الميلادى تجارة العرب الرائجة من الذهب فى ميناء « سفالة » القريب من معدن الذهب فى زمبابوي الحالية . كما يؤكد الجغرافى الادريسى ذلك فى القرن ١٢ م ، وإن كان خام الحديد فى عصره قد أصبح مطلب التجار العرب بدلا من الذهب . وتنقل السفن العربية الحديد الى الهند حيث تصنع منه أنواعاً عالية من الصلب . ولاشك أن الملاحين العرب ــ سواء من الخليج أو من حضرموت ــ قد مروا بجزر القمر مئات المرات خلال رحلاتهم الى سفالة . وربما أقاموا محطة بحرية تجارية فى تلك الجزر ابتداء من القرن التاسع الميلادى . فالمسعودى حين يكتب عن تجارة رائجة مع سفالة فى منتصف ق ١٠ م : فإن معنى ذلك أن هذه التجارة قد بدأت قبل عصره بفترة زمنية تسمح أن تصبح تجارة عظيمة رائجة فى القرن العاشر .

كذلك يخطىء المصدر الفرنسى سابق الذكر حين يذكر قدوم تجار شيراز والعرب فى القرن ١٦ الى جزر القمر . ففى ذلك الوقت كانت سيادة البرتغال البحرية بلا منازع طوال القرنين السادس عشر والسابع عشر . ومن ثم فالبرتغال لا يمكن أن تسمح بغزو عربى فى جزر ذات أهمية استراتيجية فى طريق الملاحة الرئيسى الى أوربا . وفى تلك الفترة أيضاً كان العرب والتجارة البحرية التقليدية العربية فى حالة تراجع نسبى . وكانت مهمتهم الرئيسية التخلص من البرتغاليين فى حصون مسقط وهرمز ، وليس افتتاح مناطق استقرار بعيدة .

وحسب معلوماتنا الراهنة فإن أول ذكر لجزر القمر حديثاً كان خريطة العالم التى رسمها الجغرافى البرتغالى دييجو دبيبرو عام ١٥٢٧ م . وربما كان الملاح البريطانى جيمس لانكاستر هو أول أوربى يزور جزر القمر فى ١٥٩١ م وكانت الحضارة العربية هى السائدة آنذاك .

والخلاصة أن العرب قد أثروا ــ على الأغلب ــ فى حضارة وسكان جزر القمر فى فترة سابقة على الكشوف الجغرافية الكبرى ، واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح فى ق ١٦ م . وأن الطابع العربى الاسلامى قد صار سمة الجزر فى وقت لاحق ــ ربما بعد الصحوة العربية فى منتصف القرن ١٨ م ، التى اتسمت بالنشاط الاستيطانى العربى ــ مرة أخرى ــ على طول ساحل شرق أفريقيا وإنشاء سلطنات زنجبار وممبسة ومالندى وغيرها . وبعبارة أخرى يمكن أن ننظر الى عملية تعريب جزر القمر فى مرحلتين : الأولى بالارتباط بازدهار مدينة كيلوه كيغنجى « العربية القريبة » من جزر القمر ، والتى دحرها البرتغاليون فى ق ١٦ ، ولم تقم لها قائمة بعد ذلك التاريخ . وقد امتدت مرحلة ازدهار كيلوه وسفالة خمسة قرون ابتداء من القرن العاشر .

أما المرحلة الثانية فتعود الى منتصف ق ١٨ ، وانتشار العمانيين وغيرهم من العرب الى شرق أفريقيا حتى بدايات ق ٢٠ .

ولكننا مع ذلك لاندرك تماماً الاجابة على أسئلة محددة . من هذه الأسئلة متي بدأت السلطنات العربية فى جزر القمر ؟ وما هى أصول الأسر العربية فى هذه الجزر : من الجزيرة العربية مباشرة أم مستمرة من عرب شرق أفريقيا ؟ وما هى أشكال الارتباط أو التسلسل الأسرى مع عرب وسلطنات الساحل الشرقى لأفريقيا ؟ ومعروف أن سلاطين جزر القمر كثيراً ما استمدوا العون من سلطان زنجبار ضد التغلغل الفرنسى خلال ق ١٩ .

ومن الأسئلة الأخرى : الى أى مدى كان النفوذ المكانى لسلاطين جزر القمر ؟ هل كان مرتبطاً بالجزر فقط أم كان ممتداً على ساحل موزمبيق المقابل ؟ علماً بأن غالبية سكان شمال موزمبيق الآن هم مسلمون ديناً وثقافة (نحو مليون نسمة) . وهل كان هناك سلطان كبير فى الجزيرة الكبرى وسلاطين تابعون فى الجزر الأخرى ، أم كان السلاطين على قدم المساواة ؟ مع العلم أن كل سلاطين الجزر كانوا يتحدرون من أسرة واحدة .

وهل كانت مصادر الثروة فى هذه السلطنات قائمة على أساس الموارد المحلية للجزر ؟ أم كانت نمطاً مماثلا لنمط سلطنة زنجبار .. أى أنها رأس جسر لتجميع الثروة من مدغشقر وموزمبيق والتعامل فيها تجارياً عبر البحار الى أسواق الخليج والشرق الأوسط ؟

الجزيرة	المساحة كم ٢	السكان (١٩٨٠)	الكثافة السكانية شخص / كم٢	المدينة الرئيسية (٤)
نجازيجا	١١٤٨	١٦٤٠٠٠	١٤٢	موروني (عاصمة الدولة)
نزواني	٤٢٤	١٢٣٠٠٠	٢٩٠	متسامودو
موالى	٢٩٠	١٣٢٠٠	٤٧	فومبوني
مجموع جمهورية القمر	١٨٦٢	٣٠٠٢٠٠	١٦٤	
ماهوري (مايوت)	٣٧٤	٤٣٠٠٠	١١٤	زاودزي
مجموع جزر القمر	٢٢٣٦	٣٤٣٢٠٠	١٥٣	

جدول يوضح مساحة وعدد السكان في جزر القمر

التنافس الفرنسي البريطاني على جزر القمر :

في الفترة بين ١٧٨٥ و ١٨٢٠ وقعت جزر القمر تحت طائلة غارات مستمرة من جانب أبناء قبيلة «بتسيما ساركا» الملاجاشية . وذلك من أجل الحصول على الرقيق الذى يبيعونه للفرنسيين والانجليز الذين كانوا بسبيل تعمير جزر السكارين (ريونيون وموريشس) . وقد ادت هذه التجارة الأوربية المنشأ الى إحداث دمار وتخريب في مكونات جزر القمر سكاناً وعمراناً . وزاد الأمر سوءاً أن عدداً من « القرصان الأوربى » (انجليزى وأمريكى بوجه خاص) ــ بعد طردهم من البحر الكاريبى ــ قد نقلوا نشاطهم الى المحيط الهندى ، وجعلوا من بعض جزر هذا المحيط قواعد لسفنهم ، وخاصة في شمال مدغشقر . وذلك لكي يتصيدوا السفن الأوربية سواء تلك التى تتخذ طريق رأس الرجاء الصالح أو طريق السويس . ولم يقض تماماً على قرصان هذه البحار الا بجهود مشتركة للأساطيل الانجليزية والفرنسية والهولندية .

وقد حارب سلاطين جزر القمر صيادى الرقيق الملاجاشيين . وكان القراصنة يلعبون أدواراً مختلفة بين السلاطين والملاجاشيين ، وخاصة في جزيرتى نزوانى وموالى . وفى هذا الجو المضطرب غزا الفرنسيون جزيرة مايوت ١٨٤١ ، وضمت رسمياً لفرنسا بعد ذلك بعامين . وقرر الفرنسيون أن تصبح الجزيرة مصدراً لسكر القصب كما فعلوا من قبل في ريونيون وموريشس .

ورد الانجليز على هذه الخطوة الفرنسية بانشاء قنصلية لهم لدى سلطان جزيرة نزوانى ــ وهى الجزيرة التى تلى مايوت غرباً ــ وحاول الفرنسيون تطويق الانجليز باجبار السلطانة «فاطمة» ، سلطانة جزيرة موالى ، أن تقبل الحماية الفرنسية . لكن السلطانة رفضت مراراً مساعى فرنسا ، ولجأت الى سلطان زنجبار لمساعدتها . وعندما فشلت المساعى الفرنسية السياسية ضربت سفن الأسطول الفرنسى الجزيرة الصغيرة مرتين في عامى ١٨٦٧ و ١٨٧١م ، وكان ذلك بحجة حماية مصالح الفرنسى جوزيف لامبير الذى كان يمتلك مزارع القصب في الجزيرة . كذلك كان السلطان أحمد ، سلطان نجازيجا ، يقف ضد مساعى الحماية الفرنسية ويستعين بتأييد سلطان زنجبار .

والملاحظ ان التحرك الفرنسى العسكرى ضد جزر القمر قد بدأ بعد ان أنهت بريطانيا وجودها السياسى في جزيرة نزوانى في أعقاب افتتاح قناة السويس . ففى عام ١٨٦٧ أقفلت بريطانيا قنصليتها ، ووجهت كل اهتمامها الى الطريق البحرى الجديد عبر السويس . وبذلك خلت الساحة أمام فرنسا فضربت جزيرة موالى كما أسلفنا . وبحجة الخوف من النفوذ الالمانى في الجزيرة الكبرى (بعد التواجد الالمانى في تنجانيقا) أعلنت فرنسا الحماية على الجزر الثلاث ــ موالى ونزوانى ونجازيجا ــ عام ١٨٨٦ . وكانت آخر أحداث المقاومة صراع السلطان سعيد علي ، سلطان نجازيجا ، مع الفرنسيين والذى انتهى بنفى السلطان خارج الجزر عام ١٨٩١ م .

جزر القمر في ظل الحكم الفرنسى :

ظلت الجزر الثلاث محمية فرنسية بين ١٨٨٦ و ١٩١٢ ، بينما كانت مايوت محمية منذ عام ١٨٤٣ ، وفى عام ١٩١٢ ألغت فرنسا الحماية وألحقت الجزر الأربع بالإدارة الفرنسية في مدغشقر . وفى عام ١٩٤٦ ، بعد الحرب العالمية الثانية ونتيجة لبداية التحرك الوطنى ، منحت الجزر الوضع القانونى «للأرض الفرنسية عبر البحار» . وفى عام ١٩٦١ اشتدت المطالب الوطنية فأعطيت الجزر أولى خطوات الحكم الذاتى ، واتسعت أشكال هذا الحكم الذاتى تدريجياً بعد عام ١٩٦٨ . وبمقتضى قانون الحكم الذاتى أصبح في الجزر مجلس نيابى منتخب ، ومجلس وزراء وطنى جنباً إلى جنب مع المندوب السامى الفرنسى . وبرغم أن الفرنسيين قيدوا عدد الناخبين بمواصفات معينة ، الا أن وجود هذا الحق سرعان ما أدى الى تكوين أحزاب سياسية ذات اتجاهات متشابهة في البداية ، متعارضة في النهاية . وكان أهم حزبين في تلك الفترة هما حزب الاتحاد الديمقراطى برئاسة أحمد عبدالله عبدالرحمن (الرئيس الحالى للدولة) وحزب تجمع الشعب الديمقراطى برئاسة الأمير سعيد محمد جعفر .

المطالبة بالاستقلال الكامل :

فى أول عام ١٩٧٢ تولى الأمير سعيد جعفر رئاسة الحكومة وطلب رسمياً من فرنسا منح جزر القمر الاستقلال الكامل ، وفى أواخر السنة انضم الحزب الآخر للوزارة في المطالبة بالاستقلال . وكاجراء تكتيكى استقالت الحكومة من أجل إجراء انتخابات جديدة تمت في شهر ديسمبر ١٩٧٢ وفازت فيها الأحزاب المطالبة بالاستقلال (٨٠٪) على حزب الأمة الذى كان يرأسه الأمير سعيد ابراهيم . ونتيجة للانتخابات تولى أحمد عبدالله رئاسة الحكومة الجديدة . وأعطاه المجلس النيابى تفويضاً باجراء مفاوضات مع فرنسا لاتخاذ ترتيبات الاستقلال .

الاستقلال :

نتيجة للضغوط الشديدة بعد أحداث ١٩٧٢ السياسية وافقت فرنسا على إجراء استفتاء تم في ١٩٧٤/١٢/٢٢ . وقد نال المنادون بالاستقلال ٩٤٪-

من الأصوات في كل الجزر عدا جزيرة مايوت التي قيل إن ٦٤٪ من أصواتها رفضت الاستقلال . وعلى الفور أعلنت فرنسا وضعاً خاصاً لجزيرة مايوت داخل النظام الفرنسي . ورداً على ذلك أعلن المجلس النيابي لجزر القمر الاستقلال الكامل في ١٩٧٥/٧/٦ ، وانتخب أحمد عبدالله أول رئيس للدولة ، لكن الجبهة الوطنية المتحدة بزعامة الأمير سعيد جعفر لم توافق على هذا التطرف ، وفي الثالث من أغسطس قامت بانقلاب ناجح ضد أحمد عبدالله . وفي نوفمبر انضمت الدولة الى الأمم المتحدة على أنها ممثل لكل جزر القمر . ولم يغير ذلك من سياسة فرنسا في البقاء في مايوت .

وفي أول عام ١٩٧٦ انتخب علي صليح رئيساً للدولة خلفاً للأمير سعيد ، وأجرت فرنسا استفتاء صورياً في مايوت أيد بقاء الوضع الخاص للجزيرة ضمن النظام الفرنسي (٩٩٪ لصالح فرنسا !) .

وقد حاول علي صليح إحداث تغيرات راديكالية في الإدارة والاقتصاد والنظم الاجتماعية والدينية ، وكلها أثارت المخاوف والمعارضة في الداخل والخارج . وفي عام ١٩٧٧ غير الدستور وتغير اسم الدولة الى جمهورية القمر الديمقراطية الاشتراكية . وقد أدى فشل محصول ١٩٧٧ وقطع فرنسا معونتها الى جانب اجراءات علي صليح المختلفة الى انتقال الكثيرين الى صفوف المعارضة . وفي مايو ١٩٧٨ عاد أحمد عبد الله من منفاه في باريس على رأس مجموعة من المرتزقة الاوربيين وقتل علي صليح بعد قليل . وفي البداية رفضت منظمة الوحدة الأفريقية قبول ممثل الحكم الجديد معتمدة على استعانته بالمرتزقة .

وقد أقام أحمد عبدالله فور توليه الحكم علاقات قوية مع فرنسا ودول الأوبك العربية ودول الجامعة العربية . وعادت مساعدات فرنسا ، وإن بقيت مشكلة جزيرة مايوت قائمة .

وفي أكتوبر ١٩٧٨ أقيم استفتاء على دستور جديد نص على أن اسم الدولة أصبح جمهورية القمر الإسلامية الاتحادية ، وانتخاب مجلس نيابي من ٣٨ عضواً (١٨ نائباً عن جزيرة نجازيجا و١٥ عن نزواني وخمسة نواب عن موالي) . كما تم انتخاب مجلس نيابي وحكام لكل جزيرة ، مما يعطي شكلا من الحكم الاتحادي للدولة . وقد أشير في الدستور الى أن جزيرة ماهوري (مايوت) هي جزء من الجمهورية « بسبيله إلى أن يعود الى مجتمع القمر » لكن لا هذه الاشارة ، ولا شكل الحكم الذاتي لكل جزيرة ، وجدا استجابة في مايوت حتى الآن .

المقومات الجغرافية للسكن والزراعة :

يوضح الجدول المنشور على الصفحة السابقة مساحة وعدد السكان في جزر القمر (٣) .

وحيث أنه لا توجد احصاءات حتى الآن ، فان تقديرات السكان تختلف من مصدر الى آخر . وحسب آخر تقدير سكاني (٥) فإن سكان الجمهورية يبلغون ٣٧٥ ألفاً بالإضافة الى ٥٠ ألفاً في جزيرة ماهوري . وتبلغ الزيادة السكانية السنوية نحو ٢,٥٪ .

وتعود جزر القمر في مجموع نشأتها الى النشاط البركاني ، ولكن هناك فارقاً كبيراً الآن بين الجزيرة الكبيرة نجازيجا وبقية الجزر . فالجزر الأخرى تتكون من تراكيب بازلتية قديمة عرتها عوامل التعرية وفتتها ، وبراكينها خامدة . بينما براكين جزيرة نجازيجا نشطة وفيها أعلى جبال الجزر ، وهو بركان كارتالا الذي يصل ارتفاعه الى ٢٥٦١ متراً ، ويعد من حيث التكوين من أجمل براكين العالم . وفي شمال الجزيرة براكين صغيرة عديدة من النوع الذي يشابه بركان استرمبولي في البحر التيراني (ايطاليا) ، أي له نشاط خفيف في دورات محددة .

والمفترض أن التربة في المناطق البركانية في مجموعها هي تربة جيدة للزراعة ، ولكننا نجد أن ظروف التكوين الصخري ذي المسامية الشديدة في نجازيجا يجعل مياه الأمطار الوفيرة تغور في باطن الأرض الى أعماق سحيقة ، مما يترتب عليه أن أكثر من نصف مساحة الجزيرة غير قابل للزراعة ، وتتكون من سطوح عارية أو تغطيه في المرتفعات غابات قليلة الاستخدام . وحتى في التربات البازلتية القديمة في الجزر الأخرى نجد سطوحاً غير قابلة للزراعة ، وخاصة في ماهوري (مايوت) التي تبلغ فيها مساحة الأراضي غير القابلة للزراعة نحو ٤٠٪ من مجموع مساحة الجزيرة . ولعل أحسن التربات هي تلك في جزيرة نزواني ، ومن ثم العدد السكاني الكبير بالقياس الى مساحة الجزيرة . وتتصف جزيرة مايوت بأنها تكاد تكون محاطة بشطوط وحواجز مرجانية كبيرة تمنع استخدام سواحلها الاستخدام الأمثل . وتقع زاودزي — عاصمة مايوت — على جزيرة صغيرة أمام السواحل وخلف « الحاجز المرجاني » .

وحيث أن الجزر تقع بين درجتي العرض ١١ و١٣ جنوب خط الاستواء فإن المناخ السائد هو الحار الرطب . فالحرارة تتراوح بين ٢٨ درجة مئوية في شهر نوفمبر و٢٢ درجة في شهر يوليو ، وهو ألطف شهور السنة لانخفاض الحرارة وعدم سقوط الأمطار . وتنقسم السنة الى ستة أشهر من الجفاف من مايو الى أكتوبر وستة أشهر غزيرة المطر . وفي نصف السنة الجاف تسود رياح جنوبية شرقية جافة يسميها السكان « كوسي » (٦) ، وهي تسمية تذكرنا برياح « الكوس » الشرقية الجافة التي تهب على الخليج . أما نصف السنة المطر فيسمى « كاسكاسي » ، وهو يتسم بأعاصير عاتية وموجات عالية من المد تخرب السواحل ، وأقماع مائية قوية وخطرة وأمطار غزيرة تتراوح بين ١,١ امتار في جزيرة مايوت و٥,٥ أمتار في نجازيجا .

وقد أدت هذه الظروف المناخية الى أن ١٦٪ من مساحة الجزر تغطيها غابات كثيفة في المناطق المرتفعة من ٤٠٠ متر الى ١٧٠٠ متر . ومعظمها تتكون من أشجار خشب الورد والموهجني . وتغطي أعشاب منوعة أعالي الجبال ، وخاصة بركان كارتالا . وعلى السواحل وفي البحيرات الساحلية بين الحواجز المرجانية والساحل تنمو غابات المنجروف بكثافة واضحة . ويترك هذا التركيب النباتي مناطق محدودة للزراعة فيما بين منسوب سطح البحر وارتفاع ٤٠٠ متر ، وخاصة في الأودية والسهول الضيقة . وهنا يزاول السكان زراعة محاصيل شجرية كالمانجو وجوز الهند والموز ، ومحاصيل التصدير الأخرى وعلى رأسها الفانيليا ، ومحاصيل الغذاء التقليدية من أرز وحبوب .

المشكلة السكانية الحادة :

يمثل سكان جزر القمر الآن خلاصة عمليات الاستيطان التاريخية . فالأصول ترجع الى سكان مشابهين لقبيلة الساكلافا الملاجاشية وغيرهم من أفارقة جلبوا من موزمبيق مختلطين بهجرات هندو ماليزية قديمة . وفوق ذلك كله هناك المستوطنون العرب و٩٩٪ من سكان جزر القمر كلها مسلمون ينتمون للمذهب الشافعي ، ولغتهم الرئيسية هي العربية بينما السواحلية هي لغة التجارة ، وهي تكتب أيضاً بحروف عربية . ولغة التعليم التقليدي هي العربية بما فيها « كتاب » القرية ، بينما لغة التعليم الحديث هي الفرنسية .

وبالاشارة الى الجدول السابق نرى أن نحو نصف السكان يعيشون في الجزيرة الكبيرة نجازيجا ، وأن نحو الثلث يسكنون جزيرة نزواني التي ترتفع فيها كثافة السكان الى نسبة عالية . وفي المجموع فإن كثافة السكان عالية جداً بالقياس الى مدغشقر أو معظم أفريقيا الشرقية ، وأن نسبة النمو السكاني السنوية تتراوح بين ٢,٥٪ و١٣٪ ومما يزيد المشكلة أن اقتصاديات جزر القمر زراعية فقط ، وحيث أن كل الأراضي القابلة للزراعة مستغلة ، فإن جمهورية القمر تعاني من مشكلة سكانية حادة .

• الجزيرة تعود فى نشأتها الى النشاط البركانى وسكانها يمثلون خلاصة عمليات الاستيطان التاريخية

• مازال الانتاج فى جزر القمر على المنسوب الذى كان سائداً عندما أعلنت فرنسا الحماية عليه عام ١٨٨٦ ! !

وقد كانت هناك هجرات عمل واستيطان كبيرة من جزر القمر الى مدغشقر (٤٠,٠٠٠) وزنجبار (٣٠,٠٠٠). ولكن الأحداث السياسية فى مدغشقر أجبرت الكثيرين من سكان جزر القمر على العودة الى بلادهم. والاختلاف السياسى حول مايوت أجبر الكثيرين من مستوطنى مايوت الى العودة الى نزوانى ونجازيجا. وفوق كل هذا فإن ثورات بركان كارتالا تؤثر بشدة على الأحوال الاقتصادية وتزيد مشكلة الغذاء. وقد أدت آخر ثورة للبركان فى ابريل ١٩٧٧ الى تشريد عشرين ألفا من السكان (نحو ثمن ($\frac{1}{8}$) سكان الجزيرة) وضياع حقولهم ومحاصيلهم (٧) وهكذا تتجمع الظروف الطبيعية والسياسية والاقتصادية على زيادة حدة المشكلة السكانية والاقتصادية فى جمهورية القمر، بحيث أصبحت معتمدة على كثير من المعونات من دول ومنظمات شتى لتتمكن من مواجهة مشاكل الجوع.

اقتصاديات جزر القمر:

حيث لا توجد معادن ولا صناعة فإن النشاط الاقتصادى المحلى فى جزر القمر يرتكز على الزراعة بصورة أساسية، وعلى حرفة صيد السمك للاستهلاك المحلى. ولوعورة التضاريس فإن المراعى الطبيعية محدودة، ومن ثم فإن الثروة الحيوانية قليلة. ففى الجزر لا يوجد من الحيوان سوى ٧٧ ألفا من الماشية و٨٦ ألفا من الماعز وثمانية الآف من الأغنام، بينما تتراوح كمية الأسماك التى تم صيدها حوالى أربعة آلاف طن سنوياً (أرقام عام ١٩٧٩).

ويمكن تقسيم الزراعة الى قسمين: زراعة الغذاء والاستهلاك المحلى وزراعة محاصيل التصدير. وأهم المحاصيل الغذائية هى الدرنيات (١٠٠ ألف طن سنوياً من الكاسافا والبطاطا) والأرز (١٦ ألف طن) وثمار جوز الهند (٦٠ ألف طن) وكميات قليلة من الموز والذرة. أما محاصيل التصدير فتتركز حول الفانيليا وزيوت النباتات العطرية والقليل من القرنفل والبخار والكاكاو.

وأهم المشكلات التى تعانى منها الزراعة هى:

١ ـ الضغط السكانى الشديد على الأرض.

٢ ـ طوال مدة الاستعمار الفرنسى لم تطور فرنسا محاصيل الغذاء التقليدية ولا طرق زراعتها ولا تحسين بذورها، وانما كانت منصرفة الى تنمية مزارع المحاصيل التجارية للتصدير، ومساحات كبيرة منها ملك لاحتكارات فرنسية.

٣ ـ نقص التعليم مع نظام ملكية الأراضى التقليدى. وقد ساعدت روح عدم التجديد على سد الطرق أمام أية استحداثات فى مجال الزراعة، فظلت على منسوب أداء الانتاج الذى كان سائداً عندما أعلنت فرنسا الحماية فى عام ١٨٨٦.

والحقيقة أن اقتصاد الجزر كان فى حالة متدهورة قبل الاستقلال بسبب تدهور السوق العالمية لمحاصيل الفانيليا والقرنفل، وانخفاض سعرها. وكانت المعونات الفرنسية تساعد على ابقاء الوضع مقبول نسبياً فضلاً من وجود مخارج للعمل خارج الجزر. وبعد الاستقلال ظهرت المشاكل بصورة متفاقمة نتيجة انقطاع العون الفرنسى والظروف السياسية فى المنطقة على نحو ما أسلفنا.

ويمكننا تلخيص كل ذلك فى أن قيمة صادرات الجزر قد تأرجح حول ٨ الى ٩ ملايين من الدولارات من ١٩٧٤ الى ١٩٧٧: بينما قيمة الواردات كانت نحو ١٦ مليون دولار (٨) وفى ١٩٧٩ ارتفعت قيمة الصادرات الى ١٧ مليون دولار يقابلها زيادة أخرى فى الواردات الى نحو ٣٠ مليوناً (٩). وتشكل صادرات الفانيليا نصف قيمة الصادرات ككل، بينما تبلغ واردات الغذاء (وعلى رأسها الأرز واللحوم والسكر) ربع قيمة كل الواردات. أو ما يساوى نفس قيمة صادرات الفانيليا! (واردات البترول فى ١٩٧٧ تساوى ـ قيمة كل الواردات).

وازاء هذا الموقف المتدهور فإن الكثير من الدول العربية قامت بتقديم العون فى أشكال مختلفة. وقد ساهم فى ذلك البنك العربى للتنمية الاقتصادية فى أفريقيا، والصندوق الكويتى للتنمية العربية وقدمت مساعدات مالية من السعودية والكويت وعمان والعراق فضلا عن معونة فرنسا ودول السوق الأوربية وجمهورية الصين الشعبية.

خلاصة وتوصية

هذه باختصار حالة دولة صغيرة تتشبث بعروبتها واسلامها، وتمثل آخر جهود العرب الاستيطانية فى المحيط الهندى. ولذلك نتقدم بالتوصيات التالية:

• ـ محاولة تمويل وانشاء مدارس عربية تدرس مناهج العلوم الحديثة، وامدادها بالمعلمين. فخسارة أن تضيع جزر القمر فى خضم الثقافة الفرنسية.

• ـ خسرت جزر القمر دورها التجارى القديم، مثلها مثل زنجبار. واذا كانت زنجبار قد وجدت فى انضمامها الى تنجانيقا مجالا أرضيا أوسع (برغم ماصحب ذلك من مآس وطرد للزنجباريين من أصول عربية) فإن جزر القمر تقف وحيدة صغيرة فقيرة مترعة بمشكلات السكان والتنمية. وخسارة أن تضيع شخصية القمر العربية، اذا اندمجت فى تركيب إقليمى مجاور. فهل من مزيد من دعم التنمية من جانب الدول العربية بشروط سخية تمكن جمهورية القمر الاسلامية من مواجهة مشاكلها مع الحفاظ على شخصيتها؟

محمد رياض ـ جامعة قطر

الهـوامش

(1) "La Grande Encyclopédie", Larousse, Vol. 5, Paris 1973.

(٢) د. كوثر عبد الرسول: دراسات فى الهجرات الحديثة الى أفريقيا: العرب فى شرق أفريقيا ـ حولية كلية الآداب ـ جامعة عين شمس مجلد ١٣ ـ القاهرة ١٩٧٠.

(3) Europa Publications, "Africa, South of the Sahara", P. 314, London 1981- 82.
والكثافة السكانية لكل جزيرة من حساب المؤلف.

(٤) موروني، عاصمة الدولة، يبلغ عدد سكانها ٢٥ ألفاً (١٩٨٠) ومتسامودو نحو عشرة آلاف وفومبوني نحو خمسة آلاف وزاودزي نحو ثمانية آلاف. ويلاحظ أن عدد سكان المدن ليس كبيراً، ويشير الى انتشار نمط السكن الريفي وقلة جذب المدن لقلة النمو فى الأنشطة الصناعية والخدمات.

(5) Der Fischer Weltalmanach, Frankfurt a/m, 1984.

(6) The Encyclopedia Britannica, Vol. 6, London 1973.

(7) Europa Publications, Ibid, P. 313.

(8) Europa Publications, Ibid, P. 316.
القيمة محولة عن فرنكات المجموعة الفرنسية الافريقية (CFA)
وكان الفرنك الفرنسي فى ذلك التاريخ يساوى ٥٠ فرنكاً أفريقياً، والدولار ٢٤٨ فرنكاً أفريقياً.

(9) Der Fischer Weltalmanach.

ماهو المطلوب في مواجهة حرب الأسعار.. والإنتاج؟

بقلم : الدكتور محيى الدين علي عشماوي

الدول الكبرى وشركات البترول الضخمة تقف بالمرصاد للنفط والدول المنتجة للنفط ، وهى تدخل الآن حرباً على الانتاج وحرباً على الأسعار ، لتهديد الدول النفطية فى مصدر دخلها وشريان حياتها الدائم ، واضعاف قوتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية . وهذا الخطر يتطلب مواجهة حاسمة من دول البترول ، بوضع استراتيجية بترولية عربية واحدة .

يشهد العالم الآن : تطورات خطيرة لحرب الأسعار وحرب الانتاج التى تقودها الدول الصناعية الكبرى وشركات النفط العالمية بأساليب مختلفة : من أجل عودة سيطرتها على انتاج وتسويق البترول على مستوى العالم ، وذلك بعد أن كانت قد فقدت هذه السيطرة منذ بدء استقلال معظم الدول النامية المنتجة للبترول ، وانهاء عصر الامتيازات البترولية التى كانت الدول الصناعية الكبرى وشركاتها تستنفد فيه موارد الدول المنتجة بحفنة من الدولارات تعود وتسترجعها أضعافاً مضاعفة على شكل سلع مصنعة تبيعها لهذه الدول بأسعار مرتفعة . نظراً لاحتكارها انتاج وتسويق هذه السلع بما لديها من تكنولوجيا متقدمة . وسبق فى فنون انتاج وتصنيع السلع التى تحتاجها الدول النامية .

هذه الأهداف

ولا يخفى على أحد أن الأهداف التى تريد الدول الكبرى أن تحققها من حرب الأسعار وحرب الانتاج ليست أهدافاً اقتصادية فقط ، بل هى أهداف سياسية وعسكرية واجتماعية واحتكارية ترغب من تحقيقها إضعاف قدرات وطاقات وإمكانيات الدول النامية المنتجة للبترول ، وزعزعة استقلالها وسيطرتها على مواردها الطبيعية التى هى مصدر قوتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، والضمان لتقدم ورفاهية شعوبها وأجيالها المتقدمة . والدعم القوى لسياستها وتخطيطها فى الدفاع عن نفسها فى زمن السلم وزمن الحرب على حد سواء .

ولما كانت الدول العربية المنتجة للبترول تشكل نسبة كبيرة فى عدد الدول النامية المنتجة للبترول ، ولما كان الوطن العربى والأمة العربية مستهدفة بالدرجة الأولى فى حرب الأسعار وحرب الانتاج فإن ذلك يهدف لاضعاف القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية لهذه الأمة وتجريدها من أغلى ثرواتها الطبيعية واهدار قيمتها التى ازدادت على مدى السنوات العشر السابقة : على أثر حرب رمضان المجيدة . حين أصدر وزراء البترول العرب قرارهم التاريخى فى السابع عشر من شهر تشرين الأول اكتوبر سنة ١٩٧٣ بحظر النفط عن الدول المساندة لاسرائيل ـ مما دعا الدول الكبرى التى تدعم اسرائيل إلى المسارعة فى التخطيط لما يجب أن تفعله ، منذ ذلك التاريخ ، للقضاء على هذا السلاح الاقتصادى الخطر الذى تمتلكه الأمة العربية ، وتستطيع به أن تهدد مصالحها الحيوية فى المنطقة العربية .

وبالرغم من أن البترول لم يعد هو السلاح الرئيسى القوى والفعال الذى يمكن أن تستخدمه الأمة العربية فى ظروف صراعها المستمر مع الصهيونية ومن يدعمونها ، إلا أنه مازال سلاحاً مهماً يمكن للدول العربية أن تستخدمه بجانب ما لديها من أسلحة أخرى سياسية كانت أو اقتصادية أو بشرية أو عسكرية . لذلك كان القضاء على هذا السلاح هدفاً من الأهداف الاستراتيجية للدول المساندة للصهيونية العالمية التى تحارب فى السر والعلن الأمة العربية ، وتريد أن تجردها من كل العوامل والموارد التى تمنحها القوة والصمود لرفع الأخطار التى تتهددها وتتربص بها .

صورة حديثة

وتعد حرب الأسعار وحرب الانتاج صورة من الصور الحديثة التى تهدف منها الدول الكبرى والشركات البترولية العالمية الى استغلال البترول العربى على وجه يحقق مصالحها الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، ويضعف من أهميته









ظلت سيطرة الشركات الكبرى على الثروات البترولية العربية ، إلى أن انتقلت البلاد العربية إلى مرحلة امتلاك ثرواتها البترولية والاستقلال عن التبعية الاقتصادية لشركات البترول العالمية .

وتأثيره لتحقيق مصالح وآمال الدول والشعوب العربية .

ولقد سبقت هذه الصورة صور وأشكال كثيرة كانت تتناسب مع ظروف البلاد العربية محط الاطماع الاستعمارية منذ فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، حين تغلغلت الشركات البترولية الكبرى في أراضي البلاد العربية معتمدة على التفكك والضعف الذي شهدته البلاد العربية في تلك الحقبة من الزمان .

فلقد كانت البلاد العربية فريسة سهلة لمطامع الدول العظمى التي خرجت منتصرة من الحرب العالمية الأولى ، وقامت بتقسيم ثروات هذه البلاد بما عقدته من معاهدات جماعية مثل عهد عصبة الأمم ، أو ثنائية مثل معاهدة سايكس ــ بيكو . وقامت على أثر ذلك الشركات البترولية العالمية ــ التي تنفذ استراتيجية الدول العظمى ــ بوضع نظام الامتيازات البترولية بغرض استغلال الثروات البترولية العربية في امداد الدول الكبرى بالطاقة اللازمة لبناء صناعاتها ، وذلك بأرخص الأسعار ، وبأبخس الشروط التي تضمنتها اتفاقيات البترول التي كانت تعقدها هذه الشركات مع حكومات البلاد العربية تحت اسم اتفاقيات امتياز البحث والتنقيب عن البترول .

ولقد عرف نظام الامتياز آنذاك بأنه نظام احتكار وسيطرة الشركات الأجنبية على موارد النفط العربية وحرمان البلاد العربية والشعوب العربية من تحقيق الاستفادة المناسبة أو حتى المعقولة من ثرواتها النفطية . ولقد كانت الشركات الأجنبية تتملك الثروات البترولية لعقود كثيرة من الزمن ، وتبحث وتنقب وتستخرج البترول بشروطها المجحفة بحق أصحاب الثروات في هذه البلاد . وحرمت هذه الشركات البلاد العربية من سيادتها الوطنية على أرضها وثرواتها ، وكانت الاتفاقيات تتضمن الاعفاءات الضرائبية والجمركية على أعمال ونشاطات الشركات الأجنبية مما كان يعني تنازل البلاد العربية عن جزء من سيادتها لصالح هذه الشركات .

وبالرغم من أن احتياطي البلاد العربية من البترول كان يقدر بحوالي ٦٠ بالمائة من الاحتياطي العالمي ، وبالرغم من أن انتاج حقول البترول في البلاد العربية كان يزيد عن ربع انتاج العالم من البترول ، وبالرغم من أن البلاد العربية كانت تمثل

• بعد إلغاء امتيازات الشركات الكبرى تحققت سيطرة الدول العربية على ثرواتها البترولية . .

المرتبة الأولى بين البلاد المنتجة والمصدرة للبترول ، إلا أن هذه البلاد وشعوبها ــ في ظل سيطرة الشركات الأجنبية ــ لم تكن تتمتع بكامل ثرواتها التي تستطيع بها تحقيق خططها للتنمية لصالح أوطانها وشعوبها بصفة خاصة ولصالح الأمة العربية ونمائها وتقدمها بصفة عامة .

احتكار قديم

وقد ظلت السيطرة الاحتكارية على الثروات البترولية العربية في يد ثماني شركات كبرى عالمية كونت فيما بينها اتحادا عرف بما يسمى « الكارتيل العالمي للبترول » يتولى التعاون والتنسيق بين هذه الشركات في مجال احتكار البحث والتنقيب والانتاج والنقل والتكرير والتوزيع للثروات البترولية المنتجة من البلاد العربية وغيرها خلال الفترة من عام ١٩٢٨ وحتى عام ١٩٥٨ م . وكانت اتفاقية « أكناكري » لعام ١٩٢٨ هي الأساس القانوني لتعاون هذه الشركات في هذا الاتحاد .

ولقد حققت هذه الشركات في ظل نظام الاحتكار الذي اتبعته ، السيطرة الكاملة على السوق العالمية للبترول ، وذلك من حيث التحكم في الأسعار : وفي الانتاج ، وفي التوزيع ، وفي التخزين ، وفي العرض والطلب العالميين . مما حقق لها أرباحاً طائلة على حساب البلاد المنتجة للبترول التي كانت تعاني من الفقر والتخلف والتبعية الاقتصادية والاستعمار السياسي والاحتلال العسكري .

وحتى الخمسينات كانت هذه الشركات الكبرى تتدخل في شئون البلاد العربية عن طريق نظام الامتيازات البترولية ، وكانت تفرض عليها ارادتها ومخططاتها وتتحكم في مصادر انتاجها وأسواق استهلاكها . دون أن تقابل بأية استراتيجية عربية تتخذ لمواجهة ما يتم من سلب ثروات البلاد العربية بأبخس الأثمان وباحتكار مطلق وسيطرة استعمارية مقنعة .

ولما بدأت حركات التحرر السياسي والاقتصادي في البلاد العربية ، وصحت الشعوب العربية على يقظة مما كانت فيه من نوم عميق ، سارعت البلاد العربية الى الوقوف في وجه نظام الامتيازات والتحرر منه . والانتقال الى مرحلة تملك ثرواتها البترولية والاستقلال عن التبعية الاقتصادية للشركات البترولية الاقتصادية ،

وبدأت نظام المشاركة في الانتاج ، والاقتسام في الأرباح ، والاستثمار لثرواتها البترولية لصالح شعوبها واجيالها المقبلة ، ولصالح تنمية اقتصادها وبناء إمكاناتها الصناعية . فتراجعت الشركات الاحتكارية عن الصور السابقة لاستغلال الثروات البترولية ، وبدأت في التخطيط بأسلوب آخر وصور حديثة للسيطرة والاحتكار على السوق العالمية للانتاج والتوزيع والتخزين للبترول ، وكان ذلك في صور حرب الأسعار وحرب الانتاج .

وان نظرة الى الأسعار التي كانت سائدة في نظام الامتيازات البترولية تدلنا على مدى ما كانت تتمتع به الشركات البترولية العالمية والدول التي تتبعها من تحقيق أرباح طائلة من وراء جلب الثروات البترولية من مناطق انتاجها في البلاد العربية . فلقد كانت هذه الشركات تدفع ثمناً ثابتاً لحكومة البلد العربي المنتج للبترول لا يتعدى ٤ شلنات للطن أي حوالي ٢٢ سنتاً للبرميل الواحد ، ولم تكن البلاد العربية قادرة على المطالبة برفع سعر البرميل أو محاولة التفاوض مع هذه الشركات من أجل زيادة حصتها من العائد المالي في ظل اتفاقيات الامتياز .

ولقد تغير الوضع في البلاد العربية المنتجة للبترول منذ الستينات حين تغير النظام القانوني لعقود البحث والتنقيب والانتاج للبترول . وبدأت الحكومات العربية تفرض شروطها في هذه العقود من حيث نسبة الأرباح التي تحصل عليها والتي أصبحت تزيد عن ٥٠٪ في معظم العقود ، كما أصبحت تشارك الشركات في اقتسام كميات النفط المنتجة ، بالاضافة الى الزام الشركات بدفع الضرائب والرسوم عن أعمالها وأنشطتها وأرباحها من عمليات البحث والانتاج مما كان يعني عودة السيادة العربية على ثرواتها ومناطق الانتاج البترولي ، وتم تملك معظم البلاد العربية لثرواتها البترولية ، وأصبحت تتحكم في عمليات الانتاج والتسويق بصفة تدريجية ، ثم أقامت الحكومات العربية المؤسسات والشركات البترولية الوطنية والتي دخلت شريكة في البحث والانتاج مع الشركات الأجنبية ، وساعدت على دخول البلاد العربية في صناعة البترول وتحقيق استقلالها وسيطرتها على مواردها البترولية بدرجة كبيرة .

وتحققت السيطرة العربية

ثم جاءت حرب رمضان (اكتوبر ١٩٧٣) لتحقق سيطرة الدول العربية على ثرواتها البترولية حين فرضت الحظر البترولي ، ثم بدأت بعد ذلك السعي الى تصحيح أسعار البترول لتعويض انخفاض القوة الشرائية للدولار الأمريكي — وهو وحدة التعامل النقدية في شراء البترول من الدول المنتجة — بسبب التضخم المستمر في الاقتصاد العالمي . ولقد طالبت الدول العربية المنتجة للبترول الشركات البترولية العالمية برفع أسعار شرائها للبترول المنتج منها ، إلا أن هذه الشركات رفضت الاستجابة مما دعا الدول المنتجة للبترول في منطقة الخليج العربي الى عقد اجتماع بالكويت في ١٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، أعلنت فيه من جانبها رفع أسعار نفطها بنسبة ٧٠٪ من الأسعار السائدة انذاك .

وفي اجتماع عقد في طهران بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩٧٣ قررت الدول البترولية رفع سعر برميل النفط المنتج من الخليج الى سعر ٥ دولاراً أمريكياً ، ثم توالت بعد ذلك خطوات رفع سعر البرميل في مقابل الارتفاع الهائل لأسعار المنتجات الصناعية والتضخم الخطير في الاقتصاد العالمي ، وبذلك حققت الدول المنتجة للنفط سيطرتها على سوق النفط العالمي وبدأت تتخلص تدريجياً من سيطرة واحتكار الشركات البترولية العالمية .

إلا أن ذلك لم يكن في تخطيط الدول الكبرى والشركات الكبرى ، التي لم تسكت عن هذه الطفرة في الأسعار وعن استمرار سيطرة الدول المنتجة للبترول على السوق العالمية وما تبع ذلك من حصولها على مقابل مناسب لبيع ثرواتها البترولية ليصبح دخلاً قومياً تستغله في خططها للتنمية والتطوير وتحقيق مصالح شعوبها واستقلالها الاقتصادي والسياسي والعسكري فبدأت هذه الدول وهذه الشركات في وضع استراتيجية واحدة تستطيع بها العودة الى السيطرة على الانتاج والأسعار . وقد تضمنت هذه الاستراتيجية شراء كميات كبيرة من النفط ، ثم تخزينها ، حتى جاءت اللحظة المناسبة فبدأت بالسحب من المخزون وتقليل الطلب على النفط في الوقت الذي زاد فيه العرض فظهرت الأزمة . ووجدت الدول المنتجة نفسها أمام تهديد خطير في انتاج وتسويق نفطها ، مما دعاها الى تخفيض أسعار برميل النفط ثم تخفيض سقف إنتاجها ، وبذلك بدأت سلسلة العودة الى الوراء ومحاربة الدول النفطية في مصدر دخلها الرئيسي وشريان حياتها الدائم ، بغرض تجريدها من عوامل قوتها ومصادر حياتها الاقتصادية ، وبالتالي إضعافها واهدار قوتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية .

ومن هنا ظهر الخطر الذي يهدد الدول العربية المنتجة للبترول وظهرت آثار المخطط المعادي الذي وضع للأمة العربية لسلبها أهم ثرواتها وعوامل قوتها ومصادر حياتها .

ملامح الاستراتيجية المطلوبة

وعلى ذلك فلقد ظهرت الحاجة الى الدعوة الى تبني استراتيجية بترولية عربية واحدة في مواجهة هذه المخططات التي بدأت بحرب الأسعار وحرب الانتاج .

واذا كان لنا أن نبين ملامح هذه الاستراتيجية ، فإننا نرى أن تشمل هذه الملامح ما يلي :

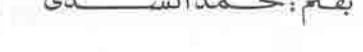
- الاتفاق العربي على سقف انتاج محدد يراعي فيه تحقيق التوازن بين المحافظة على الثروات البترولية العربية من النضوب ، والحصول على دخل قومي مناسب لتلبية الاحتياجات الاقتصادية للدول العربية وشعوبها .
- الاتفاق العربي على سياسة تسعير موحدة وذلك على المدى القصير والمدى الطويل ، لمواجهة المخطط المعادي الذي يهدف الى خفض الأسعار والعودة بها الى أسعار حقبة الستينات .
- التنسيق العربي الموحد داخل منظمة الأوبك ومنظمة الأوابك ومع الدول العربية غير الأعضاء في المنظمة والمنتجة للبترول .
- اتباع سياسة عربية موحدة في مواجهة الدول الصناعية الكبرى المنتجة والمستهلكة للبترول مما يحقق المصلحة العربية في انتاج وتصدير وتوزيع وتخزين المواد البترولية .
- الاتفاق على سياسة التكافل البترولي العربي بين الدول العربية المنتجة للبترول والدول العربية غير المنتجة للبترول ، وذلك من حيث توزيع الثروات البترولية ومنتجاتها وتحقيق الاكتفاء العربي الذاتي في موارد الطاقة والاستغناء عن اللجوء الى الدول الصناعية الكبرى في استيراد مصادر الطاقة قدر الامكان .
- تحقيق التنسيق والتعاون العربي في مجال صناعة المواد البترولية والبتروكيماوية وصناعة التكرير ، وغيرها من الصناعات المكملة لصناعات النفط والغاز ، وكذلك في مجال التخزين والنقل والاحتياطي البترولي للدول العربية .
- تحقيق التنسيق والتعاون العربي في مجالات انتاج مصادر الطاقة البديلة كالفحم والطاقة الشمسية والطاقة النووية وغيرها .
- الاتفاق العربي على سياسة بترولية عربية واحدة يتم اتخاذها في حالات الأزمات الدولية ، وبالنسبة للدول المعادية للأمة العربية والمساندة للصهيونية العالمية .

وختاماً فان الوقت قد حان للعمل بسرعة وبجدية في وضع الاستراتيجية البترولية العربية وتنفيذها من أجل المحافظة على ثرواتها البترولية واستغلالها لصالح شعوبها وأجيالها المقبلة ، ولضمان التصدي للمخططات المعادية التي تهدف الى تجريد الأمة العربية من عوامل قوتها ونهضتها ونموها واستقلالها .

محيي الدين علي عشماوي

إلى .. خليجية





اليك ... اليك ... وحدك – ايتها المسافرة في دمي أبداً .. ايتها النبعة الباردة في بيداء الجدب والظمأ : ايتها الوردة التي تلهمني الشفافية والصفاء ... وقصائد العشق .....

اليك ... وحدك ... – اكتب .. وارسم .. واغني وابوح باسراري ... وجراحاتي ... واشجاني الخافية وهزائمي الدامية ...

انك .. لا تعرفين حدود حبي ... ولا شواطىء بحاري ولهذا السبب احترق ... واتعذب وتظلين وشما في ذاكرتي ... واحلامي ...

يوم رأيتك ... صدفة .. بدأت أعد أيام عمري .... ألمس وجودى .... وأنسى ضياعى ....

مررت أمامي كسيف عربي ... فانتفضت واشتعلت ... ورحت أسأل بذهول عن هذه .. النجمة التي تتلألأ على الأرض ....

قالوا لي ... خليجية ... فارتعشت لأول مرة كغصن ياسمين حطت عليه العصافير وغرزت في ازهاره مناقيرها الحمراء .

قالوا لي ... خليجية ... فعرفت كم هو رائع هذا الخليج ... الثري بالعشق ... والشمس .. واللؤلؤ .. والمحار ... والعيون السوداء .

مررت من أمامي ... كنسمة صيف محملة بالعطر والندى .. والأغاني البحرية ... كنت بين اصابعي ... مشروع قصيدة ... عذرية .. ثم مررت لحظات .. تلفت بعد ... لم اجدك .... تلاشى الحلم ... طار العصفور الى الجزر البعيدة ....

سنة مرت .... وأخرى .... وأنا أذهب الى الخليج أسرح بصرى الى اللانهاية .... أحمل الرمل الذهبى الرطب بين اصابعي .... اقبله ... اشمه ... لعلي أجد فيه رائحة منك .... اثراً ... أو ذكرى .... مجرد ذكرى ....

أين أنت الآن .... ايتها السارقة مني عمري وهدوئي .... وتفكيري . ؟ ! . أين أنت .... ايتها الساحرة الصغيرة .. ؟ ! . في أي الجزر وفي أي الموانىء .... رست مراكبك الشرقية . ؟ ! .. وعلى أي الشواطىء تمشين .. فتسرع اليك الأمواج .... والنسمات .. وطيور البحر الجميلة .... لتقبل قدميك الحافيتين . ؟ !

خسرتك ... فخسرت ... كل شيء .. البسمة والعيون ... العاشقة .. وجدائل الضوء .. ولم يبق لي بعد رحلة الحب سوى الحيرة القاتلة .... والدهشة .. العنيفة .. وقصائد الشوق في دفاتري الملونة المحمومة الحروف ! ! ..

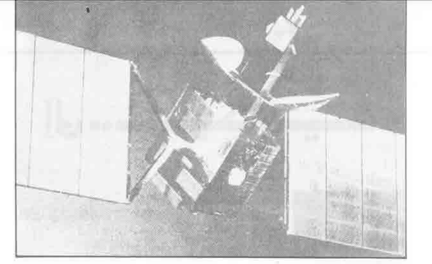
وها أنا في رحيل مستمر ... أسافر بلا زاد .... وبلا أمل لعلي اكرر الصدفة الأولى .. لعلي اعود وفي يدي العالم . لقد أصبحت كل شيء جميل في الوجود ... صرت بالنسبة لي الحياة والغد ... والأماني العذراء ....

في الوردة ابحث عنك .... وفي خيوط الشمس ... وضوء القمر .... وفي اللوحة الأنيقة .. وفي الغابات .. وفي خفقات القلوب الراعشة كجناح مكسور ....

قالوا انني مجنون ... « صويب » متيم .. يحب فتاه خليجية فاتنة .... مرت من امامه كالزوبعة .. كالخيال .... ذات يوم ....

قلت ... أنا فعلا كذلك .... رضيت بالجنون وبالحزن .... من أجل عينيك ... يا خليجية وما .. يهمنى بعد ذلك أن أكون ... أي شيء .... يازرقة البحر .... وعطر الخزامى ...... وبوح الصحراء . ! ! ..

الرياض



« عربسات » القمر الصناعي العربي .



القمر الصناعي العربي بين الحقائق والأوهام

بقلم : سعد لبيب

في الثامن من فبراير ١٩٨٥ انطلق أول قمر صناعي عربي ، ليقوم بدور هام في الاتصالات الفضائية بين الدول العربية . فهو يقدم خدمات تكنولوجية جديدة بطريقة ميسرة ، ويضع البلاد العربية على مشارف العصر ، ويفيد في عدة مجالات مهمة ثقافية وتربوية واعلامية .

ولقد بدأ الحديث عن استخدام قمر صناعي عربي بعد حرب حزيران (يونيه) عام ١٩٦٧ ، عندما انعقد مجلس وزراء الاعلام العرب في تونس . فقد قرر المجلس ضرورة التمشي مع روح العصر ، وأن يكون للمنطقة العربية قمر صناعي يتولى عملية الاتصال بين أقطارها المختلفة ، لدعم العمل الاعلامي العربي ..

شبكة اتصالات لحظية

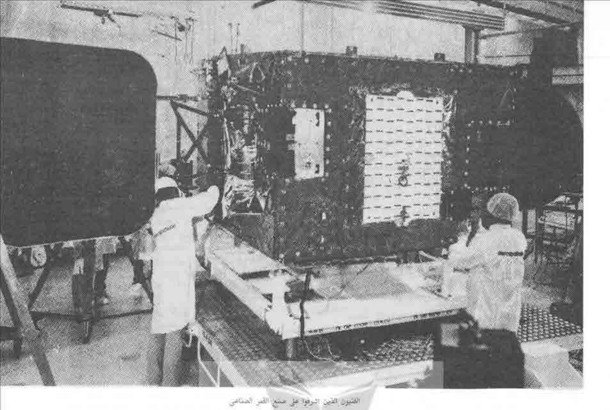
وفعلا بدأ العمل منذ ذلك التاريخ لتحويل الفكرة الى حقيقة واقعة . وانطلق أول قمر صناعي عربي ، وتبدأ شبكة الاتصالات العربية عملها خلال هذا الشهر . وبذلك تكون المنطقة العربية قد حصلت لأول مرة في تاريخها على شبكة اتصالية تربط بين أجزائها المختلفة من الغرب والشرق ومن الشمال والجنوب . وهي شبكة اتصالات آنية لحظية . تتيح الفرصة للمحادثة التليفونية ، كما تتيح الفرصة للتبادل التليفزيوني الآني . ونقل الأحداث ساعة وقوعها في أى منطقة من المناطق العربية الى محطات التليفزيون المختلفة في الوطن العربي ..

وفي الوقت نفسه فإن هذه الشبكة تتيح فرصاً أخرى تتعلق بالاستخدامات في مجال الاذاعة ، والمعلومات في مجال وكالات الأنباء والصحافة وغيرها . وهذا كله يجعلنا نقف أمام مسئولية ضخمة ، هي مسئولية مسايرة هذا العصر : عصر الفضاء . فهو يحمل تكنولوجية أكثر تقدماً . وعلينا أن نسايرها ، ونكون على مستواها من جميع النواحي ..

والحقيقة أن الشبكة الفضائية العربية هي أول شبكة إقليمية في العالم . اذ أن هناك مجموعة شبكات دولية تؤدى دورها بالنسبة للعديد من الدول . من هذه الشبكات الدولية شبكة « انتلفات » ومقرها الولايات المتحدة الأمريكية ، ويشترك فيها الكثير من دول العالم من الشرق والغرب على حد سواء . وهناك شبكة « انتلسبوتنك » القائمة في الكتلة الشرقية ، وهي أيضاً تؤدى خدماتها للشرق والغرب ولأى مكان في العالم ..

والى جانب هذه الشبكات توجد أقمار وطنية تخدم فقط في اطار الدولة الموجودة بها . منها قمر لاندونسيا يربط بين أجزائها المختلفة ، فهي عبارة عن مجموعة من الجزر كثيرة العدد ، ولا سبيل للربط بينها الا عن طريق الأقمار الصناعية . ومثله أيضاً القمر الخاص باليابان لنفس الظروف الجغرافية . وهناك مشروعات مماثلة لاقامة أقمار كثيرة أخرى .. وهي تختلف عن أقمار الاتصالات ومنها القمر الصناعي العربي ..

هذه الأقمار الأخيرة تتيح الفرصة للتعامل والاتصال بين الناس بعضهم البعض . لكن الى جانبها توجد أقمار فضائية أخرى لا تستخدم



الفنيون الذين اشرفوا على صنع القمر الصناعي

لأغراض الاتصالات ، وانما للحصول على معلومات عسكرية كالاستشعار عن بعد ، ومعرفة ماذا في باطن الأرض . وهناك كذلك أقمار للاتصالات البحرية ، وأخرى للاتصالات بين الطائرات وبعضها البعض وبينها وبين قواعدها الجوية ولذلك فإنه يوجد في الفضاء الآن عدد من الأقمار المختلفة يزيد على ثلاثة آلاف قمر صناعي ..

• شبكة اتصالات تتيح نقل الأحداث ساعة وقوعها الى كل تليفزيونات المنطقة العربية

• الشبكة الفضائية العربية أول شبكة اقليمية في العالم وهي تمتاز بتطورها العلمي

• القمر الصناعي العربي للتوزيع وليس للبث المباشر ويحتوى على ٨ آلاف دائرة تليفزيونية و٧ قنوات ..

مجموعة خصائص

وفيما يتصل بأقمار الاتصالات والقمر الصناعي العربي بالتحديد فإن له مجموعة من الخصائص . فهو يملك شبكة فضائية تمتاز بأنها متطورة عن كل الشبكات الأخرى ، حتى الشبكات الدولية . اذ أن هذه الشبكة العربية استفادت من التطور التكنولوجي الذي حدث في العالم أخيراً . وبالتالي فإن الاشارات التي أعطيت للقمر من القوة بحيث أن المحطات الأرضية التي تستقبل هذه الاشارات ليست كبيرة الحجم على النحو المستخدم في الشبكات الدولية . فان القطر الهوائي في هذه الشبكات الدولية يصل الى ثلاثة وثلاثين متراً . في حين أن المحطات الأرضية وهي أرخص كثيراً لا يصل قطرها الهوائي الى أكثر من أحد عشر متراً . ويضاف الى ذلك أيضاً جودة الصوت والصورة ..

وتتميز الخدمة على القمر الصناعي العربي من الناحية التكنولوجية أيضاً . فقد استفادت من التجارب السابقة . وللعلم فان القمر العربي هو للتوزيع وليس للبث المباشر . ومن المهم التفرقة بين هذا وذاك . اذ أن البعض يخلط بين أقمار التوزيع وأقمار الاتصال المباشر . ومن هنا تصور الكثيرون أن القمر الصناعي العربي سيتيح الفرصة لأي مشاهد أن يضع إصبعه على مفتاح التليفزيون فيشاهد وهو في أي جزء من الوطن العربي البرامج التي تبثها انجلترا أو فرنسا . بل ان الكثيرين تصوروا أيضاً أنه من الممكن للقمر الصناعي العربي أن ينقل أي حدث يريده من مكان الى آخر مباشرة دون المرور على محطة التليفزيون نفسها ..

ليس للبث المباشر

لكن الحقيقة غير ذلك تماماً . فالقمر الصناعي العربي ليس وسيلة للبث المباشر . انما هناك أقمار الآن تحت التصنيع ، وستبدأ عملها في البث المباشر بعد فترة قصيرة . وكمثال لها القمر الصناعي الأوربي الذي يستعد للعمل خلال هذا العام . انه يبث برامجه بثاً مباشراً دون الرجوع الى المحطات الموجودة بأوربا الغربية كلها . كما أن

القمر الصناعي العربي بين الحقائق والأوهام

هناك قناة تليفزيونية مضافة الى القنوات الموجودة في أوربا الغربية ستبث مباشرة الى البيوت . وسيتم هذا بإضافة معدات صغيرة جداً وبسيطة ورخيصة الى الأجهزة الموجودة في البيوت . وهناك كذلك قمر ستطلقه بريطانيا سيعتمد أيضاً على البث المباشر ، بالاضافة الى الخدمات التي سيقدمها قمر ايطالى سيطلق أيضاً عام ١٩٨٦ . وسوف يغطى القمر الأوربى جزءاً من شمال أفريقيا ، وسوف تلتقط كافة الدول العربية في هذه المنطقة الاشارات الصادرة عنه بطريقة تتراوح في الوضوح بين دولة وأخرى . كما ستلتقط هذه الدول أيضاً القمر الصناعى الايطالى ..

ولسوف يقوم القمر الصناعى العربى بالتوزيع فقط بين محطات التليفزيون وبعضها البعض . وعندئذ فان الإشارة تنتقل من القمر الى المحطات الأرضية ، ثم من المحطة الأرضية الى التليفزيون . وفي هذه الحالة فان التليفزيون حر في أن يذيع أو لا يذيع ما يتلقاه . اذ أن هذه المسألة تخضع بطبيعة الحال لترتيبات مسبقة ، بل وتخضع للصدفة المطلقة . وهكذا فان قمر الاتصالات العربى ليس فقط للتليفزيون ، بل ان التليفزيون يقتطع فقط جانباً من نشاطه ، هو جانب بسيط . اذ أن الأصل في هذا القمر أنه يقدم الخدمات اللاسلكية المتمثلة في التليفون والتلكس ، وخدمات المعلومات وغيرها .

آلاف الدوائر

ان هناك في القمر الصناعى العربى ثمانية آلاف دائرة تليفزيونية ، تضاف اليها سبع قنوات تليفزيونية ، وهناك كذلك قناة تسمى القناة الجماعية ، وهى استثناء من القاعدة ، بمعنى أنها هى التى توزع مباشرة من القمر الى الجمهور . ولكن ليس كل الجمهور المتجمع حول محطات أرضية صغيرة يبلغ طول الهوائى فيها حوالى متر ونصف المتر تقريبا . وبالتالى فإن هذه القناة تصلح للأماكن البعيدة المنعزلة . ولأنها تدار بالطاقة الشمسية فمن الممكن توزيع بثها في هذه الأماكن البعيدة التى لاترتبط بالشبكات الأخرى ..

ومن الضرورى التأكيد على أن القمر الصناعى العربى لا يتعارض مع الخدمات الدولية . فستظل الدول العربية مرتبطة بالشبكات الدولية ، ولن يكون القمر العربى بديلا عنها . لأننا لكى نتصل بأى إنسان أو بأى محطة خارج المنطقة العربية ، لابد أن نعتمد على هذه الشبكات الدولية . وهناك اتفاق وتعاون بين الشبكة العربية والشبكات الدولية في هذا المضمار ..

وبهذه المناسبة فإن الشبكة الفضائية العربية عبارة عن قطاعين أساسيين : الأول هو القطاع الفضائى ، والثانى هو القطاع الأرضى . فأما القطاع الفضائى فهو عبارة عن ثلاثة أقمار صناعية وليست قمراً واحداً . ويعتبر القمر الأول هو الأصلى والذى أطلق خلال الشهر الماضى . والحكمة من وجود أقمار أخرى هو أنه لابد للقمر الأصلى من آخر احتياطى في حالة فشل الاتصالات أو وجود عيوب في القمر الأصلى كحدوث عطل مفاجيء في أى جزء من أجزائه . أما القمر الثالث فهو موجود على الأرض في حالة تعطل أى من القمرين الموجودين في الفضاء ..

محطة التحكم

كل هذه الأقمار الصناعية تم تصنيعها ويبقى اطلاق الثانى والثالث . وقد أطلق الأول الصاروخ الاوروبى المسمى «ايريان» ، وهو الذى نجح في عدة اطلاقات من قبل . أما القمر الثانى فسيطلقه مكوك الفضاء الأمريكى ، لكن بعد فشل هذا المكوك مرتين في الفترة الأخيرة ، فإنه يعاد النظر في استخدامه . ومن ثم استخدام صاروخ عادى من أمريكا أيضاً . أما القطاع الأرضى فيتشكل من محطة تحكم رئيسية موجودة في مدينة الرياض ، وهى تتحكم في القمر وتوجيهه ، لكى لا يخرج عن مداره المفروض . اذ أن القمر موجود في مدار معين فوق خط الاستواء ١٩ على خط طول ١٩ درجة شرقاً . والمفروض ألا يخرج عن هذا المدار على الاطلاق ، وأن يظل متوازناً من الناحية التكنولوجية ، لكى يعطى اشاراته للمحطات الأرضية الأخرى . ولكل قمر محطاته الأرضية الخاصة به ..

وبالنسبة للمحطات الأرضية الخاصة بالقمر الصناعى العربى فهى مرتبطة بعدد من الشبكات الدولية ، مرتبطة بقمر المحيط الهندى وقمر المحيط الأطلسى التابعين للشبكة الدولية . ولكن لا نستطيع استخدام هذه المحطات الأرضية في القمر العربى . اذ لابد أن تقام له محطات خاصة تتحكم في توجيهه . وهناك كما قلت محطة أصلية في الرياض ، لكن لابد لها من محطة مساندة في حالة فشلها في التوجيه . وهذه المحطة المساندة ستكون موجودة في تونس ، وسيبدأ تشغيلها في شهر أكتوبر أو قبله بقليل ..

كذلك لابد من وجود محطة سيطرة تتحكم في تلبية الخدمات المطلوبة وتوزيعها وتنسق بينها ، وستكون هذه المحطة أيضاً في الرياض . وبهذه المناسبة فإن الرياض هى مقر المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية . ومن الضرورى التأكيد على أن أهم شيء في القطاع الأرضى هى المحطات الأرضية التى ترسل الى القمر وتستقبل منه . هذه المحطات ستقام تباعاً في الأقطار العربية المختلفة ، ويتم التعاقد عليها . وقد بدأ تصنيع بعضها بالفعل . بل ان المفروض أنها انتهت قبل اطلاق القمر ، والا يظل القمر معزولا عن الفضاء . وبالمناسبة فإن أى تعطيل في انشاء المحطات الأرضية معناه تعطيل عن الاتصال بالقمر ، ومن ثم يظل القمر بلا خدمة على وجه الاطلاق . ونرجو ألا يحدث ذلك .

استخدامات متعددة

ولقد بدأ بالفعل وبشكل تجريبى تشغيل الشبكة في الشهر الماضى ، ومن المؤكد أن الاستخدامات التى توفرها هذه الشبكة الفضائية متعددة . ويأتى في مقدمتها الاتصالات الخاصة بالتليفون والتلكس وغيرها . ولابد من الإشارة هنا الى أن نقل المعلومات بين مراكز المعلومات المختلفة لا يتم عن طريق قناة تليفزيونية . وانما عن طريق مجموعة من خطوط التليفون . وهى تركب بطريقة معينة وتضاف اليها معدات خاصة . وبهذه الطريقة يمكن نقل المعلومات والصور أيضاً . وبعض الصحف الآن تطبع في مكانين أو ثلاثة في وقت واحد . بل ان صحيفة مثل الشرق الأوسط تطبع في جدة وفي لندن في نفس الوقت . اذ تصور الصفحة وتنقل الصورة بالأقمار الصناعية بواسطة عدد من الخطوط التليفونية وبعض الأجهزة الخاصة ..

وفي هذا المجال يمكن الإشارة الى تجربة رائدة في الجزائر . فقد كانت هى الدولة العربية الأولى التى استطاعت منذ مدة طويلة أن تستخدم تكنولوجيا الفضاء . اذ استأجرت قناة قمرية من شبكة الانتلسات الدولية ، لنقل صور صفحات صحيفة المجاهد بين المدن الجزائرية وطبعها واصدارها في نفس الوقت في هذه المدن مجتمعة .

وكان هذا حلا مثالياً لتفادى متاعب النقل باللوريات والسكك الحديدية والطائرات . ولقد استأجرت المملكة العربية السعودية هى الأخرى قناة تليفزيونية ، وكذلك فعلت سلطنة عمان ، والسودان . وبطبيعة الحال فإن القمر الصناعى العربى سوف يوفر الخدمة المطلوبة لكافة الدول العربية بطريقة أكثر كفاءة من الطريقة التى توفرها الشبكات الدولية . وهذا يتضح على وجه الخصوص اذا ماعلمنا أن هذه الشبكات تؤدى معظم خدماتها لهذه الدول عن طريق الأقمار الاحتياطية لا الأصلية ، وهى تكون معرضة باستمرار للتعطل أو

التوقف . أما خدمات القمر الصناعي العربي فلأنها محدودة بحدود المنطقة العربية ، فلن يكون هناك ضغط كبير عليه ، وبالتالي ستؤدي الخدمات عن طريق القمر الأرضي لا الاحتياطي ..

دراسات الاتحاد

ونود أن نشير في هذا الحديث عن القمر الصناعي الى أن اتحاد الاذاعات العربية كان قد بنى قضية ضرورة الاعتماد العربي على الاتصالات الفضائية . وكان ذلك في الجمعية الأولى للاتحاد بالخرطوم في فبراير ١٩٦٩ . وكان هدف الاتحاد أن نتصل ببعضنا البعض ، ونتبادل البرامج الإذاعية والتليفزيونية ، كما نتبادل الخبرة أيضاً ، بدلا من الاعتماد في الاتصالات بيننا على مراكز في الغرب أو أمريكا . ولقد بدأ الاتحاد منذ ذلك الوقت في اجراء مجموعة من الدراسات حول الموضوع ، واستعان باليونسكو وبخبرات دولية معنية ، وعقد مجموعة من المؤتمرات التي خرجت بصورة محددة .

وفيما يتصل بالقمر الصناعي العربي فإن الاتحاد ومنذ أن وصل الى تحديد معين بالنسبة له ، كان يرى أنه لابد أن يكون وسيلة للتبادل التلفزيوني الاخباري . اذ أننا يجب أن نعرف أخبار بعضنا الآخر أولا بأول . وأن يكون الهدف تعريف الأقطار العربية والشعوب العربية ببعضها البعض . وهذه قضية أساسية . وهنا ينبغي أن يتم التعريف المطلوب دون وسيط ، أي بشكل مباشر من المصدر الى المستقبل . والى جانب هذا فإن القمر الصناعي العربي يجب أن يستخدم في دعم الخدمات التليفزيونية وطنياً ومحلياً . اذ أن الشبكة التليفزيونية يجب ألا تقتصر على المدن الكبيرة ، وإنما ينبغي أن تمد خدماتها الى المناطق النائية . اذ أن هذه المناطق هي الأكثر احتياجاً للخدمة الاعلامية والثقافية ، من غيرها . والى جانب ذلك يجب أن توظف هذه الخدمة في تبادل البرامج بين التليفزيونات العربية بعضها والبعض الآخر .

وأخيراً فلقد وجدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في القمر الصناعي العربي وسيلة ثقافية مهمة ، لتوصيل الخدمات التربوية لمن يحتاجها في الأماكن البعيدة ، وفي الأقطار العربية المختلفة ، وهذه خطوة هامة في مجال توحيد الفكر التربوي بين هذه الأقطار ، تضاف الى المؤتمرات والكتب والمناهج والاستعانة بالمدرسين من هذا القطر أو ذاك ، بل ان هذه الخطوة سوف تكون أكثر تأثيراً وأعمق نفعاً من أية وسيلة أخرى في هذا المضمار الهام ..

سعد لبيب

تأمُّلات

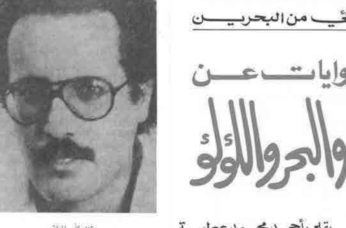
شعر: محمد التهامي



قِفْ يا زمانُ إلامَ أنتَ تدورُ ؟ … فتمرُّ أعْـوامٌ بِنَـا وَدُهُورُ ؟
حتَّـامَ تأتِينا بكُلِّ جديدةٍ … كالسَّـابِقاتِ وَمَابها تَغْييرُ ؟
إنَّا سَئِمنا العيشَ في كَنَفِ الأذى … دهراً وكَـدَّرَ عَيْشَـنا التأخيرُ
أتدورُ بالدنيا فترفعُ أهلَهَـا … وتفـوتُ شَعْبًا بالعلاءِ جَديرُ ؟
أنسيتَ أنَّكَ ناشِيءٌ في مَهْدِنـا … والمَجْدُ كانَ لَنـا وأنْتَ صَغِيرُ ؟

طَافتْ بِنَا الأيامُ تَحْكِي نَصْرَنا … الماضِي ، فَيَبكِي يومُنـا المقهورُ
ما أيسَرَ الأقوالَ : إنَّا أمـةٌ … نَامتْ ، وأقْـوالُ العُـداةِ كَثيرُ
لَكِن أرادَ اللهُ ، أن نُرْمَى بِمَنْ … قَتلوا الشُّموسَ ، فَغابَ عنَّا النورُ
يَسْعَى إلينا الفَجْـرَ ، لَا نَحْظَى بِهِ … فالفَجْرُ في البَلَدِ الشَّقِيِّ ضَرِيرُ
مِنْ بعضِ أهْلِينا ، وكُلُّ عُداتِنَا … قَيْدٌ على خُطُواتِنا مَقْدُورُ
مِنْ بَينِ أيْدينا ، وخلْفَ ظُهُورِنَـا … سدٌّ يُردُّ ، وخَنْدَقٌ مَحْفُـورُ
تشتدُّ ، نرْتَادُ الطَّرِيقَ فيلْتَـوِى … ويُعيدُنـا لِمكانِنَـا وَيَـدُورُ
ونَسيرُ ـ سَيْرَ الواقفِينَ ـ فَنَكْتَوِى … تَعباً ، ونَحْسَبُ أنَّ ذاكَ مَسيرُ
نَهْتَزُّ في عَرْضِ الطَّرِيقِ .. يَرُدُّنا … لمَّا نَهمُّ إلى التَّقُدمِ سُورُ
وكأنَّنا أسْرَى الكـواسِرِ أرْغِمَتْ … فَتدورُ في أقْفَاصِهَـا وتَثُـورُ

فَرَضُوا علَيْنا الحربَ وهْيَ خَديعةٌ … يجتاحنا مِنْهَا لَظَىً وسَـعيرُ
نَحنُ الوَقودُ ، وَهُمْ جميعًا خَلْفَها … بَعْضٌ يَبِينُ ، وبعضُهُمْ مَسْتُورُ
تَعْدُو عَلَيْنا السَّافِيـاتُ بِنَارِها … ويَصُولُ فِينا العَالَمُ المَسْعُورُ
والكُلُّ يَنْصَحُ بالعـداءِ ، فَشامِتٌ … أوْ لائِمٌ ، أوْ مُعْتَدٍ ومُغِيرُ



عبد الله خليفة

عبد الله خليفة .. روائي من البحرين

ثلاث روايات عن عالم الغوص والبحر واللؤلؤ

بقلم : أحمد محمد عطية

يعد عقد الثمانينات بمثابة عقد الرواية فى البحرين ، فقبل هذا العقد لم يعرف الأدب العربى فى البحرين سوى الشعر والقصة القصيرة والمقالة الأدبية ، وذلك بالإضافة الى فن المسرح .. وما إن أطل عقد الثمانينات حتى أخذت الرواية البحرينية فى الظهور ، فصدرت رواية « الجذوة » فى عام ١٩٨١ لمحمد عبد الملك ، رائد القصة الواقعية القصيرة فى البحرين ، وفى السنوات التالية تتابع صدور الأعمال الروائية التالية للقاص البحرينى عبد الله خليفة : « اللآلىء » (١٩٨٢) ، « القرصان والمدينة » (١٩٨٢) ، و « الهيرات » (١٩٨٣) ، ورواية « أغنية ألف صاد » لأمين صالح ، ورواية « الحصار » للقاصة البحرينية فوزية رشيد .

لعلنا نلاحظ بروز إسم عبد الله خليفة فى الانتاج الروائى البحرينى لاصداره ثلاث روايات تمثل نصف النتاج الروائى الصادر حتى اليوم فى البحرين . كما أن جميع روائيى البحرين دلفوا الى الرواية من باب القصة القصيرة ، فكلهم بدأوا حياتهم الأدبية بها ، ومن ثم ظلت القصة القصيرة تطبع أعمالهم الروائية ببنيتها وقالبها ، وبعضهم لم يتجاوز بروايته بنية القصة القصيرة والأقصوصة .. فتطويل الصفحات لا يجعل من القصة القصيرة رواية ، ولكن للرواية قالبها وشكلها وشروطها . فهى أعمال تفتقد الزمن الروائى بقدر ما تفتقر الى رسم الشخصيات والترابط والتضافر بينها وبين الأحداث النامية والمتطورة . وهى من هنات البدايات المعتادة فى كل فن أدبى .

الواقعية والمعايشة

وعبد الله خليفة قصاص وروائى وكاتب صحفى عربى من البحرين . وهو كاتب غزير الانتاج ، أصدر مجموعتين قصصيتين : « لحن الشتاء » ، و « الرمل والياسمين » ، وثلاث روايات هى : « اللآلىء » ، « القرصان والمدينة » ، و « الهيرات » ، وتتميز أعماله بالواقعية ومعايشة تجارب الواقع وبعالمه التسجيلى . عالم الغوص والبحر واللؤلؤ ..

ولقد حدثنى عبد الله خليفة عن تجربته القصصية والروائية قائلا فى رده على سؤال لى حول هذه التجربة : « لقد بدأت محاولات الكتابة القصصية منذ سنة ١٩٦٦ ، وقد نشرت عشرات القصص والمقالات الأدبية منذ تلك السنة . ومنذ البداية كانت تسكننى هموم وطنى وآماله ، وقد عبرت عنها حسب تجربتى الأدبية والفكرية ، حيث كنت أتوجه الى الفكرة والحدث بوضوح وبلا مواربة . وقد حاولت استيعاب فن القصة وبعد هذه الفترة رحت أتأمل التجربة بشكل أكثر عمقاً واستيعاباً ، كما أنى حصلت على تجارب كثيرة ومختلفة حياتيا ، استطعت من خلالها الاقتراب من الواقع بشكل أكثر حميمية . ولهذا صارت القصص حسب رأيى أكثر اتساعاً وإحاطة بالحياة ، كما أن هذا الاتساع والإحاطة مهدت لعملية الكتابة الروائية ، فمنذ أن يعدد الكاتب شخصياته ويقوم بتعميقها ويشكل فصولا فى قصته القصيرة ، حتى يبدأ فى طرق أبواب الرواية . وقد كتبت قبل روايتى الأولى « اللآلىء » ثلاث روايات قصيرة لم أقم بنشرها ، كنت أتجه فيها الى الغرابة ، واستحداث أجواء عجيبة ولكنى مع الاهتمام بموضوعات شعبية أخذت أقترب من الرواية ، وبدأت ملامح الأشخاص فى الظهور ، كما أخذ واقعهم الذى يعيشون فيه بالتبلور شيئا فشيئا . وقد دفعنى هذا الى محاولة السيطرة على الصراع الروائى ووحدته وعملية تطويره » . (جريدة « أخبار الخليج » ، البحرين ، عدد ١٩٨٢/١٠/٢٩) .

اللآلیء .. وعالم الغوص

فی روایته الأولی «اللآلیء» یلجأ عبد الله خلیفة الی عالم الغوص من أجل اللؤلؤ وعالم البحر الذی یمثل تراثاً حیاً لم یزل ماثلا فی ذاکرة البحرین. فتستهل روایة «اللآلیء» بتصویر حادث موت الغواص «مطر» الذی أصر النواخذا (الربان صاحب السفینة) علی نزوله الی البحر للغوص بحثا عن اللؤلؤ بالرغم من تفجر أذنه بالمرض. وخلال صفحات الروایة القصیرة (۱۲۳ صفحة) یمضی عبد الله خلیفة فی رصد الصور التسجیلیة لعملیات الغوص وعلاقات الاستغلال بین صاحب السفینة والبحارة والغواصین. فیغوص عبد الله خلیفة فی «باطن» الشخصیات لیغترف صور المعاناة من ماضیها وحاضرها، ویطلق العنان للمونولوج الداخلی وتیار الوعي للتنقل بین الشخصیات والأمکنة، ویمزج الواقع بالحلم فیأتی حدیثه کخبیر وفنان مبدع لعالم الغوص والبحر.

ویتجسد هذا فی شخصیة «مطر» الغواص العجوز الذی أصیبت أذنه وتفجرت بالدم، وحاول زملاؤه مع النوخذا کي یعفیه من الغوص، ولکنه أصر علی مواصلته الغوص، وعبثاً حاولوا إقناعه بکفایة اللؤلؤ المصطاد، ولکنه أصر علی نزول الغواص «مطر» الی قاع البحر، فکانت النتیجة أن انفجرت أذناه بالدم وتوفی.

هکذا یصور عبد الله خلیفة عمل الغواص بصورة تقربه من السخرة، فهو لا یملك الخلاص من قیود العمل ومن أسر النوخذا حتی یلقی حتفه فی البحر. وبالمقابل تعهد الأم بولدها للنوخذا، حتی یلج عالم الغوص والبحر، بدلاً من الأب المریض العاجز عن العمل بالغوص سداداً لدیون أبیه، فالدین هو القید الذی یظل یشد أعناق الغواصین الی أصحاب السفن.

ویصور الروائی عبد الله خلیفة بدایة رحلة الصغیر تصویراً مأساویاً قائلا: «نم أیها الصغیر. ستنام قرب أبیك العاجز بعد أیام. وأنت أیها القمر لا توقظه، فهذه الوشوشات التی تسمعها غزل یوجهه البحارة الی نسائهم فی الأحلام، هذه السعلات بقایا أنصال النهار. لا توقظهم. لکن حتی لو اردت لن تستطیع. یخطو بینهم. جثث. جثث. ماتت الحکایات والکلمات، وأثر الدم هنا. لم یغسلوه جیداً، والمحار ینتظر هنا. تتسرب أشعة القمر فیه فتبیض. من منکن ستحمل أولا؟ جثث أخری. أغلبها. کلها، فی مقبرة الماء». (ص ۱۸).

ویخوض الصغیر مع الرجال رحلة السفینة وصراعها مع الأمواج والریاح والأعاصیر: «اندفعت موجة هائلة نحوهم. إرتفعت السفینة نحو السماء وهبطت بعنف نحو القاع. وقبل أن یتفوه بشيء لاحقتها موجة أخری ورکلتها رکلة عنیفة فی الخاصرة، وسمعوا الصاری یتقلقل، وترنح بحار فی جوف الوحش، وانهار لوح علی رجل یتشبث فی المؤخرة» (ص ۲٦).

وهذه صورة أخری لمعاناة الرجال فی الغوص والبحر: «أین الرجال؟ انهم قطع خشبیة تطفو فی محیط صاخب ضار. فهل تستطیع إمساك جذوره؟ أین الرجال وهم ینهارون فی قبضة العملاق ویتفتتون کرمل یابس؟ تقدم اذا بغیت الهلاك. أین الرجال وهم یبحثون عن جحور یختبئون فیها؟ الدفة قطعة خشب کعصا معلم أعمی. الرجال والدفة والظلام واللآلیء، والموت بانفجار الرأس. والمراقبة طوال النهار، والرکض حین تولد اللؤلؤة، والسیاط علی ظهور الرجال، والدم الذی یتسرب واهنا .. نقطة نقطة، وأکوام المحار وأین الرجال وأحلام الآلات والدخان والحرائق. تعال الآن لیخرس هذا الفم الی الأبد. تعال لتزرع عظامك فوق هذه الصخرة الشیطانیة». (ص ۲۷ و ۲۸).

تتحطم السفینة ولکن النوخذا یحتفظ بحزام اللآلیء وینتظر علی الشاطیء المهجور بینما أخذ الرجال فی التنقیب عن الماء والطعام والأسماك الصغیرة فی البحر. فالماء یأتی من نبع فی البحر، وهذه إحدی خصائص البحرین الفریدة. وأحصی النوخذا خسائر الرحلة فی الرجال فجاءت ثلاثة من بینهم الصبی. وقبعوا علی رمال الشاطیء المهجور ینتظرون النجدة ویحتمون من البرد. وتجوس کلمات الکاتب لتغترف من باطن الشخصیات حکایاتهم وأشواقهم للأهل والزوجات. ثم یعارك الرجال الصحراء برمالها وشمسها عملا علی الوصول الی میناء ینقذهم من الهلاك جوعاً فی هذا الشاطیء المقفر بقیادة الربان أو النوخذا الجدید من زملائهم الذی یحمل اللآلیء والنقود. فی حین یتحدث الجمیع عن اللؤلؤ الضائع وعن المیاه الآخذة فی النضوب.

وفی رحلة الصحراء الطویلة یواجهون المتاعب أیضاً مع الریاح والعواصف الرملیة والعطش، ویختنق أحد الرجال فی دوامة العاصفة الرملیة. کما یفقد الرجال اللآلیء ویأخذون فی البحث عنها بالحفر فی الرمل والتراب حتی یعثروا علیها حیث وقعت. ویدور صراع حول امتلاك اللآلیء وانتزاعها من الربان، ویهدد الربان بالسجن لکل من یقدم علی انتزاعها منه، ویهدأ الصراع حول اللآلیء بعد تدخل العقلاء من الرجال. ویجعل الرجال هدفهم الأول هو الوصول الی شاطیء الأهل والأحباب والبیت، وهکذا واصلوا رحلتهم الشاقة، وتثور بینهم المعارك الصغیرة حول الشرب من قربة الماء الوحیدة، بینما هم یمضون فی السیر مع آلام الجوع والعطش.

وتستغرق الروایة صفحات طویلة متعددة فی الوصف الخارجی السطحی للرحلة والصحراء والرجال والجوع والعطش واقتسام قطرات الماء والأسماك الصغیرة القلیلة والشوق للوصول الی الهدف فی الشاطیء الآخر حیث البیت والأهل والزوجات والأمان والطعام، ویفقد الرجال أحدهم موتا فیوارون جثته الرمال. ویطیل الکاتب فی وصف الموت والدفن، ویضیع رجل آخر وینفد الماء. غیر أنهم یصلون الی أماکن حیة ببعض الرحالة حیث یجدون التمر والخبز والماء. وبینما هم فرحون بالنجاة ویفکرون فی اقتسام اللآلیء، یفاجأون بالرحالة یطالبونهم باللآلیء ثمناً للنجاة والنجدة والإنقاذ. ویخوض الرحالة معرکة تفتیش عنیفة مع البحارة بحثاً عن اللآلیء ویلجأون الی الضرب والجلد حتی یعثروا علیها. ومن ثم یبدأ الرجال رحلة العودة.

وتبدو فی هذه الروایة الأولی لعبد الله خلیفة (اللآلیء) کل مآخذ البدایات، فهی تفتقر الی الشمولیة فی الرؤیة بقدر ما تفتقد الشخصیات المنفردة المتمیزة. فشخصیاتها مسطحة موصوفة من الخارج. وهی تعتمد علی السرد المباشر والوصف الخارجی، وهی تضم فصولا جیدة فی بدایتها، تلك التی تصور عالم الغوص والبحر بخبرة وعمق، ولکنها مفککة غیر مترابطة سواء فی الأحداث أو الشخصیات. وهی تستغرق صفحات طویلة من الوصف الخارجی للشخصیات والطبیعة والبحر والصحراء، وهی صفحات جمیلة لغویاً کصفحات موضوعات الانشاء، غیر أنها تشکل حشواً فی بناء روایة «اللآلیء» القصیرة. (۱۲۳ صفحة قطع متوسط).

القرصان والمدینة

.. شخصیات مبهمة

ویبلغ التفکك أقصی مداه فی روایة عبد الله خلیفة الثانیة «القرصان والمدینة» (۸۸ صفحة)، فلا یوجد فیها قرصان ولا مدینة، کما لا توجد شخصیات حیة من لحم ودم. ولکن ثمة حواریات ومونولوجات وأوصاف تتری وتتابع دون ربط أو ضبط، وشخصیات مبهمة تظهر وتختفی دون مبرر فنی أو موضوعی، تتذکر أعمالها ومعاناتها وماضیها، فی فوضی من تیار الوعی غیر المنضبط. فهی ذکریات وأحادیث تختلط فی اضطراب لا یجمعها خیط واحد ولا تلتقی فی شيء. بل حتی الخبرة المتوهجة بعالم الغوص والبحر، التی طالعناها فی روایته الأولی «اللآلیء»، تتقلص وتختفی فی هذه الروایة،

ثلاث روايات عن

عالم الغوص والبحر واللؤلؤ



غلاف رواية « اللآلىء »



غلاف رواية « الهيرات »

غلاف رواية « القرصان والمدينة »

ويحل محلها هذا الانشاء التجريدى الذى لا يوحى بشىء ولا يصرح بشىء ولا ينبىء عن شىء ، سوى صفحات ممتلئة بأوصاف عامة غير موظفة لخدمة شخصية أو فكرة أو بناء روائى أو حدث ، فلا شىء يحدث فى هذا الركام من الثرثرة الكلامية .

وفى آخر الرواية يلصق الكاتب بعض الصفحات ويكتب عنها أنها « فصل من رواية كامل مذكرات القرصان العجوز » . وفيها حديث عن ضابط برتبة « ميجر » يتهم شخصاً آخر بأنه قرصان : ولا نعرف أول الحكاية من آخرها . انما هى مقصوصات أشبه بألعاب « القص واللصق » التى يمارسها التلاميذ فى كراساتهم . وخلال ذلك يدفع بفقرات وجمل عن السجن أو التعذيب أو الاضراب أو البحارة بلا ضابط ولا رابط . بل فوضى فى الكتابة ، وخواطر تلصق بلا معمار فنى أو خيط واضح .



الهيرات .. والمواقف الواقعية

غير أن عبد الله خليفة يتقدم فى مسيرته الروائية بروايته الثالثة « الهيرات » : والهيرات هى مغاصات اللؤلؤ . ويبدو عبد الله خليفة فى أفضل كتاباته وحالاته عندما يقترب من عالم الغوص والبحر : الذى يمده بتجارب وحكايات وشخصيات ومواقف واقعية لا تنفذ . وهذا بدوره يتيح لعبد الله خليفة المجال الثرى لاستخدام أدواته الفنية فى تشييد المعمار الروائى . وفى توظيف خبراته الواقعية بعالم الغوص والبحر وأهله ومعاناتهم فى غزل ونسج واقامة البناء الروائى من لحم ودم وطبيعة أهل البحر وعالمه العنيف الأخاذ .

والبحر وحشى فى روايات عبد الله خليفة لأنه مجال شقاء رجال الغوص حيث يمارسون أعمال الغوص الشاقة كالسخرة . ويظلون أسرى لأصحاب السفن . وكثيراً ما تختطف أمواج البحر وعواصفه سفن الغوص فيقع أبناء الغواصين أسرى بدورهم فى خدمة أصحاب السفن وفاء لديون آبائهم . وهذا هو ما يصوره عبد الله خليفة فى روايته « الهيرات » ويجسده عن طريق تيار الوعى بالغوص فى ذاكرة الصبى « حمدان » الذى اختفى أبوه مع سفينة صيد اللؤلؤ فاضطر للعمل فى الخدمة بمنزل صاحب السفينة : وعندما يذهب فى رحلة الغوص البحرية تودعه أمه وتستيقظ كل الذكريات فى وعى الأم والابن عن ذلك البحر الوحشى الذى يختطف السفن والرجال : « وقف على الشاطىء وتجمد . قد لا يرجع ثانية . وأمه هذه المتداعية فى الظلام والألم أين ستمضى ؟ رأى النساء مهجورات ، ضائعات بين الأكواخ والشطآن والبرارى : فى أعينهن الرغبات الجامحة . يطالعن البحر باستياء وحقد . العدو يتمرد قربهن . واسعاً ، مترامياً ، هادئاً ، يغسل أقدامهن بنعومة . قد يثور فجأة فتتصدع قلوبهن . يلقى الزبد الأبيض المتطاير كالرغوة ويبدو كطفل » : (ص ٦) .

كما يصور عبد الله خليفة معاناة الرجال مع الطبيعة وفى أعمال الغوص قائلا : « استقرت الشمس فوق رؤوسهم ، تنور هائل يقذف نيرانه فى أعماقهم . تتباطأ حركة المجاديف . ويزحف القارب بوهن . البحر اشتعل ، اندفعت تيارات ساخنة تلفح الوجوه ، وبدا كأن الماء يغلى . لا أثر لطير . لا أثر لشراع . سقط الشاطىء من الجهة الأخرى وانتشر اليم الساكن الى كل الآفاق . التصق مع السماء فى الأطراف وصار قفصاً . البحارة الثلاثة الآخرون اشتد عليهم القيظ . ثمة عرق كريه يملأ الجو برائحته . أوانيهم صوماء قاتمة . منذ زمن بعيد جاء أجدادهم بقيود حديدية من افريقيا . نظرة السيد تجعلهم يواصلون التجديف بقوة أكبر . يهمس أحدهم : ألا نستريح قليلا ؟ يجيبه ياقوت : أنت تعرف الأمر . الراحة هى فى الليل فقط . يارب ، ألا تظهر سفينة هنا أو هناك . يرد عليه الآخر : الهيرات بعيدة سنموت قبل أن نصل » . (ص ٧) .

ويسجل عبد الله خليفة تفاصيل ووقائع عملية صيد اللؤلؤ من الهيرات . مغاصاته ، فالسيد أحمد النوخذا « يرفع منظاره ويوجهه نحو بقعة ما » فى حين يوجه أوامره للرجال : « لا تتوقفوا . جدفوا ، نريد أن نصل . اقتربت الطريدة والصياد يستعد . أدوات خزينة حديدية تتكدس فيها الأوراق المالية ، وطاسات اللؤلؤ ، والابتسامة الممتدة على طول الفم ، والكلمة الناعمة المتسللة الى القلب . جدفوا ولا تتوقفوا إلا عند الهير . يريد أن يسبق التجار الآخرين ، وجهه اكتسى بالقلق والترقب ، وعيناه تحدقان فى الشمال » . (ص ٩) فى حين يواصل الصبى « حمدان » خدمة السيد النوخذا بصيد سمكة وشيها وتقديمها له كأنه يواصل الخدمة فى بيت السيد الكبير . ويفكر الصبى فى مخاوف أمه من هذه الرحلة البحرية .

ونتعرف الى المزيد من شخصيات عالم الغوص مثل « سيف بن ناصر » الذى مات أبوه قبل سنة « وترك له تجارة عامرة ، هذه السفينة . هذه الجزيرة الصغيرة . وعدة مصائد وقوارب وأراض وبيوت . ها هو يظهر . حجلة كبيرة مملوءة شحماً . يهدد البحار المعلق الآن فوق الصارى ، تتضاعف ساعة السعد . ستكون القهوة المليئة بالزعفران التى سنشربها معاً لذيذة جداً . يطالع الرجال الذين توانى تجديفهم : هيا اسرعوا ، لم تبق إلا مسافة قصيرة » (ص ١٢) .

كما يثور الصراع بين أصحاب السفن والقوارب حول السباق الى الهيرات ، مغاصات اللؤلؤ فى أعماق البحر . ويبرع عبد الله خليفة فى تصوير الصراع بين سفن الغوص والربابنة يدفعون البحارة لبذل المزيد من الجهد فى التجديف نحو مغاصات اللؤلؤ ، واحراز أكبر عدد من اللآلئ ، وبتصوير العلاقات بين البحارة والنوخذا داخل السفينة وبين بحارة السفن المختلفة : « حين اقتربت من السفينة ، توقف الطواش عن محاولته ، وقعد فى استراحته أو مستشفاه ، ينتظر الثمار المرة لتأخره ، اندفعت السلامات من السفينة ، واقترب بعض البحارة ضاحكين . يتطلعون الى القادمين بفضول شديد ، حتى الرجل المعلق فوق الصارى التفت . وتوقف بعض الغاصة ، رؤوسهم كانت فوق الماء ، أحدهم سأل عن أولاده ، وآخر عن أبيه . وضعوا لوحاً خشبياً بين السفينة والقارب » . (ص ١٣) .

فهذا هو العالم الذى يبرع عبد الله خليفة فى ابداعه وتصويره والتميز به . ومع أن حقبة الغوص على اللؤلؤ قد انتهت بعد ظهور مجتمع النفط ، الا أنها لم تزل جزءاً أساسياً من تراث البحرين . وخيراً فعل عبد الله خليفة بتسجيلها فى روايته الثالثة « الهيرات » . ويتنقل عبد الله خليفة بمهارة ليقدم الصور التسجيلية لعملية الصيد . « فها هو النوخذا » ارتقى الى السفينة : فاستقبله الأنين وصيحات البحارة ، وأبصر المحار الكثير المتكدس الذى ينتظر ساعة الفلق . سمع التحيات الكثيرة الموجهة لشخصه فرد عليها بحرارة » . (ص ١٤) هذا جانب صاحب السفينة . أما البحار على

الصارى فهو «فجأة أطلق البحار المربوط على الصارى صيحات حادة : أريد نقودى . نقودى ! أطلق عدة شتائم . شاهد آثار السياط على جلده . خطوط حمراء تتلوى فى جسم داكن . عيناه تتفجران بالألم والغضب والجنون ، ينتفض بجسمه محاولا الخروج من قبضة الحبال فيتقلقل الصارى قليلا لكن الحبال تحز جسمه وجروحه فيتلوى ويبكى بصوت امرأة وطفل وطريدة» . (ص ١٥) .

وتبدأ المساومة حول الأثمان والأسعار بين النوخذا والتاجر فى عرض البحر . فى حين تترى قصص معاناة البحارة : «أحد البحارة قال لى إن النوخذا لم يعطه نقوداً ولن يعطيه أيضاً لكثرة الديون عليه . لديه خمسة أبناء» . (ص ٢٦) وتواصل السفينة ، التى تضم الصبى حمدان والرجال ، إبحارها نحو مغاصات اللؤلؤ .

وتبدأ ملامح التغيير من مجتمع البحر واللؤلؤ الى مجتمع المدينة والمكاتب ، حين يبدأ ابن النوخذا المتعلم فى إقناع «حمدان» بتعلم القراءة والكتابة . ويدور بينهما الحوار التالى :

ــ «البحر لا أفهمه ولا أحبه . العالم لم يعد لؤلؤاً وسفناً خشبية عتيقة نخرة .

ــ اقرأ يا حمدان ، تعلم هذا السر العظيم . يجب أن تفك الحرف وتنطلق . ستتعلم وستجد مهنة كبيرة . صدقنى !

ــ أشكرك .

ــ لا تشكرنى ، ستتعلم بجهدك أنت .

ــ وما فائدة القلم والكتابة وأنت لا تجد لقمتك منهما ؟ !

ــ سترى ، ستنتشر الكلمة كالشرارة فى كومة قطن . سيتغير كل شىء ، ولن ترى البدلات الغربية تجوب الشوارع !» (ص ٣٨) .

ولكن يظل حمدان يعمل «تبابا» صبياً مساعداً على ظهر السفينة .

ويرصد الروائى التحول من مجتمع الصيد والغوص الى مجتمع التجارة والوظيفة والمدينة فى هذه الصورة : «مال جديد يضاف وتتمكن من اقامة وكالتك . مبنى كبير وموظفون وتجارة رابحة .. الأرض حصلت عليها بفضل نشاط ابنك الدؤوب فى بيت الدولة . من كان يتصور أن يتحول من شاب بائس الى موظف كبير .. كلمته مسموعة دائماً ؟ الآن استتبت أشياء . حين تنشأ الوكالة لن ترى البحر ثانية . أيتها اللآلئ الملونة بالدم والعرق والحقد اغربى عن وجهى ! أراض جديدة تضع يدك عليها . أيتها المصائد والسفن والقوارب احترقى الى الأبد !» .

أحمد محمد عطية

قطـــــــار

شعر : محمد آدم



القطار يخلِّف فوق المحطات
بعضَ تصاويره من دخانٍ
يلامسُ حدَّ الضياءِ
وحدَّ السماء
ويركضُ صوبَ المدائن
متخذاً
صهوةً من قضيب الحديدِ
الذى لا يلينُ له
في اجتيازِ السهول .
السحابُ يتابعُ تجوالَه في السماءِ البعيدةِ
والنجمُ يرقد في موطن للنجوم .
وها هى شمسُ الضحى تستطيرُ
على جبهةٍ للقطار الذى يتوقفُ
قربَ النهيراتِ
يرقبُ كيفَ تفر الطيورُ الصغيرةُ
تفزع حين يمرُ على نخلةٍ في امتداد
الحقول ،
التي تترامى على فسحةِ الوقتِ
والصمت .
القطارُ يغادر مرساتهُ ساكناً
ثم يعبرُ صوبَ البلادِ التي هجرتها
العصافيرُ ،
تعوى بها الريحُ وقتَ الشتاء ،
يُسلمُ أبناءها للنعاسِ ،
وأطفالها للدخانِ .
وها هى بعضُ الغيوم ،
تحوِّمُ .
فوق القطار الأخير من الليلِ
ثم تغادرُ أبراجها
في انطفاءِ النجوم
القطارَ يواصلُ تكرارهُ في المدى .. .
في المدى

.. واقترب من كل الموجودين .. وأخذ يتأمل الوجوه .. كانت شاحبة ذابلة ..
وتساءل بينه وبين نفسه : أين أخوه؟ .. وهل سيعرفه؟ ..
وهل يا ترى ذبل هو الآخر فأصبح مثل هؤلاء جميعاً جلداً على عظم؟!



قصة بقلم: صلاح عبد السيد

حين حط بقدمه على أرض المطار، أحس بقشعريرة تتمشى فى جسده .. وبسحابة غائمة تكاد تمطر فى عينيه ..

منذ متى ترك هذه الأرض وسافر ..؟!

منذ البعيد .. ربما منذ آلاف السنين .. هو لم يعد يحسب كم من السنين مر .. غامت الرؤية وبعدت السنين .. وانداحت فى جب سحيق .. يخاف حتى أن يتملى النظر فيه .. يخاف إن هو تملى أن يسقط فيه الآخر كما سقطت السنين .. منذ متى .. !!؟

يا آه .. منذ البعيد .. منذ البعيد البعيد .. منذ خرج من قريته شاباً .. يحمل الحلم ويدق بخطود على أرض المطار .. يومها كان أخوه الكبير يلوح له بيده وهو يمضى متجها الى الطائرة .. ويومها كانت هناك عصافير تطير وتزقزق .. يا آه ..

وتلفت حوله .. فبدا الزحام لعينيه بحراً هادراً يكاد يأخذه فى تياره ..

قاوم بحر الزحام وخرج ..

أمام المطار أوقف عربة أجرة وركب فيها .. جلس منكمشاً فى المقعد الأخير ..

أخذ يتملى من خلف زجاج العربة .. الشوارع والبنايات ..

كان كأنه يخوض فى عالم غريب لا يعرف عنه شيئاً .. وخيل اليه أنه فى حلم .. ليس الواقع هذا .. !! ماله لا يبكى .. !!؟ ماله لا يرتمى على الأرض ويقبل التراب .. !!؟

ما الذى أصابه .. جزء منه يتمنى أن يبكى .. وجزء لا يطاوعه على البكاء .. !!؟

وفى الفندق ألقى بحقيبته وتمدد على السرير .. عيناه على السقف ..

لماذ لم يرسل الى أخيه الكبير ليحضر .. ؟

لماذا لم يخبر أحداً بقدومه .. ؟

ما الذى دفعه الى أن يفعل ذلك .. ؟

هل هو الخجل .. ؟ هل هو تأنيب الضمير .. ؟

لقد أخذته الحياة هناك فغرق فى بحارها .. ونسي كل شىء ..

وأحس أنه يكاد يختنق ..

انتفض واقفاً .. اقترب من الشباك .. ووقف يتأمل النيل من خلف الزجاج .. كان نهر النيل فى مواجهته .. وكان يبدو ساكناً .. تلتمع الأضواء عليه من بعيد .. هل يبدو ساكناً هكذا من البعيد .. أم أنه مازال هو .. القديم الهادر والذى يموج .. ؟

نزل من حجرته .. اقترب من النهر .. وقف قبالته .. أخذ يتمسح بعينيه عليه .. يغمسهما فى مائه ..

وبدا النهر لعينيه هزيلاً .. ساكناً .. لا حركة فيه .. أمسك بقطعة من الحجر وألقاها فى النهر .. فتحرك قليلاً .. ثم سكن ..

أيها النهر .. أيها النهر الذى كنت .. لقد عدت .. عدت إليك أيها النهر .. فهل نسيتنى .. ؟!

يا طالما استحممت فى مائك .. واصطدت من أسماكك .. وقاومت بيدى هاتين نزواتك .. حين كنت تهدر صاخباً محاولا الانفلات من قبضة السدود التى تحيطك ..

كنت أيامها شاباً هادراً بالعافية .. منتشياً بنشوة النزق .. وكنا نصارعك وتصارعنا .. نقيم السدود لنمنع نزقك وطيشك من أن يستبد بنا .. تغرق الأرض بأسماكك وطميك .. فنمسك بالأسماك نشويها ونأكل .. ونزرع الأرض .. ونحصدها ونأكل ..

أيها النهر .. هل لا تعرفنى .. ؟!

أنا الصغير الذى كنت أستحم فيك، وأتسابق مع العيال وأسبقهم .. أنا الذى أيها النهر تراهنت معهم على أن أعبرك وعبرتك .. وكدت أغرق يومها .. وكدت أنت تجرفنى الى بعيد .. لكننى حاولت وقاومت ونجوت ..

هل تذكرنى .. ؟!

أيها النهر .. ها أنذا قد عدت إليك بعد هذه السنين .. أنا لا أعرف أيها النهر كم عدد السنين .. تاهت منى .. راحت ..

ها أنذا عدت .. هل لا تعرفنى .. ؟! سأخلع قبعتى لتعرفنى .. أنا من هنا .. لست غريباً عنى أيها النهر .. ؟!

وأخذ يلقى فيه بالحصى .. أيها النهر .. هل أخلع ملابسى وأقف أمامك كما اعتدت وأنا صغير .. ؟!

هل ألقى بنفسى فيك واحتضنك وأدخل اليك .. لتعرفنى .. ؟!

أنا أيها النهر .. أنا المقرور الغريب .. الضائع فى هذه الدنيا .. قد عدت اليك .. عدت اليك فاحتضنى وأدخلني الى مياهك ..

الليل بارد أيها النهر وأنا وحدى .. وأنت أبى وأمى .. وكل مالى ..

أيها النهر .. مالك تبدو ساكناً .. صامتاً .. كأنك لا تعرفنى .. ؟!

هل شخت أيها النهر؟

لا .. لا .. لم تشخ .. لم تشخ .. مازلت شاباً .. وأخذ يدق على صدره .. مازلت شاباً .. تحرك .. تحرك .. وأخذ يلقى فيه بالحصى .. لا فائدة .. يرتد ساكناً كما كان ..

....

فى الصباح ذهب الى الجمعية التى استضافته .. قال فى نفسه لا فائدة .. الغربة وراءك .. النهر لم يعرفك .. امض لمهمتك فأنجزها ثم سافر .. لا تذهب الى قريتك .. ماذا تقول لهم بعد هذه السنين .. أين كنت .. ولماذ لم ترسل حتى كلمتين للاطمئنان .. ؟

هل غرقت الى هذا الحد بحثاً عن مستقبلك .. !؟

ونحن .. هل نحن الا جزء منك .. ؟

ماذا يقول لهم .. ؟ وهل اذا عاد اليهم سيعرفونه .. ؟

وهز رأسه .. فليذهب الى الجمعية .. وليته مهمته .. وليرجع حيث كان ..

وذهب الى الجمعية .. وهناك أخبروه أن المحاضرة التى سيلقيها قد تأجلت ليومين .. وأسقط



في يده .. ماذا يفعل وهو لا يعرف أحداً في هذه المدينة .. ؟

أين يذهب .. ! ! ؟ هل سينتظر ليومين داخل حجرته .. ؟

لا ..

وقرر أن يسافر الى قريته ..

مازال يحمل صورة غائمة للطريق ..

واستأجر عربة .. فليذهب الى قريته .. والى بيتهم القديم .. ليرى أخاه الكبير وأخواته البنات .. سيلتقى بهم .. وسيبكى هناك وسيعود وقد استرد عافيته ..

وطوال الطريق وهو يتذكر ..

كانت كل المعالم تفر من أمام عينيه الى الوراء .. تمر على شاشة عينيه وتغيب دون أن تسقط في ذاكرته ..

أين هو الآن .. ؟ هل هو سائح يتفرج .. أم قطعة من هذه الأرض .. ؟ ما باله متبلد المشاعر وهو يرى .. ؟

واقترب من قريته .. ودق قلبه .. دق بعنف وارتجفت أطرافه .. حين توقفت العربة أمام القرية ..

شد قبضته على حقيبته .. ورفع ياقة معطفه .. وأحكم القبعة على رأسه .. أين بيتهم .. ؟

ووقف يتأمل ..

كان بيتهم قديماً يبدو لعينيه من هذا المكان .. فأين ذهب .. ؟

كانت البيوت العالية قد حجبت بيتهم تماماً ..

فكر أن يسأل أحداً .. أين بيتنا .. ؟ لكنه خجل ..

وقف يتلفت ..

دار حوله ولد .. ولد وولد .. ثم تشممه كلب .. فمضى والحقيبة في يده ..

قال فلأدخل الى القرية وحتماً سأعرف البيت ..

حدد مكانه وسار في الاتجاه ..

وجد البيت .. قطعاً هو البيت .. لكن ما باله يبدو قصيراً هكذا وسط البيوت .. وكأنه قد وقع في حفرة ..

وأخذ يمسح بعينيه عليه ..

وأمامه رأى الحمارة نائمة .. هى .. لابد أنها هى الحمارة البيضاء التى كنت أركبها صغيراً ..

وقف يتأملها .. مد يده اليها فابتعدت .. هل لا تعرفيننى .. ؟ أدارت ظهرها .. لا يبدو أنها هى .. وهل ستعيش طوال هذه السنين .. ؟ ربما كانت ابنتها أو ..

ووقف في مواجهة الباب ..

على الباب عنكبوت وسواد .. وزمن طويل يتسكع .. على الباب خدوش وخرق قديمة في الشقوق وحفر ..

ولامسه بيده فاقشعر ..

دق عليه .. فأحس بالدقات تتردد في رأسه .. دق ثانية .. دق بقوة .. فخرجت اليه امرأة . شاحبة اللون .. يتسلل الشيب من تحت عصابة رأسها ..

وقف يتأملها ..

قال : من .. ؟

قالت : من .. ؟

قال « هذه لابد زوجة أخى الكبير .. »

قالت : ماذا تريد ؟

قال : أنا .. ثم توقف ..

قالت : من ؟

خلع نظارته

من ؟

خلع قبعته

صاحت : الأستاذ .. ؟ !

قال : نعم ..

أخذت تتأمله ..

أخذ يتأملها ..

قالت : تفضل .. ودخلت أمامه ..

دخل وراءها .. وأخذ يتلفت .. هو البيت .. لكن ما باله أصبح صغيراً هكذا .. ؟

هل هذا هو البيت الذى احتوانا صغاراً .. ؟ هل هو الذى كنا نلعب فيه .. ؟ وكيف كان يتسع لنا .. ؟ !

ــ أهلا وسهلا

وفتحت باب حجرة الضيوف ..

كانت في الحجرة دكة خشبية عارية ..

جلس عليها ..

ــ أهلا وسهلا

أخذ يتأمل الجدران تشققت .. والسقف نخت العروق فيه .. والأرض .. الأرض من الطين لا تزال ..

هى نفس الحجرة .. لم يطرأ عليها تغيير .. لكن أيامها كانت أكبر من ذلك .. ما بالها الآن تبدو باردة فقيرة .. لا حياة فيها .. ! ! ؟

ــ أهلا وسهلا

ودخل الى الحجرة أولاد كثيرون ..

أولاد أخيه بالطبع .. مالهم هكذا كثيرون .. وشعورهم منكوشة ووجوههم ذليلة .. ؟

ــ أين أخى .. ؟

ردت زوجة أخيه

ــ إنه في المستشفى

ــ أى مستشفى ؟

ــ المستشفى الكبير في العاصمة ..

ــ المستشفى الكبير .. ! ! منذ متى .. ؟

ــ منذ فترة طويلة ..

فكر أن يقول لها ولماذا لم تخبرونى .. ؟ لماذا لم تكتبوا لى .. ؟ لكنه تراجع .. كيف وهم لا يعرفون له عنواناً وهو لم يكتب لهم أبداً .. ! !

صمت ..

ألقى بعينيه على الأرض الطينية ..

ــ أهلا وسهلا

ظلت عيناه على الأرض الطينية راقدتين ..

ماذا يفعل .. ؟ هل يبكى .. ؟ هل يضرب نفسه .. ؟ هل يتمرغ على الأرض ؟ هل يمزق جسده بموسى .. ؟

هو لا يعرف ماذا يفعل ..

غـــربـــة

وقام واقفاً ..

ـ الى أين ؟

التقط عينيه من فوق الأرض الطينية ..

ـ سأسافر الى أخي ..

ـ بعد الغداء سافر ..

ـ لا .. الآن ..

ومشى ..

وضع قبعته على رأسه .. ونظارته على عينيه .. وركب أول عربة ..

لابد أن يذهب الى أخيه .. لابد أن يبكى بين يديه .. لابد أن يستغفره .. أن يعطيه النقود التى يحتاج اليها .. أن يدخله الى مستشفى خاص .. أن يجعله يعيش أيامه فى أحسن حال .. أن يبنى له بيتاً .. أن يفعل له كل ما يمكن .

هو الأكبر .. وهو الذى رباه وصرف عليه ..

ووصل الى المستشفى .. واتجه الى العنبر ..

أحس بقشعريرة تتمشى فى جسده .. وهو يدلف من باب العنبر ..

كان العنبر ممتلئاً حتى حافته بالرجال والنساء والأطفال .. وعلى بلاطه تتناثر بقع الميكركروم .. وبقايا القطن والشاش ..

ما هذا الزحام .. ؟ أين النظافة .. ؟ هل هذا مستشفى .. ؟

وفكر أن يذهب للمدير فيصرخ فى وجهه قائلا : هذا ليس مستشفى .. إن المستشفيات فى الخارج .. لكنه تراجع .. وعاد محاولا الاندماج من جديد ..

اقترب من الوجوه .. كانت شاحبة ذابلة .. أين أخوه ؟ هل سيعرفه وسط هذه الوجوه .. ؟ هل ذبل فأصبح مثلهم جلداً على عظم .. ؟

وأخذ يتلفت .. وأمام أحد الأسرة توقف .. يبدو أنه هو .. كان ــ هو ــ ممدداً على سريره .. وبطنه تحت الملاءة عالية .. أخذ يتأمله .. كان وجهه ممصوصاً .. وعيناه مصفرتين .. ورقبته تبدو كرقبة ديك بلا لحم ولا ريش .. هل هو .. ؟ وأسنانه قد تهاوت .. وشفته السفلى ترتعش .. هل هو .. ؟ وكان يزفر .. وصدره يرتفع وينخفض كأنه كان يجرى .. هل هو .. ؟ والذباب « يلتم » عليه .. وهو يهشه فى ضعف .. هل هو .. ؟

و ــ هو ــ ينظر اليه .. لا يعرف من هو .. ! !

خلع نظارته .. وقبعته .. ومعطفه .. فتمتم ــ هو ــ الأستاذ .. ! ! ــ وفتح ذراعيه له .. فارتمى ــ الأستاذ ــ بين ذراعيه .. وأخذ يجهش بالبكاء ..

وأحس بصدر أخيه يعتمل .. وبضلوعه تصكه فى ضلوعه .. وشم رائحة فمه .. ورأى الشعيرات المبللة تطل من أنفه .. فخلص جسده من بين ذراعيه ..

ـ كيف حالك .. ؟

ـ كيف حالك أنت .. ؟

أخذ يتأمله .. أين ذهب أخوه القديم الذى رباه واخواته البنات بعد موت أبيه .. ؟ هذا القوى ما الذى أصابه .. ؟

ما الذى جعله يتدهور هكذا ويئن ويلهث .. ؟

هل تفعل به البلهارسيا هذا .. ؟

ـ أهلا وسهلا

وأشار بيده الى رجل يجاوره فأعد شاياً ..

ـ تفضل ..

حاول أن يشكر الرجل ولا يشرب .. لكن الرجل أقسم .. فأخذ الكوب مضطراً .. أمسك بالكوب .. كان متسخاً .. وعليه بقع ..

ـ أهلا وسهلا

ويبدو زجاجه من نوع ردىء .. وحافته مكسورة ..

ـ أهلا وسهلا

هو لا ينوى أن يشرب من هذا الكوب المتسخ

ـ تفضل .. اشرب ..

فكر أن يرد الكوب ويتعلل بأى سبب .. لكنه قال لا يصح .. هذا أخوك فلتتحمل .. قرب الكوب من أنفه فشم رائحة ضايقته .. قاوم ضيقه وشرب ..

الشاى ثقيل ومر .. ومرارته لا تحتمل ..

ـ أهلا وسهلا

فليحاول أن يشرب نصف الكوب فقط .. نصف الكوب وكل .. لكنه أحس أنه سيتقيأ ..

هل هذا شاى .. ؟ هل هذا منظر كوب .. ؟

ربما كانت المياه غير صحية وبها جراثيم .. ؟

ووضع الكوب وأشار بيده علامة أنه اكتفى

ـ جئت متى .. ؟

ـ بالأمس

ـ وكيف عرفت ؟

ـ ذهبت الى القرية وعرفت

ـ ولماذا أتعبت نفسك .. ؟

ماذا يقول له .. ؟ هل يستكثر عليه أن يأتى اليه .. ؟ هل يقول ذلك لأنه يعرف أنه لا يهتم .. ؟ ماذا يعنى .. ! ! ؟

وأشار أخوه الى رجل يجاوره .. فجاء مسرعاً وأخذ بيده فأجلسه .. ثم وضع له الشبشب أمامه .. وأقامه واقفاً ..

ـ عن إذنك .. سأذهب لقضاء حاجتى

أخذ يرقبه والرجل يسنده ..

لماذا لم يطلب منه أخوه أن يفعل له ذلك .. ؟ لماذا لم يقم هو فيسنده .. ويقسم على ذلك ويذهب معه .. ؟

لماذ يتفرج ــ وهو جالس ــ عليه .. ؟

وعاد أخوه يتمايل والرجل يسنده .. بطنه تتدلى أمامه .. بفعل الاستسقاء .. يخطو فى أناة على أرض العنبر .. ويئن ويبتلع ريقه ..

وأجلسه الرجل على السرير .. ثم أنامه وغطاه ..

ـ أهلا وسهلا

ماذا يقول وقد انقطع الكلام .. ؟ وما الذى جاء به أصلا الى هنا .. ؟ أخذه الحماس فقال سأسافر الى أخي .. وجاء فلم يجده أخاه .. ! !

أين راح .. ؟

ـ أهلا وسهلا

ماذا يقول له .. هل يتمسح فيه .. ؟ هل يستغفره .. ؟ هل يطلب منه العفو .. ؟ لا .. ليس هذا أخاه .. ولا توجد صورة واحدة تطابقه .. فلمن يرجو .. ؟

ومد يده الى جيبه وأخرج نقوداً دسها تحت مخدته .. فأمسك أخوه يده .. لكنه صمم .. وقام واقفاً ..

ـ الى أين ؟

تمتم وهو يضع القبعة على رأسه

ـ عندى محاضرة .. وسأمر عليك فى الغد

ـ مع السلامة

حمل معطفه ومضى ...

ـ مع السلامة

وخرج من الباب ..

ذهب الى الفندق .. وهناك جلس فى حجرته .. أسلد رأسه الى يده .. ثم هزه .. ودخل فأخذ حماماً .. ثم تغدى ..

وفى الصباح دعك أسنانه وابتسم فى المرآة .. ثم ذهب الى الجمعية ..

وقف يلقى محاضرته كأكبر خبير فى شئون تربية طيور الزينة ..

وصفق له الحاضرون كثيراً ..

وبعد المحاضرة قال : ــ ما الذى يبقينى ليوم آخر .. ؟ لقد أعطيته النقود .. هو لا يحتاجنى .. هو يحتاج الى النقود أكثر منى .. وبين وقت وآخر سأرسل اليه مبلغاً من المال .. ثم إن ورائى محاضرات كثيرة فى دول كثيرة .. ولا وقت لدى لمثل هذه الأمور ..

واستقل عربة أجرة .. متجهاً الى المطار ..

جلس فى المقعد الأمامى .. وفى المقعد الخلفى كان هناك طفل يجلس مع رجل ريق ..

خربشت يد الطفل على كتفه ..

التفت الى الطفل ..

كان الطفل يحدق فيه ..

التفت الى الرجل ..

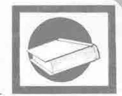
كان الرجل « جلداً على عظم » .. وعيناه مصفرتان ..

حاول أن يضحك للطفل .. لكن الطفل كان متجهماً .. وكان كأنه سيبكى .. فاستدار مولياً له ظهره ..

قبل أن يهم بالنزول من العربة .. كانت يد الطفل قد تسلقت قفاه .. وفرقعت عليه ..

و .. لم يلتفت للطفل .. لكنه اندس داخلا من بوابة المطار ! .

صلاح عبد السيد



بقلم : الدكتور محمد البهي

القضاء والقدر

« قضاء الله هو ما يقع في كونه تنفيذا لارادته ، ولمصلحة عباده ، وارادته سبحانه وتعالى إرادة نافذة لايحول دون تحقيقها أي حائل : وقالوا : اتخذ الله ولدا ، سبحانه بل له ما في السموات والأرض ، كلٌّ له قانتون (أي خاضعون ومطيعون) . بديع السموات والأرض (أى خالقها على غير مثال ونموذج) وإذا قضى أمرا ، فإنما يقول له : كن .. فيكون (أى وإذا أراد أمرا في كونه ولعباده .. تحقق ووقع فور مايريد) (البقرة ١١٦ ، ١١٧) ... والتعبير بقوله : كن فيكون .. قصد به فقط : أن إرادته جل جلاله لا تعطل بحال ؛ وإذا كان هناك في الوجود مالا يعطل إرادته سبحانه وتعالى فهو المتفرد في صفات الخلق ، والقدرة والارادة .. هو المتفرد وحده في الكمال . ولذا : لايكون هناك من يشبهه .. لايكون هناك ولد له . إذ شأن الولد أن يكون مشاركا لوالده في الصفات .

« وإرادة الله في عالم الانسان يصورها : « قانون عام أو مبدأ عام » من تلك القوانين والمبادئ التى تحكم الحياة الانسانية للأفراد والمجتمعات .

فوحي الله في كتابه يمثل إرادة الله وقضاءه . وهذه الارادة تتبلور في مجموعة من القوانين والمبادئ التى تنظم سلوك الانسان ، وتحدد دائرة اعتقاده . يقول الله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا : أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » (الأحزاب : ٣٦) .. وقضاء الله ورسوله الذى تجب على المؤمنين والمؤمنات طاعته وعدم مخالفته هنا — وليس لهم خيرة بالتالى في قبوله أو في رفضه — هو ما أوحي به الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في قرآنه الكريم . وما جاء في هذا القرآن الكريم هو ضوابط أو قوانين ، أو أحكام عامة تحدد الروابط الإنسانية بين الفرد والفرد ، والأفراد بعضهم مع بعض في الأمة : في شئون المعاملات المختلفة ، وشئون الأسرة ، وشئون الأمة كدولة في سياستها الداخلية ، وفي علاقتها الخارجية مع أمم لاتسلك مسلكها في الاعتقاد والايمان .. وفيما قبل هذا كله : تحدد صلة الفرد بالله في عبادته ، وفي أداء فروض هذه العبادة .

والقرآن لا يتناول هذه الشئون كلها الا في صيغ عامة ، كصيغة المؤمن والمؤمنة هنا ، بغض النظر عن أشخاص المؤمنين والمؤمنات في عهد أو عهود مختلفة .. كما لايتناولها الا داخل إطار عام كاطار وجوب الطاعة لأوامر الله — أى أوامر له ..

وربط الضلال بالعصيان والمخالفة لأى أمر منها . وإذا ذكر في تفسير بعض ما جاء في القرآن سبب خاص فان هذا السبب الخاص لايحول دون بقاء ماورد فيه على عموم لفظه ولذا يؤثر عن علماء أصول الفقه قولهم : العبرة بعموم اللفظ ، وليس بخصوص السبب .

وربط النتائج بمقدماتها في ترقب وقوع النتائج وتحققها عندما توجد مقدماتها في حياة الأفراد والمجتمعات كقوانين عامة : بغض النظر عن تحديد الجزئيات .. يصور ذلك قانونا عاما اقتضته إرادة الله : كربط ضرورة تغير المجتمع بفساد بعض أفراده ، على نحو مايذكره قول الله تعالى : « وإذا أردنا أن نهلك قرية (أي أن نطيح بمجتمع ونبيد نظامه وأسسه) أمرنا مترفيها ففسقوا فيها وبذلك تتاح لهم الفرصة للخروج السافر عن القيم العليا في سلوكهم ومواقفهم) فحق عليها القول (أي وعندئذ ينطبق على هذا المجتمع العابث : قضاء الله بتغيره) فدمرناها تدميرا (أى وليس بعد قضاء الله بالتغيير : إلا نفاذ قضائه وإرادته في الوقت المعلوم له : « وماأهلكنا من قرية (أي مجتمع) إلا ولها كتاب معلوم (أي أجل محدد) . ماتسبق من أمة أجلها وما يستأخرون » (الحجر : ٤ ، ٥) .. فمثل هذا الربط بين المقدمات والنتائج في تعاقب المجتمعات البشرية هو ربط عام لايتقيد بمجتمع معين . وانما كلما انتشر الفساد في صوره المختلفة في اى مجتمع ، وفى اى عهد او جيل كلما يتوقع له التغيير . ولكن متى يقع هذا التغيير فذلك أمره عنده الله : « وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم » . وهذا الربط العام — أو هذا التلازم بين المقدمات والنتائج في حياة المجتمعات البشرية — يصور قضاء الله وإرادته التى لا تقبل التعطل عن النفاذ بأى حال .

وقد يكون لهذا القانون العام أمثلة جزئية وقعت بالفعل في حياة هذه المجتمعات . كما يقص القرآن الكريم ، مخاطبا الرسول محمدا عليه السلام تطمينا ومؤكدا له : عدم تخلف هذا القانون — في قول الله تعالى : « وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم : قوم نوح .. وعاد ، وثمود . وقوم إبراهيم ، وقوم لوط . وأصحاب مدين ؛ وكذب موسى ، فأمليت للكافرين ، (أى أمهلتهم) ثم أخذتهم (أى نفذت فيهم قضاء الله بالتغيير) فكيف كان نكير . فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة : فهى خاوية على عروشها ، وبئر معطلة ، وقصر مشيد . » (الحج : ٤٢ — ٤٥) . وبعد أن أعطت هذه الآيات الأمثلة الجزئية لتطبيق قضاء الله وإرادته كقانون عام .. عقبت بذكر هذا القانون مرة أخرى فيما تقوله : « فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة ، فهى خاوية على عروشها » .. وبذلك أعادت الربط بين ضرورة تغيير المجتمع ووقوع الظلم فيه ، وليس الظلم إلا فسادا ، وإلا كفرا برسالة الله .



المتحف الوطني الفلسطيني



يتهض المتحف الوطنى الفلسطيني على طنف جبلى هين ، قبالة الزاوية الشمالية الشرقية من سور القدس ، متوسطاً موقعه ، تقريباً ، بين باب الساهرة غرباً ، ووادى الجوز من جهة الشرق ..

كانت فلسطين ، في عهد الانتداب البريطاني ، مكتظة بعشرات البعوث والجمعيات الآثارية الغربية التى اختصت هذا الجزء بذاته من رقعة المشرق العربى بجل حفرياتها وتنقيباتها ، فيما يتعدى كثيراً دافع الفضول العلمى الصرف ، إلى حاجة « المسيحية الأوروبية » قاطبة للبرهنة على « توراتية » التراب الفلسطيني ، ولكن دون أى طائل إطلاقاً ، لسوء حظ كل من المدارس التالية بوجه خاص :

- المدرسة البريطانية للبحث عن آثار فلسطين ..
- المدرسة الفرنسية للبحث عن آثار التوراة ..
- المعهد الإنجيلى الألمانى للبحث عن آثار الديار المقدسة ..
- المدرسة الأمريكية للبحث عن الآثار الشرقية ..

فبدافع من هذا التوجه التوراتى العام تكفل الملياردير الأمريكى ، جون روكفيلر ، بإشادة هذا المتحف ما بين سنتى ١٩٢٧ و ١٩٣٨ ، على أمل أن تغص قاعاته الرحاب بآلاف اللقى الأثرية التى قد تتصل من قريب أو بعيد ببعض الحكايات المثيرة التى نسجتها أخيلة كتبة التوراة الذين تعاقبوا على كتابة أسفارها قرابة ألف عام ..

على أن حصاد البيدر الفلسطيني سرعان ما جاء مخيباً لجميع تلك التوقعات والآمال التوراتية العريضة التى انعقدت عليه ..

فها هو المتحف الوطنى الفلسطيني حتى يومنا الراهن ــ ورغم إلحاقه بما يوصف بمتحف « اسرائيل » اعتباراً من احتلالات حزيران ١٩٦٧ ــ مايزال يحتشد من بابه الى محرابه بكل ما يعزز الأصالة العربية الفلسطينية ، منذ موجة الهجرة العربية الكنعانية من قلب جزيرة العرب فى أواسط الألف الرابعة قبل الميلاد ، حتى يوم الناس هذا ، مع كل ما اختص به التراث الفلسطيني الحافل من تفاعل لا نظير له مع جميع حضارات العالم القديم ، باعتبار أن الرقعة الفلسطينية كانت تشكل ــ بحكم موقعها الجغرافى ــ مركز المثلث الحضارى التأسيسي فى تاريخ نوعنا البشرى .. المثلث الذى تتوزعه الحضارة الفرعونية من زاويته الجنوبية الغربية ، وحضارات ما بين النهرين وفارس من زاويته الشمالية الشرقية ، والحضارة الإغريقية فالهيلينة ، من زاويته الشمالية الغربية ، حتى ليصح القول ، دون مجازفة ، بأن رقعة التراب الفلسطيني برمتها ما هى إلا متحف واحد متصل وفريد ، سواء للتصادمات العسكرية لهذه الحضارات ، أو لتفاعلاتها السلمية ، فوق أرض عربية خالصة ، يكاد لا يخالفها من التراث اليهودى الطارىء ما يزيد على أثنين فى المائة من مجمل حجمها الحضارى العام : كماً ونوعاً على حد سواء ..

تدخل المتحف الوطنى الفلسطيني من بابه الرئيسي (فى صدر الصورة) ، فتستقبلك التثمينة الشرقية **South Octagon** بتمثال رمسيس الثالث ، ومنقوشة أسد كنعانى ، وعشرات اللقى الأثرية الكنعانية الأخرى من حفريات منطقة بيسان ..

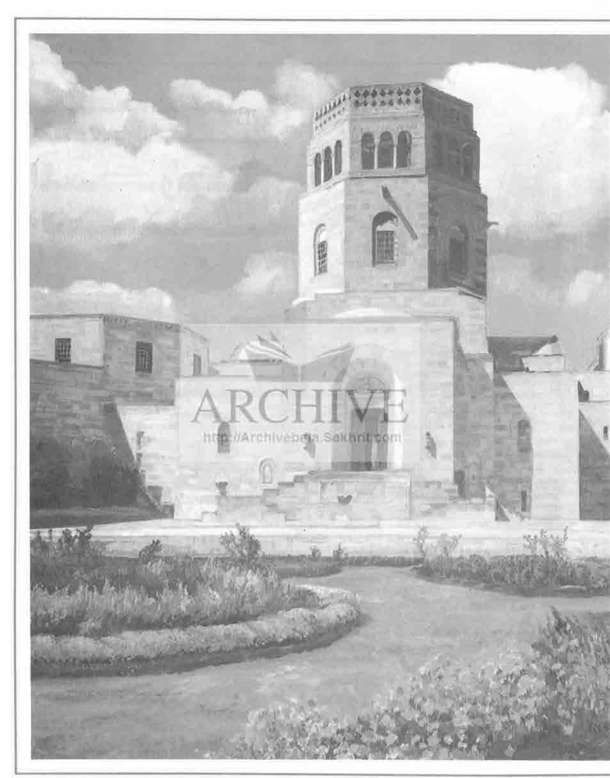
تلى ذلك القاعة الشرقية محتشدة بموضوعات ما قبل التاريخ حتى أواخر العصر البرونزى ، بما فى ذلك جماجم للإنسان الفلسطيني الأول من حفريات كهف الكرمل ، ومئات المكتشفات الأخرى من تلك الأزمنة السحيقة ، سواء من حفريات أريحا التى تتصل بالاندفاعة « الغسولية » الأولى من قلب الجزيرة العربية ــ قبل الاندفاعة الكنعانية بحوالى ثلاثة آلاف سنة ــ أو من حفريات نابلس التى اشتملت على أقدم شكل فلسطيني للأبجدية ، أو من حفريات الحاضرة الكنعانية الرئيسية « لاخيش » الى الشرق من غزة ..

ثم تلى ذلك القاعة المركزية فى المتحف مشتملة على أغنى آثاره إطلاقاً من مكتشفات العصور الاسلامية ، تخالطها بعض آثار الصليبيين فى القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد ..

أما القاعة الشمالية فإنها تتدرج بزائر المتحف من مطالع العصر الحديدى فى فلسطين ، مروراً بالمداخلات الحضارية ، الاغريقية والرومانية والبيزنطية ، رغم تواضعها النسبي بالقياس لبصمات الملك الأنباطى ، العربى القح ، « هيرود » وسلالته الحاكمة من بعده على كامل التراب الفلسطيني وشطر من جنوب سورية ، وهى الأسرة التى فاضت آثارها وتماثيلها عن سعة المتحف الداخلية ، فاحتلت كامل باحته الخارجية أيضاً ..

وألف معذرة إن كدنا أن ننسى ! ! .. فإن التثمينة الشمالية ، فى نهاية المطاف ، تشتمل ــ بين موجوداتها الفلسطينية العديدة ــ على بضع قطع وشمعدانات يهودية سباعية الأذرع من عصور متأخرة ! ! ..

يوسف الخطيب





معهد الدوحة لدراسة المسكوكات الإسلاميّة







وجها أول دينار اسلامي خالص ضربه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان عام ٧٧ هـ . فلا توجد منه سوى قطعتين أو ثلاثة في العالم ، واحدة منها لدى « مشروع معهد الدوحة للمسكوكات الاسلامية

مخطط مشروع معهد الدوحة لدراسة المسكوكات الاسلامية ، الذي يجرى تنفيذه على مسيرة الحضارة في دولة قطر

شغف الانسان ببريق الذهب منذ قرون لم يدركها الحصر ، بعد ، حتى أنك لتعرف من المؤرخين ، أن أدوات من الذهب مصنعة على هيئة الابر والخرز ، وجدت في مقابر ما قبل الأسرات ، في حضارة البداري وما قبلها بمصر القديمة ..

وتعرف الانسان بدقة الملاحظة على خصائص ذلك العنصر الفلزي العجيب ، ومن أبرزها أنه لا يصدأ ، ولا تعلوه مسحة تذهب ببريقه مهما طال تعرضه لعناصر الجو ، فلا يتأكسد سطحه شأن كل ما عداه من الفلزات ــ باستثناء البلاتين ــ ولا يتآكل ..

ومن هنا اتخذ الناس الذهب ، منفرداً أو مسبوكاً بالفضة عملة أو نقوداً ، أنهوا بها ، على طريق الحضارة ، أسلوب المقايضة ، تاريخيا ..

ولا يزال العلماء في جدل أكاديمي رحب ، فيمن هم البشر الذين بدأوا باختراع النقود من الذهب ثم من الورق ، وهو الفضة ، صنو الذهب الذي لا يفارقه ، عادة ، في معادنه ومظانه ..

ومن الباحثين من يقول بأن استخدام البرونز ، وهو خليط من النحاس والقصدير ، سبق استخدام الذهب والفضة كنقود ..

ومنهم من يجنح الى القول بأن أول من صنع نقوداً من سبيكة طبيعية يختلط فيها الذهب والفضة ، حيث تصل نسبة الفضة إلى ٢٠ او ٣٠٪ هم الليديون في بلاد الأناضول ، تركيا المعاصرة ..

وخلال القرون تطورت صناعة العملات الفلزية تطوراً هائلا من حيث استخدام الفلزات وسبائكها ، وطرق صهرها ، وضربها حتى اعتبر العلماء المؤرخون دراسة العملات المسكوكة ، عبر التاريخ موضوعاً هاماً ، قائماً بذاته ، في سبر اغوار التاريخ الانسانى ، وسموه باسم علم « المسكوكات » ومنهم من اطلق عليه علم « النميات » ، واضافوا للدراسة مع النقود كل شيء من معدن منقوش له دلالة تاريخية .. وأخرجت المطابع في جميع انحاء العالم المتحضر ، سيلا زاخراً من الكتب والنشرات العلمية والمقالات ، والآراء البحثية ، بمختلف اللغات ، عن المسكوكات منذ فجر التاريخ ، وعرف الناس أصل لفظات الدينار والدرهم والفلس والمثقال والجنيه والريال والفرنك والبيزة والبرغش والروبية ، وما إليها ..

ولقد توصل دارسو المسكوكات الاسلامية من ذهب أو فضة أو نحاس الى إثبات انها سجلات تاريخية صادقة ، لا مجال فيها للتحريف ، فهي في حالات شتى ، أصدق من القراطيس والكتب .. كما عرف العلماء كذلك أن المسكوكات خلال زمان وعبر أقطار الدولة الاسلامية ، كانت في كثير من المناسبات تقوم بدور الاعلام والحرب النفسية ، في زمان لم يك هنالك فيه صحف تنشر ولا أمواج أثير تحمل الاذاعات مرئية أو مسموعة .. فيروى ، على سبيل المثال ، ان المعز لدين الله الفاطمى ، عندما عزم على غزو مصر ، بدأ يعد العدة إعلامياً لذلك ، فضرب دنانير من الذهب تحمل اسمه ، على أنها مضروبة في مصر ، وظل الناس يستخدمون في مصر ذهب المعز زهاء سبعة عشر عاماً قبل أن يتحرك جيشه بقيادة جوهر الصقلي ، فاعتبروه جيشهم ولذا لم يبد « الشعب » أدنى مقاومة لذلك الجيش ! ! !

كذلك اتخذت المسكوكات وسائل للدعاية المضادة ، فكم من خوارج على نظام سكوا نقوداً تحمل صور من خرجوا عليه ، وهو يحتسي الخمر أو ينادم القيان والمحظيات ..

وعلى طريق النهضة في قطر ، افتتح حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، متحف قطر الوطني ، في الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة ١٣٩٥ (١٩٧٥/٦/٢٣) كمرفق حضاري ، يعبر عن البيئة القطرية تعبيراً علمياً وجمالياً ، في ماضيها وحاضرها ، وفي برها وبحرها ، بانتماءاتها التي لا تنفصم ، خليجياً ،

بقلم : درويش مصطفى الفــار



مسكوكات اسلامية مضروبة من فلز القصدير



دينار نادر من الذهب ، ضربه السلطان غياث الدين محمد بن سام من الدولة الغورية



مسكوكة اسلامية ذهبية نادرة من مقتنيات مشروع معهد الدوحة لدراسة المسكوكات الاسلامية، المسكوكة تزن ٤٤،٩٥٤ جراما ، وقطرها ٤٧ ملليمترا

وعربياً ، واسلامياً وإنسانيا ، وأمر سموه بأن تعطى المسكوكات الاسلامية فى هذا المتحف أهميتها التى تستحقها ، باعتبارها وسائل علمية متقدمة لسبر اغوار تاريخ الأمة الاسلامية التى تنتمى دولة قطر اليها ماضياً وحاضراً ..

واقتنى متحف قطر الوطنى ما يزيد على عشرة آلاف مسكوكة اسلامية من الذهب والفضة والنحاس ، تمثل ، تقريباً ، كل أقطار الأمة الاسلامية على سعتها بين اندونيسيا وموريتانيا ، حاضراً وبين الاندلس وحدود الصين فى الماضى القريب ..

ومن هذه المجموعة النادرة من المسكوكات ، رأت الدولة على طريق النهضة ان تنشىء :

« معهد الدوحة لدراسة المسكوكات الاسلامية » بأحدث الطرق العلمية المعاصرة فى ميادين التاريخ ، والكيمياء والفيزياء بحيث يصبح هذا المعهد ، الذى لا نظير لفكرته حتى الآن فى العالم كله ، هادفا لتحقيق ثلاثة أهداف أساسية :

(١) إضافة مرفق ثقافى ترويحى الى العاصمة الدوحة .

(٢) نقل طرز وانماط البناء والمعمار الاسلامى الخالد ، فى الحمراء بالاندلس ، وقبة الصخرة بالقدس الشريف ، والتاج محل بالهند ، وغيرها فى مشارق الأرض ومغاربها ، بحيث يمثل بناء هذا المعهد تجسيدا حيا حديثا لذلك التراث الخالد .

(٣) ارساء قواعد مختبرات علمية يقوم فيها الشباب من منطلق دراسة المسكوكات الاسلامية ، باستخدام أجهزة الفحص والتحليل الحديثة فى الكيمياء والميتاليرجى والخصائص الفزيائية ، للتوصل الى مصدر الذهب والفضة والنحاس لهذا الدينار أو ذاك الدرهم مما يحقق معرفة طرق واتجاهات التعدين والتجارة فى كل حقبة من تاريخ الدولة الاسلامية الغابر ، ويلقى الضوء العلمى الصادق ، على طرق التعدين والسبك واستخلاص الفلزات ، مما لا يزال الوسط العلمى يجهله لدى الدولة الاسلامية .. والى جانب المعامل والمختبرات ، تكون لهذا المعهد مكتبة شاملة تحوى كل ما كتب عن المسكوكات فى أى زمان أو مكان ..

ولسوف يكون هذا المعهد ، فريدا فى نوعه عالميا ، وملتقى للدارسين والندوات العلمية فى ميدان المسكوكات الاسلامية ، ومنطلقاً جديداً لاسلوب علمى مستحدث على أسلوب دراسة تلك المسكوكات دراسة علمية عميقة مضيفاً بذلك معلماً أصيلا على طريق النهضة الحديثة فى دولة قطر .

ولقد أتم الأستاذ الدكتور محمد أبو الفرج العش ، طيب الله ثراه ، دراسة جانب كبير من المسكوكات الأموية والعباسية التى تتضمنها مجموعة معهد الدوحة لدراسة المسكوكات الاسلامية ، وقامت وزارة الاعلام القطرية بنشر هذا السفر القيم على الملأ العلمى فى مختلف بلاد العالم ، كباكورة لذلك المشروع الحضارى ..

ويقوم تلاميذ المرحوم الدكتور العش ، بمواصلة الإعداد لإصدار الجزء الثانى من هذه الدراسة ، وعلى رأسهم السيد ابراهيم جابر الجابر ، رئيس وحدة المسكوكات بمتحف قطر الوطنى ..

إن إنشاء معهد الدوحة لدراسة المسكوكات الاسلامية ، سوف يكون حدثاً تاريخياً فى الأوساط العلمية ، لاشك ولا ارتياب .. وسوف لا يقتصر نفعه على مجرد دراسة المسكوكات فقط ، بل سيكون ميداناً رحباً ، لمختلف الدراسات ، تاريخية ، وكيمائية ، وفزيائية ، فى كل ما يتعلق بالمسكوكات ، نشأتها وتطورها وتأثيراتها السياسية والاقتصادية ، وفلسفة صناعتها وضربها وأوزانها ، مما له علاقة أساسية كبرى ، بمسيرة الحضارة الانسانية على هذه الأرض التى فطر الله الناس عليها وسخر لهم ما فى برها وبحرها وأعماق طبقاتها ، لغاية عنده سبحانه ، لا نعلمها ، فهو الذى بدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ، واليه المصير وحده لا شريك له .

درويش مصطفى الفار



صنعاء الجميلة تنادي العالم المتحضر!

بقلم: فاروق أباظة

صنعاء مدينة انجبها الزمن عبر الدهور السحيقة الممتدة لآلاف السنين ومازال عبق التاريخ القديم يغلف قبابها البيضاء ومآذنها الشامخة ونوافذها الأسطورية ذات العقود الزجاجية الملونة .. هنا مرت الأيام والقرون والحقب متحنية الهامة أمام الجمال المتفرد لواحدة من أقدم المدن الباقية في الدنيا . والتي قدت من الصخور الصامتة لجبلي نقم وعيبان في واد ذي زرع مجلل بأزاهير الربا ومراعي القطعان وجنات الأعناب وأشجار الطلح والدوم .. اختار مكانها سام بن نوح وبنى فوق قمة الجبل قصره المسمى بغمدان والمؤلف من عشرين دوراً .. وصنعاء النبيلة العريقة المجد تدعو العالم المتحضر كي يستجيب لندائها من أجل الحفاظ على تراثها وآثارها . بعد أن وافقت هيئة اليونسكو أن تتبنى حملتها الكبرى الهادفة الى تجميلها وتخليد تراثها ..

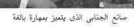
لقطة بانورامية لصنعاء الجميلة التى مازال عبق التاريخ القديم يغلف مبانيها .. وهى تدعو اليوم العالم المتحضر ليستجيب لندائها من أجل الحفاظ على تراثها وآثارها العريقة



منزل يمنى على هيئة برج .



منزل جديد مبنى على الطراز المحلى .



صانع الجنابى الذى يتميز بمهارة بالغة

لقد كان من المؤكد أن اصلاح هذه المدينة اصلاحاً شاملا بما فى ذلك ترميم المساكن والآثار ، وإحياء جميع الموارد الاقتصادية والثقافية يثير من المشكلات الفنية والمالية مالا تستطيع الحكومة اليمنية ايجاد الحلول لها ، ولذلك اعتمد المؤتمر العام لليونسكو قراراً سمح فيه للمدير العام بأن يجرى بالتعاون مع الحكومة اليمنية وفى حدود ما تسمح به ميزانية الدراسات الفنية اللازمة لاعداد خطة عمل تفصيلية لحماية وعون وترميم واحياء صنعاء ، ولتحديد أساليب القيام بحملة دولية لصالحها ووضع برنامج مقسم الى مراحل زمنية وفقاً لترتيب الأولويات ، وعلى أساس الامكانيات المالية والفنية المتاحة واحتمالات المساهمة الدولية .. وقد وجه الدكتور أحمد مختار إمبو المدير العام لمنظمة اليونسكو نداء الى العالم دعا فيه جميع الدول الأعضاء فى اليونسكو حكومات وشعوباً ومؤسسات عامة وخاصة ومنظمات دولية حكومية وغير حكومية وكذلك المؤسسات والهيئات المالية الى المشاركة عن طريق تقديم المساهمات التطوعية سواء كانت نقوداً أو معدات أو خدمات ، من أجل الحملة الدولية لصيانة مدينة صنعاء القديمة . ودعا مدير عام اليونسكو المتاحف وبيوت الفن والاكاديميات والمكتبات وكل المؤسسات المعنية بالصون والتقدم وبنشر الثقافة الى تنظيم معارض عن صنعاء ، وتقديم هبات لصونها وترميمها . كما دعا أيضاً الأطفال والشباب فى البلاد العربية والاسلامية للاسهام فى صون تراث أصبح جزءاً من التراث العالمى ، وكذلك جمع التبرعات لإنجاز العمل الدولى لصالح المدينة التاريخية العريقة . وقال مدير المنظمة التى وجهت العام الماضى عدة نداءات من أجل صون آثار جليلة فى العالم بأسره إنه يحق لها أن تفخر بنجاحها بفضل التضامن الدولى فى المشاركة من أجل إنقاذ آثار النوبة التى تعد أكبر عملية إنقاذ أثرى نفذت حتى الآن ، وترميم واحد من أكبر المعابد الروحية فى أندونيسيا . ومازالت اليونسكو تتابع جهودها للحفاظ على مدينة البندقية فى ايطاليا وفاس فى المغرب وسوختاى فى تايلاند وغيرها ، وقد لقيت هذه النداءات جميعاً آذاناً صاغية فى العالم ..

اسهام الحكومة اليمنية

أما تكلفة مشروع تجميل صنعاء فيصعب تقديرها ، حيث مازالت الدراسات الفنية تجرى وستسهم الحكومة اليمنية بمبلغ ٥٠٠,٠٠٠ دولار وستبحث فى إمكانية الحصول على قروض من المؤسسات المالية على الصعيد الدولى والإقليمى . وقد أنشأت الحكومة اليمنية لجنة عليا للتنسيق بين الأنشطة المتعلقة بالحملة الدولية لصالح مدينة صنعاء القديمة وسيرأس هذه اللجنة عبد العزيز

عبد الغنى رئيس مجلس الوزراء اليمنى . وقد تم اعداد فيلم ملون عن صنعاء تعرض فيه المدينة القديمة فى اطارها التاريخى والثقافى والأثرى . كما يجرى الآن الاعداد لاصدار كتيب مصور بالألوان توضح فيه الأهمية التاريخية والمعمارية لهذه المدينة بالاضافة الى تنظيم معرض للصور بمقر اليونسكو . وتعتقد السلطات اليمنية وتوافقها على ذلك البعثات التى أوفدتها الى اليونسكو أن أى محاولة للقيام بمهمة الترميم من زاوية معمارية فقط لن يسفر الا عن اصلاح مؤقت وباهظ للمبانى ، وذلك نظراً للصعوبات الجسيمة التى تتسم بها الحالة فى صنعاء . وانما يجب أن يعتمد برنامج الترميم الى حد بعيد على ما لصنعاء من قدرات وموارد تقليدية . فالأمر لا يقتصر على صون صنعاء من حيث مظهرها الخارجي ، وانما يقتضى بث حياة جديدة فيها ، ووفق برنامج عمل يراعى ضرورة التخطيط لمشروعات الكهرباء ووسائل النقل والصناعات الحرفية ، والمرافق الاجتماعية والأنشطة الثقافية ومراكز المخطوطات والمكتبات والمتاحف . كما سيوجه الجزء الأول من أشغال الترميم المعمارى الى المبانى التى تتطلب عناية عاجلة لأهميتها التاريخية والفنية والثقافية مع مراعاة وقف التدهور الذى يصيب المدينة القديمة فى نسيجها التاريخى نتيجة لادخال تعديلات محدودة ولكن دون التفكير فى عواقبها البعيدة . مثال ذلك تدمير سور المدينة القديمة تدريجياً وكذلك بيع وتقسيم البساتين القديمة لمشروعات الاسكان ..

وهذه هى الأبنية التاريخية داخل مدينة صنعاء والتى ستكون لها الأولوية على غيرها بالنسبة للاصلاح والترميم :

من المساجد : مسجد النهرين ، ابن الحسين ، الزمر ، الأبهر ، الطواشى ، عقيل ، طلحة ، الفليمى ، المهدى العباسى . ومن المدارس مدرسة الباكرية ، صلاح الدين ، التقوى ، قريش ، موسى ، القصر ، الشاهدين ، الجبرى ، الغزالى ، حنظل ، المتوكل . ومن الحامات حمام السلطان ، الشكر ، الميدان ، سبأ ، الحمدانى ، المتوكل ، العرضى ، الجلا ، بالاضافة الى مبان أخرى كبيت الامام المنصور والقصر الجمهورى وقصر غمدان وبيت سيف الاسلام القاسم وبيت الحلالى ودار الخير وبيت القاضى ابراهيم وقصر السلاح ، والضريح التركى ودار الشكر ، وسمسرة ، ووزارة الداخلية ودار الضيافة ، ودار الحمد وبيت العباسى وغرفة بلقيس .

وقد طلبت الحكومة اليمنية بأن تحظى بتعاون دولى على شكل إخصائيين دوليين مؤهلين تأهيلا عاليا من مهندسى العمارة والترميم بالاضافة الى متخصصين فى تخطيط المدن وعلماء آثار وموجهين ثقافيين وأمناء مكتبة وفنيين فى مجال المخطوطات ، وأخصائى فى الاقتصاد الاجتماعى

وقد تم اختيار الدكتور أحمد قدرى رئيس مجلس إدارة هيئة الآثار المصرية مستشاراً للمشروع من قبل هيئة اليونسكو .. وهو معروف بدوره الكبير فى إنقاذ وترميم آثار مصر الاسلامية والقبطية والفرعونية وفى مقدمتها قلعة صلاح الدين .

عطر التاريخ

ولكن لماذا كان هذا الاهتمام الكبير بصنعاء ؟ . انها نموذج فريد وعظيم من الفن الخالد .. يقولون إن من يغادرها الى أرض الاغتراب لابد وأن يعود اليها ليلقاها فى شوق وحب وافتتان بمغانيها وأعنابها وجداولها البللورية . ويتجسم هذا الشوق والحب فى بيت شعر يردده كل يمنى داخل صنعاء أو فى أى أرض يحط فيها رحاله :

يوماً تغنى فى منافينا القدر
لابد من صنعا وإن طال السفر

يقول الدكتور عبد العزيز المقالح المفكر والكاتب اليمنى « .. ما الذى يصنع الدهشة فى عيون زائرى مدينة صنعاء القديمة ؟ هل هو عطر التاريخ أم شيخوخة الأحجار ؟ هل هو نظام البناء أم مادة البناء ؟ .. هل هو توهج الأيام الغابرة أم طريقة التخطيط والترتيب ؟ .. فى الخمسينات تناقل الناس فى صنعاء على نطاق واسع أخبار السيدة الأمريكية التى طلبت من الامام أحمد آخر من حكم اليمن من الأئمة أن يبيع لها صنعاء بأربعين مليون دولار بعد أن يقوم باخلائها من سكانها على أن يبنى لهم مدينة فى مكان آخر من الوادى الذى تنهض صنعاء القديمة على جانب صغير من جوانبه الواسعة . وقد تضمنت تلك الحكاية الطريفة ضرورة العناية بالمدينة العريقة ذات الطابع المميز والخصوصية الفريدة » ..

وصنعاء من حيث التقسيم الجغراقى كانت تنقسم الى ثلاثة أقسام يفصل بينها حاجز أو سور ،

• دعوة شاملة للحفاظ على واحدة من أقدم مدن الدنيا

• دخلها « يتبور » وهو يرتدى ثوباً يمنياً ووصفتها « كلودى » بـأرق كلمـــات الحـــب

ولكل قسم منها طابعه الخاص ونمطه المتغير . فالقسم الشرقى من المدينة هو القسم الأكبر والأهم ويضم الأحياء القديمة والأسواق والمساجد والمآذن ، وتمتاز مبانى هذا القسم بالفخامة والزخرفة وتعدد الطوابق . وتتجلى فيها أهم خصائص المعمار اليمنى القديم ببساطته وجمالياته ، والقسم الأوسط من المدينة وهو ما كان يسمى بـ (بير الغرب) ويضم مجموعة من الحدائق يتوسطها بعض قصور الامام والأمراء والحاشية ، وبعض البيوت ذات الطابع العثمانى التى تحل الشبابيك الخشبية فيها محل النوافذ والعقود الزجاجية الملونة ، ولا يترك للحريم سوى خصاص المنافذ الصغيرة للشبابيك للنظر أو الفرجة . أما القسم الثالث فيضم « الجيتو » أو الحى اليهودى بأزقته الضيقة وسوقه الصغيرة التى تقسم الحى الى قسمين كبيرين أحدهما شمالى والآخر جنوبى ــ وكان يفصل بين حى اليهود وبير العزب أو القسم الأوسط من المدينة سور ترابى يتصل بالسور العام للمدينة ، وكان له منفذان أو بابان يغلقان مع الغروب . فيعزل اليهود عن بقية سكان المدينة طوال الليل ، ولايفتحان الا مع الفجر شأن أبواب المدينة الأخرى المؤدية الى خارجها .. أما نمط البناء فى الحى اليهودى فهو نمط مغاير لكل الأساليب العربية والاسلامية والعثمانية التى كانت شائعة فى المدينة . فهى لا تزيد فى الارتفاع عن طابقين الا نادراً ، وتبدو السطوح متلاحقة وكأنها سطح بيت واحد ، ويتوسط سطح كل بيت فتحة واسعة رصفت أراضيها بالأحجار كما يتوسط سطح أهم غرف البيت فتحة صغيرة خاصة بالطقوس الدينية وهى مغطاة ، ولا تفتح الا فى الأعياد والمناسبات . وظاهر بيوت اليهود يطلى بالطين ، ويترك الى أن يتساقط بعضه ليوحي للمشاهد بالبؤس وسوء الحال ، حتى لا يطمع الآخرون بما فى داخلها من متاع وأموال . وعادة ما تكون من الداخل أنيقة ومليئة بأندر المفروشات والمقتنيات .. وقبل أن يرحل اليهود من اليمن باعوا منازلهم وحوانيتهم لبعض أهالى المدينة . فلم يحافظوا على طابعها القديم . وهدموا هذه المنازل ثم بنوها بالطوب والحجر ، وأصبحت صنعاء مدينة إسلامية بطابعها العربى الفريد .

عاصمة اليمن السعيد

ويقول القاضى محمد بن علي الأكوع الحوالى من كتابه « اليمن الخضراء مهد الحضارة » إنها عاصمة اليمن السعيد كما أسماها مؤرخو اليونان وعروس الجزيرة العربية والجوهرة اليتيمة فى بلاد العرب ، وإحدى جنان الأرض بإجماع الناس كما قال لسان اليمن والمؤرخون القدامى ، ومملكة بنى حمير ومقر عز الملوك التبابيع ومحط كل سميدع ومليك ، وأطيب أرض الله هواء وارقها نسيماً وأعذبها ماء .. وقد نسبت الى صنعاء بن إزال بن يقطن بن العبير

بن عابر بن شالخ ، ويقال إنها أول مدينة بنيت بعد الطوفان والباني لها سام بن نوح عليه السلام . ولصنعاء أربعة أبواب هي باب اليمن وباب شعوب وباب السبحة وباب القصر ، وكانت حسنة العمارة ، بناؤها بالآجر والجص ، كثيرة الأشجار والفواكه والزروع ، معتدلة الهواء طيبة الماء واذا نزل عليها المطر غسل جميع أزقتها ، وكان في صنعاء القديمة أربعة جداول بقي منها جدول « درداع » بالقرب من الجامع الكبير في سكة الحدادين ، ولكنه انقطع اليوم ، هذا عدا الآبار التي كانت تنتشر في كل بيوت صنعاء . أما أسواق صنعاء فهي كثيرة ، من بينها سوق الملح وسوق البقر وسوق الحمير وقد أهملت السوق الأخيرة لعدم الحاجة إليها بسبب انتشار استخدام السيارات ..

وتتميز منازل صنعاء بالزخارف الزجاجية فوق نوافذها كما يعتني أهلها بزينة الأماكن وخاصة السياج الملاصقة للنوافذ ، حيث توضع فوقها المزاهر النحاسية وقناني رش ماء الورد ومباخر العود . وتحرص المرأة اليمنية على أن تكون هذه المصنوعات « مجلوة » ولامعة . أما الحجرات فتفرش بالسجاجيد الجميلة الألوان تبعاً لثراء صاحب المنزل .

ومدينة صنعاء التاريخية كثيراً ما ألهبت خيال الرحالة والمؤرخين والشعراء في العصر القديم والحديث من رواد رحالة أوروبا الذين قدموا اليمن الى الغرب في مؤلفاتهم ، منهم العلامة الدانماركي نيبور حيث سافر اليها هو وبعثته المكونة من خمسة أفراد ، وكان ملك الدانمارك في النصف الثاني من القرن الثامن عشر قد كلفهم بهذه المهمة وكانت هذه أهم بعثة ترسلها أوروبا في ذلك الوقت الى مصر واليمن .. يقول الرحالة كارستن نيبور انه بعد أن طاف بأرض اليمن وقابل المتاعب والأهوال ، انتهى إلى أبواب صنعاء حيث استقبله كاتب الفقيه أحمد وزير الدولة الذي جاء من قبل الإمام عباس ابن الحسين لاستقبال البعثة ... جاء ومعه هدية الإمام وهي عبارة عن أغنام ، ومعها جمال محملة بوقود الطبخ ، ومجموعة من الشموع وأكياس الأرز وجميع أنواع الخضراوات . كما خلع عليه ثوبا يمنياً جميلا ارتداه نيبور ، وطلب الإمام أن يعفى لعدم استطاعته رؤية البعثة لفترة يومين لأنه كان مشغولا جداً بدفع رواتب جنوده . وفي صنعاء استرجعت البعثة قواها ، وفي ضاحية رائعة من ضواحي المدينة كان نيبور يأكل العنب . وقد ذهبت عنه كل ذكريات الرحلة المحزنة ويصف نيبور أحوالهم فيقول « لم نعش هذه الراحة منذ زمن طويل .. لقد كان للبيت الذي خصصه لنا وزير الإمام غرف جميلة وكان محاطاً بحديقة مليئة بجميع أنواع الفواكه التي يبدو أنها تنبت على الطبيعة بعناية ، بينما أنها تنبت على الطبيعة دون عناية . إنها حديقة على الطريقة العربية بها نافورات وبرك حيث يفضل المرء الجلوس في الظل

« ترميم واصلاح الأسوار والأبواب والمساجد والمدارس والأسواق

« قصة الثرية الأمريكية التي طلبت شراء صنعاء بـ ٤٠ مليون دولار !

على أن يمشي » .

وبعد يومين استقبلهم الإمام في مقابلة رسمية عامة .. ازدحم الميدان المشمس بالخيل والخدم والموظفين ، ولم يستطع أعضاء البعثة الوصول الى المدخل الا بعد أن أتى مدير الاسطبلات ، وأفسح لهم الطريق بهراوة ضخمة في يده . ولأن نيبور كان هو الوحيد بين أفراد البعثة المتحدث باللغة العربية ، فقد أصبح رئيسهم . وجرت المقابلة الرسمية في قاعة مستطيلة تحت سقف له قناطر ، وفي الوسط كانت نافورة تتدفق ماءها في الهواء مسافة أربعة عشر قدما . وقد غطيت الأرضية كلها بالسجاد العجمي ، أما منصة العرش فمغطاة بالحرير وعليها ثلاث مشايات كبيرة احداهما خلف الامام واثنتان على جانبيه ، وأخذونا مباشرة الى الامام لتقبيل يده وتقبيل ثوبه أيضاً المتدلي على ركبتيه .. وحينما عاد أعضاء البعثة الى منازلهم تسلم كل منهم كيساً هدية مليئة بالعملة الفضية ..

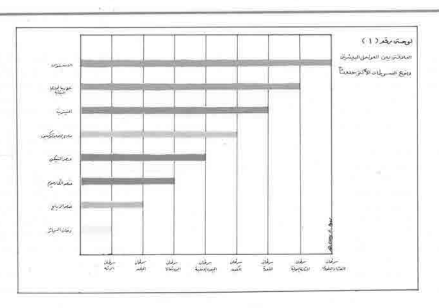
سحر الشرق الغامض

وفي أوائل الخمسينات من هذا القرن جاءت من باريس الى صنعاء الطبيبة الفرنسية كلودي فايان ، التي استهواها سحر الشرق الغامض المثل في الأرض اليمنية البكر فآثرت أن تتطوع للعمل كطبيبة ، هناك تقول الدكتورة كلودي فايان في كتابها الرائع : « كنت طبيبة في اليمن » عن مدينة صنعاء . لا يثير دهشة الأوروبي أكثر من مدينة عظيمة بلا نهر ، بلا ينابيع على سطح الأرض ، إن هذا نوع من التحدي للقوانين الاقتصادية . وتظل العين في شوارع صنعاء مأخوذة بهذه العمارات الشاهقة وتشاهد أجمل المناظر من أعلى طابق يطل على المنازل المجاورة ، والزخرفة الرئيسية في بيوت صنعاء هي النوافذ الواسعة العالية ويستطيع الانسان هنا لحسن الحظ أن يتنزه وأنفه في السماء ودون خطر . فالشوارع خالية من الدراجات والسيارات والأرض مفروشة بالرمال النظيفة كممرات قصر من القصور ، وتمر سيارتنا الجيب برجال يتنزهون وأيديهم متشابكة ، « وبهائم » تسير بخطوات قصيرة سريعة يسوقها رجال طاعنون في السن ، هزيلون يضعون على أكتافهم جلد خروف ، وكأنهم خرجوا لتوهم من الأسفار القديمة .. أما الخيل الفاخرة فهادئة ساكنة تحيط رقابها عقود من الحرير ويمتطيها أسياد ذوو هيئة صارمة يحتزمون بالخناجر ، وكأنهم خرجوا مباشرة من احدى قصص ألف ليلة وليلة . وقد تأرجح خيالي بين العهد القديم وأقاصيص شهر زاد ، وسبب لي هذا دواراً غريباً ، قد يجد الانسان في بقاع العالم غير صنعاء حياة غريبة وغير عادية الا أن هذه البقاع ستكون بلاشك بعيدة عن الحضارة الحديثة ولكن الانسان يجد في كل بلد متمدين أثراً ما للحضارة الأوربية .. أما صنعاء فليس فيها شيء على الاطلاق ، ان شيئاً من الغرب لا يعكر هذه الفتنة وقد صعب على أن أهضم كل ما حولي وكان وقع الدهشة والاعجاب بكل هذا كشحنة كهربائية ، لقد ذهلت في اللحظة الأولى ولكني بعدئذ أحببت صنعاء من أعماقي .. لقد أعدوا لي منزلا كان خاصاً بالحريم جدرانه بيضاء وتبدو في سقوفه نتوءات بارزة للأخشاب المصبوغة بالجص أما بيت الماء فواسع مفروش بالبلاط المربع وفيه حوض ماء وموقد للفحم فوقه غلاية لتسخين الماء للاستحمام وقاع الحجرات من الجص ومفروش بالحصير ، وفي صنعاء نحو أربعين مسجداً بينها خمسة عشر مسجداً مناراتها جميلة جدا .

شوارع بلا أرقام

وتضيف كلودي ان شوارع صنعاء بلا أرقام ، وقد يكتب المالك اسمه في واجهة داره ويقطع صنعاء من الشمال الى الجنوب نهر يتحدثون عنه كثيراً لكن هذا النهر لا يجري الا بضع ساعات في السنة . وتنتظم الطوائف في تجمعات وأهمها طائفة الجزارين الذين تقع عليهم تبعة اصلاح ما ينهار من أسوار المدينة التي تتعدد فيها الأسواق التجارية .. وعندما ودعت الدكتورة كلودي فايان صنعاء كتبت تقول إنني وأنا أودع أصدقائي اليمنيين لا أفكر في أوجاعهم وآلامهم ولكني أفكر في صفاتهم وفي قلوبهم وأذهانهم وفي رغبتهم الصادقة العفوية في الاصلاح ، تلك الرغبة التي ظلت قوية فيهم لأنهم أحرار لا يعلقون التقدم الحديث على وجود أجنبي يتحكم في بلادهم ... هكذا أحبت كلودي فايان صنعاء وهكذا أحبها كل من سمعها اليوم وهي توجه نداءها الى العالم المتحضر من أجل أن لا يتسرب من أركانها عبق الزمن القديم ويبقى طابعها المتفرد المميز شاهداً على الأصالة والشموخ والجمال ، وقبل أن يزحف على واديها الأخضر المعطر بالأصالة والجلال مدنيّة الجدران الجاهزة والدشم الخرسانية وعمارة الأسمنت والحديد ! !

فاروق أباظة





الأبحاث الطبية تجيب على هذا السؤال :

الغذاء الذي نتناوله هل له علاقة بالسرطان ؟

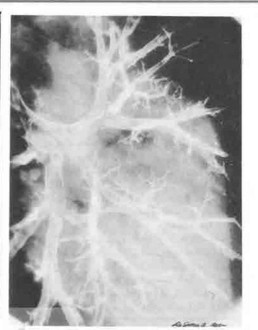
بقلم : الدكتور سامي عزيز

هذا الخطر على صحة الانسان مازال وسيظل يشغل مساحة كبيرة من اهتمام العلماء والاخصائيين . وهم يحاولون الوصول الى أسبابه الحقيقية : حتى يمكن الوقوف في وجهه ، وتفادى أضراره . وفي مجالات البحث العلمي الأخيرة والمستمرة يحاول العلم أن يجيب على سؤال هام ، هو : هل هناك علاقة بين الغذاء الذي يتناوله الانسان وبين الاصابة بهذا الخطر : السرطان ؟ .. وما توصل إليه العلماء يحمل الكثير والجديد من المعلومات ..

تؤكد التقارير الامريكية على أن واحداً من بين أربعة أمريكيين يموت بسبب السرطان . ففي سنة ١٩٨٣ وحدها مات أكثر من ٤٢٠,٠٠٠ أمريكي بسبب السرطان . وللآن ــ رغم المراكز المتخصصة والمنتشرة في مختلف دول العالم ــ لا يمكن تحديد السبب المباشر للتغير المفاجيء الذي يصيب الخلية البشرية ويجعلها تنقسم بهذه الطريقة الجنونية ، الا أن هناك بعض العوامل الهامة التي يمكن اعتبارها مسئولة :

• العامل الوراثي أو الجيني :

ان سرطان الثدي أكثر انتشاراً في بعض العائلات عن غيرها ، فالسيدة التي تصاب بسرطان الثدي مثلا ترتفع احتمالات الاصابة بنفس المرض في قريباتها (اخواتها وبناتها) بنسبة تصل الى خمسة أمثال احتمال ظهوره لدى أي سيدة أخرى لم تعرف عائلتها هذا المرض .



لوحة رقم (٢) سرطان الرئة : تشير الأبحاث إلى أن مركبات الكاروتين من نوع «ب» وليس فيتامين «أ» هى التى تقى الجسم من شر السرطان .

لوحة رقم (٣)

فيتامين «ج»

أثبتت الأبحاث العلاقة بين نقص فيتامين «ج» وزيادة معدلات سرطان المرىء وسرطان المعدة . وربما يحدث ذلك عن طريق تنشيط الجهاز المناعى فى الجسم أو عن طريق تنشيط تفاعلات الأكسدة .

• الفيروسات المسببة للسرطان :

تشير التجارب الى أن الفيروسات تسبب العديد من السرطانات فى مختلف الحيوانات الثديية بالاضافة الى الأسماك والضفادع وغيرها . وأمكن حديثاً عزل الفيروس C. Type R. N. A. من الغدد الليمفاوية لمرضى الهودجكين وبعض السرطانات الليمفاوية ومرضى اللوكيميا (سرطان كريات الدم البيضاء) مما يؤكد الدور الذى تلعبه بعض الفيروسات فى الاصابة بالسرطان . كما ثبت حديثاً أن الفيروس ابشتين بار Epstein-Barr Virus مسئول عن بعض السرطانات مثل بركت ليمفوما المنتشرة فى وسط أفريقيا وسرطان الجزء العلوى من الحلق . أما الفيروس هربس الثانى H S V 2 فمسئول عن الاصابة بسرطان عنق الرحم .

• العوامل البيئية :

تؤكد الأبحاث التى أجريت فى العديد من المراكز الطبية الامريكية على أن ٧٠ إلى ٨٠٪ من السرطانات المختلفة التى تحدث فى الآدميين ترجع الأولى الى أسباب بيئية وكيميائية . وأن ٤٠٪ من السرطانات المختلفة ترجع بطريق مباشر أو غير مباشر الى التعرض لدخان السجائر . وقد أمكن حديثاً عزل أكثر من ١٥ مادة محدثة للسرطان (مشتقات كربونية وأمينية) من دخان السجائر . كما ثبت أن دخان السجائر يمكن أن يسبب العديد من السرطانات مثل :

سرطان الرئة ، سرطان المرىء ، سرطان المثانة البولية .

كما ثبت أن سرطان الرئة يمثل ٢٠٪من أسباب الوفاة عند عمال مصانع الاسبستوس .

ويوضح الجدول الآتى العلاقة بين العوامل البيئية ونوع السرطان الأكثر حدوثاً (لوحة رقم ١) :

العامل البيئى	السرطان المحتمل حدوثه
دخان السجائر	سرطان الرئة والجزء العلوى من الجهاز التنفسى
الاسبستوس	سرطان الرئة وسرطان الغشاء البلورى
عنصر الزرنيخ	سرطان الجلد
عنصر الكادميوم	سرطان البروستاتا وسرطان الكلى
عنصر الكرميوم	سرطان الرئة
عنصر النيكل	سرطان الجيوب الأنفية
عنصر اليورانيوم	سرطان الرئة
مادة الافلاتوكسين	سرطان الكبد
النيتريت	سرطان المعدة
زيت الايزوبروبيل	سرطان الجيوب الأنفية
بلهارسيا المجارى البولية	سرطان المثانة البولية

• التعرض للاشعاع وبعض الكيماويات :

بالاضافة الى العوامل البيئية ثبت أن التعرض للاشعاع يمكن أن يؤدى على المدى الطويل الى حدوث تغيرات سرطانية . وأوضح مثال لذلك سكان هيروشيما وناجازاكى وحدوث سرطان لوكيميا الدم فى غالبية الذين نجوا من الموت منهم بعد أكثر من ٧ سنوات من تعرضهم للاشعاع . كما ثبت أن استخدام أشعة اكس وغيرها كوسيلة علاجية (كما هو الحال فى علاج بعض الأمراض الروماتزمية التى تصيب الفقرات والتهاب الغدة التيموزية) غالباً ما يعقبه العديد من التغيرات السرطانية بعد فترة قد تصل الى سبع سنوات . ويوضح الجدول الآتى العلاقة بين الكيماويات المسببة للسرطان ونوع السرطان الأكثر حدوثاً :

المادة الكيماوية	السرطان المحتمل حدوثه
الفوسفور المشع	لوكيميا الدم
الراديوم	سرطان العظام وسرطان الجيوب الأنفية
المواد المثبطة للجهاز المناعى	سرطانات الجهاز الليمفاوى وسرطان الجلد وسرطان القولون .
المواد القاتلة للخلايا مثل السيكلوفوسفاميد	سرطان المثانة البولية

ولكن هل الغذاء الذى نتناوله له علاقة بالسرطان ؟

وهل تناول فيتامين « أ » يقى بحق من سرطان الرئة وسرطان الثدى ؟ وما هو الدور الحقيقي الذى يلعبه هذا الفيتامين ؟

نشرت مؤخراً مجلة « نيوانجلند مديكال » أكثر من بحث يؤكد على ضرورة تناول كميات كبيرة من فيتامين « ج » خاصة فى الأشخاص المعرضين للإصابة بسرطان المعدة .

وتؤكد الأبحاث على أن هذا الاحتياط لن يضر فى شىء .

أما العلاقة بين سرطان القولون ونوع الغذاء فمعروفة من فترة ليست ببعيدة . فانخفاض سرطان القولون فى بعض المناطق الأفريقية يرجع بالدرجة الأولى الى كثرة تناول الأغذية ذات الألياف وقلة تناول الأغذية الغنية بمادة الكوليسترول .

كما أن العلاقة بين عنصر السلنيوم وسرطان الثدى وسرطان القولون أصبحت من الموضوعات المثيرة التى تتناولها المجلات الطبية المختلفة .

فيتامين « أ » والكاروتين :

من أهم الوظائف الفسيولوجية لفيتامين « أ » التحكم فى الانقسام الخلوى ، وحيث أن أبرز ما يميز مرض السرطان فقد السيطرة على الانقسام الخلوى ، لذلك يعتقد فى وجود علاقة بين نقص تناول فيتامين « أ » وحدوث السرطان . وفى دراسة أجريت فى النرويج وجد أن الرجال الذين تناولوا فيتامين « أ » أكثر من المعدل الطبيعى كانت نسبة إصابتهم بسرطان الرئة أقل من نسبتها فى الرجال الذين لم يكثروا من تناول هذا الفيتامين . وهناك نتائج مماثلة توصل اليها الباحثون فى كل من اليابان وسنغافورة والولايات المتحدة الأمريكية .

كما ثبت وجود علاقة بين نقص تناول فيتامين « أ » وحدوث سرطان المثانة البولية وسرطان الجزء العلوى من الجهاز الهضمى وسرطان الثدى . وعند تفسير نتائج هذه الأبحاث يجب الأخذ فى الاعتبار تنوع مصادر فيتامين « أ » . فهو بهيئته الكاملة كفيتامين يوجد فقط فى الأطعمة ذات المصدر الحيوانى . أما المصدر النباتي « الخضراوات » فتحتوى على مجموعة من مركبات الكاروتين وبعض هذه المركبات يمكنه التحول فى الجسم الى الراتينول (فيتامين أ) .. والمعروف أن مركبات الكاروتين من النوع « ب » هى وحدها التى تتحول بعد امتصاصها الى « جزيئين » من الراتينول . ولما كانت هذه الدراسات السابقة الذكر اهتمت بالسؤال عن المصادر النباتية أكثر من المصادر الحيوانية ، لذلك يجب أن نقول إن مركبات الكاروتين من النوع « ب » . وليس فيتامين « أ » هى التى تقى الجسم من شر السرطان . ولقد ثبت حالياً وجود علاقة بين تناول مركبات الكاروتين من النوع « ب » وبين الوقاية من سرطان الرئة (لوحة رقم ٢) .

وفى دراسة أجريت حديثاً فى الولايات المتحدة وجد أن سرطان الرئة تزيد معدلاته مع انخفاض مستوى الراتينول فى الدم ، ورغم أنه بات من المؤكد أن ارتفاع مستوى الراتينول فى الدم يقى من سرطان الرئة الا أن العوامل التى تتحكم فى مستوى الراتينول مازالت مجهولة . فالثابت إلى الآن أن كثرة تناول فيتامين « أ » أو مركبات الكاروتين من النوع « ب » لا يعنى بالضرورة ارتفاع نسبة الراتينول فى الدم الا فى حالات النقص الشديد لفيتامين « أ » .

لذلك فالنتائج التى تشير الى أن سرطان الرئة يصاحبه انخفاض الراتينول بالدم لا يعنى بالتالى أن نقص تناول الأطعمة المحتوية على فيتامين « أ » ومركبات الكاروتين يرتبط بسرطان الرئة .

ولكن كيف وبأى وسيلة يستطيع فيتامين « أ » أو مركبات الكاروتين أن تقى الجسم من شر السرطان ؟

ربما عن طريق التحكم فى انقسام الخلية والمعروف دور فيتامين « أ » فى هذا التحكم .

وربما يؤثر فيتامين « أ » فى زيادة امكانيات الجهاز المناعى للجسم .

أما الكاروتين فربما يمنع التفاعلات المؤكدة فى الجسم ، وبالتالى يحد من اتلاف المادة دى . ان . ايه D. N. A. الموجودة فى نواة الخلية .

ورغم الدراسات التى تشير الى أن تناول الخضراوات نظراً لاحتوائها على الكاروتين يقى من خطر السرطان ، الا أن البعض يرى أن هناك مركبات أخرى غير الكاروتينات تقى من السرطان . لذلك يجب إجراء دراسات متعددة باستخدام مركبات الكاروتين (والتى لحسن الحظ ليس لها أى أخطار جانبية حتى وعند اعطائها بجرعات كبيرة) ولاشك أن هذه الدراسات فى المستقبل ستزيل الكثير من الغموض الذى لازلنا فيه .

فيتامين ج :

أشارت بعض الدراسات مؤخراً فى انجلترا الى وجود علاقة بين نقص فيتامين ج والسرطان . وفى دراسات أخرى أجريت فى إيران وجد أن نقص فيتامين ج يصاحبه ارتفاع فى معدلات سرطان المرىء .. وفى ايسلندا وجدت علاقة بين نقص فيتامين ج وسرطان المعدة . (لوحة رقم ٣) .

وأخيراً وجد فى الولايات المتحدة أن تناول خضراوات معينة يحد من خطر سرطان المعدة . كما وجد أن الموالح (والتي تعتبر بحق من أغنى المصادر لفيتامين ج) ليس لها نفس التأثير الواقى ضد السرطان .

ورغم تناقض النتائج التى توصل اليها العلماء حول فعالية فيتامين « ج » فى الوقاية من السرطان ، فان البعض بدأ يفترض بطريقة نظرية ميكانيكية تأثير فيتامين « ج » ضد السرطان . وأهم هذه النظريات :

- أن فيتامين « ج » له دور حيوى فى تكوين المادة البين « خلوية » والتى تجعل الأنسجة مترابطة مع بعضها البعض .
- يعمل فيتامين « ج » على تنشيط الجهاز المناعي فى الجسم .
- يساعد فيتامين « ج » على الحد من انتشار السرطان بتكوين كبسولة حوله .
- ربما يتم التأثير عن طريق تثبيط تفاعلات الأكسدة .
- فيتامين « ج » يمنع تحويل مركبات النيترات والمركبات المحتوية على عنصر النيتروجين الى مركبات لها القدرة على إحداث سرطان المعدة . لذلك فالدليل على فعالية فيتامين « ج » فى الوقاية من السرطان وخاصة سرطان المعدة مازال دليلا ضعيفاً يحتاج الى المزيد من البحث والدراسة .. ولكن من المتفق عليه ضرورة إعطاء كميات إضافية من فيتامين « ج » (من ٦٠ الى ٢٠٠ ملليجرام يومياً) خاصة فى الأشخاص المعرضين للاصابة بسرطان المعدة .. اذ أن هذا الاحتياط لن يضر فى شىء .

فيتامين هـ :

هذا الفيتامين رغم كل ما كتب عنه الا أنه ليس لدينا للآن دليل قاطع على فعاليته فى الوقاية من السرطان . وربما يتم ذلك عن طريق تثبيط تفاعلات الأكسدة داخل الخلية ، وبالتالى لا يحدث أى اتلاف لمادة ال دى . ان . ايه الموجودة فى نواة الخلية .

والحقيقة أن هذا الفيتامين الهام يحتاج الى المزيد من الابحاث للتأكد من دوره في الوقاية من خطر السرطان .

عنصر السلنيوم :

يعتبر عنصر السلنيوم من العناصر النادرة ، والتي تلعب دوراً هاماً في تنشيط أنزيم الجلوتاثيون بيرادكسيداز Glutathione Peroxidase وهذا الأنزيم يحد من تفاعلات الأكسدة على مستوى الخلية .

وتشير الدراسات الى أن بعض المناطق في الولايات المتحدة وغيرها من بلاد العالم التي تفتقر تربتها الى عنصر السلنيوم ترتفع فيها معدلات السرطان أكثر من المناطق الغنية بهذا العنصر .

وتشير الدراسات الى وجود علاقة بين سرطان الثدى وسرطان القولون ونقص تناول عنصر السلنيوم .

والحقيقة أن عنصر السلنيوم يقل مستواه عن المعدل الطبيعي في مرضى السرطان .. لذلك فمن الممكن أن يكون هذا النقص نتيجة حتمية للمرض وليس سبباً فيه .. ففقدان الشهية أو قلة تناول الطعام وما الى ذلك مما يصاحب مرض السرطان ربما يؤدى إلى النقص في عنصر السلنيوم . وهذه المشكلة مازالت قائمة ومن الصعب التغلب عليها إلا عن طريق القياس المستمر لعنصر السلنيوم بطريقة منتظمة ، ولأكثر من ٢٠ سنة على مجموعة من المتطوعين الأصحاء ، ثم من يصاب فيهم على المدى الطويل بالسرطان يتم مقارنة مستوى عنصر السلنيوم لديه قبل وبعد ظهور المرض . ويستحسن عدم الاعتماد على مستوى عنصر السلنيوم في الدم كدليل لنا .. فقياس مستواه في « الشعر » وفي الأظافر يعكس لنا بطريقة أدق مقدار ما تناوله الفرد من هذا العنصر في الطعام ولاشك أن الحصول على هذه العينات أيسر . كما أن الاحتفاظ بها لمدة طويلة لا يؤثر عليها . ولا يحتاج الى أى احتياطات . لذلك يستحسن في الدراسات القادمة الاعتماد على هذه العينات بدلا من عينة الدم .

أما ميكانيكية عنصر السلنيوم في الوقاية من السرطان ، فيمكن تفسيرها كالآتي :

- أن للسلنيوم تأثيراً مضاداً لتفاعلات الأكسدة .
- أن عنصر السلنيوم يزيد من كفاءة الجهاز المناعي للجسم .

سرطان القولون والأغذية ذات الألياف :

العلاقة بين سرطان القولون ونوع الغذاء معروفة منذ فترة ليست ببعيدة وأول من أشار إليها الدكتور « وانيس بركت » الذى أكد أن انخفاض نسبة سرطان القولون في بعض المناطق في أفريقيا يرجع الى كثرة تناول الأغذية ذات الألياف .

وتشير التقارير الى أن نسبة سرطان القولون في الدول الغربية تصل الى ثمانية أمثال نسبتها في العديد من الدول النامية .. كما أن المهاجرين من الغرب الى الدول النامية تصل نسبة سرطان القولون فيهم الى نسب مماثلة لمجتمعاتهم الجديدة . ورغم أن تناول الأغذية المحتوية على الألياف يكثر في الدول النامية والتي تقل فيها نسبة سرطان القولون ، الا أن هناك العديد من أوجه الاختلاف في نوعية الغذاء من حيث كمية اللحوم والدهون وغيرها .

وتشير الأبحاث التي أجراها « ليو » سنة ١٩٧٩ الى أن العلاقة بين قلة تناول الالياف وسرطان القولون ترجع أساساً الى كثرة تناول الأطعمة المحتوية على الكوليسترول في الدول الغربية والتي يكثر فيها سرطان القولون .

وفي النرويج وفي مدينة نيويورك بالذات واليونان وجد أن تناول الخضراوات والفواكه بكثرة والتي تعتبر من أغنى المصادر للألياف وللفيتامينات يصاحبه قلة حدوث سرطان القولون .

والدور الذى تلعبه الألياف في الوقاية من سرطان القولون غير معروف للآن ، ولكن قد تعمل الألياف على الحد من نشاط وفعالية المواد المحدثة للسرطان ، أو عن طريق تغيير نشاط البكتريا الموجودة في تجويف القولون ، وبالتالي تحويل المواد المحدثة للسرطان الى مواد أخرى خاملة .

ورغم أن الأبحاث التي توصلنا اليها مازالت في خطواتها الأولى . إلا أن الدور الذى تقوم به الألياف في حماية القولون من السرطان بات من الأمور المقبولة من الناحية العلمية .

الدهون والكوليسترول وسرطان القولون

يعتبر البعض أن كثرة تناول الدهون يزيد من احتمال حدوث سرطان الامعاء الغليظة . ويضاعف هذا الاحتمال قلة تناول الألياف .. وفي دراسة أجريت حديثاً في اليابان وجد أن كثرة تناول الدهون واللحوم تزيد من نسبة حدوث سرطان القولون .

وفي دراسة أخرى أجريت حديثاً في اليابان وجد أن الأشخاص الذين يتناولون الأدوية المخفضة للكوليسترول في الدم ، وذلك بطردها الى القولون ، تزيد فيهم نسبة حدوث سرطان القولون عن غيرهم . وهذا يؤكد أن زيادة إخراج مركبات الكوليسترول عن طريق القولون يزيد من حدوث سرطان القولون . وبذلك لا يرتبط سرطان القولون بمستوى الكوليسترول في الدم ولا بكمية الكوليسترول في الطعام بقدر ما يرتبط بكمية الكوليسترول التي تمر الى القولون من خلال العصارة الصفراوية . ويلاحظ أنه في حالة إزالة الحويصلة الصفراوية يرتفع مستوى بعض المركبات الثانوية الصفراوية في القولون ، مما يفسر لنا السبب في زيادة حدوث سرطان القولون وخاصة على الجانب الأيمن بعد إزالة الحويصلة الصفراوية .

من هنا يتضح أن العلاقة بين كثرة تناول الدهون وسرطان القولون مازالت في حاجة الى مزيد من الدراسة . ولو أن التجارب التي أجريت على حيوانات المعامل تؤكد بشدة على وجود هذه العلاقة .

الدهون وسرطان الثدى :

تنخفض نسبة سرطان الثدى في اليابان وغيرها من دول الشرق الأقصى ومعظم دول العالم الثالث . إذ تبلغ نسبة حدوثه في هذه الدول بالمقارنة الى الولايات المتحدة ودول أوروبا بمعدل ١ : ٥ ، وتشير الدراسات الى أن ابنة المهاجر الياباني مثلا الى الولايات المتحدة وليست زوجته أكثر عرضة لسرطان الثدى .. وتصل نسبة حدوثه فيها الى نسب مماثلة لسكان الولايات المتحدة الأصليين .

والعلاقة بين سرطان الثدى ونسبة الدهون في الغذاء من بين الدراسات الهامة التي تهتم بها العديد من المراكز الطبية في العالم . وميكانيكية تأثير الدهون في حدوث سرطان الثدى مازالت مجهولة ، وتفسرها العديد من النظريات . وأحدث هذه النظريات تشير الى أن الدهون تؤثر على عمليات « الايض » الخاصة بمركبات الاستروجين . والمعروف أن هناك علاقة وثيقة بين هرمون الاستروجين ومستقبلات الاستروجين الموجودة في خلايا الثدى وسرطان الثدى .. ومن هنا كانت العلاقة بين سرطان الثدى وزيادة تناول الدهون .

وبعد فلاشك أن العلاقة بين الغذاء الذى نتناوله والوقاية من خطر السرطان من الموضوعات القيمة الجديرة بالمزيد من البحث والدراسة ، للتأكد من حقيقة النتائج التي توصلت اليها المراكز الطبية ونشرتها مؤخراً المجلات الطبية ، كما أن التوسع في البحث في هذا المجال قد يكشف عن العديد من المواد الغذائية الأخرى ذات التأثير الواقي من خطر السرطان .

سامي عزيز

محـــمود قاســـم



سنجور من الشعر إلى رئاسة الجمهورية وبالعكس!

الشاعر والمفكر الافريقي ورئيس السنغال الأسبق : ليوبولد سيدار سنجور

في الأسبوع الأول من عام ١٩٨٥ زار المنطقة العربية الشاعر والمفكر الافريقي الكبير ورئيس السنغال الأسبق ليوبولد سيدار سنجور أحد أبرز رجال القارة السوداء في السنوات الأخيرة ، والذى تربع على عرش الحكم أكثر من عشرين عاماً لم تشهد بلاده إبانها أية قلاقل .. وقد حظي سنجور باحترام كل الأطراف في جميع أنحاء العالم . فكان رجل دولة وقلم . فهو الى جانب أنه رئيس دولة ، فهو عضو في الاكاديمية الفرنسية ، وهي ظاهرة تلفت الأنظار . حيث أن الفرنسيين ينظرون اليه كفرنسي أسود .. خاصة أنه متزوج من فرنسية منذ سنوات طويلة .

وقد صدر حول الشاعر والفنان والسياسى كتاب بعنوان « مولد أفريقيا الحديثة » كتبه ارنست ميلسان ومونيك سورديه . وقد كتب مقدمته رئيس الجمهورية الفرنسي السابق جورج بومبيدو بصفته زميلا قديما لسنغور في الجامعة ، ورئيس دولة أيضاً . وعنه يقول : « ارتبطنا معاً لسنوات طويلة . هل كنت ذا تأثير عليه ؟ لا أعرف . ولكنني ساعدته في حياته الصعبة كزنجي في وسط أقل عنصرية . ولكن أحياناً تحدث مواقف مختلفة . انه أكثر الأفارقة فرنسة ، وأكثر الفرنسيين أفرقة ..

ولأن كتاب « مولد أفريقيا الحديثة » أشبه بعرض لحياة سنجور فاننا سنرجع أيضاً الى كتاب آخر نشر حوله في عام ١٩٨١ بعنوان « شعر الحركة » قدمه الصحفي التونسي محمد عزيزة وهو عبارة عن حوار طويل معه تناول فيه حياته ،



الشاعر السنغالي سنجور مع زوجته الفرنسية .



ماذا يقول سنجور فى حواره الطويل مع الصحفى التونسى ؟

وأفكاره السياسية وعلاقته بالشعر وارتباط بلاده ببلاد العالم ، ورأيه فى مستقبل دول العالم الثالث واقتصادياته .. وهى أحاديث متشعبة سوف نورد فيها ما يهم القارىء العربى .

ولد سنجور عام ١٩٠٦ فى مدينة جول الساحلية الصغيرة من أب كاثوليكى يعمل بالكنيسة . وكان رجلا ثرياً يتاجر فى الأرز الى جانب عمله الآخر . عاش سنوات حياته الأولى فى ظل هذا الثراء « أحس بأن بلادى هى أمى . أسرتى الحقيقية هى الأسرة « الأموية » . الأسرة التى تفهم كل السلالات التى تحيطها .. وقد هرب الطفل وهو صغير كى يعيش فى منزل خاله . قريبا من الغابات فلقد جذبته الطبيعة وحياة الحيوانات وغموض الكون . وعندما عاد الى أسرته مرة أخرى كان رأسه مليئاً بحكايات الأساطير وقد تكدست أمام عينيه حلكة الليالى الأفريقية .

الرغبة فى القراءة

فى عام ١٩١٣ ترك سيدار مدينته مرة أخرى كى يستقر فى « جلور » لمدة عام ويتلقى فيها تعليمه . وقد اصطحبه فى رحلة التعليم أخوه سيمون . فى المدرسة بدأ يحس بروح الأشياء وبرغبته فى القراءة . فكان يجلس الى جانب رجل يروى له القصص الشعبية يسمع منه حكايات أفريقيا وأساطيرها والتى منها استمد أشعاره .

التحق عام ١٩٢٢ بمدرسة ليبرمان فى داكار العاصمة . وقد أرسلته المدرسة الى فرنسا كى يستكمل تعليمه . فحصل عام ١٩٢٧ على البكالوريا فى الأدب . والتحق بعد ذلك بالجامعة . وحصل على شهادة الليسانس ثم عاد الى السنغال مرة أخرى حاملا معه صداقة عميقة ربطته بالشاب جورج بومبيدو . رحل سنغور فيما بعد الى العديد من البلاد منها تركيا واليونان ، وذلك قبل أن يلتحق بالخدمة العسكرية فى عام ١٩٣٤ . وأثناء هذه الخدمة عين مدرساً فى ليسيه ديكارت بباريس .

ولذا فإنه سرعان ماسافر الى فرنسا كى يعمل مدرساً . ثم نشر مقاله السياسى الأول عام ١٩٣٩ بعنوان « ما يأتى به الرجل الأسود » قبل إعلان الحرب العالمية الثانية بأيام .

وقد بدأت الحياة الحقيقية لسنجور فى مارس ١٩٤٥ . حين تم انتخابه عضواً للجنة الاستشارية بباريس . وفى نفس الشهر نشر ديوانه الأول « أغنيات الظل » الذى يغلب عليه طابع الوحدة والميل الى الكآبة . فالموتى يهيمنون دائماً على الأحياء فى كل تصرفاتهم . يطاردونهم بأشباحهم .. يحتشدون فى ذاكرتهم .. ومن هنا تمتزج الرؤية .

أما ديوانه الثانى « الضحايا السود » فقد نشره بعد ثلاثة أعوام من ديوانه الأول . وهو يبدو أكثر فرنسة من ديوانه السابق ، حيث يتغنى بباريس ومعالمها وميادينها ونهارها وليلها بعد أن تغنى فى ديوانه الأول بقريته وبلاده .

فى عام ١٩٥٥ عين سنجور سكرتيراً لرئاسة

مجلس الدولة . وبعد عامين تزوج من الآنسة الفرنسية كوليت هوبر التى يعيش معها فى سعادة بالغة حتى الآن . عين فى مجلس الدولة عام ١٩٥٩ وتولى رئاسة السنغال فى الثالث من مارس عام ١٩٦٣ . وظل فى المنصب حتى عام ١٩٨٠ حيث قدم استقالته ، وهى ظاهرة غير مألوفة للنظم الحاكمة فى أفريقيا . ولم يبح سنجور حتى الآن بالسبب الحقيقى الذى دفعه الى الاستقالة فهو لم يعتزل العمل السياسى حتى الآن حيث يعمل رئيساً لمجموعة افريقية سوف تعقد جمعيتها العمومية فى مورشيوس فى مايو ١٩٨٥ لبحث المشاكل الاقتصادية فى أفريقيا .

وسنجور لم يكتب الشعر السياسى . فأشعاره انطباعات شخصية . أغلبها تتعلق بالأماكن التى زارها وعاش فيها خاصة مدينة باريس . ومدينته « جول » :

جول .. أذكر
أذكر الأعشاب النائمة
والمشاهد الجنائزية المليئة بالألم .
الدماء والجوع المختنق
والموت الأسود يغنى

الحياة العامة

ويقول عن شعره : « أشعر لو أننى بقيت مدرساً فان شعرى سيكون أقل ثراء وأكثر رخصاً . لأن مادته هنا هى الحياة العامة : حياة أبناء شعبى . فى شعرى أحاول أن أعبر عن حياتى الخاصة لكننى بالتأكيد أعبر عن نفس الزنجى فى أفريقيا . وعندما أعيش فى الريف : وأرتبط بالفلاحين فقط فسوف تكون حياتى الجماهيرية أقل كمالا . لأنها لرجل أقل إحساساً . أما أولى فى السنغال هى التعليم والتكوين الثقافى ، حيث ترتفع نسبة الأمية فى بلادنا الى ٣٠٪ من شعبنا »

« واذا كان هناك تضاد فهو يتعلق بالعمق . وأنا عامة يهمنى أن أرتب حياتى وأنسق بين واجبى كرئيس جمهورية ومهامى ككاتب :لكن رئيس الجمهورية مضطر دائماً أن يصدر قرارات صارمة . وليس هذا راجعاً لمزاجه أو لأسلوب تفكيره . وسوف أذكر لك مثالا واضحاً . فى عام . ١٩٦٦ كدت أن أموت حين حاول أحد المتعصبين اغتيالى . هذا الحادث أثر فىَّ كثيراً . وقد وضعت نفسى مكانه محاولا أن أفهم سبب تعصبه . لماذا يخاطر بحياته من أجل فكرته . وددت أن أعفو عنه . لكن كل المسئولين الذين كنت أستشيرهم ـ وكل الناس حولى ـ قالوا انه يجب ألا أعفو عن هذا الرجل ، وانه بمثل هذا التصرف لا يمكن أن تحكم السنغال ... وقد انتابتنى الكوابيس المرعبة طيلة أسابيع ثلاثة مما مس شغاف التضاد العميق فى داخلى . فلا يجب أن نحكم على الأشياء من مظهرها الخارجى . ولكن بالعمق . والسلوك الجماهيرى العام » .

« وهذه المشكلة ليست صعبة على التفسير فعلى الشاعر ورئيس الجمهورية أن يوفق بين واجباته كرئيس وإخلاصه للشعر ولمشاعره وأحاسيسه . ويكفى لرئيس الجمهورية أن يقع تحت طائلة مسائل الانتخابات وسياسة الساسة وأن يتقمص نفسية شعبه . وهكذا يجب أن يكون الرئيس فى العالم الثالث » .

وعن نفسه يتحدث قائلا : « اسمى ليوبولد سيدار . وفى حفل تعميدى لم اسم سوى ليوبولد وفى عيد ميلادى سميت سيدار . وقد سميت ليوبولد لأن أحد أصدقاء أبى كان له هذا الاسم . ولأنه أيضاً إسم الأمير الأكبر آنذاك ببلجيكا . الأمير ليوبولد الثالث ، وقت أن كانت الأسماء تقليعة .. أما سيدار فهى تعنى بلغة قومنا « الذى لا يخجل » أو « الذى لا يمكن أن يستحى » .. واطلاق مثل هذه الأسماء شىء مألوف فى بلادنا . فقد تكون سعيد الحظ اذا سميت « أيها القبيح » أو « لا أحد يفهم » .. وقد قالت لى أمى : عندما ولدتك كنت ضعيفة .. ولهذا أطلقوا « سيدار » عليك . أما سنجور فهو اسم ذو أصل برتغالى ..

وقد حدثنى أبى أن أسلافه قد جاءوا من الجامبو فى الشمال . وقد عشت حتى عام ١٩١٣ فى جو محموم . فقد انشغل خالى بتعليمى للدين وعلمنى أبى الجانب الاجتماعى فى الحياة العامة . وقد تأصلت حياتى فى هذه الفترة داخل أسرتى . فكثيراً ما صحبنى خالى الى المقابر . وعندما كنت أمرض كان يعتنى بى . لقد انغمست تماماً داخل هذا العالم الذهنى الذى أثر فى بعمق . ولهذا فاننى أتحدث فى أشعارى دائماً عن « مملكة الطفولة » . فليست هناك حدود بين الموتى والأحياء كأنهم موجودون معاً . وكنا نعتقد أحياناً أننا نرى نفس العالم حاضراً معنا وأصحابه فوق الأرض أمامنا . كان ذلك يحدث عندما كنت فى السابعة من عمرى » .

هذه القصيدة

ومن هذه القصائد التى نشرها حول طفولته نورد القصيدة التى ترجمها الدكتور على شلش فى كتاب : « سبعة أدباء من أفريقيا » الذى ألفه جيرالد مور :

أذكر الولائم الجنائزية وبخارا
من دم القطعان السمينة
يتصاعد فى أفقها
أذكر ضجيج الخناقات والتراتيل .
أذكر الأصوات
وهى تترنم بالأناشيد
أذكر المواكب والنخيل وأقواس النصر
أذكر رقص الفتيات
وفرقة المصارعين ـ ياللروعة !
وآخر رقصة يؤديها الشبان ،
وهم مائلو الصدور
وصيحة الحب الجهيرة التى
تطلقها النساء (يحيا الحب) .

ورغم أن سنجور قد ترك منصب الرئاسة باختياره ، الا أنه كما أشرنا لم يترك الحياة السياسية تماماً . وقد نشرت مجلة الاكسبريس ملفاً حول سنغور فى ٣ يونيه ١٩٨٣ تحدث فيه عن المجاعات المرتقب حدوثها فى أفريقيا وعن ظروف القارة ومشكلة الجمهورية الصحراوية . كما أنه فى كتاب الصحفى التونسى محمد عزيزة قد تحدث عن العديد من المسائل السياسية نورد هنا منها رأيه فى عدم الانحياز حيث يقول :

« عدم الانحياز مبادرة للحد من الدور الأوربى الأمريكى . ولهذا يجب أن نبدأ بتكريم الآباء المؤسسين مثل تيتو وناصر ونهرو . انهم « ثلاثى العالم الثالث » . وفى عام ١٩٧٥ وبمناسبة زيارتى الرسمية ليوغسلافيا تحاورت مع الرئيس تيتو . فى حوار شمالى ـ جنوبى حول المشكلة الاقتصادية الجديدة . نصحنى أن أناقش الأمور حتى نهايتها وألا أفسدها . هذه هى روح عدم الانحياز . الحوار مع كل الأطراف من أجل العثور على الحل الأمثل ، ولكن دون أن نتنازل . ودون أن نفسد الأشياء مع من نعترض عليهم » .

« عدم الانحياز هو عبارة للاجابة على التحدى الأوربى ـ الأمريكى . أول مؤتمر فى باندونج قد حدد خطاً سياسياً لعدم الانحياز . فى القمة الرابعة عام ١٩٧٦ فى الجزائر وضعوا نظاماً عالمياً اقتصادياً جديداً . كانت النتيجة هى النصر الأول الذى حصل عليه فى نيروبى » .

سنجور رجل شاهد على العصر .. ومرآة له .. وهو رجل أجدر بأن نعرف عنه الكثير فى عالمنا العربى . والطريف ان سنغور ليس وحده الذى عمل بالأدب . فقد ظهر فى عام ١٩٨٤ كتاب يضم مجموعة من القصص كتبها صديقه وزميله الرئيس الفرنسى السابق جورج بومبيدو .

محمود قاسم



قصـــــة قصـــــيرة

بقلم : الدكتورة زهـرة المالكي



انه يتمنى لي السعادة مع من أحبه .. مسكين هو.. انه لايعلم أنني فقدت من أحب إلى الأبد

ما أقسى الصدمة على النفس حين تصدر من إنسان عزيز .. وهى تكون أكثر قسوة وأشد إيلاماً إذا صدرت بدون قصد ... فى هذا الصباح الذى بدا جميلا مشرقاً وقفت برهة فى الشرفة أطل على أشجار الحديقة التى تتعطر بالندى ... وأخذت أمتع ناظرى بمرأى شجرة الياسمين الممتدة الأغصان وقد ازدانت باللون الأبيض الناصع الذى يذكرني بصفاء النفوس المحبة المخلصة ... وأطرب أذني بالأغاريد العذبة التى تنشدها العصافير الصغيرة بكل براءة وعفوية .. فتنسكب فى النفس قطرة فقطرة كما تنسكب قطرات الماء فى جوف ظمآن نسي طعم الماء من طول الحرمان ... وحدثتني نفسي بأن أحاول البحث عن مزيد من السعادة ... وليتني لم أطاوعها ... فإن النفس الانسانية تقودنا بطمعها ورغبتها فى الكثير الى أن نفقد القليل الذى كان يسعدنا ويرضينا ..

واتجهت الى وسيلة تجمعنى بمن أحب ... وبعد حديث قصير لمحت الفرحة تقفز من عينيه .

وأحسست بأنه يخفى كلمات كثيرة فى صدره ... كأنما يود أن يقولها وفى نفس الوقت يود أن يخفيها ... حاولت أن أعرف فأنا لا أكتفى بما يظهر أمامى بل أعشق المعرفة وراء الظواهر الملموسة ... تلك المعرفة ذات الأعماق والأبعاد التى تجلب لطالبيها الكثير من الشقاء ..

ووجدتنى أسأله : هل تود أن تخبرنى بشيء معين ! ... اننى أرى كلاماً كثيراً فى عينيك ومع ذلك فترددك وحيرتك يحجبان هذا الكلام عنى ! ... فهلا تحدثت وأخبرتنى ؟ ..

رد على قائلا : اننى لم أعتد أن أخفي عنك شيئاً .. فأنا أعتبرك صدراً حنوناً أكشف له عن خبايا نفسى وكأنما أحدث نفسى بما يجول فى نفسى ... سأخبرك بشيء سار حدث بالأمس ولاشك أنك ستشاركيننى فرحتى وسرورى ... قلت وقد فشلت فى التكهن بما يود إخبارى به : ماذا وراءك ؟ .. لقد نفد صبرى وأنت لا تقول شيئاً ! ..

قال لى : حسناً .. حسناً .. لا تغضبى هكذا فأنا لا أطيق أن أراك غاضبة عابسة ... اننى يا عزيزتى قد خطبت إبنة خالتى بالأمس واتفقنا على موعد الزواج بعد شهر .. ألم أقل لك إنه خبر سار ؟ ... ما بالك صامتة يا عزيزتى ؟ ... ألن تهنئيني بهذه المناسبة السعيدة ؟ ! ..

أجبت فى ذهول : مناسبة سعيدة ؟! ... أجل ، أجل .. إنها كذلك ... تهانئ الصادقة لك وللعروس المنتظرة ! ..

رد والبسمة ترتسم على شفتيه : شكراً لك ... وإننى أتمنى لك حياة سعيدة مع من تحبين قريباً بإذن الله ..

ماذا يقول هذا الانسان ؟ .. إن كلماته أصبحت غريبة على مسمعي ... إنه يتمنى لي السعادة مع من أحب ... مسكين هو ... إنه لا يعلم أنني فقدت من أحب الى الأبد ! ..

هل تستطيع علوم الطب أن تمد في حياة الإنسان حتى يعيش مائة عام ؟
وما هي قصة « الحق في الموت باحترام » ؟

للميدالية وجهان



بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

سؤال : دكتور بتلر ، هل تستطيع علوم الطب أن تمد في حياة الإنسان حتى يعيش مائة عام ؟

جواب : ليس من مانع ملزم يحول دون ذلك . كثير من اختصاصيي طب الشيخوخة يعتقدون أن العمر الطبيعي للإنسان ، كما تؤهله له مكوناته الموروثة ، هو مائة وعشرة أعوام أو ما يقارب هذا العدد من السنين .

هذا السؤال الذي بدأت به الصفحة موجه من محرر إحدى المجلات الطبية إلى الدكتور روبرت ن . بتلر مدير المعهد القومي للشيخوخة في الولايات المتحدة الأمريكية . وجواب الدكتور بتلر هو مقدمة لحديث مستفيض عن امكانية الجسد الإنساني القيام بوظائفه الحيوية قياماً كاملا مدة تنوف على القرن الكامل من الزمن ، وعما قدمته العلوم الطبية ولاتزال تقدمه لمساعدة الفرد البشري على العيش إلى هذه السن المتقدمة .

وما تحدث به الدكتور بتلر يدور حول واقع حياة الإنسان في عصرنا الحاضر في الولايات المتحدة وفي غيرها من البلدان المتقدمة صناعياً ، والمستفيدة من معطيات العلم الحديث في الوقاية من الأوبئة والأمراض قبل حدوثها وفي المعالجة منها بعد حدوثها . ربما كانت الأرقام التي أوردها هذا العالم في حديثه لاتنطبق كل الانطباق على واقع بلدان العالم الثالث ، أو علينا نحن أبناء الوطن العربي ، في الزمن الحاضر . إلا أنه مامن شك في أننا سائرون في الطريق التي تقدمتنا بها الدول الصناعية في أمل أن نلحق بها وأن نوازيها في هذا المضمار .

لقد زاد في عصرنا الحاضر أمل الإنسان في العيش الطويل زيادة ظاهرة وكبيرة . في مطلع هذا القرن كان متوسط عمر الفرد في أمريكا سبعاً وأربعين سنة . أما اليوم ، ونحن في منتصف الثمانينات ، فإن الإحصاءات تشير إلى أن المولود هناك له كل الأمل في أن يعيش ثلاثة وسبعين عاماً . زادت إمكانية التقدم في السن وسطياً ما يفوق خمسة وعشرين عاماً ، وهي كما نرى زيادة ليست هينة .

ومع ذلك فإن العلماء يرون أن الجسم البشري فيه القدرة على أن يعيش سبعة وثلاثين عاماً أخرى ، وأن على الباحثين أن يجدوا السبيل لتمكين الجسم من تدارك هذه الأعوام الثلاثين والسبعة التي توصله إلى مائة وعشر سنين من العمر ، فلا تضيع منه هباء ... وانهم لجادون في العمل لذلك .

والسبيل الى تدارك هذه السنين الضائعة الآن ، كما يراها العلماء ، معروفة في بعضها وبعضها لايزال قيد البحث والاستقصاء . والمعروف منها هو تجنب السموم التي يشحن بها الإنسان جسده طوعاً ، عن جهل أو تهاون ، من مثل التبغ والمشروبات الكحولية ، فتؤدي إلى الشيخوخة المبكرة المتظاهرة بتصلب الشرايين وارتفاع الضغط وتفضي إلى موت مستعجل بالآفات القلبية والوعائية . أما الشطر الذي لايزال قيد البحث والاستقصاء فهو تأثيرات الغدد الصم التي يؤدي قصور بعضها إلى تحولات تشيخ فيها خلايا الجهاز العصبي المركزي ويشيخ بها جسد الإنسان كله قبل الأوان . لقد تبين مثلا أن دماغ الشيخ يحتوي على كمية من معدن الألمنيوم تزداد بزيادته عوارض التردي والخرف ، واتهمت في هذه الزيادة الغدة نظيرة الدرق التي تقصر في عملها . كما تبين أن هورمونا معيناً ، هو المسمى ديهيدرو بياندرو ستيرون ، إذا ما زرق لحيوانات المخبر أدى إلى إبطاء الاستحالات الشيخوخية في أجساد تلك الحيوانات ، مما يشير إلى امكانية استخدامه في إقصاء أعراض الشيخوخة المبكرة عند الإنسان في مقبل الأيام .

هذان مثلان مما تحاول المختبرات العلمية في البلدان المتقدمة أن تصل فيه إلى إبلاغ الإنسان عمره الذي خلق له جسده ، وهو مائة وعشرة أعوام . إنه عمر إذا كان قد فاتنا أمل بلوغه ، نحن أبناء الجيل الحالي ، فقد لايفوت أبناءنا أو أحفادنا على الأقل . وكأن علينا أن نغبطهم ، أولئك الأبناء أو الأحفاد ، على طول العمر الذي سيبلغونه ولم يبلغه قبلهم آباؤهم وأجدادهم .

* * *

هل يجدر بنا حقاً أن نغبط الأجيال القادمة من بني البشر على هذا العمر الطويل الذي نتوقعه لأفرادها ؟

علينا قبل ذلك أن نفكر في أن علوم العصر الحديثة هي التي ستعين أولئك الأفراد على بلوغ هذا العمر الطويل .. مائة وعشرة أعوام . هذه العلوم هي حصيلة عصرنا الحاضر بمحاسنه ومساوئه ، بملذاته وهمومه . الملذات موجودة حقاً وكثيرة حقاً . ولكن الهموم فيه تقصم الظهر وتحيل طول العيش أحياناً إلى جحيم يحاول المتمتعون به الخلاص منه . وهذا هو الوجه الآخر للميدالية .

نعم ، إن الحياة الحاضرة ، ولاسيما في البلدان

الصناعية المتقدمة تغدق على إنسانها من نعم المادة مالم يكن يحلم به الآباء والأجداد . تغدق عليه النعم المادية في صباه وشبابه إلى أن تبلغ به أول الكهولة ، وهي تبدأ في الخمسين من العمر . بعد هذه السن يبدأ العمر الجديب ، كما يسميه المختصون . إنه عمر تتضاءل فيه الملذات وتكثر الهموم ، ولاسيما في عالمنا المتطور بسرعة ، الذي يصطنع في كل يوم أساليب جديدة في الإنتاج والاستهلاك متطلبا مرونة في التطابق لاتتوفر لمن قطع من مرحلة العمر نصفها . عالم يجدد شبابه باستمرار . فكأنه مصنوع للشباب ، أما من تجاوز مرحلة الشبيبة فإنه مقذوف به إلى الزوايا المظلمة المهملة .

بعد الخمسين من العمر ، إذا سلم إنسان العالم الصناعي المتقدم في أيامنا من أمراض الجسم فإن أمراض النفس لاتترك له راحة . إن تطور الصناعات المستمر ومكتشفات العلوم العصرية تجعل الآلة المعتبرة حديثة منذ ثلاثة أعوام آلة عتيقة قد امحي طرازها ، وتجعل مدير الآلة العتيقة إنساناً متخلفاً كثيراً ماتلجأ الشركة إلى استبداله بمن هو أصغر سناً وأحدث معلومات . كما أن هم البطالة والتعطل اللذين تخلقهما الأزمات الاقتصادية والتحولات السياسية أصبح سيفاً مسلطاً على الأعناق . ربما استطاع الشباب أن يتخلصوا بخفتهم من تحت شفرته أما الذين تجاوزوا الخمسين ، ممن ثقلت خطاهم وتيبست مفاصلهم ، فيظلون في خوف دائم منه . ثم إن تهلهل الروابط العائلية وهجر الأبناء لمنازل الآباء منذ بلوغهم سن الرشد ، وأحياناً قبل تلك السن ، يسلبان من نفوس من تجاوز الخمسين إحساس الأمن في مجتمع الأسرة وغبطة الأبوة الهانئة ويشعرانهم بعزلة الشيخوخة وضعفها المرير . وحين تستجيب الدول لمطالب مواطنيها في إنقاص سن التقاعد إلى سن مبكرة فإن الراحة التي يكسبها المتقاعد في سن الخامسة والخمسين أو مادونها تتنغص بفقده لذة العمل المفيد ، وبشعوره بأن المجتمع استغنى عن خدماته واعتبره عالة لامشاركاً في الإنتاج ، فيحس بأسى الشيخوخة قبل الأوان وينصرف تفكيره إلى ملجأ العجزة الذي سيستقبله عما قريب .

هذه المشاغل النفسية مضافة إلى الإرهاق الذي يخلقه الازدحام والتنافس والوقت المبرمج بالدقائق والثواني ، والمهيىء لأشهر وأعوام مقبلة ، هي للغربيين الذين تجاوزوا الخمسين من عمرهم هموم ماحقة لم نعرفها بعد في ربوعنا تمام المعرفة . إنها تتظاهر في أجسادهم وفي نفوسهم بعلل تتفاقم في أيام الأزمات المختلفة . وقد ذكر أحد الاختصاصيين الفرنسيين من أطباء الأعصاب أنه في عام ١٩٨١ ، عندما فاز الاشتراكيون بالحكم في فرنسا ، غصت عيادته بعشرات المرضى المتماثلين في وضعهم الاجتماعي والمتقاربين في أعمارهم . كانوا مدراء للشركات أو رجال أعمال كبار ، وكلهم في مرحلة الخمسينات من العمر ، وكلهم يشتكون من العنة والضعف الجنسي . لقد أثر تخوفهم من قدوم الاشتراكيين والتحول الكبير المتوقع في سير الأعمال الحرة في أعصابهم ، فأفقدهم رجولتهم وأفرغ عيشهم من لذته .

ومثل هذا ما أوردته الصحف الباريسية مؤخراً عن تأثير الشدات النفسية في أيامنا الحاضرة على أناس متميزين في المنزلة الاجتماعية والثقافية . ففي خلال أيام قليلة أعلنت وفاة أستاذين من أساتذة كلية الطب ، وهما في الخمسينات من العمر ، بصورة مفاجئة . كان موتهما في الحقيقة انتحاراً وليس وفاة طبيعية ، وفي نفس الوسط الذي ينتمي إليه ذانك الأستاذان طبقة اجتماعية وعمراً أحصيت في المدة الأخيرة أربع وفيات ، ثلاثة منها بالسكتة القلبية ورابعة بالنزيف الدماغي ، ووراء كل هذه الميتات المختلفة هموم العصر وشداته النفسية . إنها الهموم والشدات التي تجعل كثيراً من الناجحين والمحسودين على بلوغهم ذرى الشهرة والثروة والمكانة الاجتماعية يختصرون حياتهم بأيديهم في أول الكهولة تهرباً من العمر الطويل الذي يتوقعون بلوغه . تعد من هؤلاء الذين اختصروا حياتهم بأيديهم قبل أن تحين وفاتهم الطبيعية أرنست همنجواي منذ عشرين عاماً ، وآرثر كوستلر وزوجته في المدة الأخيرة .

الكاتب البريطاني آرثر كوستلر : كان أحد أعضاء جمعية أطلقت على نفسها «منظمة الحق في الموت باحترام» !

لقد كان آرثر كوستلر ، الكاتب المشهور ومؤلف «الظلام في الظهيرة» ، وزوجته عضوين في الجمعية التي تطلق على نفسها «منظمة الحق في الموت باحترام» . إنها جمعية تسعى لتجعل من الانتحار في ظروف معينة عملا مشروعاً وتخول الأطباء أو الاهلين في تلك الظروف حق سلب حياة أعضائها أو القضاء عليهم قبل أن تحين وفاتهم الطبيعية .

وتضم هذه الجمعية إلى جانب عدد من المفكرين والفنانين وذوي الشهرة العالمية الآلاف من الأفراد الذين كتبوا في حياتهم وصيات يتنازلون فيها عن حقهم في العيش إذا ما تعرض واحدهم لألم مبرح أو أصيب بداء مستعص على الشفاء ، طالبين فيها أن يقضي عليهم حينذاك بصورة أو أخرى . وفي فرنسا وحدها بلغ عدد أعضاء هذه الجمعية في آخر ١٩٨٣ أحد عشر ألفاً وسبعمائة من الأعضاء .

هذا هو وجه الميدالية الآخر لطول العمر الذي تسعى علوم عصرنا السعي الحثيث لتبلغ به غايته .

* * *

يروي أسامة بن منقذ ، ذلك الأمير الفارس الشاعر ، في كتابه «الاعتبار» حكايات كثيرة عن صيد الأسود في الغابات حول شيزر ، قلعة آل منقذ ، وفي أدغال شواطىء نهر العاصي ، ويذكر تصديه هو أحيانا بمفرده لأسد يقطع على السابلة الطريق ، وكيف كان يقضي على ذلك الأسد بضربة سيف أو طعنة رمح واحدة في مقتله . عاش أسامة ابن منقذ حتى بلغ من عمره السادسة والتسعين . وحين بلغ الثمانين كانت الشيخوخة قد أنحلت قده وأوهنت عزمه حتى لترتجف يده بالقلم بين أصابعه حينما كان يتصدى للكتابة ، فقال في ذلك :

فأعجب لضعف يدي عن حملها قلما ... من بعد حطم القنا في لبة الأسد
فقل لمن يتمنى طول مدته ... هذي عواقب طول العمر والمدد

لقد أدرك أسامة بن منقذ منذ ذلك الحين أن لطول العمر الذي تطمح اليه نفس كل إنسان ، والذي يسعى في زمننا روبرت ن . بتلر وأعوانه إلى ابلاغه إلى مائة وعشرة أعوام ، مساوئه .. وأن لهذه الميدالية في عصرنا ، مثلها في عصر أسامة بن منقذ وفي كل العصور ، وجهان .

- اشترك في التخطيط للتدخل البريطاني في مصر . بحجة القضاء على الثورة العرابية
- حاول إقناع بريطانيا بمد مياه النيل للعريش ومنها لصحراء النقب !
- صدر وعد بلفور بجهد من روتشيلد بالذات وقبل اضطهاد هتلر لليهود
- اشترى من أرض فلسطين مائة ألف فدان حتى عام ١٩١٤

روتشيلد والسياسة الخفية في الشرق الأوسط

قصة مليونير يهودي غامض



بقلم : الدكتور السيد فهمي الشناوي

مازال كثير من الغموض يحيط بحياة هذا المليونير اليهودى روتشيلد ، وبالأمور التى لعبها على المسرح السياسى فى منطقة الشرق الأوسط لعدة سنوات طويلة . فقد كانت له مواقف أخطر بكثير من مجرد اقراض الخديوى اسماعيل قروضاً ضخمة بفوائد خيالية . وتكشف هذه الصفحات الأدوار الخفية التى لعبها روتشيلد فى التمهيد لاحتلال بريطانيا لمصر ، ومحاولته مد مياه النيل للعريش ، وعلاقته بوعد بلفور، ودوره فى تهويد الأرض فى فلسطين ..

هل كانت عائلة روتشيلد عائلة سياسية تلهث خلف المال وأعمال البنوك ؟ لقد لعب روتشيلد وعائلته أدواراً بالغة الخطورة فى مصير دول الشرق الأوسط ، وخاصة مصر وفلسطين مما يستحق الكثير من البحث والدراسة .

لم يكن روتشيلد يقف بأمواله وبنوكه وراء الجيوش ، ولكنه لعب دوراً أخطر مما لعبته هذه الجيوش . ومع ذلك ظل متستراً متخفياً . ولن تجد فى كتب التاريخ ذكراً له فى المؤلفات العربية ، ولاحتى فى المؤلفات المنهجية بالانجليزية أو الفرنسية أو الألمانية .

ولكنك سوف تجد فى المراجع اليهودية تفصيلاً وافياً واعترافا بدور هذه العائلة . ذكره الباحث المعروف فريدمان فى المرجع المشهور «المسألة الفلسطينية من ١٩١٤ ــ ١٩١٨» فى عشرات المواضع . وذكره جولدمان وموشى ديان وجولدا مائير فى مذكراتهم ، وان اقتصروا على ذكر دور العائلة فى السنوات الأخيرة التى عاصروها فقط .

ولم يتطرقوا إلى الدور السياسى الذى لعبته تلك العائلة الثرية فى مصر وفلسطين وتركيا منذ منتصف القرن ١٩ ، ان لم يكن قبل ذلك أيضاً .

روتشيلد يمهد لاحتلال بريطانيا لمصر

قام روتشيلد باقراض الخديوى اسماعيل قروضاً ضخمة بفوائد خيالية . وكان متأكداً منذ البداية أن الخديوى سوف يعجز عن سدادها . ولم يقتصر الاقراض على الخديوى فقط ولكن امتد إلى كل أعيان مصر وأصحاب الأراضى إذ انزلقت أقدامهم إلى هذه الهاوية أيضاً . واستمرت هذه



جيمس روتشيلد : استطاع بالمال أن يلعب دوراً أهم من دور السلاح والسياسة

الديون وفوائدها تنخر فى هيكل المجتمع ، حتى تملك المرابون الأجانب وأصحاب الخمارات ثلث الأرض الزراعية ورهنت معظم الأرض الباقية أيضاً !

ولم يقتصر الضرر على المديونية المالية فحسب ، ولكنه جر وراءه الامتيازات الأجنبية والمحاكم القنصلية والمدارس الأجنبية واللغة الغربية على أهل البلد والتقاليد الخارجة . وغير مصر تغييراً كاملا ، حتى أصبحت فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن العشرين مقصد كل مغامر




موشى ديان



جولدا مائير



تيودور هرتزل



الخديوى اسماعيل

أوربى ، وكل من تلفظه أوربا من أفاقين ونصابين ومستغلين

ولقد استرد روتشيلد أمواله أضعافاً مضاعفة من الفوائد ذاتها ، فضلا عن أصل مبلغ القرض . وكان واثقاً من أن أمواله لن تتكاثر فقط ، فهو يهدف إلى تحطيم مصر ، كأهم جزء من الامبراطورية العثمانية . ولقد أطلق على هذه الخطوة « خراب مصر » . وألف روزنبرج كتاباً بهذا العنوان فيما بعد . وكان روتشيلد يهدف من وراء هذا كله إلى إقامة وطن صهيونى فى فلسطين كما سنرى . ولقد استعاد أمواله التى أنفقها فى فلسطين بصورة مضاعفه .

والواقع أن الربا يجمع أموال العالم كلها فى النهاية فى قبضة المرابين لسببين أولهما أن فائدة الربا تفوق أى مكسب من تجارة ، وثانيهما أن أى تجارة إذا كسبت اليوم سوف تكسد غداً ، ثم تخسر بعد غد . بينما الربا يتضاعف غداً وبعد غد تضاعفاً مركباً .

وهذا كله يجمع الأموال فى النهاية فى يد روتشلد وأمثاله . وهم عندنا يقومون بما قد نظنه نحن مغامرة بالمال : انما يدركون تماماً أنها مغامرة محسوبة ومضمونة وأكيدة . وماتراه أنت مغامرة بالمال يراه هو مكسباً ، ويرى أن المقامرة الحقيقية هى مغامرة صاحب الرأى أو صاحب الكلمة أو صاحب السيف .

وربما كان سبب الثورات الحقيقى هو اجتماع أهل الرأى وأهل الكلمة وأهل السيف لمواجهة المرابى بالمال ضيقاً به وحنقا عليه .

روتشيلد وأسهم قناة السويس

لا يوجد دستور بريطانى مكتوب . انما هى تقاليد وتراث محترم إلى درجة التقديس . مرة واحدة فقط انتهكت هذه القدسية . وليست هناك سابقة أخرى وليست بعدها لاحقة أخرى . مرة واحدة فقط . عندما قرر دزرائيلى أن يشترى نصيب مصر فى أسهم القناة . لم يطلع البرلمان على ما انتواه . ولاطلب ثمن الأسهم من الخزانة البريطانية . تكتم الموضوع تماماً . قام به فى سرية تامة . استدان من روتشيلدواشترى الأسهم ثم أطلع البرلمان بعد ذلك على الأمر الواقع .

فى هذه الحقبة التاريخية كان هناك ثلاثة صهاينة يخططون لأمر ما : دزرائيلى فى بريطانيا . روتشلد . جامبتا وزير خارجية فرنسا .

وخططوا فعلا وحدث التدخل البريطانى بحجة الثورة العرابية . ودخل ولزلى سراى عابدين وفصلت مصر عن الدولة العثمانية وأصبحت نهاية الدولة العثمانية قاب قوسين أو أدنى . وبعد قليل عندما دخل اللنبى القدس عام ١٩١٨ قال : اليوم انتهت الحروب الصليبية . وإن من يغفل عن أن

قصة مليونير

يهودي غامض

روتشلد ودزرائيلى وجامبتا كانوا صهاينة يخططون لشىء ما ــ سوف يتضح لنا ذلك حالاً ــ انما هو يغمض عينيه ويحلم .

روتشيلد ومد مياه النيل إلى العريش :

حاول هرتزل وأتباعه اقناع بريطانيا وممثلها كرومر بمد مياه النيل إلى العريش . ومنها الى صحراء النقب .

وكان روتشيلد هو صاحب هذه الفكرة وتعهد بتمويلها ، على أن يسترد قرضه من الأرض أضعافاً مضاعفة ، فهى مشروع زراعى واستثمارى بالغ الضخامة ، وقد عارض كرومر ــ كل المعارضة ــ هذا المشروع ، بل ودعا اليهود إلى الاستزراع والاستثمار فى أوغندا البريطانية .

ويقول كامل زهيرى مؤلف الكتاب الهام . « النيل فى خطر » إن رفض كرومر قد يكون عائداً إلى أنه من عائلة بارنج التى تعمل فى البنوك والاقراض ، ومن ثم تنافس عائلة روتشيلد وتحقد عليها .

ولكن التفسير الحقيقى لهذا الموقف لكرومر ربما كان أن وجود صحراء فاصلة بين مصر وفلسطين يشكل مانعاً طبيعياً جباراً ضد كل غزوة من ناحية فلسطين ضد مصر . وهذا المانع الحربى قد زال تماماً بعد ظهور سلاح الطيران والصواريخ .

وربما كان هناك تفسير آخر هو أن أى وجود قوى فى فلسطين انما يهدد مصر . وربما كان كرومر وهو فى أوج نفوذه يتصور أن الوجود البريطانى فى مصر سيظل وجوداً دائماً ، ومن ثم لا يجوز وجود دولة قوية على حدود مصر الشرقية . والذى يرجح لدينا هذا التعليل هو أنه نفس التعليل الذى أحتج به النحاس باشا عام ١٩٣٤ لدى السفير مايلز لامبسون ضد قيام دولة اسرائيل .. هذا القيام الذى تم بعد ١٤ عاماً ، أى عام ١٩٤٨ .

أيا ما يكون السبب فإن فشل روتشلد فى توصيل المياه إلى العريش هو الفشل الوحيد الذى أصابه فى جميع معاركه الخفية خلال زحفه السرى فى الشرق الأوسط بطريقة التسلل بالمال .

روتشيلد ووعد بلفور :

سيجد القارىء فيما أزعم من علاقة بين روتشيلد ووعد بلفور أمراً جديداً بحيث يطالبني بذكر مصدر معلوماتي . وأكتفى بمرجع واحد يعتبر أكمل دراسة حالياً عن الموضوع هو كتاب « مسألة فلسطين » لفريدمان . وهو خريج الجامعة العبرية بالقدس ثم مدرسة لندن للعلوم السياسية ثم « معهد اليهودية المعاصرة » بالجامعة العبرية أيضاً ، وهو




السلطان عبد الحميد الثانى



كرومر

حاليا أستاذ التاريخ اليهودى فى جامعة هرفيسى بفيلادلفيا بأمريكا .

وقد ذكر هذا المؤلف حقائق جديدة تماماً .

• أن بريطانيا كانت تخشى الانفراد دون فرنسا باصدار أى وعد لليهود خوفاً من أن تتبنى فرنسا وجهة نظر الدفاع عن العرب ، وتخلق بذلك مبرراً لتدخلها فى الشرق الأوسط . وأن ادموند روتشيلد بالذات ذلل هذه العقبة تماما ، وضمن عدم اعتراض فرنسا .

• اوفد ادمون روتشيلد بعثة من طرفه وعلى نفقته إلى روسيا فى عهد رئاسة كرنسكى حتى لا تعارض روسيا أى تصريح تصدره بريطانيا لصالح اليهود .

• كان المدخل إلى وعد بلفور هو ما طلبه روتشيلد عندما أدعى أن اليهود يطلبون إنشاء دولة يهودية تكون تحت الحماية البريطانية حتى إذا وافقت الخارجية البريطانية على الدخول معه فى مفاوضات على هذا الأساس حول الطلب إلى شىء آخر هو مجرد إنشاء وكالة يهودية لتهجير وتوطين اليهود فى فلسطين .

• ثم تزعم روتشيلد حركة تهجير يهود روسيا ولازال هو الذى يتحمل عبئها المالى ، وان كان ذلك يتم على صورة قرض بالربا . واعتبر هو أن عملية التهجير لليهود الروس عملية نزف للدم الروسى ، حيث يعتقد أن اليهود يكونون ٦٠٪ من التقدم والإنتاج الروسى !

بعد تفاهم كامل مع وايزمان ــ الذى سيصبح فيما بعد أول رئيس لاسرائيل ــ اتفق روتشلد ووايزمان على أن الخطوة المطلوبة هو تعهد بريطانى بوطن قومى لليهود صادر على هيئة وعد رسمى من الخارجية البريطانية .

وبناء على ذلك كتب روتشيلد شخصياً وبمفرده خطاباً إلى بريطانيا يطالبها بإصدار نص يتعهد بأمرين ، أولهما أن فلسطين هى وطن اليهود ، وثانيهما الإعتراف الرسمى بالمنظمة الصهيونية . وتاريخ هذا الطلب هو ١٩١٧/٧/١٨ .

وقد رد عليه بلفور بخطاب مؤرخ بتاريخ ١٩١٧/٨/١٧ بأن حكومة جلالة الملك تقبل فكرة أن فلسطين « تصاغ » على أنها وطن قومى لليهود ثم أصدر تصريح بلفور المشهور فى ، نوفمبر ١٩١٧ ، وهو خطاب يقول « فى ١٩١٧/٨/٢ باسم حكومة جلالة الملك أبلغكم بغاية السرور أن مجلس الوزراء قد وافق على اعلان التعاطف مع آمال الشعب اليهودى الصهيونى وأكون شاكرا لو أبلغت ذلك للرابطة الصهيونية وأعطيتها القدر الكافى من الاعلان » .

ولاحظ أنه لا يقول وطناً قوميا لليهود فقط ولكنه يقول وطناً قومياً لليهود الصهاينة ! ويطلب تبليغ ذلك للرابطة الصهيونية . فهو ليس مجرد تعاطف مع يهود مساكين لم يكن هتلر قد ظهر بعد ولا طردهم . ولكنه اعتراف وتأييد ومساندة للصهيونية .

ولقد صدر هذا الوعد أو التعهد قبل أن تقوم حركة هتلر باضطهاد اليهود المزعوم بربع قرن وقبل أن يدرك أى سياسى عربى ما هو معنى كلمة « صهيونية » .

وقد تم هذا كله بجهد من روتشيلد بالذات ، وتم على مراحل بدأت بالتظاهر بالدعوة إلى انشاء مستعمرة تخضع لبريطانيا يقيمها اليهود ثم تطورت إلى اخضاع بريطانيا ذاتها لا لليهود فقط ولكن للصهيونية . وعند التطبيق انتهت بطرد بريطانيا من المنطقة بعد جلد ضباطها عراة مصلوبين على الأشجار ونسف قيادتهم فى فندق الملك داود ! !

بعد صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ ظل روتشيلد يخطط لجعل هذا التصريح حجراً أساسياً فى السياسة البريطانية بحيث لا يتحول عنه العمال ولا المحافظون . ففى ١٩٣١/٢/١٣ كتب ماكدونالد رئيس الوزراء البريطانى إلى وايزمان رئيس الرابطة الصهيونية يقول إن وعد بلفور ليس وعداً خاصاً بيهود فلسطين فقط . ولكنه ارتباط مع كل يهود العالم ! وفى ١٩٣٢/٦/٢٧ قال دوق دوفنشير وهو فى نفس الوقت وكيل وزارة المستعمرات فى مجلس اللوردات ، إن وعد بلفور هو الأساس الذى قبلت به بريطانيا انتدابها على فلسطين من جبهة الحلفاء ، !! وظل ونستون تشرشل يحارب بشراسة أى تفاهم مع العرب كما حدث فى الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ محتجاً بالتعهد الذى ذكره دوق دوفنشير وماكدونالد .

وكانت عملية النفخ الدائم والدورى لوعد بلفور انما تتم بتخطيط من روتشيلد !

أما دور بيت روتشيلد بعد حرب ١٩٦٧ عندما جمع ألف مليونير يهودى فى القدس غداة حرب يونيو ، وبحثوا فيه مواضيع مختلفة من أول البترول إلى الانفتاح الاقتصادى إلى الفاعلات النووية فى المنطقة إلى دور القوى العظمى ، فسنفرد له بحثاً آخر فى القريب .

روتشيلد وتهويد الأرض فى فلسطين :

تقوم النظرية الصهيونية على أساس أن الأرض نفسها يجب أن تتهود . وهكذا أدخلت إلى الفكر



رامزى ماكدونالد



ونستون تشرشل

اليهودى اهتماماً جديداً بحرفة الزراعة وتملك الأرض الزراعية وعدم الاكتفاء بالمال السائل أو الذهب أو السندات .

وبيت روتشيلد رغم اتساع أعماله البنكية فى أوربا وبريطانيا لم يمارس تملك الأرض وشراءها الا فى فلسطين . وفى فلسطين انفرد هو وحده بها ، فروتشيلد صهيونى من أوائل الصهاينة بعد هرتزل ومن طبقة وايزمان .

واذا عرفت مبلغ بخل روتشيلد وشحه بالمال أدركت أهمية الأرض الزراعية وتملكها لدى الصهاينة . عن بخله الشديد يحكى جولدمان رئيس الرابطة اليهودية السابق فى مذكراته أنه عندما فكر فى إصدار « الموسوعة اليهودية » لكى يحيى بها اهتمام اليهود بذاتهم وتاريخهم وتقاليدهم احتار من أين يجمع المال اللازم لطباعتها . وقص مشكلته هذه على العالم اينشتين فقال اينشتين إنه صديق حميم جداً لادموند روتشيلد واعطاه خطاباً مؤكدا له استجابة فورية من روتشيلد فلما قرأ روتشيلد التوصية طلب اعطاءه مهلة للتشاور مع أخيه فى الحجرة المجاورة . ثم خرج الاثنان من الحجرة ليفاجئا جولدمان بالرفض وينصحه بالابتعاد عن طبع الكتب .

هذا الرجل نفسه اشترى من أرض فلسطين مائة ألف فدان حتى عام ١٩١٤ (نقلا عن المؤرخ البريطانى باركر) وعلى هذه الأرض ارتفع عدد اليهود فى فلسطين عام ١٩٣٦ حتى أصبحوا أربعمائة ألف يهودى أى حوالى ثلث سكان فلسطين عام ١٩٣١ مما أشعل الثورة العربية من عام ١٩٣٦ إلى عام ١٩٣٩ . وفى مطلع القرن الحالى لم يكن عدد اليهود فى فلسطين يتجاوز ستة آلاف وكان هناك أمر أصدره السلطان عبد الحميد بعدم تملك اليهودى للأرض الزراعية . لا بل عدم بقائه فى قرية محددة أكثر من ستة شهور ينزح بعدها إلى قرية أخرى ضمانا لعدم تملك الأرض الزراعية !

فهذا التغيير اذن فى عقلية اليهودى نحو تملك الأرض أحدث أثراً كبيراً فى مسار القضية الفلسطينية بحيث أمكن توطين عدد من اليهود أصبح ثلث سكان البلاد قبل الحرب العالمية الثانية مما يعد فى حد ذاته انتصاراً صهيونيا أبعد مدى من الانتصارات الحربية أو السياسية ، سواء تلك التى تحققت بالحروب والسلاح أو بالمعاهدات والضغط الدولى . ولا ينقص من هذه الحقيقة أنها تمت فى هدوء وخلسة كاملة .

الخلاصـــة :

إن أى مشروع لقيام دولة أو مجتمع جديد يمر بمرحلة سرية قبل أن يظهر للعيان فى مرحلته العلنية ، وخلال المرحلة السرية يمكن للمال أن يلعب دوراً أهم من دور السلاح أو السياسة . وأن الجوع للأرض هو أكبر محرك للجماعات وللأفراد وللسياسيين وللجيوش ، وهو سبب كثير من الحروب ومن الأسباب الرئيسية فى نشأة الأمم أو زوالها . وان تاريخ الجماعات البشرية وتاريخ كثير من الحروب هو نتيجة تصارع على الأرض ، وأن هذا أوضح ما يكون فى فلسطين . فوعد بلفور صدر قبل اضطهاد هتلر لليهود . وتملك روتشيلد للأرض صدر قبل اضطهاد هتلر لليهود .

ابحثوا فى التاريخ عن الحقيقة ولاترددوا مزاعم تقال لكم !

السيد فهمى الشناوى

من التـــراث البحـــري



كل سبع نساء في الجزيرة يقابلهن رجل واحد

بقلم : الدكتور أنور عبد العليم

يضم كتاب « عجائب الهند » الذى تحدثنا عنه فى مقال سابق (عدد يناير ١٩٨٥) قصصاً كثيرة مثيرة عن البحار الاستوائية وأهوال الملاحة فيها وغرائب الحياة على جزرها . وتعتبر قصة جزيرة النساء من أمتع القصص التى وردت فى هذا الكتاب وأكثرها إثارة . وغالباً ما يعثر الملاحون على هذه الجزيرة بعد مغامرة مثيرة فى البحر تنقلب فيها مراكبهم فيتعلقون بالقوارب الخفيفة التى تحملهم الى « جزيرة الاحلام » وكأنما هى مكافأة لهم على الكرب العظيم الذى عاشوه فى البحر .

تاريخ أحداث الكتاب :

دونت مسودة كتاب « عجائب الهند : بره وبحره وجزائره » منذ ألف سنة (عام ٤٠٤ هـ) وإن كانت أحداثه قد جرت بين سنوات ٢٨٨ ـ ٣٤٢ هـ وهى التواريخ الذى ذكرت فيها أسماء أعلام معروفة عاصرت هذه الأحداث . فقد وردت فى الكتاب أسماء مثل الخليفة المقتدر ووزيره أبو الحسن وقد توفى الأول سنة ٣٢٠ هـ والثانى سنة ٣١٢ هـ كما ورد فى « وفيات الأعيان » لابن خلكان . كما يرد ذكر « أحمد بن هلال » حاكم عمان وقد عاصر هذا الرجل المؤرخ المسعودى كما ورد ذكره فى كتابه « مروج الذهب » الذى يرجع زمن تأليفه لعام ٣٣٢ هـ . ومن ذلك قول الناخداه الذى دون قصص عجائب الهند :

« وحدثنى أبو الحسن محمد بن احمد بن عمر السيرافى أنه رأى بعمان فى سنة ثلاثمائة ـ سمكة وقعت ببعض سواحل عمان وجزر الماء عنها فصيدت فسحبت الى البلد . فركب أحمد بن هلال الأمير والعسكر معه وحضر الناس للنظر إليها وكان الفارس يدخل فى فكها ويخرج من الجانب الآخر وهو راكب لعظمها » (يقصد حوت البالين العظيم) .

قصة جزيرة النساء

يمكننا تلخيص أحداث هذه القصة فى أربعة عناصر رئيسية تبدأ بسفر السفينة بريح طيبة وعليها خليط من التجار وأمتعتهم وبضائعهم ووجهتها موانىء الصين ، وفجأة تهب عليها عاصفة هوجاء وهى فى بحر الصين الجنوبى فتحيدها عن مسارها وتبعدها كثيراً الى الجنوب فتضل طريقها ويضطر ركابها الى إلقاء حمولتها فى البحر وتوشك على الغرق .

ثم تحدث مفاجأة أخرى إذ يكتشف الربان على ظهرها شيخاً مسناً من أهل الأندلس كان قد تسلل الى السفينة فى غفلة من ملاحيها . ثم يقدر لهذا الشيخ أن يلعب دوراً فى أحداث القصة فهو يتنبأ بسكون الريح وزوال الغمة وأخيراً ترسو السفينة على جزيرة سكانها كلهم من النساء . ويتمادى الملاحون فى اللهو حتى تساقطوا أمواتاً من الاعياء فيما عدا العجوز الاندلسى الذى ينجو ليقص القصة . ولا تنتهى القصة قبل أن يتحرى العجوز عن سبب كثرة النساء على الجزيرة . وسنورد فيما يلى مقتطفات من القصة حسب تسلسل أحداثها توضح أسلوب الكتابة والوصف الحي لحياة الملاحين فى بحار مجهولة منذ ألف سنة مضت . أما مغزى القصة فهو أن الانسان قد يسلم من أهوال البحر أما الخطر الأكبر عليه فيكمن فى الانهماك فى اللهو والملذات .

١ ـ العاصفة :

يقول الراوى « وحدثنى أبو الزهر البرختى الناخده وكان من عظماء أهل سيراف ، وكان مجوسياً على دين الهند ـ وكان عندهم أميناً يقبلون قوله ويستودعونه أموالهم وأولادهم ـ فأسلم وحسن إسلامه وحج . بمخاطبته امرأة من جزيرة النساء وذلك أنه سافر رجل فى مركب عظيم (١) . ومعه خلق من أخلاط التجار من كل بلد وهم يسيرون فى بحر ملاتو (٢) وقد قربوا من أطراف الصين وأبصروا بعض جبالها فلم يشعروا الا وريح قد خرجت عليهم من الجهة التى كانوا يقصدونها . فلم يسعهم إلا الانصراف معها حيث توجهت . وركبهم من هول البحر مالا طاقة لهم به . ومرت



هذه اللوحة الرائعة من القرن الثالث عشر الميلادى ، توضح احدى السفن العربية التى كانت تنقل التجارة الى الهند والصين من موانىء الخليج. وكانت ألواح هذه السفن تخاط بحبال من ألياف القنب أو النارجيل (شجر جوز الهند).

بهم الريح إلى سمت سهيل (٣) ومن أضطر فى ذلك البحر الى أن يصير سهيل على قمة رأسه فقد دخل بحراً لارجعة له منه ، وتنكس فى لجة هابطة الى الجنوب مصوبة الى تلك الجهة فلا يستطيع الرجوع بريح عاصف ولا غيره . وهوى فى لجج البحار المحيطة (٤) .. ثم دخل عليهم الليل وأظلم وادلهم وحال بخار البحر ودجنته ونداه وزخره بينهم وبين النجاة . فلم يروا ما يهتدون به ،

وهول البحر وأمواجه ترفعهم الى السحاب وتخفضهم الى التراب .. فلما طال الليل عليهم وهم يجرون فى قبضة الهلكة تودعوا وصلى كل منهم الى جهة على قدر معبوده لأنهم كانوا شيعاً من اهل الصين والهند والعجم والجزاير . واستسلموا للموت .. وجروا كذلك يومين وليلتين لايفرقون فيهن بين الليل والنهار . فلما كانت الليلة الثالثة وانتصف الليل رأوا بين أيديهم ناراً عظيمة (٥) قد أضاء أفقها فخافوا خوفاً شديداً وفزعوا الى ربانهم (طالبين منه أن يغرق السفينة ليريحهم من العذاب ولكنه يأبى) . فلما أيسوا منه ضجوا بالبكاء والعويل وندم كل منهم شجوه وصار الربان إذا أمر مناديه أن ينادى رجاله بجذب حبل أو إرخائه ليصلح شأن المركب فلا يسمع الرجال ذلك من دوى البحر وحس تلاطم الأمواج وهدير الرياح فى القلوع والشرع والحبال وضجيج الخلائق فأشرف المركب على الهلاك ..

٢ ــ ظهور العجوز الأندلسى :

ويستطرد الراوى فيقول «وكان فى المركب شيخ عجوز مسلم من أهل قادس من الأندلس قد طلع الى المركب فى ازدحام الناس عند طلوعهم ليلة السفر ولم يشعر به ربان المركب وكان فى زاوية من المركب مهجورة وهو مختف فيها خوفاً من أن يعلم به أحد فيؤنب ويوبخ . فلما رأى القوم وما نزل بهم وما هم عليه من الإخطار بأنفسهم ومركبهم خرج إليهم وقال لهم ما شأنكم هل انفتح المركب ؟ قالوا لا .. قال فانكسر السكان ؟ قالوا لا .. فركبكم البحر ؟ قالوا لا . قال فما شأنكم ؟ قالوا له كأنك لست معنا فى المركب . أما تنظر هول هذا البحر وأمواجه وظلمة الهواء الذى لم نر معه نهاراً ولا شمساً ولا قمراً ولا نجوماً نهتدى بها . وقد دخلنا تحت سهيل وحكمت البحار والريح علينا .. وهذه النار التى نجرى إليها وقد ملأت الأفق . والغرق أهون علينا من الحريق . وقد سألنا الربان أن يقلب المركب بنا فى البحر فنموت غرقاً ولا نموت حرقاً . فقال (الشيخ) أوصلونى الى الربان فأطلعوه إليه (وهنا تجرى المحادثة الآتية بين الربان والشيخ العجوز) :

ــ الربان : من أنت ؟ من التجار أم من اتباعهم فلا نعرفك فى رجال المركب .

ــ الشيخ : ما أنا من التجار ولا من أتباعهم .

ــ الربان : فمن أطلعك إذن وما بضاعتك ؟

ــ الشيخ : إنى طلعت فى جمهور الناس ليلة الاسراء وأويت الى مكان فى المركب .

ــ الربان : من أين تأكل ومن أين تشرب وما بضاعتك ؟

ــ الشيخ : كان بانيان (ملاح) المركب يضع كل يوم قريبا منى صفحة أرز بسمن لملائكة المركب فكنت أتقوت بذلك وأما بضاعتى فقربة عجوة .

فتعجب الربان منه واشتغل الناس بسماع حديثه عما كانوا فيه من الضجيج وأصلح الرجال أدوات المركب ومشى فيهم مناد بتدبير الاقلاع واهتدى المركب .. وطمأنهم الشيخ وقال لهم : نجوتم بقدرة الله . هذه جزيرة يحيط بها وتكتنفها جبال تكسر عليها الأمواج بالبحار المحيطة بالأرض .. فتباشر الناس وسكنوا الى قول الشيخ وذهب عنهم ما كانوا فيه من الغم والخوف ، وتناقص الريح وصار البحر رهوا والريح رخوا ..» .

٣ ــ جزيرة الأحلام :

« وقدموا على الجزيرة مع شروق الشمس وتخيروا مرسى كنينا وأخذوا يطرحون أرواحهم على الرمال ويتمرغون على الأرض شوقاً إليها ولم يبق منهم فى المركب أحد وبينما هم كذلك إذ ورد عليهم نسوان من داخل الجزيرة لا يحصى عددهم الا الله تعالى . فوقع على كل رجل منهم ألف امرأة

جزيرة النساء

أو أكثر فلم يلبثوا ان حملوهم الى الجبال . قال فلم يزالوا كذلك وكل من قويت على صاحباتها أخذت الرجل منهم . فلم يبق منهم سوى العجوز الاندلسى . فإنه جاءته واحدة أكنته فى موضع قريب من البحر وجاءت له بشىء تقويه به فلم يزل كذلك الى أن انقلب الريح من تلك الجزيرة الى الجهة التى خرج المركب منها من الهند فأخذ الشيخ قارب المركب الذى يسمى « الفلوكة » ورفع فيه فى الليل ماء وزادا فلما فطنت به المرأة أخذت بيده وجاءت به الى موضع فنبشت التراب بيديها عن معدن تبر فنقلت هى وهو منه ماصبر(٦) به القارب وأخذها معه الى البلد التى خرج المركب منها فأخبرهم الخبر وأقامت المرأة معه الى أن تفصحت وأسلمت ورزق منها الأولاد .

٤ ــ سبب كثرة النساء على الجزيرة :

ثم ان العجوز سأل المرأة عن كثرة النساء على الجزيرة فقالت له « نحن أهل بلاد واسعة ومدن عظيمة محيطة بهذه الجزيرة ومسافة ما بين كل بلد من بلادنا وهذه الجزيرة ثلاثة أيام بلياليها والشمس تشرق من طرفها الشرقى وتغرب فى جانبها الغربى فيظنون أنها تبيت فى هذه الجزيرة . ثم ان الله سبحانه وتعالى جعل المرأة فى بلدنا تلد أول بطن ذكراً وثانى بطن أنثيين وكذلك باقى عمرها . فما أقل الرجال فى بلادنا وأكثر النسوان ! التى تغلب ! وما سمعنا ولا مر بنا أحد من الناس غيركم ولا يطرق بلادنا أحد على مر الأزمنة وان بلادنا فى البحر الأعظم تحت سهيل ولا يقدر أحد يجىء إلينا فيرجع ولا يجسر أحد يفارق الساحل والبر خوفاً من أن تشربه البحار وذلك تقدير العزيز العليم » .

جزر النساء فى التراث البحرى :

يرد ذكر جزر النساء فى كتاب « مختصر العجائب » على الوجه التالى :

« ومن ذلك أمة بجزيرة على شبه النساء يقال لها بنات الماء فى صور النساء الحسان ، ذوات الشعور السبط .. لهن كلام لا يفهم وقهقهة وضحك ، وحكى عن بعض البحريين أن الريح ألقتهم الى جزيرة فيها شجر وأنهار عذبة وأنهم كانوا يسمعون جلبة وضوضاء وضحكاً ، فكمنوا لهن وأخذوا منهم امرأتين فأوثقوهما وأقامتا مع اللذين أخذاهما أياماً .. وأن أحدهما وثق بصاحبته فأرسلها من وثاقها فهربت الى البحر ولم يرها بعد ذلك ، وبقيت الأخرى مع صاحبها مستوثقاً منها فحملت منه وولدت ولداً ذكراً وأنهم ركبوا البحر فلما حصلت فى المركب حل وثاقها ، فتغفلته ووثبت الى البحر ، فلما كان بعد ذلك بيوم ظهرت له وألقت إليه صدفاً فيها درّ » .

وهذه القصة محرفة عن قصة مشابهة وردت فى « عجائب الهند » رواها الربان البرختى نفسه نقلا عن خال له يقول فيها : ان التيارات البحرية توهت مركبهم فى بحر الصين فدخلوا بين جزائر ورسوا على واحدة منها فرأوا على ساحلها نسوة « يعمن ويسبحن ويلعبن » فآنسوا بهن ثم جاءهم من الجزيرة رجال ونساء تفاهموا معهم بالاشارة وتبادلوا معهم السلع بالرقيق من نساء الجزيرة ثم أقلعوا فرحين بريح طيبة وبعد يوم تغافلتهم النساء وقفزن الى الماء واختفين .

ويرد ذكر جزر النساء مرة أخرى فى كتاب عجائب المخلوقات للقزوينى (٦٠٠ ــ ٦٨٢ هـ) فى معرض الحديث عن عجائب بحر الصين فيقول : « وفى بحر الصين جزر كثيرة تتصل بجزائر الزابج (٧) والمسير إليها بالنجوم . قالوا إنها ألف وسبعمائة جزيرة تملكها امرأة . قال موسى بن المبارك السيرافى : دخلت عليها فرأيتها على سرير وعلى رأسها تاج من ذهب وعندها أربعة آلاف وصيفة أبكاراً » !

وإذا تغاضينا عن التهويل الوارد فى رواية القزوينى من مضاعفة العدد وتضخيم الواقع ، فإننا نجد فى رحلة ابن بطوطة (القرن ١٤ م) وصفاً ينم عن كثرة النساء على جزر المالديف على عهده وقد عبر هذا الرحالة من ساحل المليبار الى تلك الجزر ويصفها بقوله : إنها نحو ألفى جزيرة ويكون منها مائة فمادونها مستديرة كالحلقة(٨) ، ولابد للداخل إليها من دليل . ويستطرد فيقول إن أهلها كلهم مسلمون وليس بها زرع سوى أشجار النرجيل فأهلها أكلهم السمك وهم يعلقونه للدخان حتى ييبس(٩) فيأكلونه أو يصدرونه الى الهند واليمن ، وتكثر النساء بهذه الجزر وتملكهم امرأة وقد تزوج هو نفسه منهن أربعة ومن بين زوجاته أخت الوزير . ثم إنه تولى القضاء فى هذه الجزيرة ويقول إنه لم يفلح فى حمل نسائها على ستر أجسامهن ، ولكن من كانت تدخل منهن فى خصومة وتمثل أمامه كانت تتحجب . وقد علمهن كثيراً من الأمور الشرعية وأبطلهن كثيراً من العادات السيئة ومنها « ان تمكث المطلقة فى بيت زوجها حتى تتزوج غيره » .

● حقيقة وليست أسطورة : غلبة عدد النساء على عدد الرجال فى بعض الجزر

وفى الأساطير اليونانية القديمة كلام كثير عن نساء الأمازون وكن يشكلن قبيلة من النساء المحاربات يعشن بمعزل عن الرجال ..

جزر النساء بين الحقيقة والخيال :

إن غلبة عنصر النساء فى العدد كثيراً على الرجال فى بعض الجزر المنعزلة فى المحيط حقيقة لا مراء فيها وليست أسطورة من وحى الخيال . بل لا تزال هذه الظاهرة معروفة فى وقتنا الحاضر ، وتأكدنا من صحتها خلال عملنا فى البعثة الدولية للكشف العلمى للمحيط الهندى وعلى الأخص على جزر سيشيل المنعزلة فى وسط المحيط على خط عرض ٤ درجات جنوبى خط الاستواء بعيدة بآلاف الكيلومترات عن شواطىء القارات . وتمتاز هذه الجزر بمناظرها الساحرة الخلابة : ففيها الشواطىء الذهبية والجبال الخضراء والمروج الممتعة والغدران الصافية الرقراقة والأشجار الباسقة التى تصدح فوقها الطيور الملونة الجميلة . ناهيك بثروات الجزر الطبيعية من جوز الهند والموز والاناناس والقرفه والفانيليا وباقى الحاصلات الاستوائية .

إن نسبة عدد النساء الى الرجال على تلك الجزر وقت زيارتنا لها فى عام ١٩٦٤ كانت ٧ : ١ أى بمعدل سبع نساء لكل رجل واحد ؟ هكذا تقول أيضاً النشرة الرسمية للحكومة ، ولم يكن ملاحونا القدماء والحال كذلك بعيدين عن الحقيقة حين وصفوا مثل هذه الجزر بجزر النساء .

ونساء سيشيل خليط من السود والصفر والبيض والملونين تجمعت فيهن كل صفات الجنس البشرى . ولا غرو فسكان الجزر خليط من الزنوج

والصينيين والانجليز والفرنسيين والهنود وهى الأجناس التى تعاقبت عليها فى المائتى سنة الأخيرة ، كل ذلك بالاضافة إلى بحارة السفن من جنسيات أخرى ممن تركوا حياة البحر وآثروا الحياة السهلة الناعمة على تلك الجزر . ومن ثم فإنك لتجد بين نساء الجزر السوداء ذات الشعر الأشقر والعيون الزرقاء أو البيضاء ذات الشعر المجعد والأنف الأفطس أو السمراء ذات العيون الضيقة والشعر الأحمر . ولا تأنف المرأة هناك من القيام بالأعمال الشاقة من قطع الغابات الى تعبيد الطرق الى صيد الأسماك فضلاً عن ممارسة التجارة والعمل فى الحقل والبيت معاً بينما أغلب الرجال يخلدون الى الراحة والكسل .

وظاهرة غلبة النساء فى جزر سيشيل هى تجربة حديثة فى علم السكان . فحتى عام ١٧٥٦ م لم تكن الجزر مأهولة حين قدم اليها رجل فرنسى يدعى الأب روشون من جزر موريس المجاورة ورفع العلم الفرنسى على كبرى جزر سيشيل وهى جزيرة « ماهى » فصارت أرضاً فرنسية . وبمثل هذه السهولة كانت تستعمر الجزر فى الماضى .

وفى عام ١٧٧٧ م استوطنت الجزيرة تسع عائلات فرنسية أخرى من جزر موريس أيضا وتملكت ضيعات عليها ثم صارت الحاجة ملحة لمزيد من الأيدى العاملة للزراعة فجلب الفرنسيون الرقيق السود من سواحل أفريقيا . ويروى من زار جزر سيشيل فى مطلع القرن التاسع عشر أنها كانت تزرع الذرة والأناناس والموز والبطاطا والليمون والتوابل وأنواعاً من القطن عالية الجودة . وبها كثير من الدواجن والماشية والأغنام التى كانت تمون بها السفن العابرة .

وفى عام ١٨١٤ م تمكن اللورد ماكولى الانجليزى من ضم الجزر المذكورة الى التاج البريطانى وقدر عدد السكان فى ذلك الوقت بنحو ٢٥٠٠ نسمة أغلبهم من الزنوج . أما مساحة الأرض المنزرعة فكانت ٤٥٠٠ فدان . أما إحصائية عام ١٨٥٣ م فتقدر عدد البيض على هذه الجزر بنحو ٦٨٠ فرداً بينما بلغ عدد الزنوج نحو عشرة أمثال هذا العدد . كما ألغى الرق فى نفس العام وصارت بريطانيا توطن الزنوج الذين تصادرهم أساطيلها فى المحيط الهندى على هذه الجزر فزاد عددهم كثيراً على عدد البيض . وبظهور أعداد كبيرة من الملونين ألغيت التفرقة العنصرية بين البيض والسود .

● نساء سيشيل خليط من السود والصفر والبيض والملونين !

● نوعية الغذاء وقوة مقاومة الأنثى للأمراض والجو سبب تفوقها العددى !

والواقع انه لا يوجد تعليل مقبول اليوم لتبرير هذه الزيادة الكبرى فى عدد النساء على الرجال فى جزر سيشيل والتى بلغت نسبتها كما ذكرنا آنفاً ٧ : ١ بينما النسبة الطبيعية هى ١ : ١ مع زيادة طفيفة فى عدد الأناث على الذكور .ولربما كان السبب يكمن فى نوعية الغذاء السائد على الجزر أو فى تلك القدرة التى وهبها الله للأنثى لتقاوم بها الأمراض وتقلبات الجو وتعينها على تحمل آلام الحمل والوضع والحضانة الى جانب سعيها على الرزق . وأيا كان السبب فالقول بأن النساء هن الجنس الضعيف هو الأسطورة بعينها .

انور عبد العليم

هوامش

(١) كانت مراكب العرب القديمة التى تسافر فى المحيط الهندى من الكبر بحيث تتسع لنحو ٣٠٠ ــ ٤٠٠ راكب بخلاف حمولتها من البضائع والأمتعة . وفى « عجائب الهند » أيضاً أن ثلاثة مراكب يقودها النواخيذ : عبد الله الجنيد وسبأ وأحمد خرجت من الخليج وعليها « ألف ومائتا رجل من التجار والنواخذة والبانانية وغيرهم من صنوف الناس وفيها من الأموال والأمتعة مالا يعرف مقداره لكثرته » ، قاصدة ميناء صيمور (جنوب بومباى بنحو ٢٥ ميلا) . ومن المدهش أن مثل هذه المراكب لا تدخل المسامير فى صناعتها بل كانت ألواحها تخاط بخيوط القنب أو خيوط النرجيل وتسد ثقوبها بعجينة تسمى « النورة » . ويلاحظ أن مقدمة هذه المراكب تشبه الى حد كبير مقدمة المراكب التى تصنع اليوم فى الخليج من حيث استقامتها وزاوية ميلها مع خط الماء .

(٢) بحر ملاتو هوبحر الصين الجنوبى وكان يسمى أيضاً بحر صنجى وبحر الصنف .

(٣) سهيل هو النجم الدال على القطب الجنوبى فى بوصلة الملاحة ويقابله « الجاه » فى نصف الكرة الشمالى .

(٤) كان العرب يعتقدون فى نظرية الاقيانوس أو البحر المحيط باليابسة من جميع أرجائها « إحاطة السوار بالمعصم » وهى نظرية يونانية قديمة .

(٥) النار المشار إليها تنبعث من البراكين الحية على بعض جزر المحيط وهى أوضح ما تكون أثناء الملاحة ليلا .

(٦) يصبر القارب أى يوضع فيه ثقل من الحجارة أو الرصاص ليحكم اتزانه فى الماء . ويطلق الملاحون والصيادون على سواحل الأسكندرية اسم « الصابورة » أو « الصبورة » على مثل هذا الثقل . وكنت أحسب الكلمة دارجة قاصرة الاستعمال على سواحل الاسكندرية الى أن عثرت عليها فى هذا الكتاب الذى نحن بصدده . وشبيه بذلك كلمة « قلفط » السفينة وهى من المصطلحات الملاحية الشائعة الاستعمال بثغور مصر وتعنى إزالة الطحالب والأصداف التى تعلق بجسم السفينة المعرض للماء ، ثم دهانها بالقار وغيره من الدهانات التى تحمى السفينة من هذه العوالق .

(٧) الزابج هى جزر جاوة وسومطرة .

(٨) وصف ابن بطوطة لجزر المالديف بقوله « ويكون منها مائة فما دونها مستديرة كالحلقة ولابد للداخل إليها من دليل » هو وصف جيولوجى رائع بمقاييسنا العلمية الحديثة ينم عن قوة ملاحظة وذاكرة قوية . ويعبر علماء الجيولوجيا البحرية عن مثل هذه التكاوين « بالأتول » وهى الجزر الحلقية المرجانية المحيطة ببحيرة ضحلة تسمى « اللاجون » وتنشأ فى وسط المحيط على رأس بركان خامد .

(٩) صناعة تدخين الأسماك لحفظها من التلف صناعة قديمة عرفها المصريون القدماء منذ آلاف السنين . واشارة ابن بطوطة لهذه الصناعة على جزر المالديف فى القرن الرابع عشر الميلادى هى الأولى من نوعها على قدر علمنا . كما أن هذا الرحالة المغربى قد أشار الى ملاحظة أخرى طريفة وهى أن الجمال تأكل السردين على ساحل عمان وقد شاهدنا نفس الظاهرة على سواحل عدن وكل ذلك يؤيد الامكانات المهولة للثروة السمكية فى بحر العرب كما هو معروف اليوم .

رحلة صعبة .. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان .. ترويها بقلمها

القسم الثاني من المذكرات (٤)



شيء لا يُصدَّق :

ثلاثة أيام متواصلة من الدّموع

تواصل الشاعرة الكبيرة فدوى طوقان رواية مذكراتها الرائعة فى هذه الحلقة الجديدة ، فتروى تجاربها مع الفرح والألم والإنسان والطبيعة وكيف كانت تمضى بها الحياة فى الغربة .. فى لندن .. وكيف كانت تلتقى بالوطن وهمومه وأحلامه من بعيد ..

أيامى فى انكلترا لا تنسى :

فى انكلترا عرفت الفرح الصافي ، وفيها ضربنى الموت بالصاعقة .

كان منبع الفرح تجربة رائعة ، حلوة ، تقطر عسلا . تجربة غنية كأنما انفلتت من حدود الزمان وحواجزه ، لتصبح دقات القلب فيها هى المقياس الحقيقى للزمن . الحب يحرك الحياة ، وإن ساعة واحدة يعب فيها القلب من ينابيع السعادة يمكن أن تشمل دهراً من الغبطة والتفتح والفوحان . من الصعب توضيح هذا لمن يقيسون الوقت بالساعة فى كل الحالات والمواقف ، ولا يستطيعون قياسه بالشعور والاحساس ودقات القلب . إن الحياة لا تحتسب الا بالاحساس والشعور ، كم هى جميلة انفعالات الحياة ، وهل نرجو أكثر من أن تكون لدينا القدرة دائماً على أن نُحياها بشكل غير حيادى ؟

كنت واثقة من الفراق ، من حتميته المؤلمة . كم قلت لنفسي : سأحمل حقيبتى غداً . وأقول وداعاً أيتها البلاد الدائمة الخضرة ، ويا صيف انكلترا ما كان أغنى أماسيك المضيئة بالحب ، أماسيك ذات الأصيل الطويل ، ولياليك المتشبث بستارة الغروب ، فلا يتركها تفلت قبل العاشرة . سأترك فيك جزءاً من حياتى . سوف يؤلمنى الحنين ، ولكنى سعدت وأسعدت ، لقد حييت وجودى ولو لفترة محدودة ، وهل حياتنا الا هذه اللحظات المعاشة بعمق ؟

كانت تجربة باهرة ستظل ذكراها تبعث بالدفء الى القلب طول الحياة ، والى أن ينطفىء هذا القلب فى رماد الموت .

كان شقيق الروح .A. G جنة لقيت فى ظلها

الهدوء والسلام ، والراحة والسكينة ، انسان مؤنس ، وديع ، بجانبه كان يغيب شعوري الدائم بأني قد ألقي بي في عالم أقوى مني .

على أن شجناً ناعماً ظل يمازج سعادتي وأنا في ذلك الفردوس الأرضي ، هكذا أنا دائماً ، لا تكتمل السعادة في نفسي وشعوري ، ففي أوج غبطتي يتسلل خيط رفيع من اللوعة ليسحب نفسه على مدى وجداني كله : أين أنا غداً من هذه الجنة ؟ لو يقف الزمن ، لو انني أملك الامساك باللحظات الهاربة ، اللحظات التي تتساقط قطرة قطرة في محيط الزمن لتتلاشى فيه وتتدثر ثم لا تعود ، لا تعود أبداً .

لن أنسى ذلك اليوم من صيف ١٩٦٢ .

ها نحن معاً ، نمارس رياضة المشي على طرف الغابة . السكينة تغمر العالم الأخضر حولنا .. الهواء شفاف كالبللور .. الطيور تنقض من شجرة الى شجرة وغناء طائر غير مرئي يحشد المدى بمذاق الشجن .. يرهف تغريد الطائر حسي .. يتسلل النغم الى حبة قلبي مشبعاً بالهدوء والعزلة .. تحتويني فتنة غامضة .

فجأة يأتيني صوت « A » هامساً خفيضاً : هذا الطائر نادراً ما يبدو للعيان ، إنه يؤثر الاختفاء بين كثافة الأغصان ، نسمعه ولا نراه ، قلت له : تدهشني كثرة الطيور في انكلترا ، كثيرة هي بمقدار كثرة الغابات فيها . قال : هل سمعت برسام الطيور الانكليزي جون اودوبون ؟ كان هذا الرسام شديد الولع بالطيور وهو القائل إن الطائر والغابة مثل الرجل وزوجته .

الآن ، وأنا أكتب هذه السطور ، تعود بي الذاكرة الى خريف عام ١٩٦٥ عام انتقالي من بيت العائلة القديم في السوق القديم بنابلس لأستقر بما تبقى لي من سنوات العمر في بيت صغير مستقل قام بتصميمه جعفر ابن شقيقي ابراهيم ، كانت المنطقة المحيطة بالبيت في ذلك الحين أرضاً بوراً ، خالية الا من الصخور والتراب والأحجار ، معزولة عن حركة الحياة في المدينة لوقوعها في مكان ناء غير مأهول على الطرف الغربي من حضن جبل جرزيم .

في ساعة تأمل لفت انتباهي خلو المكان ، بل خلو المنطقة كلها من الطيور ، فلا رفة جناح ، ولا زقزقة طائر ، وكانت طفولتي قد تفتحت وشبابي قد اكتمل بين ثرثرة العصافير الصاخبة في الغدو والآصال ، حيث كانت أشجار الدار مأوى لها وملاذاً على مدار العام .

في تلك الساعة استحضرت ذاكرتي ذلك اليوم مع « A » على طرف الغابة . وتذكرت قول رسام الطيور جون اودوبون عن الطائر والغابة وكونهما مثل الرجل وزوجته ، هنا أدركت سبب هجران الطيور للمنطقة القاحلة ، فحيث هناك شجر هناك طيور . ومع إطلالة يوم عيد الشجرة مضيت أغرس حول الدار شتلات السرو والصنوبر ، العامل يحفر وأنا أزرع ، ورحت أراقب نموها يوماً فيوماً ، ارعاها وأسقيها وأقيس مدى أطوالها كل بضعة



كمال ناصر



ابراهيم طوقان

أسابيع ، وكنت سعيدة فرحة بسرعة نموها ، وفي خلال عامين بدأت فرق صغيرة من الطيور تعرف طريقها الى شجيرات البستان الذي أصبح الآن يضحك ضحكاته النضرة الخضراء ، ناهيك عن ضحكات الزهور المختلفة الأنواع والألوان .

هذه الملاحظة ، ملاحظة اقتران الطائر بالشجرة إتخذت فيما بعد بعداً وطنياً في قصيدتي « الطوفان والشجرة » التي كتبتها بعد حزيران ١٩٦٧ ، فقد حملت كلمتي الطير والشجرة فيها دلالات تشير من بعيد الى الأمل والتطلع الى الحرية والانطلاق من الحصار الصهيوني لوطني :

ستقوم الشجرة والأغصان ستنمو في الشمس وتخضر

وستورق ضحكات الشجرة

في وجه الشمس

وسيأتي الطير . لابد سيأتي الطير ، سيأتي الطير



علي محمود طه

خلال عطلة أسبوعية رافقت الصديق « A » في رحلة قصيرة الى لندن وكانت قد أصبحت هوى لي منذ الزيارة التي رتبتها « مدرسة سوان » في أوكسفورد لطلابها وطالباتها . وقد قيل لنا إن لندن العظمى ابتلعت الضواحي المحيطة بها ، فالعمران قد ابتلع الأرياف ، ومع ذلك لم تبد لندن لعيني مجرد عمائر ضخمة وشوارع مكتظة بالمخازن التجارية ، فقد رأيت الحدائق التي تبلغ مساحتها مئات الدونمات تنتشر في قلبها ، والأشجار السامقة تظلل الأحياء والدروب ، ناهيك عن حدائق المنازل والحدائق الصغيرة هنا وهناك .

في معرض تيت « Tate » وقف بي « A » طويلا عند الركن الخاص بعرض أعمال الرسام المعاصر غراهام سذرلاند « Sutherland » ، رسامه المفضل . و « A » نفسه يمارس هواية الرسم ، وكان أول لقاء لنا على غير معرفة ولا ميعاد في معرض للرسوم في اكسفورد ساهم فيه بعرض لوحتين من أعماله . انه هو « A. G. » الذي أهديت إليه ذلك العام قصيدتي (أردنية فلسطينية في انكلترا) .

لدي ميل فطري نحو فن الرسم ، وقد ظل اللعب برسم الوجوه والدور والأشجار على ورق مسودات القصيدة من العادات الملازمة لي أثناء عملية نظم الشعر . لم أحاول تنمية قدرتي على الرسم ، باستثناء بعض المحاولات التي قمت بها أيام دراستي في مدرسة راهبات مار يوسف بنابلس حيث أنجزت بضع لوحات زيتية بإشراف الراهبة « الأخت زفرين » . وظل الشعر هو البداية والنهاية ، والهدف الأول والأخير في حياتي . غير

ثلاثة أيام متواصلة من الدموع

أنني ظللت أملك القدرة على الاستمتاع والانتشاء بالفنون التشكيلية على مختلف أنواعها ومدارسها ، تماماً كاستمتاعي بالموسيقى ، فالموسيقى ، هذه اللغة التجريدية التي تخلو من المدلولات المحددة تستطيع أن تنفعل بها شعورياً ، وتحلق في عالم معانيها ، دون أن تدرك هذه المعاني إدراكاً عقلياً .

كانت صور سذرلاند غريبة . تم فيها تشكيل المناظر الطبيعية بطريقة تثير الوحشة في نفس المشاهد . كان أغرب تلك الصور لوحة كبيرة أطلق عليها الرسام اسم « أصول الأرض »
The Origins of the lands

لا أزال كلما زرت لندن أعرج بمعرض « تيت » وأقف أمام تلك الصورة الغريبة التي تقبع الآن هناك معلقة على أحد جدران قاعة التحت ، وأحس بروائح الجنة تنتشر في الأعماق من جديد ..

وقد صادف تلك الفترة افتتاح الكتدرائية الجديدة في مدينة كوفنتري ، تلك المدينة التي دمرتها قنابل الحرب العالمية الثانية أواخر عام ١٩٤٠ . ذهبت مع « ٨ » لمشاهدة البناية الجديدة ، وهي كما عرفت منه ، من أهم الانجازات الفنية في انكلترا منذ الحرب العالمية الثانية .

دخلنا الكتدرائية الجديدة مع الزائرين . وهي قائمة بجانب برج الكنيسة الذي سلم وحده من الدمار . كان هناك تمثال للقديس « مايكل » وهو يحارب الشيطان . وقد علمت من « ٨ » ان ذلك التمثال كان آخر أعمال سيرجاكوب ابستين **Eppistien** أما شباك المعمودية فقد راح يغرق صحن الكتدرائية بفيض متوهج من الألوان ، وللألوان سحرها في نفسي منذ الطفولة . إنها تبعث في أعماقي بهجةكبيرة وانجذاباً غريباً . وقد حدثت « ٨ » يومها كيف كنت في طفولتي أحمد الله دائماً على أنه خلق لنا الألوان . فكم كانت الدنيا تبدو قبيحة لو تجردت الا من اللونين الأبيض والأسود . فلا سماء زرقاء ولا أشجار خضراء ، ولا فراشات ملونة . ولا غلالات وردية يتدثر بها الأفق عند الشروق وعند الغروب ، ولا الخ .. وضحك « ٨ » معجباً (بالتفكير الغريب لتلك الطفلة) كما قال ..

كانت أفواج الزائرين تقف مبهورة أمام طنفسة هائلة الحجم قال لي « ٨ » إنها من رسم سذرلاند ، صور فيها السيد المسيح على خلفية خضراء وقد طفح وجهه بالوداعة والسكينة ، وذلك يعكس صور سذرلاند الموحشة التي شهدناها في معرض « تيت » .

هذه المشاهدات وسواها كنت أسجلها في رسائلي إلى شقيقتي « أديبة » ، ومن خلال تلك الرسائل أستحضر الآن تلك المشاهد وأحياها من جديد ، وأنا أعيد تسجيلها في هذه المذكرات .

يالتلك الأيام مع ذلك الصديق الرائع ما كان أغناها بالغبطة واكتساب المعرفة ، لقد كان لكل شيء مذاق خاص في احساسي ووجداني .

وكان هناك ، الى جانب هذا كله ، ذلك الشعور الملازم بتسرب الزمن والأشياء من بين أصابعي ، حيث تفلت منا المعطيات الجميلة فلا يبقى لنا الا الذكرى والحنين .

وابك على طائر رماه فتى
لاه فأوهى بسهمه الكتفا
أو صادفته حبالة نصبت
فظل فيها كأنما كتفا
بكر يبغي المعاش مجتهداً
فقُص عند الشروق أو نُتفا
كأنه في الحياة ما فرع الـ
غصن وغنى عليه أو هتفا

« أبو العلاء المعري »

● وتدفق دمع منهمر لا يتوقف لحظة واحدة .. من أين كانت تأتي كل تلك الدموع ؟

● عندي ميل فطري نحو فن الرسم ، ولكن الشعر ظل هو البداية والنهاية ، والهدف الأول والأخير في حياتي ..

في الوطن كان سوء الحظ القدري غيباً رهيباً مريعاً . كان الموت متربصاً . منتظراً لحظة وصولي أوج تجليات السعادة ليضربني بالصاعقة .

قبل وقوع الفجيعة بأيام قليلة رأيت شقيقي نمر في حلم غريب . رأيته يخرج من بيته في بيروت متجهاً نحو سيارة يجلس خلف مقودها شقيقي ابراهيم . وكانت أطراف سترة نمر تخفق مرتدة الى الوراء بفعل الرياح الشديدة .

جلس نمر بجانب شقيقه وانطلقت بهما السيارة دون أن ينبس أحدهما بحرف . صرخت في حلمي بلوعة حارقة : مات نمر : هذا ما أحسسته في الحلم : موت نمر . ولعل عقلي الباطن كان يختزن تلك المعلومة المألوفة في تفسير الأحلام وهي التنبؤ بموت الانسان الحي إذا رأيناه في الحلم يذهب مع أحد الأموات . واستيقظت فوراً على أنة عميقة مشبعة بحزن عميق .

من الغريب ان ذلك الحلم لم يتسم بأية مظاهر متناقضة كما هي الأحلام في العادة ، ولولا ظهور ابراهيم فيه وكان قد مر على وفاته أكثر من عشرين عاماً لما خرج الحلم عن المنطق في شيء ، اذ كانت صوره كلها منظمة ، معقولة ، فكأنه لم يكن خاضعاً لقانون تلك القوة الداخلية ، قانون اللاوعي الذي تخضع له كل أحلامنا .

بقيت اتململ في الفراش بين أنين لا إرادي وبين غفوات متقطعة قصيرة . والقلب مثقل بغم مثل كتلة من الرصاص . حاولت اقناع نفسي بأن الأمر لا يعدو كونه أضغاث أحلام ، وأن من السخف الوقوع تحت تأثيره بهذا الشكل غير المعقول ، ولكن عبثاً ، وبقيت على خوف وتوجس طيلة الأيام القليلة التي سبقت وقوع الفجيعة .

في الساعة الخامسة من مساء نهار الجمعة ١٩٦٣/٣/٥ م عدت الى البيت لأجد برقية في انتظاري استلمتها من يد مسز فيتهام بقلب واجف . ارتقيت السلم الخشبي . دخلت غرفتي مبهوتة مرعوبة ، جلست أنظر الى البرقية لبضع دقائق دون أن أجْرأ على فتحها ، كان الرعب يشل أصابعي .

فجأة عن لي خاطر مشجع : لم لا يكون المضمون بشارة بقدوم أحد الأهل إلى انكلترا ؟ وفتحت البرقية .

العالم الخارجي يتلاشى ، ذهول ، خدر ، كل احساس لدى يصاب بالتوقف . لأول مرة في حياتي يستعصي على البكاء ، فراغ في الرأس ، فراغ في النفس ، كل شيء يترك مكانه لفراغ أخرس ، غياب . والخبر لا معنى له ، كأنه لا يدل على شيء .

هبطت السلم على غير وعي مني كالسائر في نومه . لم أكد أفيق حتى عدت أدراجي . فتحت

شباك الغرفة . موجة هواء ثلجية لطمت وجهي ، كان الليل قد هبط مثل ستارة من صقيع أسود .

قبل منتصف الليل راح جسدى يرتجف بقشعريرة عنيفة .. ها هو الفراغ يمتلىء بحزن عظيم . تهاوى جانبي الأيمن وسحبني . فالتويت معه لا إراديا ، التويت جهة اليمين ، وبدأت أنوب دون أن استطيع بحال من الأحوال الاستقامة في جلستي . نفس الحالة التي عرتني ساعة تلقيت نعي ابراهيم ، وهكذا عرفت لم قرن الشعراء آلامهم وأحزانهم بالكبد : واكبدا قد تقطعت كبدى .

زحفت متحاملة وانطرحت على سريرى . هنا بدأ الينبوع الساخن المتفجر يتدفق ، حمداً لك أيها الينبوع ، لو استمر انحباسك لفجعت نفسي . دمع منهمر لا يتوقف للحظة واحدة . شيء لا يصدق . من أين كانت تأتي كل تلك الدموع ؟ ثلاثة أيام متواصلة ، في بكاء متواصل ، شيء لا يصدق .

في الصباح طرقت مسز فيتهام بابى ودخلت مستغربة عدم اطلالتي عليها بفنجان الشاى : هل أنت بخير ؟

كانت تحمل في يدها جريدة الديلي تلغراف لمحت صورة أميل البستاني على صدر الصفحة الأولى مع كلمات بالخط العريض تعلن نبأ مصرعه في حادث سقوط طائرته الخاصة في البحر ببيروت مع د . طوقان .

حدقت في وجهي وقد رأت ما رأت من سوء حالي : بنيتي العزيزة ، ماذا هناك ؟ وربطت بسرعة بين برقية أمس وبين ما أنا فيه ، وانحنت تضمني بحنان . ثم ألقت نظرة على النبأ المنشور في الجريدة . قالت : هل د . طوقان .. وألقيت برأسي على صدرها قبل أن تكمل السؤال ، فأدركت هي كل شيء .

* * *

كان نمر شقيقي وصديقي وحبيبي ، يحس بما أعانيه في حياتي ، يتعاطف معي ويهتم باهتماماتي . كان مولعاً بالشعر بالرغم من تخصصه في علم الأمراض « باثولوجي » وتكريس حياته العملية لكتابة البحوث في موضوع تخصصه والمحاضرات التي كان يلقيها على طلابه في الجامعة الأمريكية ببيروت .

كان يحثني دائماً على الاهتمام بالأدب العالمي ، وكان أول معلم تلقيت على يديه بداياتي الأولى في دراسة اللغة الانكليزية .

هنا ، وخلال الحديث عن نمر ، لابد من ذكر صلة أدبية قامت لبضعة شهور بين الشاعر علي محمود طه وبيني :

أثناء اقامتي في بيت أخي ابراهيم في القدس عام ١٩٤٠ قرأت في جريدة الأهرام قصيدة لذلك الشاعر الذى ملأت قصيدته « الجندول » آنذاك آفاق الغناء العربي ، رثى فيها ربان السفينة « كوريجس » التي غرقت في البحر أثناء الحرب العالمية الثانية والتي غرق معها ربانها بصورة درامية مؤثرة .

أحببت القصيدة ، وحفظتها عن ظهر قلب ، ووجدتني أسيرة رغبة لا تقاوم في الكتابة الى الشاعر للتعبير عن شدة اعجابي بتلك القصيدة الانسانية المؤثرة .

لم أطلع ابراهيم على الرسالة ، وذلك لسبب واحد ، هو تجنب الشعور بالحرج والاحباط أمامه في حالة إهمال الشاعر الرد على رسالتي .

ثم فوجئت بما لم أتوقعه ، كانت حفاوة الشاعر برسالتي كبيرة ، وقد أتبع رده بنسخة من ديوانه « ليالي الملاح التائه » . وغمر فرحي بكلمات الاهداء ليالي وأيامي .

سر ابراهيم بكل هذا ، وطلب مني كتابة مراجعة لديوان « ليالي الملاح التائه » لاذيعها من الاذاعة الفلسطينية بالقدس . كتبت المراجعة بحماس لا حدود له ، وأرسلت نسخة منها الى الشاعر مع الاشارة الى تاريخ اذاعتها .

بعد اذاعة الحديث تلقيت رسالة منه يقول فيها ان نخبة من أدباء مصر ، وعلى رأسهم الأستاذ أحمد حسن الزيات ، قد استمعوا الى وو .. الخ .. من كلمات الثناء ، وكانت رسالته مشفوعة بقصاصات من بعض الجرائد المصرية « كالاهرام والمصرى » وسواهما تشتمل على تعليقات مشجعة . وأسعدني جداً أن أفاجأ برؤية المراجعة منشورة في أحد أعداد مجلة « الرسالة » في مايو — أو يونيو ١٩٤٠ .

بعد عودتي الى نابلس إثر هجرة ابراهيم الى بغداد ، تلقيت أمراً من بعض أرباب العائلة بقطع أواصر تلك المراسلات الأدبية مع الشاعر المصرى رغماً عن خلوصها من كل شائبة .

بعد سنوات حدثني الصديق الشاعر كمال ناصر عن لقائه بعلي طه في مصر ، قال إن الشاعر المصرى سأله عني وأبدى استغرابه لانقطاعي عنه دون معرفة السبب . التزمت الصمت ، ولم أحدث كمال بالسبب . كان الحديث في تلك الأيام عن حقيقة أوضاعي التعيسة في البيت يملؤني ذلا وهواناً ، لذلك كنت أوثر كتمان تلك الأمور ، وهكذا مضى المرحوم علي طه إلى العالم الآخر دون أن يعرف شيئاً عن الحقيقة المؤلمة .

بالنسبة لنمر كانت تلك الصلة الأدبية مصدر سرور واعتزاز . كان يحب شعر علي محمود طه . وحين عاد الينا لقضاء العطلة الصيفية اتخذ من « ليالي الملاح » رفيقاً . وقد تركه ذات يوم في غرفة المكتب في مصبنة العائلة ومضى لبعض شأنه ، ثم

للألوان سحرها في نفسي منذ الطفولة ، إنها تبعث في أعماقي بهجة كبيرة وانجذاباً غريباً

أمر عائلي بقطع مراسلاتي مع الشاعر المصري علي محمود طه

ليس هناك ما ينقذنا من ملاحقة أحزاننا ويخرجنا من ذواتنا كالأطفال وعالمهم الخاص

عاد ليجد الصفحة التى كتبت عليها كلمات الاهداء قد اقتطعت من الديوان ، حيث اختفى أثرها الى الأبد ..

جاءنى نمر معتذراً وفى عينيه ألم مكتوم . قال : ليس لك الا الصبر والاحتمال . فالوالد لا يحب إثارة المشاكل معهم ، وما فى اليد حيلة .

على أثر مصرع نمر أصابنى توقف نفسي وتملكتنى وحشة غريبة لا تقبل الامتزاج بشيء أو بأحد . لقد توقفت بوصلة حياتى عن العمل . أرسلت بضعة سطور الى الصديق (٨) أدعيت فيها مجيء أحد أقاربى وعدم إمكانية اللقاء لفترة . لم أشأ أن أحدثه بما جرى . كان حزني أكبر وأقدس من أن أبوح به حتى للصديق الوحيد هناك . من يستطيع أن يتعمق حزنى ومدى فجيعتي ؟ لا أحد . كل إنسان يظل فى حقيقة الأمر وحيداً : كل إنسان إنما هو إنسان وحيد فى شقائه وفى حزنه وفى موته .

وكما تلتف جذور الشجرة وتغور فى التراب ، هكذا غار الحزن العظيم فى الأعماق . والتف بالصمت .

مضيت ألجلج فى الشوارع الثلجية ، مسكونة بالحزن والموت ، فيما الحياة تسير كعادتها ، والناس يتدفقون من أعلى ساحة سانت جايلز وأسفلها ورواد المقهى سعداء منشرحو الصدور ، كما لو كانوا فى صالة رقص . كم كنت أستغرب من قدرتهم على تبادل الحديث وعلى الضحك ، وكأنى ما ملكت هذه القدرة قط .

كانت هناك صورة واحدة متخيلة هى التى تلازمنى ، صورة الطائرة الصغيرة وهى تحاول الخروج من دائرة الموت ، خمس عشرة دقيقة فى محاولة ميئوس منها : بينما عناصر الطبيعة التى جن جنونها فى ذلك الصباح تلعب بالطائر الحديدى كما لو كان طائراً من ورق .. لا أحد يستطيع الوصول الى الأيدى الممدودة المستغيثة .

لا راحم لمتضرع مذعور ، لا منقذ من المصير المحتوم .. هل وعى لحظة هويه فى البحر ؟ هل كانت وحدته قاسية لحظة المواجهة مع الموت ؟ كيف بترت ساقه ؟ هل أحس بألم البتر ؟ لماذا يموت هذه الميتة العشوائية ؟ هل يخضع الموت للصدفة ؟ ما معنى أن يموت الانسان وهو فى عز عطائه وخصوبته الفكرية ؟

هو ، نمر ، الذى كان تجسيداً حياً لتيار الحياة المتدفق ، مدفوعاً فى مسالكها بما سماه برغسون بالقوة الحيوية ، هو ، الذى كان يبارك الحياة ، ويقذف بنفسه فيها ، لا يكتفى بمحاذاة الأشياء بل يدخل فى قلبها ، يحياها بكل الذكاء والعمق اللذين تميزت بهما شخصيته المتفردة ، لماذا ؟ لماذا يموت قبل الأوان ، ولماذ يموت بهذا الشكل الفاجع ؟

وبدت لي الحياة اعتباطية ، وبدا لي العالم خالياً من العزاء ، خالياً من الهدف .

* * *

ظل الخوف عليه من الموت مسيطراً على وجداني منذ وفاة ابراهيم ، فقد كان هو البديل الوحيد . كان هناك احساس خفى يفعل فى لاوعيي ولا يرحمنى . لماذا ؟ ألأنى بطبيعتى دائمة الشعور بالخوف على أحبتى من أحداث الحياة ؟ ألأنى بطبيعتى دائمة التفكير بمأساة الوجود الانسانى ، مفرطة فى احساسى بمشكلة الوجود والموت ؟

قبل وقوع الحادث بحوالى شهرين ، كنت قد قرأت فى ملحق جريدة ، التايمز ، الأدبى مقالاً نقدياً تناول فيه كاتبه رواية اسمها ، تحت البركان ، Under the Valcano للروائى الانكليزى مالكولم لاورى M. Lowry أثار النقد فضولى فاشتريت الرواية ومضيت فى قراءتها . كان المدخل اليها نشيد الجوقة فى تراجيديا ، انتجونى ، لسوفوكليس يقول النشيد :

(كثيرة هى العجائب ، وليس هناك أعجب من الانسان . إنه القوة التى تعبر البحر فى الريح العاصفة ، يشق طريقه تحت أمواج تهدد بابتلاعه . إنه ينهك الأرض ، تلك الخالدة التى لا تعرف التعب ، ينهكها مستعيناً بالخيول على

تقليب ترابها ، حيث تمضى المحاريث جيئة وذهاباً من عام لعام . يوقع فى شبكة حيكها بيديه أنواع الطيور الجذلى ومجموعات الحيوانات المتوحشة ومخلوقات الأعماق البحرية . وانسان ممتاز الذكاء ، يسود بحيلته وحش البرارى المتجول فى التلال ، يروض الحصان الجامح ، يضع النير فى رقبته ، يروض ثور الجبل الذى لا يدركه التعب .

علم نفسه الكلام والتفكير السريع والسيطرة على الظروف ، علمها كيف تتجنب سهام الجليد والمطر العنيف حيث تصعب الاقامة فى العراء . استنبط طرقاً للافلات من الأمراض . نعم ، إنه لعلى دهاء عظيم ، به يواجه كل هذا ، وبدون هذا الدهاء لا يواجه شيئاً مجيئه محتم ، الا الموت : سيظل يطلب العون ضد الموت دون جدوى) .

عشت الشهور التى بقيت لى فى انكلترا بأوتوماتيكية خالصة بالرغم من مشاركتى فى النشاطات المدرسية المختلفة . كان فى نيتى الاقامة فى لندن بضعة أسابيع قبل العودة الى الوطن .

وكنت قد ادخرت من أجل ذلك بضع مئات من الدولارات جاءتنى هدية من ابن شقيقتى وصديقى وائل طوقان وكان حينئذ عضواً فى الوفد الأردنى لدى هيئة الأمم المتحدة فى نيويورك . غير أن ما أصابنى من هبوط نفسى وفتور تجاه الحياة تركنى

أستقبل الأشياء بقلب بردت دماؤه وانطفأت شعلته . وهكذا عدت الى الوطن لأتركه بعد أيام قليلة الى مدينة الدوحة فى قطر مع شقيقتى حنان وطفليها ، إذ كان زوجها عبد الرحمن عبد الهادى يشغل هناك وظيفة مساعد مدير فى أحد البنوك .

هناك وجدت بعض العزاء فى رعايتى للطفلين كرمة وعمر ، فقد كنت شديدة التعلق بهما . ليس هناك ما ينقذنا من ملاحقة أحزاننا ويخرجنا من ذواتنا كالأطفال وعالمهم الخاص . إنه عالم البراءة والصدق والحرية ، العالم الذى لم يصبغ بصباغ التمويه والزيف ولم تنقسم فيه الحياة بعد . كم أحب النظر فى عيون الأطفال ، كلما نظرت فى عينى طفل أحسست بمزيج من البهجة والاشفاق ، الاشفاق من أجل البراءة التى سيسرقها عالم الكبار بكل ما فيه من تشوش وبشاعات .

فدوى طوقان

الحلقة الأخيرة من المذكرات
في العدد القــادم

قطر.. و١٣ عاماً مضيئة

جزء خاص بمناسبة ٢٢ فبراير

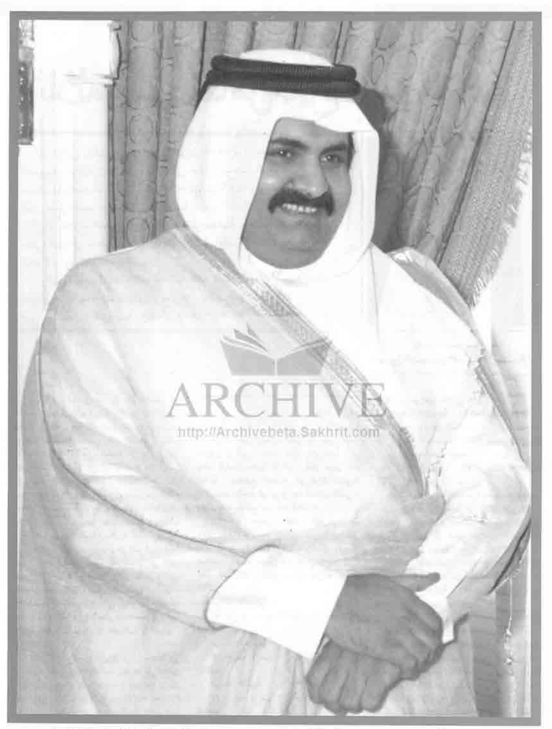


فى سجل التاريخ القطرى العربى صفحات لا تنسى ..
هذه الصفحات تعكس التطور الذى عاشته قطر على كل المستويات ، والازدهار الذى شمل كل نواحى الحياة فيها ..
وقد بدأت العلامات المضيئة منذ عدة سنوات ، وبالتحديد فى ٢٢ فبراير عام ١٩٧٢ ..
فى هذا اليوم منذ ثلاثة عشر عاماً تولى الأب القائد مقاليد الحكم فى البلاد ..
وبدأت البلاد تعرف طريقها ومرساها ..
وانطلقت قطر ..
انطلقت قطر بتوجيهات قائدها أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى ، وتعددت الصفحات التى تسجل الانتصارات والمكاسب ..
ودخلت هذه الصفحات التاريخ من أوسع أبوابه ..
وفى هذه المناسبة القومية الكبيرة ، فى هذا اليوم العزيز على نفس كل قطرى وعربى ، نقلب بعض الصفحات المجيدة ، للذكرى ، اعتزازا بقائد المسيرة ، واعترافاً بالمكاسب التى تحققت ، وتطلعاً الى المستقبل الزاهر ، السعيد ، الحافل ..
فى ظل قيادة أمير البلاد المفدى وولى عهده الأمين ..

الدوحة



حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة

ثلاثة عشر عاماً من العمل التربوي المتصل



في الثاني والعشرين من شهر فبراير ١٩٨٥ م ، احتفل بلدنا الحبيب ، بالذكرى الثالثة عشرة لتولي حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، مقاليد الحكم بدولة قطر ، وعبر ثلاثة عشر عاماً مضت حتى الآن من حكمه الميمون ، أخذت دولة قطر ترقى في مدارج الحضارة والعمران بخطى حثيثة وعزيمة ثابتة ، حتى آلت الى ما هي عليه الآن من نهضة وتقدم في شتى مظاهر الحياة ، ومختلف مجالاتها .

ولئن بدت معالم هذه النهضة المباركة ، واضحة جلية في شتى الميادين ، فانها لأشد ما تكون وضوحاً ، وأنصع ما تكون جلاء ، في ميدان التربية والتعليم على وجه الخصوص .

بقلم
الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم

وليس من شك في أنه اذا كان الانسان هو الأساس الحقيقي لأية نهضة يراد لها أن تقام على قاعدة راسخة ، واذا كان العمل التربوي يتعلق في جوهره بالانسان نفسه ، فان النتيجة المنطقية الأكيدة لذلك ، ستجيء شاهدة على أن النهضة الحقيقية لا يمكن أن تقوم لها قائمة الا على أساس من العمل التربوي الناجح ، فالانسان هو الذي يبني الحضارة ويصنع النمو ويجعل من التقدم حقيقة واقعة ، ومن ثم وجب أن يكون هذا الانسان بادىء ذي بدء ، معداً عقلياً ونفسياً ووجدانياً واجتماعياً ، لكي يضطلع بدوره الحضاري ازاء مجتمعه وبني جنسه ، وليس من شك في أن تبعة هذا الاعداد الجسيم ، انما تقع أساساً على كاهل العمل التربوي منظوراً اليه في الاطار الشامل ، الذي لا يضم عملية التعليم بمفهومه الضيق فحسب ، ولا عملية الاعداد الوجداني والتربية الثقافية والاجتماعية فقط ، وانما يضم هذه جميعاً في وحدة كاملة متكاملة لا سبيل الى تجزئتها أو تفتيتها .

وبقدر نجاح العمل التربوي في أن يحافظ على الوحدة ، تكون قيمته وفعاليته وقدرته على تحقيق النهضة المرجوة والتقدم المنشود ، ومن هنا لم يكن من الغريب أن نجد كثيراً من فلاسفة الحضارة والمفكرين المعاصرين ، يجعلون معيار تقدم الأمم ماثلا في العمل التربوي الشامل ، منظوراً اليه من جهة الكم والكيف معاً .

دلالة الأرقام

من هنا فان الجانب الكمي في تطوير العمل التربوي في قطر ، خلال ثلاثة عشر عاماً ، أمر يمكن قياسه بمقابلة الأرقام ، فعن طريق هذه المقابلة ، نستطيع الحصول على قراءة مضبوطة لمدى صعود الخط البياني في هذا الجانب الكمي ، وهذه بضع نماذج من تلك المقابلات :

• كان مجمل عدد المدارس عام ١٩٧٢/١٩٧١ م تسعاً وثمانين مدرسة ، ثماني وأربعون مدرسة منها للبنين ، وإحدى وأربعون للبنات ، فأصبح مجمل عدد المدارس بعد ثلاثة عشر عاماً مائة واثنتين وستين مدرسة موزعة كالآتي :

المرحلة الابتدائية :

٩٢ مدرسة ، منها ٤٨ مدرسة للبنين و ٤٤ للبنات .

المرحلة الاعدادية :

٤٣ مدرسة ، منها ٢٠ مدرسة للبنين و ٢٣ للبنات .

المرحلة الثانوية :

٢٧ مدرسة ، منها ١٢ مدرسة للبنين و ١٥ للبنات .

• كان مجمل عدد الطلاب عام ١٩٧٢/١٩٧١ في جميع مراحل التعليم العام ٢٠٢٩١ طالباً وطالبة ، موزعين كالاتي :

المرحلة الابتدائية : ١٥٩٩٦ بينهم ٨٥٩٤ من البنين و٧٤٠٢ من البنات .

المرحلة الاعدادية : ٣١٦٣ بينهم ١٩٧٨ من البنين و١١٨٥ من البنات .

المرحلة الثانوية : ١١٣٢ بينهم ٧٧٣ من البنين و٣٥٩ من البنات .

وقد تضاعف هذا العدد مرة ونصف المرة تقريباً خلال فترة قصيرة نسبياً هي ثلاثة عشر عاماً ، فأصبح مجمل عدد الطلاب هذا العام الدراسي ١٩٨٥/١٩٨٤ ، في جميع مراحل التعليم العام ٤٩٣٣٨ طالباً وطالبة ، موزعين كالاتي :

المرحلة الابتدائية : ٣٠٦٧٨ بينهم ١٦١١٢ من البنين و١٤٥٦٦ من البنات .

المرحلة الاعدادية : ١١٥٧٨ بينهم ٥٧٥٨ من البنين و ٥٨٢٠ من البنات .

المرحلة الثانوية : ٧٠٨٢ بينهم ٣١٧٩ من البنين و٣٩٠٣ من البنات .

• وإزاء هذه الزيادة المطردة ذات المعدل العالي في عدد الطلاب والطالبات بجميع المراحل ، كان لابد أن تكون هناك زيادة مماثلة في أعضاء الهيئة التدريسية تواكب هذا المعدل العالي في زيادة أعداد الطلاب والطالبات ، ولم تدخر الوزارة وسعاً في سبيل تحقيق هذه المواكبة على النحو الأمثل ، فبينما كان مجمل عدد أعضاء الهيئة التدريسية ١١٦٥ عضواً عام ١٩٧٢/١٩٧١ ، بينهم ٦٥٥ من





يتهيص خريجو جامعة قطر الآن بالعمل في كافة المجالات الحيوية

المدرسين و ٥١٠ من المدرسات ، تضاعف هذا العدد أربع مرات تقريباً ، ليصبح ٤٥٢٤ مدرساً ومدرسة بعد ثلاثة عشر عاماً فقط . أى في هذا العام الدراسى ١٩٨٤/١٩٨٥ م ، وهم موزعون كالآتى :

المرحلة الابتدائية : ٢٤٦٢ منهم ٩٣٢ مدرساً و ١٥٣٠ مدرسة .

المرحلة الاعدادية : ١٢٣٣ منهم ٥٥٥ مدرساً و٦٧٨ مدرسة .

المرحلة الثانوية : ٨٢٩ منهم ٣٥٤ مدرسا و ٤٧٥ مدرسة .

ميادين أخــــرى

واذا كان معدل الزيادة في هذه النماذج خلال ثلاثة عشر عاماً ، كفيلا بأن يوقف المطلع على مدى الشوط الذى قطعته النهضة التعليمية والتربوية في دولة قطر خلال أعوام قليلة ، فان نفس هذا المعدل تقريباً ، يصدق على سائر جوانب العمل التربوى الأخرى مثل أعداد الموظفين والاداريين وحجم الميزانية المرصودة لتسيير العملية التربوية وغير ذلك من الجوانب .

ويصدق ذلك أيضاً على حجم البعثات الدراسية وعدد القطريين المتخرجين من تلك البعثات . فبينما كان عدد خريجى البعثات من الجامعيين والجامعيات تسعة وعشرين خريجاً وخريجة عام ١٩٧١/ ١٩٧٢ م ، وصل هذا العدد عام ١٩٨٣/ ١٩٨٤ م الى ١٤٢ خريجاً وخريجة ، أى أن العدد تضاعف خمس مرات تقريباً خلال هذه الأعوام القليلة .

جامعة قطر

ولم يكن التوسع في العمل التربوى مقتصراً على تنمية وتطوير المؤسسات التعليمية والتربوية القائمة بالفعل ، بل تم إنشاء مؤسسات أخرى تكمل العملية التربوية وتبلغها تمامها على المستويين الأفقى والرأسى . فليس بالامكان أن تبلغ العملية التربوية نتائجها كاملة بدون وجود مؤسسات التعليم الجامعى والمهنى ، وبدون الاهتمام بمحو الأمية وتعليم الكبار . وكثير من هذه المؤسسات تم إنشاؤه في عهد حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى ، وعلى رأس هذه المؤسسات جامعة قطر .

إن جامعة قطر ، التى بدأت نواة لجامعة ، أصبحت اليوم وقد وقفت على قدميها وجاوزت طور التكوين ، جامعة فتية يتخرج منها المئات كل عام ، بكلياتها الخمس : كلية التربية وكلية العلوم وكلية الانسانيات وكلية الشريعة وكلية الهندسة ، وأصبحت تستوفد الطلاب غير القطريين ، وتمنح البعثات للدول الصديقة عربية كانت أو اسلامية ، وها هى ذى تدخل في طور جديد ، اذ تجرى الآن عملية انتقالها الى مقرها الجديد الفخم ، المزود بأحدث القاعات والمعامل والمكتبات .

التثقيف والتدريب

ولم يقف العمل التربوى خلال السنوات السابقة ، عند حدود التطوير الكمى والتنمية العددية فحسب . فالعمل التربوى الناجح ما كان ولن يكون ماثلا في مجرد تخريج أكبر عدد ممكن من الطلاب والطالبات ، بل هو قبل ذلك ماثل في التربية الوجدانية والتوعية العقلية . والإعداد الدقيق لمواجهة الحياة العملية ، وفيما يختص بالتربية الوجدانية والتوعية العقلية فان ما تقوم به إدارة المكتبات المدرسية من تزويد منظم لمكتبات المدارس بأحدث وأهم الكتب الثقافية التى تشبع كافة الهوايات والميول وتغرى بالاطلاع . فضلا عما تقوم به دار الكتب القطرية بفروعها الستة التى خصص أحدها للنساء ، وكذلك ما تقوم به إدارة إحياء التراث الاسلامى من نشر للثقافة الدينية والوعى الاسلامى . لهو في النهاية مما يسد حاجة ملحة من حاجات العمل التربوى الناجح .

أما فيما يختص بالإعداد الدقيق لمواجهة الحياة ، فان ادارة التدريب والتطوير المهنى بأقسامها المختلفة ، تحرص على النهوض بهذه المهمة على خير وجه ممكن ، عن طريق الإعداد لدورات تدريبية خاصة ، والتدريب أثناء الخدمة والتدريب الكتابى ، وكذلك عن طريق الأقسام المهنية المختلفة التابعة لهذه الادارة ، كقسم التجارة واللحام والميكانيكا وتقطير المياه وتوليد الطاقة والديكور وغيرها من أقسام ، أو الأقسام الفنية كقسم الراديو والتليفزيون وقسم الرسم المعمارى وقسم مسح الاراضي وقسم الآلات الدقيقة . ويدخل في هذا الباب أيضاً ، ما تقوم به مدرسة الأمل للبنين ومدرسة الأمل للبنات ، اللتين تم إنشاؤهما بغرض مساعدة المعوقين والمعوقات على مجابهة الحياة والتكيف مع المجتمع .

إنها ثلاثة عشر عاماً عامرة بالانجازات الكبيرة على مستوى العمل التربوى ، كما أنها عامرة أيضاً بالانجازات الكبيرة على جميع المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الأخرى . والفضل في ذلك انما يعود الى سياسة حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، وولى عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ، اللذين يبذلان من وقتهما وعنايتهما كل ما تحتاج اليه النهضة التعليمية والتربوية ، ويضعان نصب أعينهما الوصول بالانسان القطرى الى ما نتمناه له جميعاً من رقي وازدهار .

نسأل الله أن يسدد خطانا لما فيه خير بلدنا الحبيب ، وخير أمتنا العربية والاسلامية جمعاء .

محمد بن حمد آل ثانى

ملامح السياسة الخارجية لدولة قطر



بقلم
الشيخ أحمد بن سيف آل ثاني
وزير الدولة للشئون الخارجية

تتمثل الترجمة الصادقة لسياسة قطر الخارجية فيما أكده حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى في العديد من المناسبات من أنها سياسة تستهدف توثيق أواصر الصداقة مع سائر الدول والشعوب المحبة للسلام ـ وخاصة الدول الاسلامية والعربية ـ مع بذل اهتمام خاص لتوثيق الروابط مع دول الخليج الشقيقة ، وإقامة العلاقات على أساس الاحترام المتبادل والمصالح المشتركة بما يحقق الخير والسلام لجميع الشعوب.

وقد سارت دولة قطر منذ البداية في طريق توثيق علاقات وروابط التعاون مع بقية دول الخليج العربية ، وساهمت الى جانب الدول الشقيقة في بلورة هذا التعاون من خلال مجلس التعاون الذى قال عنه سمو الأمير المفدى ، إنه الصيغة التى نحقق بها ما نبتغيه من استكمال مسيرتنا نحو توثيق عرى التعاون والترابط بيننا وصولاً الى تكاملنا في مختلف المجالات الحيوية .

مؤتمرات القمة الخليجية

وقد شارك سمو الأمير ، تحقيقاً لهذه الغاية ، في كافة مؤتمرات القمة الخليجية . وساهم مع اخوانه ملوك وأمراء دول المجلس في دفع عجلة هذا التعاون الى الأمام ، وإبعاد المنطقة عن كل تدخل خارجى والحفاظ على سيادتها وأمنها وتحقيق المبدأ الخليجي في أن أمن المنطقة من مسؤولية أبنائها .

وعلى المستوى العربى ، قامت دولة قطر ببذل ما في وسعها من أجل تمتين الأخوة العربية وترسيخ التعاون مع جميع الدول العربية الشقيقة مستندة الى الايمان بأن قوة العرب تكمن في تضامنهم ، وأن هذا التضامن هو سبيلهم الى تحقيق أهدافهم وأمانيهم .

وفي هذا السبيل لم تدخر قطر أى جهد يحقق للعرب تكاملهم ويعلى كلمتهم ، ولم تتوان عن أى لقاء يستهدف صالحهم العام وأمنهم وسلامهم .

وقد ساندت دولة قطر ولا تزال قضية العرب الأولى ـ قضية فلسطين ـ وطالبت بتحرير الأراضى العربية المحتلة وفي مقدمتها القدس الشريف واسترجاع الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني في أرضه وفي تقرير مصيره على تراب وطنه بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعى الوحيد له . كما شاركت قطر في كافة مؤتمرات القمة العربية وساندت كل اتجاه يرمي الى وحدة الكلمة والصف العربى ويحقق التضامن بوصفه أمضى أسلحة العرب في مواجهة كافة التحديات والمخاطر التى تهدد الحق والمصير العربى .

وفي العالم الاسلامى تتمسك قطر بانتمائها الاسلامى وتسعى في كل صلاتها الى تحقيق وحدة العمل الاسلامى ودعم التآزر والتكاتف بين أمم الاسلام وشعوبه في اطار منظمة المؤتمر الاسلامى التى تشترك في عضويتها وتساهم في أنشطتها مستهدفة مصلحة الدول الاسلامية ورفع شأنها .

وتؤمن قطر ايماناً راسخاً بأن تحقيق التضامن الاسلامى سيكون له شأن بارز في اعطاء الدول الاسلامية وزناً مؤثراً ومكانة لائقة بين أمم العالم وفي مجال السياسة الدولية ، الأمر الذى يخدم قضية نشر الاسلام ومبادئه وأخلاقياته السامية ، ويساهم في نصرة القضايا الاسلامية وأبرزها قضية المقدسات في القدس الشريف وقضية الشعب الأفغانى وكلاهما يرزح تحت ظلم واستبداد الغزاة .

ولقاءات القمة الاسلامية

ومن هذا المنطلق شاركت دولة قطر في لقاءات القمة الاسلامية وساهمت في وضع القرارات الايجابية البناءة التى تدعم وحدة الدول الاسلامية ، وتدعو الى رأب الصدع في الصف الاسلامى خاصة وقف الحرب الدائرة بين الجارتين المسلمتين العراق وايران . وكما قال سمو الأمير المفدى فإن السعي المخلص لترجمة قرارات القمة الاسلامية الى واقع عملى ووضعها موضع التنفيذ الفعلى سوف يكون أفضل تعبير عن حرصنا على اعادة بناء تضامننا الاسلامى حفاظاً على وحدة أمتنا الاسلامية وصوناً لمقدساتها وحقوقها وكرامتها .

ومن هذه المجالات الخليجية والعربية والاسلامية تنطلق قطر الى آفاق أوسع على المستوى الدولى حيث تلتزم بمبادىء ميثاق الامم المتحدة



أصحاب الجلالة والسمو قادة دول مجلس التعاون في لقائهم التاريخي بالدوحة عام ١٩٨٣



وأهدافها، وتساهم في أنشطتها التي تستهدف إقرار الأمن والسلام الدوليين وتحقيق الرخاء والرفاهية لكافة شعوب العالم.

كما تساند قطر كافة الجهود التي تدعم هذه المنظمة وتحافظ على كيانها وهيبتها واحترام القرارات التي تصدر عنها، حتى تتمكن هذه المنظمة من القيام بواجباتها النبيلة تجاه تنمية التعاون الدولي، وإقامة العلاقات بين الدول على أسس من التعاون والاحترام والعدالة التي تحقق خير الشعوب والانسانية جمعاء. وعلى هذا الاساس ساندت قطر حقوق الشعوب في تقرير مصيرها وسيادتها واستقلالها وحقها في استغلال ثرواتها الطبيعية بالطريقة المثلى لها، واستثمار مواردها لصالح شعوبها ورقيها.. كما ساندت قطر كفاح الشعوب ضد الاستعمار والتفرقة العنصرية وآزرت كافة الجهود الرامية الى إقرار نظام اقتصادي دولي جديد يخفف من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي يعاني منها العديد من الدول الفقيرة والنامية، ويؤدي الى تقليص الفجوة الواسعة بين الدول الغنية والفقيرة.

وحركة عدم الانحياز

والى جانب ذلك فان قطر تساهم في تحقيق الأهداف الخيرة للعديد من المنظمات والهيئات الدولية والاقتصادية، وهذا ما يمليه عليها دورها كعضو في هذه المنظمات وبينها منظمة أوبك وحركة عدم الانحياز.

إن سياسة قطر الخارجية في مجملها سياسة تسعى الى تحقيق أهداف أساسية في مقدمتها الدفاع عن الحقوق الخليجية والعربية والاسلامية، وتوثيق أواصر الصداقة مع جميع الدول والشعوب المحبة للسلام، واقامة العلاقات على أساس الاحترام المتبادل وعدم التدخل في شؤون الغير ورفض الظلم وهي الأسس التي أكسبت قطر الاحترام والتقدير على المستوى الدولي.

أحمد بن سيف آل ثاني

مشروعات التصنيع في قطـر الرّكيزة الأساسية للانطلاق

النظرة المستقبلية هي التي تسود دائما بالنسبة لمشروعات التصنيع في قطر ، باعتبارها الركيزة الأساسية للانطلاق ، والأمل المنشود من أجل مجتمع مستقر وسعيد . وبالتخطيط السليم توجه الامكانيات التي تملكها قطر لمواجهة هذا المستقبل بالشكل العلمي المناسب ، ووفق أعلى معدلات الأداء ..



مجمع البتروكيماويات : جزء أساسي من القاعدة الصناعية القطرية الراسخة

فقد سئل معالي الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثاني وزير المالية والبترول عن تطور مشروع استثمار حقل غاز الشمال في قطر ، فأوضح أن عملية التنفيذ الخاصة بهذا المشروع قطعت شوطاً لا بأس به . فقد تم توقيع اتفاقيات المشاركة والخدمة مع شركة البترول البريطانية « بي . بي » . والفرنسية « سي . أف . بي » . وذلك في الخامس والعشرين من يونيو ١٩٨٤ . كما تجرى مفاوضات مع جهات أخرى لتوسيع هذه المشاركة ..

وأضاف الشيخ عبد العزيز أنه تم أيضاً تأسيس شركة قطر للغاز المسال وتشكيل لجنة تسيير المشروع التي تتابع أعماله ونشاطه . كما تقوم الأجهزة المختصة بدراسة أمور أخرى منها موضوع شبكة الغاز التي ستربط قطر ببعض دول مجلس التعاون الأخرى . وقال انه يتوقع أن يبدأ انتاج الغاز المسال في غضون ست أو سبع سنوات . وسيكون هناك جزء من الانتاج لسد حاجة الاستهلاك المحلي من الغاز . ويمكن أن يبدأ هذا في غضون سنتين أو ثلاث سنوات من الآن ، مشيراً الى أنه سينتج عن عمليات انتاج الغاز كمية لا بأس بها من المكثفات البترولية .

صورة متفائلة

والحقيقة أن ما أشار اليه معالي الشيخ عبد العزيز يعكس صورة تدعو للتفاؤل لأحد



معالى الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثانى وزير المالية والبترول

مشروعات المستقبل فى دولة قطر . فالذى لاشك فيه أن قطر تملك احتياطيات ضخمة من موارد الغاز الطبيعى . وهذا هو ما يمكن أن يشكل عماد اقتصادها الوطنى عندما يكتمل العمل فى مشروع

حقل غاز الشمال . وهو مشروع عملاق بكل المقاييس . اذ أن قطر بمواردها الهائلة من الغاز الطبيعى والتى لم تستغل تماماً بعد ، سوف تعمل على تأمين استمرار ازدهارها لسنوات عديدة ..

ومن المتوقع أن يبدأ انتاج الغاز الطبيعى بحلول عام ١٩٨٧ ، على أن يبدأ ما ينتج منه للتصدير فى التسعينات . ويقع حقل الشمال على بعد حوالى ثلاثين ميلا من ساحل قطر الشمالى الشرقى .

ويقدر الاحتياطى الموجود به ، والقابل للاستخلاص بحوالى ٤٠٠ تريليون قدم مكعبة . وبالاضافة الى هذا الحقل تنتج حقول قطر النفطية الأربعة غازاً تتم معالجته فى معامل الغاز الطبيعى

المسيل فى أم سعيد . ويستخدم بعد ذلك فى معامل البتروكيماويات والأسمدة وتوليد الكهرباء . وفى الوقت نفسه يتم انتاج غاز البروبان والبوتان والمكثفات للتصدير . وينتج حقل الخف فى منطقة دخان الغاز الذى تتم معالجته فى معملين ، تبلغ طاقتهما الانتاجية ١٥٠ مليون قدم مكعبة فى اليوم .

والى جانب هذه الصورة تقف البتروكيماويات لتشكل جزءاً أساسياً ومهما من القاعدة الصناعية القطرية الراسخة . وتدير العمليات الأساسية فى هذا القطاع الهام شركة البتروكيماويات القطرية التى تملك المؤسسة العامة القطرية للبترول ٨٤٪ من حصصها ، بينما تملك شركة شيمى الفرنسية حصة الـ ١٦ الباقية . ومن ناحية أخرى فان انتاج الأسرة يتم فى معملين فى أم سعيد طاقة كل منهما ٩٠٠ طن يومياً من الامونيا وألف طن يومياً من اليوريا . وهذان المعملان تملكهما شركة الأسمدة القطرية التى أنشئت عام ١٩٦٩ والتى تملك المؤسسة القطرية سبعين فى المائة من حصتها الاجمالية ..

أرقام قياسية

ولو حاولنا تتبع مجالات عمل شركة أخرى هى شركة قطر للحديد والصلب لاكتملت الفكرة عن قطر الحاضر والمستقبل ، فقد حققت هذه الشركة أرقاماً قياسية فى انتاجها خلال العام الماضى بالمقارنة بالشركات والمصانع المماثلة لها فى كل أنحاء العالم . وهى بقيامها تمثل مشروعا ضخماً متكاملا رائداً فى مجال صناعة الحديد والصلب بأحدث الأساليب ، وهى طريقة الاختزال المباشر « ميدركس » . ويتميز انتاج شركة قطر للحديد والصلب بالنوعية الجيدة ، التى مكنته من منافسة المنتجات المستوردة من الخارج .

ولقد قامت شركة قطر للحديد والصلب بانتاج نصف مليون طن من الحديد الاسفنجى و٤٨٨ ألف طن من الصلب المنصهر و ٤٧٥ ألف طن من حديد التسليح خلال العام الماضى . وقد بيعت الكمية المنتجة من حديد التسليح فى دول مجلس التعاون بما قيمته ٤٧٠ مليون ريال قطرى . وكانت المملكة العربية السعودية فى مقدمة الدول المستوردة لهذا النوع من الانتاج ، تليها الكويت ، والامارات ، وسلطنة عمان ، والبحرين .

وكل هذه الانجازات وغيرها هى التى تحدد مسار الصناعة القطرية ، وهو مسار طموح ، وواقعى ، ويعمل حساباً لكل الاحتمالات ، ويقف فى مواجهة المستقبل بكل المقومات العلمية المناسبة لروح العصر ، والمؤدية بالاستخدام الأمثل الى مجتمع الرفاهية المنشود ، الذى يحقق لكل من يعيش فيه الأمن والاستقرار والخير الوفير .

الإصلاح الاجتماعي ركيزة التطوّر الحضاري



بقلم
علي بن أحمد الأنصاري
وزير العمل والشئون الاجتماعية

منذ بدأت دولتنا الفتية مسيرتها المباركة المشرقة تحت رعاية قائد نهضتها حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وهي تركز على أهمية تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتوجيه الطاقات البشرية والمادية لتحقيق قوتها الذاتية ، وقد انتهجت في مسيرتها الطموحة سياسة واعية تعتمد في الداخل على خطة طموحة ترتكز على تنويع مصادر الدخل وتنمية الامكانيات الصناعية وسن القوانين والتشريعات المشجعة على الاستثمار وبناء الانسان القطرى الذى هو عماد ودعامة كل نمو وتطور وتقدم.

فقد كان الانطلاق من خلال السياسة الرامية الى وضع كل امكانات الثروة النفطية في خدمة التنمية الشاملة في البلاد . فنجد قائد المسيرة المباركة يعبر عن أهدافه الطموحة في أكثر من مناسبة ، دافعاً حركة الحياة نحو التحديث مع الحفاظ على قيم وتراث الاجداد ، متيحاً فرص العلم والعمل والنجاح للانسان القطرى حتى تظل حضارته أصيلة وعظيمة ، ودعوته للمشاركة في تنمية هذا المجتمع على نحو يؤمن له أفضل سبل العيش الكريم وزيادة الرفاه والتقدم الاجتماعي في مجتمع عصرى متطور .

أما على الصعيد الخارجي فتتجه قطر الناهضة الى تبنى مواقف واعية تتميز بالوضوح وعمق الرؤيا نحو مختلف القضايا العربية والاسلامية والدولية .

وقد أولت سياسة حكومتنا الرشيدة التنمية الاجتماعية قدراً اكبرا من الاهتمام . حيث نجد أن الاصلاح الاجتماعي يأتي في طليعة الأهداف التى تبنتها حكومة قطر بقيادة رائد نهضتها حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى .

وكان لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية شرف المساهمة المباشرة في عملية التنمية والتطوير التى تشهدها البلاد ، اذ تخطو الوزارة كل عام خطوات هامة جديدة لتوفير شتى الخدمات الاجتماعية للمجتمع القطرى الكريم .

ويتضمن هذا التقرير السنوى للوزارة والذى يسعدنى أن أقدمه عرضاً سريعاً لما قدمته الوزارة خلال العام المنصرم في مجالات التطور الادارى والعمل والشؤون الاجتماعية والاسكان الشعبى والتعاونيات والعلاقات الدولية . فهذا خير شاهد على ضخامة الجهود التى بذلت واتساع نطاق الانجازات التى تمت خلال العام الماضى على النحو التالى :

الاصلاح الادارى :

نتيجة للاهتمام المتزايد بعمليات الاصلاح الادارى والتنمية الادارية ، رأت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية أن بقاء تنظيمها الادارى على ما هو عليه لا ينسجم ومرحلة التطور التى تجتازها البلاد والدور الذى ينتظرها في المساهمة بتعجيل هذا التطور ، وأن الوقت قد حان لتطوير خدماتها عن طريق اعادة النظر في تنظيم الوزارة . فقد عملت على تطوير إدارتها وتعزيز الأقسام التابعة لها ، ووضع الضوابط الكفيلة بتنظيم سير العمل فيها .

فأعدت مشروع قانون باعادة تنظيمها تضمن انشاء ادارات جديدة بالوزارة للتعاون والعلاقات الدولية والشؤون الفنية والشؤون الادارية والمالية ، وقد صدر القانون رقم (٨) لسنة ١٩٨٢ م بتنظيم وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ، وتحديد أهدافها وصلاحياتها ونظامها الداخلى بشكل يؤمن تيسير وتنسيق العمل الادارى بالوزارة .

في مجال العمل :

من أجل تأمين حياة أفضل للمواطن القطرى فقد أولت الحكومة اهتماماً خاصاً بشؤون العمل والعمال منذ نهاية الخمسينات ، فقد وضعت العديد من القوانين والتشريعات التى تهدف الى خدمة المواطنين على اختلاف مستوياتهم وتضمن لهم العيش الكريم . وفي عام ١٩٥٥ م أنشئت دائرة للعمل عندما ظهرت الحاجة الى مؤسسة حكومية تعنى بتوفير القوى العاملة في البلاد ، وإرساء العلاقة الطيبة بين العمال وأصحاب الأعمال . وكان من أولى مهامها إعداد مشروع قانون للعمل ينظم العلاقة بين العمال وأصحاب الأعمال وكذلك الاشراف على شركات البترول العاملة في البلاد .

وفي ١٩٦٢/٤/٢ م صدر أول قانون للعمل في قطر وهو القانون رقم (٣) لسنة ١٩٦٢ م ، ثم صدر القانون رقم (٤) لسنة ١٩٦٢ بانشاء محكمة للعمل تختص بالفصل في جميع المعاملات الناشئة فيما بين العمال وأصحاب الأعمال عن تنفيذ أى حكم من أحكام قانون العمل .

وقد أولت الوزارة اهتماماً عظيماً بتنظيم سوق العمل في الدولة وخاصة تنظيم استقدام العمالة العربية والاجنبية ، وحرصاً على توثيق أواصر

الأخوة بين دولة قطر والدول العربية الشقيقة فقد تم التوقيع على خمس اتفاقيات مع كل من مصر وتونس والمغرب والسودان والصومال . ويقوم قسم الاستخدام بالوزارة بالتعاون مع الأجهزة الأخرى بالوزارة ، وكذلك الجهات المختصة بوزارة الداخلية بضبط عملية استقدام العاملين من الخارج ، والنظر في طلبات الباحثين عن العمل أو العمال في داخل البلاد ، واصدار بطاقات العمل وحفظ السجلات الخاصة بالعمالة .

في مجال الشؤون الاجتماعية :

وقد أولت الوزارة اهتماماً كبيراً بالجانب الاجتماعي ، حيث أنشأت ادارة للشؤون الاجتماعية ودعمتها بالكوادر المتخصصة ، وعملت على نشر الوعي وتشجيع المساهمة والمشاركة الشعبية وحصر الحالات المحتاجة الى مساعدة اجتماعية ، والعمل على خلق مراكز وجمعيات محلية للتنمية والرعاية الاجتماعية . حيث قامت الوزارة بالتعاون مع المخلصين من أبناء هذا البلد بانشاء الجمعية القطرية لرعاية المعوقين ، والتي حققت المزيد من المساهمات الأهلية والطوعية في العمل الاجتماعي والانساني . وايماناً منها بأن تدخل الخدمات الاجتماعية في كل مدن وقرى الدولة فقد أنشأت الوزارة مكاتب فرعية في مدينتي الخور والشمال ، وسوف تعمم هذه المكاتب على المناطق الأخرى كلما دعت الحاجة من أجل تقديم الخدمات الاجتماعية للمواطنين في أماكن اقامتهم . ويتم هذا بالاضافة الى إنشاء مراكز التدريب للتأهيل الاجتماعي للسيدات والفتيات القطريات بهدف تحسين الوضع الاجتماعي للأسرة وتدريبهن على بعض الحرف والمهارات التي تتوافق وقدراتهن الفطرية لتساعدهن على الاعتماد على أنفسهن لكسب رزقهن والمساهمة في نهضة البلاد . ناهيك عن المبالغ الجمة التي تقدمها الدولة كمساعدات اجتماعية .

في مجال الاسكان الشعبي :

وفرت الدولة للمواطن القطري المسكن الصحي المناسب الذي يحقق له الاستقرار ويتناسب مع حجم أسرته وتقاليدها وعاداتها الاجتماعية .

وقد أنشأت الوزارة لهذا الغرض ادارة للاسكان الشعبي يقوم المسؤولون فيها بتطبيق قانون الانتفاع بنظام المساكن الشعبية لذوي الدخل المحدود ، بالاضافة الى دراسة الحالة الاجتماعية للمنتفع واجراء التحقيقات اللازمة للتأكد من انطباق القانون على حالته الاجتماعية . ونظام المساكن الشعبية لذوي الدخل المحدود من المواطنين نظام فريد في نوعه كما يتضح من التسهيلات والمزايا التي تقدمها الدولة للمواطنين والتي تتمثل في منح المنتفع قطعة أرض دون مقابل . وكذلك قرض بدون فوائد يسدد المنتفع ٦٠٪ من قيمته على أقساط تتراوح مدتها ما بين ٢٠ ــ ٢٥ سنة حسب دخل المنتفع ، بالاضافة الى اعداد الخرائط والاشراف والتنفيذ وتوصيل خدمات الكهرباء والماء والمجاري والهاتف دون مقابل أيضاً ، بالاضافة الى منحة قدرها عشرون ألف ريال للتأثيث . وقد استمرت الوزارة بالاشتراك مع وزارة الأشغال العامة في تنفيذ سياسة الدولة الهادفة الى إنشاء المزيد من المساكن الشعبية العصرية للمواطنين .

في مجال التعاونيات :

تولي الدولة اهتماماً كبيراً بالحركة التعاونية في البلاد ، حيث تقوم الوزارة بتشجيع الجمعيات التعاونية وتقديم المساعدات الممكنة لها ، كما تقوم بالدعوة الى إنشاء وتأسيس جمعيات تعاونية جديدة في المناطق التي تفتقر إليها ، وتتولى إدارة التعاون بالوزارة عملية الاشراف والرقابة على الجمعيات التعاونية الاستهلاكية .

وقد بلغ عدد الجمعيات التي باشرت عملها حتى الآن (٨) جمعيات . وهناك جمعيات تعاونية استهلاكية أخرى جاري العمل على إعدادها وتجهيزها لتقديم الخدمات للمواطنين في مناطق أخرى يقترح انشاء جمعيات تعاونية جديدة فيها .

في مجال العلاقات الدولية والشؤون الفنية :

بانضمام دولة قطر الى العديد من الهيئات والمنظمات العربية والدولية والوزارة حريصة على سماع صوت قطر للعالم الخارجي من خلال مشاركتها في المؤتمرات والندوات والدراسات التي تقع ضمن اختصاصاتها في المجالات المتعددة ، مما يتيح للمسؤولين فيها فرصة الاطلاع على تجارب الدول الأخرى في المجالات الاجتماعية والعمالية وغيرها ، وحرصاً منها على مواكبة التطور الحضاري . فقد أنشأت الوزارة إدارة تعنى بالعلاقات الدولية والشؤون الفنية من خلال التنسيق مع أجهزة الوزارة وأجهزة الدولة ذات العلاقة بنشاط الوزارة . كما تقوم بدراسة الاتفاقيات والتوصيات الصادرة عن المنظمات العربية الدولية واعداد البحوث والاحصاءات ودراسة وتحليل المعلومات والبيانات والتقارير المتعلقة بنشاط الوزارة ووضع التوصيات المناسبة بشأنها ، وتوفير البيانات الاحصائية المتعلقة بالقوى العاملة والشؤون الاجتماعية والاسكان الشعبي والتعاون ودراسة هذه المعلومات ونشرها للاستفادة منها على المستوى المحلي والعربي والدولي .

والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لخدمة هذا البلد الغالي في ظل قائد مسيرته حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولي عهده الأمين جعلهما الله عوناً وسنداً لهذا البلد المعطاء ولأمتهم العربية والاسلامية جمعاء .

وليوفق الله على النور خطانا .

علي بن أحمد الأنصاري



وفرت الدولة للمواطن القطري المسكن الصحي المناسب

آفاق التعاون الإعلامي الخليجي

بقلم: عبد الله صادق
مدير إدارة المطبوعات والنشر

كان الاعلام ولايزال في مقدمة الميادين التي حظيت باهتمام حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني . وقد تجلى ذلك في صور التعاون الاعلامي مع الدول الخليجية الشقيقة ..

منذ ظهرت الدعوة الى نظام اعلامي دولي جديد لأول مرة في ندوة اليونسكو التي عقدت في نيروبي (كينيا) عام ١٩٧٦ والبحث في ارساء أسس ذلك النظام يتصدر كل الاجتماعات والندوات والمؤتمرات التي يعقدها المسؤولون عن الاعلام والثقافة في الدول الحديثة العهد بالاستقلال . وأساس البحث هو ضمان تضييق الفجوة الاعلامية بين الدول النامية والدول المتقدمة ، وتحقيق تبادل حر ومتوازن للمعلومات فيما بينها ، تلك الفجوة التي تعكس الفجوة الحضارية بين المجموعتين . فالبلدان المتقدمة بما تملك من وسائل تكنولوجية غاية في التقدم تؤثر إعلامياً على البلدان السائرة في طريق النمو اقتصادياً ونفسياً واجتماعياً بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، لتحقيق أهداف وغايات غير مصرح بها في غالب الأحيان ، وهي في سبيل ذلك تروج أنماطاً من القيم والمفاهيم المنسجمة مع نسق نموها في أرجاء العالم الأخرى ، فتخل بكل توازن اجتماعي أو ثقافي في تلك البلاد ، الأمر الذي حدا بالدول النامية أن تتنبه الى خطورة ظاهرة التدفق الاعلامي من جانب واحد . وبدأت لذلك تسعى لتكوين اتحادات اقليمية لتبادل المعلومات والبرامج والأخبار فيما بينها .

ومنذ بدأت نهضة قطر الحديثة بتولي حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى مقاليد الحكم في البلاد يوم ٢٢ فبراير ١٩٧٢ سادت جميع مؤسسات الدولة رغبة قوية في تفهم ما يسود عالم اليوم من مفاهيم ، والتعامل مع ذلك العالم بالمنطق الذي يفهمه ، والتعاون مع الأشقاء في الخليج وهم الذين يجمع بينهم وحدة الدين والأرض والبيئة والثقافة واللغة والتاريخ والمصالح المشتركة للحفاظ على هوية المنطقة والدفاع عن ذلك بكل وسائل الدفاع .

مؤسسة الانتاج البرامجي

وقد كان الاعلام في مقدمة الميادين التي حظيت باهتمام حضرة صاحب السمو أمير البلاد المفدى ، وتجلى ذلك في صور التعاون الاعلامي مع الدول الخليجية الشقيقة ، ومنها :

• انشاء مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك لدول الخليج العربي التي تأسست عام ١٩٧٦ بناء على قرار مؤتمر وزراء إعلام دول الخليج العربي والتي وضع ضمن أهدافها :

ـ احياء التراث الخليجي وبخاصة الفنون الشعبية وتسجيلها تسجيلا وثائقياً على أفلام سينمائية والتعريف بمناطق الخليج العربي من جوانبها كافة .

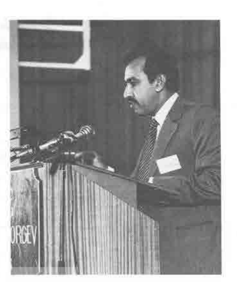
ـ إحياء التاريخ العربي الاسلامي وابراز المثل العليا لدين الاسلام الحنيف والتعريف بأمجاد الاسلام وسير قادته وأبطاله .

ـ الارتفاع بمستوى الانتاج الفني للبرامج ، وإلقاء الضوء على الكفايات الفنية والأدبية وتدريب الموهوبين وتشجيعهم على الابداع .

ولقد أنتجت المؤسسة منذ انشائها العديد من الأعمال الدرامية والأفلام التسجيلية والبرامج التربوية وبرامج الارشاد الصحي والأفلام المدبلجة والبرامج الثقافية وهي أمور يشعر بها ويحس قيمتها كل مقيم على أرض الخليج .

• كذلك كان انشاء وكالة أنباء الخليج التي تم التوقيع على اتفاقية انشائها في ٧ يونيو ١٩٧٦ في البحرين بعد اجتماعات لخبراء إعلام دول المنطقة استمرت منذ أعلن وزراء الاعلام لدول الخليج في مؤتمرهم الأول الذي عقد في أبو ظبي في يناير ١٩٧٦ عن رغبتهم في أن تكون لدول المنطقة وكالة أنباء لتعريف الرأي العام العالمي بأسرع الطرق وأيسرها بأحداث ومثل ومفاهيم وانجازات وقضايا منطقة الخليج . وقرر المؤتمر أن تكون مدينة المنامة المركز الرئيسي لهذه الوكالة . وقد أتمت الوكالة سبع سنوات من عمرها تواصل الاهتمام بأخبار الخليج اعتماداً على شبكة مراسليها المنتشرين في أنحاء العالم ، وجهود وكالات الأنباء الوطنية الشقيقة .

• وأنشىء المركز الخليجي لتنسيق التدريب الاذاعي والتليفزيوني ومقره الدوحة ، والذي يقوم باعداد الدراسات المتخصصة في مجالات الاذاعة والتليفزيون وتنسيق أعمال التدريب في المنطقة ، ويقترح خطط التدريب السنوية ويعممها على الدول العربية الخليجية بغية التوصل الى أحسن النتائج في مجالي الاذاعة والتليفزيون العربيين الخليجيين ، خدمة للمواطن العربي والأخذ بيده نحو ثقافة واعلام أفضل .



الاستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى يلقى كلمة الافتتاح فى ندوة الصحافة الدولية (باريس فى أكتوبر ٨٤)



المستشار النمساوى السابق كرايسكى والى جانبه فى الندوة وكيل وزارة الاعلام القطرى محمد عبد الرحمن الخليفى ، وعبد الرحمن حمد العطية السفير القطرى فى باريس

• وكان انشاء مركز التوثيق الاعلامى لدول الخليج العربى الذى تتمثل أهم أهدافه فى تزويد المخططين والباحثين والعاملين فى مجالات الاعلام والصحافة بالمعلومات والبيانات المقننة ، وجمع وتنظيم الانتاج الفكرى الذى يصدر من المنطقة أو عنها ، فضلا عما يهدف اليه المركز من الاستفادة من كافة أنواع التقنيات الحديثة فى التعامل مع المعلومات وتدريب وتأهيل الكوادر المتخصصة المطلوبة .

جهاز تليفزيون الخليج

• وتم انشاء جهاز تليفزيون الخليج الذى قام بناء على الاتفاقية التى تمخضت عن المؤتمر الثانى لوزراء الاعلام لدول الخليج فى الرياض عام ١٩٧٧ ، والذى خطا منذ انشائه خطوات كبيرة فى خضم التحدى التكنولوجى فى عالم الاتصال للحفاظ للمنطقة على طابعها ، وفى وقت أصبح فيه التليفزيون يحتل مكانة مميزة بين وسائل الاتصال الجماهيرية ، لما يؤديه من دور مؤثر فى حياة الناس الثقافية والاجتماعية . وقد كان من انجازات جهاز تليفزيون الخليج ارساء ميثاق العمل الاعلامى التليفزيونى الذى تسير على خطاه محطات التليفزيون فى المنطقة ، فضلا عن معاونته فى عملية التبادل البرامجى والانتاج التليفزيونى بينها ، الى جانب نشاطاته الأخرى فى المجالين العربى والعالمى .

• وأقيم مركز الاعلام البترولى ومقره الكويت ليكون منبرا متخصصاً فى شئون اعلام الطاقة وليتصدى بالمنطق المفهوم للحملات التى تشنها بعض الجهات على الدول المنتجة للبترول .

• وهناك لجنة العلاقات الاعلامية الدولية التى أنشئت بناء على قرار من مؤتمر وزراء الاعلام فى دول الخليج العربية فى اجتماعه السادس عام ١٩٨١ ، والذى قضى بأن يكون مقرها الدوحة ومن بين اختصاصاتها :

ـ وضع الخطط والمشاريع الاعلامية التى تهدف الى شرح وجهات النظر العربية عن مختلف القضايا المطروحة دولياً .

ـ وضع البرامج وتنفيذ النشاطات الاعلامية المقترحة من الدول الأعضاء والتى تتبناها اللجنة وتهدف الى دعم القضايا العربية على الساحة الدولية .

ـ توزيع المشاريع الاعلامية المجازة على الدول الأعضاء لتنفيذها سواء بصورة منفردة أو مشتركة .

ـ التنسيق بين الدول الأعضاء فى التخطيط والتنفيذ للبرامج الاعلامية المشتركة فى الخارج .

ندوة الصحافة العالمية

ولقد كان من أهم أعمال اللجنة اقامتها لندوة الصحافة العالمية فى باريس فى أكتوبر من العام الفائت ، تلك الندوة التى جمعت نخبة من كبار السياسيين والاعلاميين فى العالمين العربى والغربى تداولوا خلالها البحث فى أنجع السبل وأنسب الأساليب لاحداث تفاهم عربى أوروبى عن طريق اتاحة المعلومات الصحيحة للرأى العام حتى يستطيع استجلاء الأمور على حقيقتها .

ولقد كان لهذه الندوة أصداء واسعة وحظيت باهتمام الرأى العام الأوروبى والعربى والأمريكى ، والمأمول أن تكون انطلاقة جديدة فى سبيل عمل اعلامى مدروس ومبرمج على مستوى العالم .

وليس من شك أن انطلاق القمر الصناعى العربى (عربسات) أخيرا سوف يدعم مسيرة العمل الاعلامى الخليجى والعربى ورسالته ، كما سوف يساعد فى معالجة قضايا التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، وسوف يعمق الشعور بالترابط والانتماء بين أبناء الوطن العربى من أجل تجسيد شخصية الأمة العربية وحمايتها من الغزو الثقافى وتحقيق تطلعاتها نحو التقدم والازدهار .

ان صور التعاون التى أشرنا اليها باللمحة السريعة وغيرها مما لم نشر اليه انما هى تجسيد للفهم المشترك لدول الخليج لابعاد الاعلام فى عالم اليوم ، وهى وسائل مشروعة للدفاع عن نفسها أمام سيل التدفق الاعلامى الذى يغمر العالم من جانب واحد ، وما كان ذلك ليتيسر لولا تفهم قادة دول المنطقة لدور الاعلام وأهميته فى التنوير والتثقيف وخطورته فى نفس الوقت اذا ما أسيء استخدامه .

عبد الله محمد صادق

دار الكتب القطرية.. الثقافة للجميع

دار الكتب القطرية احدى المؤسسات الثقافية التى تسهم فى إثراء الحركة الفكرية والثقافية والعلمية فى البلاد ، بما تقدمه من خدمات لجمهور المثقفين على اختلاف مستوياتهم .

وهى ثمرة من ثمار النهضة التعليمية ، فكلما تقدم التعليم فى أمة كانت الحاجة ماسة إلى المكتبات ومراكز المعلومات لتوفير الخدمات المكتبية والتوثيقية للمثقفين والدارسين والباحثين والعلماء .

ولقد شهدت قطر نمواً سريعاً فى التعليم كما يقول محمد حمد النصر مدير دار الكتب القطرية وكان لذلك آثاره المباشرة على تطور الخدمات المكتبية . فقد بدأ التعليم النظامى فى سنة ١٩٥٢ . وبعد عامين أى خلال ١٩٥٤ أنشئت مكتبة المعارف لتقديم الخدمات المكتبية لموظفى المعارف فى ذلك الوقت . كما أنشئت المكتبة العامة بعد ذلك بعامين أى خلال عام ١٩٥٦ لتقديم الخدمات المكتبية لجمهور المثقفين . ومع نهاية عام ١٩٥٨ تخرج أول فوج رسمى من حملة الشهادة الابتدائية ، توالى بعده افتتاح المراحل الاعدادية والثانوية ، ثم الجامعة بكلياتها فيما بعد ..

كل هذا التطور السريع فى التعليم كان يتطلب مكتبة كبيرة تستوعب جيل المثقفين والخريجين ، وهذا ما ساعد على انشاء دار الكتب القطرية فى عام ١٩٦٢ من ادماج المكتبتين القائمتين فى ذلك الوقت وهما : مكتبة المعارف والمكتبة العامة ..

وهكذا فان التعليم كان له الفضل الأكبر فى إنشاء دار الكتب القطرية . وبعبارة أخرى كانت دار الكتب القطرية وليدة التعليم ، وثمرة من ثماره نمت وازدهرت مع نموه وانتشاره .

كانت دار الكتب فى ذلك الوقت تقوم بوظائف ثلاث أساسية :

تقديم الخدمات المكتبية لجمهور المثقفين ولموظفى وزارة التربية والتعليم ، حفظ التراث المخطوط والحصول على مصوراته من المكتبات العالمية ، والاشراف على المكتبات المدرسية .

أى أنها كانت تقوم بوظيفة المكتبة العامة ، والاشراف على المكتبات المدرسية التى تبعت ادارة الشئون الثقافية فيما بعد .

ثم بدأت تطور خدماتها لتصبح المكتبة الوطنية أو مكتبة الدولة ، كنتيجة طبيعية لانتشار التعليم وافتتاح جامعة قطر وازدهار الحركة الثقافية والفكرية والعلمية ، واستجابة لتوصيات العديد من المؤتمرات والحلقات الدراسية التى شاركت فيها .

وعبر هذه المسيرة كانت دار الكتب تلقى دائما عناية ورعاية المسئولين بوزارة التربية والتعليم وعلى رأسهم سعادة الوزير ..

ويضيف مدير دار الكتب القطرية قائلا : لم يكن التطوير والتحديث بدار الكتب هدفاً لذاته ، بل كان تطوير الخدمات وتحديث النظم لتقديم خدمة مكتبية أفضل وأسرع وأشمل لتلبى احتياجات القراء والباحثين . فماذا قدمت دار الكتب خلال هذه الفترة من حياتها ؟ وماذا نتوقع لها أن تقدم من خدمات فى المستقبل .. ؟ هذا ما سنحاول القاء الضوء عليه .

ويستطرد محمد حمد النصر فيقدم هذه التفاصيل :

تنمية وتحديث المجموعات

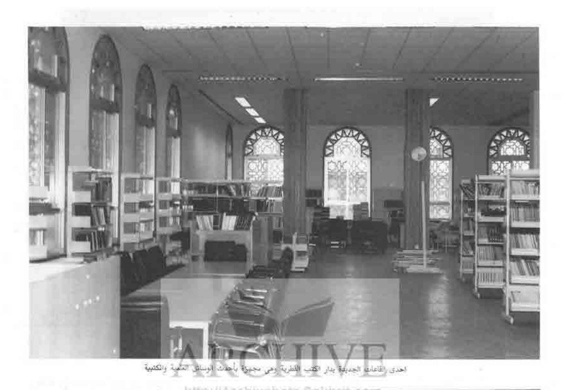
ونقصد بها الكتب والمراجع والدوريات والمخطوطات والمصورات والخرائط والميكروفيلم .. فلقد كان من متطلبات التطوير تحديث المجموعات وتنميتها لتغطى كافة فروع المعرفة ، ولتشمل جميع المستويات القرائية . من هنا كان لابد من وضع تخطيط شامل ودقيق لعمليات التزويد وتعدد مصادره ليساعد على تنمية وبناء مجموعات تواجه المستقبل العلمى والثقافى للمجتمع ، خاصة بعد افتتاح الجامعة وإيفاد البعثات . وقد تفضل سعادة الوزير فأصدر القرار الوزارى رقم ٥ لسنة ١٤٠٣ بتكوين لجنة اختيار الكتب والمطبوعات لدار الكتب وفروعها ، وتقوم اللجنة منذ ذلك الوقت برصد الانتاج الفكرى العالمى واختيار ما يناسبنا .. وقد بلغ عدد الكتب بدار الكتب وفروعها حتى نهاية ١٩٨٤ بالمجلد حوالى ٢٣٧٩٧٨ ..

ايداع المصنفات

ورغبة فى حصر الإنتاج الفكرى القطرى وتسجيله والتعريف به من خلال قائمة الإنتاج الفكرى القطرى التى تصدرها دار الكتب سنوياً ، فقد أعدت الدراسات حول نظم الإيداع فى المكتبات الكبيرة وفى الدول العربية . ومن حصيلة هذه الدراسة تكونت الأفكار الرئيسية لمشروع قانون للإيداع فى قطر . وقد صدر المرسوم بقانون رقم ١٤ لسنة ١٩٨٢ بشأن إيداع المصنفات فى دار الكتب القطرية ، كما صدر القرار الوزارى رقم ٤ بتنظيم اجراءات الايداع .. ومن أهم ملامح المرسوم إلزام كل من المؤلف والطابع والناشر متضامنين بإيداع خمس نسخ من كل مطبوع .. كما حدد المصنفات التى ينطبق عليها الايداع بما فيها المطبوعات الحكومية ، كما حرص على تجميع الانتاج الفكرى القطرى المطبوع بالخارج .

الببلوجرافيا القطرية

وقد أصدرت الدار أول عمل ببليوجرافى عام ١٩٧١ وكان هذا العمل محاولة لحصر الانتاج الفكرى القطرى الذى صدر خلال عام ١٩٧٠ . وكان



احدى القاعات الجديدة بدار الكتب القطرية وهي مجهزة بأحدث الوسائل العلمية والمكتبية

● فهارس حديثة تيسر الوصول الى المعلومات وتوفر على القارىء الوقت والجهد

● القاعة الرئيسية بالطابق الثانى تضم أربعين ألف مجلد بالعربية وعشرين ألفـا بالانجليزية

الهدف منه محاولة التعريف بالكتاب القطرى فى الداخل والخارج عن طريق توزيع قائمة الانتاج الفكرى على الادارات والمؤسسات الثقافية والعلمية المحلية والخارجية . وتوالى بعد ذلك صدور الاعداد سنوياً . ولاشك أن صدور المرسوم بقانون ٢٤ الخاص بالايداع سيجعل من قائمة الانتاج الفكرى أكثر شمولا ..

القاعات الجديدة

ولعل أبرز الانجازات التى تحققت أخيراً بناء الطابق الثانى بدار الكتب القطرية والذى تفضل سعادة وزير التربية والتعليم بافتتاحه يوم السبت الثامن عشر من فبراير فى العام الماضى . وكان هذا إيذاناً بتقديم خدمات مكتبية أفضل اذ بدأت دار الكتب الأخذ بنظام الرفوف المفتوحة التى تتيح للقراء اللقاء المباشر بالكتب والمراجع واختيار ماينا سبهم منها ..

الفهارس الحديثة

ولايزال الحديث لمحمد النصر مدير دار الكتب ، وهو يضيف قائلا : صاحب تطوير الخدمات الحاجة الى فهارس حديثة تيسر سرعة الوصول الى المعلومات وتوفر على القارىء والباحث الكثير من الوقت والجهد للتعرف على ما يريد من كتب أو مراجع ولهذا أعدت الفهارس البطاقية التالية :

فهرس المؤلفين ، فهرس العناوين ، الفهرس المصنف ، الفهرس الموحد لدار الكتب وفروعها ، وقائمة الرفوف .

ورغبة فى التيسير على القراء والباحثين وأيضاً للتعريف بمجموعات الدار فقد صدرت من الفهارس المطبوعة التالية :

فهرس دار الكتب القطرية ، المجلد الأول « المعارف العامة » ، فهرس دار الكتب القطرية ، المجلد الثانى « الفلسفة » ، فهرس دار الكتب القطرية ، المجلد الثالث ـ الدين القسم الأول ، فهرس دار الكتب القطرية ، المجلد الرابع ـ الدين القسم الثانى ، فهرس المخطوطات المصورة على ميكروفيلم ـ المجلد الأول .

كما صدر المجلد الأول من فهرس دار الكتب للمجموعات الأوربية . ويستمر الاصدار لبقية المجلدات تباعاً .

ولاشك أن وجود الفهارس المطبوعة وتبادلها مع المكتبات والجامعات يساعد على تنمية القراءة والتعريف بالمجموعات .



نسخة نادرة من كتاب الله الكريم بخط اليد . من مجموعات دار الكتب القطرية

صيانة المجموعات

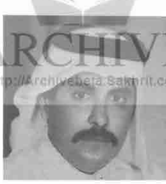
وحفاظاً على مجموعات الدار من المخطوطات والكتب النادرة أنشىء معمل الترميم عام ١٩٧٦ ، وزود بأجهزة الترميم والمواد الكيمائية اللازمة في عمليات التطهير والتبخير ومراحل الترميم الأخرى ، ويقوم المعمل بترميم وصيانة المجموعات النادرة .

والى جانب معمل الترميم يقوم معمل التجليد بصيانة مجموعات الدار والمكتبات الفرعية من الكتب والدوريات وتجليدها .

التوثيق والميكروفيلم

وحفاظاً على التراث القطرى فقد أنشىء قسم للتوثيق والميكروفيلم للقيام بتصوير الصحف والدوريات القطرية على الميكروفيلم وكذلك المخطوطات وتيسير تداولها وتبادلها مع المكتبات والمؤسسات العلمية والثقافية .

ونظراً لما لمعارض الكتب من مردود ثقافى فقد اهتمت الدار باقامة معارض الكتب المحلية كما شاركت فى المعارض الدولية . ولاشك أن هذه المعارض فرصة لتعريف القراء بالجديد فى عالم المطبوعات ، كم أنها فرصة لتبادل الرأى بين المؤلفين والناشرين والمكتبيين لتطوير صناعة الكتاب .



محمد حمد النصر

المكتبات الفرعية

وأخيراً يتحدث مدير دار الكتب القطرية عن المكتبات الفرعية فيقول :

كثر عدد المدارس فى المدن والقرى وزاد عدد الطلاب والتحق كثير منهم بجامعة قطر . وكان على دار الكتب أن تدرس أفضل السبل لربط هؤلاء الشباب بالكتاب وتنمية عادة القراءة لديهم ، وإيجاد أفضل الوسائل المناسبة لتمضية الفراغ بشكل نافع . فقامت بعدة دراسات لاختيار أفضل السبل لتحقيق هذه الغاية . وكان أمامها عدة خيارات منها :

استخدام المكتبات المتنقلة أو مايطلق عليه « سيارة الكتب » ، أو استخدام إحدى مكتبات المدارس لتكون بمثابة مكتبة عامة ، أو افتتاح مكتبات فرعية .

ثم كان عليها أن تضع خطة لهذا التوسع .. وبعد الدراسة استقر الرأى على البدء بالمكتبات الفرعية فى المدن الكبيرة أولا ثم تعقبها مكتبات الأحياء والمناطق كخطوة تالية ، ذلك لأن وسائل المواصلات متوفرة لدى الجميع ودار الكتب فى مكان يسهل الوصول اليه من جميع القراء . ومن هذا المنطلق بدأت الجهود تتضافر لافتتاح المكتبات التالية :

مكتبة الخور العامة ، مكتبة الشمال العامة ، مكتبة الخنساء العامة وهى أول فرع نسائى ، ومكتبة الريان العامة ، مكتبة الشيخ علي بن عبد الله آل ثانى ، مكتبة الوكرة العامة . ولاشك أن هذه المكتبات ساعدت وتساعد على إثراء الحركة الثقافية وتنمية عادة القراءة بين جمهور المثقفين ..

وتمضى المسيرة بخطى ثابتة ملؤها الأمل فى تحقيق مشروعات أكبر ، منها على سبيل المثال : انشاء مبنى عصرى حديث لدار الكتب القطرية ، وإنشاء مبان حديثة للمكتبات الفرعية ، واستكمال التوسعات فى دار الكتب القطرية وإدخال الكمبيوتر فى الخدمات المكتبية من أجل تقديم خدمات أفضل لجمهور المثقفين .



أغنية حب

شعر: محمد القيسي

يومٌ غامضْ
يومٌ يبدأ منْ عَبَيكِ غزيرَ الأشجارْ
يَتَدحرجُ من أغنيةِ سريركِ ،
موشوماً بالفضّةِ ،
وَبَسيطاً كالأزهارْ
يومٌ غامضْ
يومٌ لحديثكِ ، وغيابي فيكِ ،
وَتجوالي تحتَ الأسوارْ
يومٌ للجُمعةِ ،
يَسّاقطُ منْ غيمِ الحُبِّ ،
على بَرّيةِ روحي ،
وُيثيرُ الأسرارْ
يتناثرُ كرزاً منْ أُفقِ يديكِ ،
وَيُمعنُ في الإبحارْ
يومٌ للسَفَرِ ،
ويومٌ للعزفِ بلا أوتارْ

يومٌ للشارعْ
يومٌ للأمطارِ تهلُّ على كَرمي الوَاسعْ
كرمي المُمتدّ إلى خفقةِ أضلاعكِ ،
حتى حُرقةِ أيامي
حيثُ أرى في عَينيكِ بدايةَ عامي
في هَذا المنفى
عَسَلٌ كالدمعِ مُصفّى
وَيدانِ كأغصانِ الوردِ ،
وَصدرٌ يخفقُ نشوانَ ،
وَيخطفُ ساعاتي خطفا
هُنَّ ثلاثُ ليالٍ منْ حُمّى الخَوخِ الجبليِّ ،
على طَرفِ الأرضِ ،
توهّجَ وَعَلا الوجدُ ، وَأينعَ كَشْفا
رقَّ وذابَ ،
وآنَ وغابَ ،
وما استكفى
في هَذا المنفى
ما أخفيتُ مزاميرَ الليلِ ،
ولا قَلبُكِ أخفى
يا للشجرِ المُتوزِّعِ فوقَ أصابعكِ اللهفى
يا للزعترِ يُشرقُ فيكِ نديّاً فوّاحْ
يا للتفّاحْ
يُعطي بالرجفةِ أحيانا
يُعطي بالرّاحْ
يا للأزهارِ المنثورةِ في شفتيكِ ،
على مَدِّ ملابسكِ المُزدانةِ بالليلكْ
وَأنا أسكنُ ليلَكْ
يا لِدمي إذْ ينهضُ فيَّ ،
ويأخذُ جولته الآنْ
وَيُغنّي النيزكْ
يا للمقهى إذْ يَجمَعُنا في هَذي الزاويةِ ،
غريبينِ ، لنهلكْ
يُغدقُنا بالفرحِ المكسورِ ،
وَيفتحُ بينَ يدَينا ،
قاموسَ الفُقدانْ
وبعيدَ قليلٍ ينفضُنا عنه ،
بلا حُسبانْ
وَيضيقُ المَسْلكْ
والأرضُ تُحوّطُها النيرانْ
يا للموسيقى النابعةِ هُنا
منْ صمتكِ وَضجيجِ الأشياءْ
يا للصحْراءْ
يا للنَبتِ الطالعِ والماءْ
كيفَ أُطرِّزُ وجهَكِ ،
في هَذا الفرحِ العاصفْ

وبأيِّ مديحٍ أتوجّهُ للأعشابِ ،
وَأحضنُ هَذا الأفقَ الرّاجفْ
أيُّ نشيدٍ أبعثُ وأحيطُ العالمْ
وأُحيطُ الحصرَ بأُغنيةٍ ،
وأُحيطُ الأغنيةَ بروحي
وَأحيطُ بكِ الروحْ
كيفَ أُعالجُ هذا اليومَ الغامضَ ،
في يُسرٍ ،
وَأبوحْ !

عمان



شكل (١) في هذه الصورة والصور الثلاثة التالية المنشورة على صفحات تالية ، يتضح جانب من بحوث التلوث عامة ، والصناعي خاصة ، بقسم صحة البيئة الذي يرأس مجلسه كاتب هذه الدراسة ، وفي تلك المعامل تجرى التجارب [illegible] ، ثم تقدم الحلول ، وتعالج المشاكل

عندما يصبح الهواء مصدر موت

كَوْكَبٌ كان طَهورًا

بقلم : د . عبد المحسن صالح

في كل عام تجرى آلاف البحوث ، ثم تقام الندوات ، وتعقد المؤتمرات ، وتحتدم المناقشات ، وترتفع الأصوات ، وكأنما هي بصوت واحد جماعي ، تستغيث وتنادي : كفوا أيديكم عن تدمير هذا الكوكب ، وحافظوا على أرضه ومائه وهوائه من « الآثام » التي يتلقاها ليل نهار ، والا فلا تنتظروا الا الهلاك والدمار !

وما الآثام أو الموبقات هنا الا مركبات كيميائية غريبة على بيئة كوكبنا ، ولا خوف من أن تكون غريبة ، لكن الخوف أن هذه المركبات ذاتها قد تأخذ طريقها الينا في الهواء الذى نستنشقه ، والماء



شكل (٢) فى هذه المعامل أيضاً يتم تقدير وتعريف الميكروبات التى تلوث الشواطئ ، أو مصادر المياه الطبيعية ، بالاضافة إلى تحليل مياه الشرب لمعرفة درجة نقائها من الميكروبات الممرضة

للانسان وآلاف الطيور والحيوانات

فتدنس وتلوث

الذى نشربه ، والطعام الذى نأكله ، وهنا تكمن الخطورة على الكائنات الحية عامة ، وعلى الانسان خاصة ، لأن الحياة ذاتها تفاعلات كيميائية معقدة أشد تعقيد ، لكنها منظمة أعظم تنظيم ، وقد يتداخل فى هذا التنظيم ما ليس منه ، فيصبح دنساً لا حيلة لأحد فيه ، اللهم الا إذا قطعنا دابر هذا الدنس من جذوره ، رغم أنه أمر بالغ الصعوبة ، اذ هو نتيجة حتمية لأنشطة التقدم الصناعى والزراعى والعمرانى ، والنتيجة مدفوعة الثمن من صحتنا ! .. صحيح أننا قد لا نحس بذلك الآن ولا نشعر ، لكن هناك مؤشرات كثيرة تشير الى حدوث تغيرات فى بيئة كوكبنا ، ولهذا إذا استمرت الأمور بمعدلاتها الحاضرة ، فالويل منها للأجيال القادمة !



(٣) جانب آخر من البحوث الكيميائية التي تحدد درجات التلوث في البيئة من جراء انسياب عناصر ومركبات ضارة إليها ، وهو مالا يخلو منه أي معمل من معامل العالم التي تهتم بمشاكل التلوث.

لكن أمور التلوث ليست متروكة هكذا على علاتها ، بل هناك معامل ومعاهد للبحوث ، ومحطات رصد تنتشر في كل مكان ، وهي دائمة التسجيل لكل التغيرات التي تطرأ على بيئة هذا الكوكب .. فبحكم وظيفتي كأستاذ للبيولوجيا الصحية ورئيس لقسم صحة البيئة بجامعة الاسكندرية ، لا تخلو معاملنا من بحث مشاكل التلوث التي بدأت تظهر بشكل واضح نتيجة للتقدم الصناعي والحضارى والعمرانى . وكأنما البيئة ذاتها بمثابة كائن حي له صحته وأمراضه ، ولهذا فقد يحلو لبعض الزملاء المقربين أن يمزحوا معي متسائلين عن صحتي ، وصحة البيئة . فأجيب بصدق : كلانا ليس على ما يرام . فأنا وهي مصابان : أحدنا مصاب بعدة أزمات قلبية ، والأخرى مصابة بالتلوث .. ويقال أن الأزمات القلبية واحدة من أمراض العصر الذى يتسم بالضوضاء والزحام والقلق والتوتر والتلوث ، والانسان ابن بيئته ، ثم ان حال البيئة كذلك لا يبشر بخير ، ليس على المستوى المحلى ، بل أيضاً على المستوى العالمي .

وفى معاملنا المجهزة بكل ما يخص صحة البيئة ، نبحث معظم مشاكلنا .. فمن بحوث تتناول تلوث مصادر المياه ، الى تلوث الشواطىء ، الى التلوث الصناعى ، الى تلوث الهواء (شكل ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) الى تأثير كل ذلك على الكائنات الحية ، ومدى تغيير صفاتها الوراثية ، أو اصابتها بالتسمم على المدى القصير أو الطويل . وطبيعى أن الانسان ليس بحيوان تجارب ، لكن هذه الحيوانات تشاركنا بيئة الهواء والماء والطعام ، وما يحدث لها ، كفيل ـ في معظم الأحيان ـ بأن يحدث لنا ، وذلك لأسباب يطول شرحها .

لكن مما لاشك فيه أن الدارسين للبيئة يعلمون قبل غيرهم أنها محكومة بعدة عوامل مضبوطة . والتآلف المنسق بين هذه العوامل ، يؤدى الى التوازن ، لكن التلاعب بعامل واحد من هذه العوامل ، أو ربما أكثر ، سوف يؤدى الى خلل ، وقد يعبر الخلل عن نفسه في زمن قصير ، وفي بيئة محدودة ، وبآثار محدودة كذلك ، لكن الخلل الأكبر والأعظم لا يتأتى الا من محصلة عدد كبير من اخلالات تحدث هنا وهناك ، ولن يظهر أثره الا بعد سنوات أو أجيال ، وقد يكون عاماً على مستوى الكوكب .

والواقع أن اتساع أبعاد الخلل قد ظهرت آثاره واضحة في ذات الجيل ، وليس بعد جيلين أو ثلاثة ، كما ظن البعض ، وهذا ـ في حد ذاته ـ مؤشر مخيف ، أو هو بمثابة صفارات الانذار التى تبصرنا بكارثة قد تكون قريبة ، هذا اذا لم نأخذ حذرنا ، على المستوى المحلى أولا ، حيث تظهر بشائر الخلل أو الضرر ، ثم على المستوى العالمى من خلال هيئاته التى تنسق بين الدول ، لأننا نسكن بيتاً واحداً ، نعنى كوكباً واحداً نشترك في هوائه ومائه وترابه وثرواته .

وكل الدول العربية ـ على قدر علمي ـ تمتلك مراكز ومعاهد ومعامل لبحوث التلوث ، فما من دولة منها الا ولها نشاط صناعى وبترولى وعمرانى ، ومن هذا أو ذاك تبدأ مشاكل التلوث .. صحيح أنها قد تكون محدودة الآن في بعض الدول ، لكن التطور في كل المجالات ، سوف يدخلها في هذه المعمعة ، فلا تطور بدون تلوث أو نفايات .

الهواء .. القاسم المشترك الأعظم

لكن من المفارقات الغريبة أن يكون أغلى شيء بالنسبة للحياة ، هو أرخص شيء في الوجود ، ذلك هو الهواء ، فلا أحد يستطيع أن يدعي ملكيته ، ولا أن يبيعه كما يبيع الأرض أو الطعام أو الماء ، فالهواء مباح للجميع ، ولا مكان له ولا وطن ، لأنه دائم الحركة من منطقة الى منطقة ، أو من قارة الى أخرى ، والحفاظ عليه من الدنس أو التلوث هى مسئوليتنا جميعاً . فمن ذا الذى يستطيع أن يستغني عن الهواء لدقائق معدودات ، والا اختنق ومات ؟

ان الانسان قد يقاوم الامتناع عن الطعام أسبوعين أو ثلاثة ، أو قد يتحمل العطش ليومين أو ثلاثة ، لكنه لا يستطيع أن يمتنع عن التنفس دقيقتين أو ثلاثة ، فهناك أمر اجبارى من جهازه العصبى بضرورة استنشاق الهواء ، حتى ولو كان يحوى غازات سامة ، فالجسم يفضل الموت مسموماً على الموت مخنوقاً .. ففى الهواء تكمن « شعلة » الحياة ، وبدونها تنطفىء وتختفى !

وكثيراً ما يتحدث الناس عن تلوث الماء والطعام ، لكنهم نادراً ما يذكرون الهواء ، رغم أن التلوث حادث فيه ليل نهار ، وقد يرجع ذلك الى عدم حساسية الأنف البشرية لاكتشاف التلوث ، أو ما اندس في الهواء من غازات ضارة ، وما علق به من أجسام دقيقة فيها أذى للناس .. صحيح أن التلوث قد يكون طفيفاً وغير محسوس ، لكن ذلك لا يعنى أن أثره الضار غير ملموس ، اذا عرفنا أننا نستهلك من الهواء أكثر مما نستهلك من الماء والطعام في حياتنا .

ان بضع أرقام قليلة سوف توضح لنا أبعاد المشكلة .. فالانسان البالغ يأكل يومياً ـ في المتوسط ـ حوالى كيلو ونصف كيلوجرام من الطعام ، ويشرب حوالى كيلوجرامين من السوائل (بما في ذلك الماء) ، لكنه يستنشق حوالى عشرة كيلوجرامات من الهواء ، أى حوالى عشرة آلاف لتر ، ولك بعد ذلك أن تحسبها ، في عام ، ثم في عدد الأعوام التى يعيشها الانسان ، تخرج بأرقام هائلة .

خذ بعد ذلك متوسط ما يستنشقه الانسان في يوم واحد إذا كان من ساكنى المدن ذات الحركة والزحام والنشاط في مجال الصناعة وسبل المواصلات ، ففي كل لتر من هواء هذه البيئة يكمن عدة ملايين من جسيمات السناج والهباب والتراب والميكروبات وحبوب اللقاح وما شابه ذلك ، ويعنى هذا ـ على حسب ما يذكر كل من دكتور س . سنجر ، هـ . هيلجارد في كتابهما الشيق « بيولوجية البشر » ـ أن ساكن المدينة قد يستنشق يومياً أكثر من ٢٠ ألف مليون جسيم من هذه الأدران المعلقة في الهواء (شكل ٥) ، ودعك من نوعية الغازات الضارة ، فهذه لا تدخل الآن في الحسبان !

وطبيعى أن معظم هذه الأدران لا تدخل الى رئاتنا ، ولو حدث ، لما تحمل الانسان الحياة لبضع سنوات قليلة ، اذ ستتكدس رئتاه بما لا يمكن أن تستقيم معه الحياة ، ولابد ـ والحال

كذلك ـ أن تكون لنا فى أنفسنا استحكامات تحفظ علينا حياتنا ، ولقد جاءت بالفعل على هيئة شعيرات وأهداب ومواد مخاطية وممرات متعرجة فى داخل أنوفنا ، ثم أهداب متموجة تغطى أسطح القصبات والقصيبات الهوائية ، حتى إذا نفذ شيء من أنوفنا ، اصطادته تلك الأهداب ، وقامت « بكنسه » الى الخارج حتى تلقيه فى حلوقنا ، حيث ينساب الى المرىء ومنه الى الجهاز الهضمى ، ولاشك أن هذه المرشحات الهوائية ذات كفاءة عالية ، لكنها ـ مع ذلك ـ لم تتعامل من قبل مع الأدران الحديثة التى تنطلق الى الهواء ، اذ قد تكون هذه الأدران بدرجة من الدقة والضآلة بحيث تستطيع الافلات الى داخل رئاتنا دون أن تحتجزها تلك المرشحات البيولوجية ، وفى هذه الحالة تتسبب فى التهابات رئوية ،وأدران تختلف باختلاف أنواع هذه الموبقات ، أو قد تنفذ من رئاتنا الى دمائنا ، وقد يحتجز الكبد الكثير منها ، ليحوله من صورته الضارة الى صورة أقل ضرراً ، أو قد تتداخل بعض هذه المركبات فى المخزون الوراثى لخلايانا ، فتغير ما به ، وهنا تطفر الخلايا ـ أى تتغير ، وقد تكون احدى هذه الطفرات بؤرة لنشأة السرطان !

ماذا يستقبل غلافنا الهوائى ؟

لكن أبعاد مشاكل التلوث التى تحدث فى الهواء وحده (ودعك الآن من مشاكل تلوث الماء والطعام) لن تتضح الا إذا تعرضنا للكميات الضخمة من الملوثات الغازية التى تنساب الى غلافنا الهوائى فى كل عام ، والواقع أن الاحصائيات العالمية تشير الآن الى أرقام مخيفة ، ومعظمها ناتج من استهلاك البشر لتوليد الطاقة ، وادارة الالآت ، بما فى ذلك كل وسائل المواصلات ، واستخلاص المعادن من الخامات (شكل ٦) ، فإن الغلاف الهوائى يستقبل سنوياً من هذه الأنشطة مجتمعة :

• أكثر من ١٨٠ مليون طن من غاز ثانى أوكسيد الكبريت ، منها ٣٥ مليون طن تطلقها الولايات المتحدة الأمريكية وحدها ، وكندا حوالى سبعة ملايين طن ، ونفس هذه الكمية لبريطانيا ، أما الصين فحوالى ٢٠ مليون طن .

• أكثر من ١٢٠ مليون طن من أكاسيد غاز النيتروجين على المستوى العالمى سنوياً ، تشارك الولايات المتحدة فيها بحوالى ٢٥ مليون طن .

• أكثر من ٢٨٠ مليون طن من غاز أول أوكسيد الكربون السام على المستوى العالمى ، ومعظم هذه الكمية ناتج من عادم عشرات أو مئات الملايين من السيارات التى تنطلق فى العالم ليل نهار ، وطبيعى أن أكثر المناطق تلوثاً بهذا الغاز هى أكثرها ازدحاماً بالسيارات ، ولاشك أن كل المدن الكبيرة فى العالم لها فى غلافها الهوائى من أول أوكسيد الكربون النصيب الأكبر .

• عشرات الملايين من أطنان السناج أو الهباب والمواد القطرانية المتطايرة ، والهيدروكربونات ومركبات الرصاص والكادميوم والزئبق والكلور والفلور ... الخ .

• ملايين الأطنان من مواد غريبة على جو هذا الكوكب قام الانسان بتخليقها ليقتل بها الآفات ، وتعرف فى مجموعها باسم المبيدات .. فمن مبيدات حشرية ، الى مبيدات حشائش ، الى مبيدات قواقع ، الى مبيدات فطرية .. الخ ، كل هذا وغيره قد تجمع فى بيئة الأرض ، ثم بدأ يتركز فى أنسجة النبات ، وانتقل منها الى الانسان والحيوان ، وسوف نعود الى هذه المبيدات ، لنرى ماذا أصاب الكائنات من جرائها ، ثم ماذا كانت نتيجة الاسراف فى استخدامها .

• يستقبل الغلاف الهوائى سنوياً أكثر من ١٨ ألف مليون طن من غاز ثاني أوكسيد الكربون نتيجة للزيادة فى استهلاك الوقود الحفرى ممثلا فى الفحم والبترول والغاز الطبيعي ، وطبيعى أن هذه الكمية قابلة للزيادة بزيادة الاستهلاك فى أنواع الوقود .. صحيح أن هذا الغاز لا ضرر منه على الكائنات الحية ، لكنه لو زاد عن معدلاته الموزونة التى جاء بها من قديم الزمن ، فإن ذلك كفيل « بكتم » حرارة الكوكب ، وعندئذ قد ترتفع درجة الحرارة بالتدريج ، مما يؤدى الى تغييرات كبيرة ، منها ـ على سبيل المثال ـ ارتفاع مياه البحار والمحيطات الى ما بين ١٠٠ ـ ٢٠٠ متر ، نتيجة لذوبان جبال الثلوج الضخمة عند القطبين ، بفعل ارتفاع الحرارة ، الناتج من زيادة غاز ثانى أوكسيد الكربون فى الغلاف الهوائى ، بسبب الزيادة المضطردة فى استهلاك الوقود .. وهى كما ترى حلقات فى سلسلة تؤثر كل منها فى الأخرى وتوجهها الى وجهات فى غير صالح الحياة عامة ، والانسان خاصة ، اذ سيؤدى ذلك الى غرق كل المدن الساحلية ، ومساحات هائلة من اليابسة .

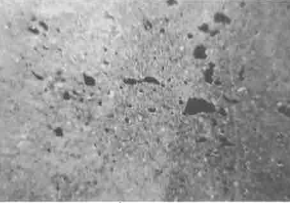
وطبيعى أن جو الأرض يستقبل بين الحين والحين بعض الغازات الضارة والرماد والحبيبات الناتجة من ثورة البراكين ، أو قد تنتج من حرائق الغابات (شكل ٧) لكن ذلك لا يمثل الا نسبة صغيرة لا تتعدى ٣٪ مما تنفثه الأنشطة الصناعية والآلية للانسان ، ثم أن الطبيعة كفيلة بمعالجة مشاكلها ، لكنها غير قادرة على استيعاب هذه الكميات الهائلة المتزايدة من الدنس الذى كان نتيجة حتمية للنهضة الصناعية والتكنولوجية والعمرانية .. ذلك أن لكل شيء حدوداً ، فإذا زاد الشيء عن حده ، انقلب الى ضده ، وهو ما حدث ويحدث الآن على المستوى المحدود .. أى فى الأماكن التى حل بها التلوث ، أو قد يتعداه الى مناطق شاسعة تشمل دولا أو قارات بأكملها .

مآس قد تتكرر فى أى زمـــان ومكان

وقد يقول قائل : إن هناك ضجة هائلة عن تلوث البيئة وأخطارها ، لكننا ـ رغم ذلك ـ لم نلحظ أثراً مباشراً لهذا التلوث ، أفلا يدل ذلك على مبالغات لا أساس لها ولا جذور ؟

الواقع أن الأثر موجود فى الهواء الذى نستنشقه ، والماء الذى نتجرعه ، والطعام الذى نتناوله ، ويعنى هذا أن أجسامنا ـ وأجسام الكائنات الحية الأخرى التى تشاركنا بيئتنا ـ تحتوى على نسب متفاوتة من كل هذه الأدران أو بعضها ، وقد ترتفع هذه النسب أو تنخفض ، فذلك يتوقف على مدى تلوث المصدر الذى يحصل منه الكائن الحي على مقومات حياته من هواء وطعام وماء ، وقد لا تشكل الملوثات خطورة على الصحة العامة فى دولة من الدول الآن ، خاصة فى الدول النامية ، لكن من المؤكد أن الزمن كفيل بادخالها فى

(٤) فى جهاز التحليل الطيفى للعناصر ، تقوم هاتان الباحثتان بالكشف عن مدى تركيز المعادن التى تخرج مع نفايات الصناعات ، وتنساب فى البيئة ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر الزئبق والرصاص والنحاس والكادميوم وغير ذلك من عناصر ضارة بالكائنات ، ومنها الإنسان بطبيعة الحال



شكل (٥) صورة بالميكروسكوب الاليكتروني توضح مدى تنوع الأجسام الدقيقة المعلقة في هواء المدن المزدحمة ، ومن هذه الأدران قد يستنشق الانسان الكائن في وسط المدينة يومياً حوالي ٢٠ ألف مليون غبارة وهباية وجراثيم لقاح هائمة .. الخ .

شكل (٦) تطلق المصانع في الهواء كميات ضخمة من الدخان المختلط بغازات خانقة ومهيجة ، مثل ثاني أوكسيد الكبريت وأكاسيد النيتروجين والكلور والفلور والهباب ... الخ . فهل تختفي هذه الظاهرة المؤذية من كوكبنا ، أو تقل حدتها على الأقل ؟

معمعة التقدم الصناعي والحضاري ، اذ يكفيها الآن مثلا حركة السيارات التي تنطلق في شوارع مدنها الكبيرة ، وتنفث فيها عوادمها ونفاياتها . فتنتشر في هوائها ، ويستنشق سكانها منه مرغمين . ولهذا فإن سكان المدن المزدحمة بحركة المواصلات ، أو بوجود عدد من المصانع الكبيرة يحملون في أنسجتهم نسباً من أدران الاحتراق أكثر بكثير مما يحمله سكان الريف في أجسامهم .

وليس ذلك من قبيل التكهنات أو المبالغات ، لأن بعض الكوارث قد حدثت بالفعل من جراء زيادة نسبة ملوثات الهواء عن حدودها ، ونكتفي هنا بضع أمثلة قليلة ، لتوضيح الحقيقة .

في كتابه القيم «الانسان وبيئته» يذكر دون آرثر شيئاً عن المأساة التي حلت ببعض سكان لندن في عام ١٩٥٢ فيقول «ان النفايات الصناعية المنطلقة في الهواء لاشك تسبب اضطرابات ومضايقات في الجهاز التنفسي ، ولهذا فان ظهور الالتهابات الرئوية بين سكان المدن أكثر بحوالي خمس مرات من سكان الريف .. إن الضبخان (أي الضباب المختلط بالدخان) الذي حل بلندن عام ١٩٥٢ كان بمثابة تجسيد حي لما يمكن أن يؤدي إليه تلوث الهواء الذي تسبب في موت أربعة آلاف نسمة .. ان الأثر التهيجي في الجهاز التنفسي من جراء استنشاق الناس لغاز ثاني أوكسيد الكبريت أو حامض الكبريتيك (وهو الذي يطلق عليه العامة ماء النار) المعلق في القطرات المائية الدقيقة جداً ، ربما قد لعب الدور الأعظم في اصابة هؤلاء الضحايا بالالتهابات الشعبية الرئوية والربو من جراء وجودهم في هذه المناطق المكتظة بالصناعات .

ويبدو كذلك أن ملوثات أخرى قد شاركت في احداث هذه المأساة ، اذ أمكن عزل حوالي خمسين مركباً مختلفاً من الضبخان ، وتبين أن بعضها من المواد المسببة للسرطان ، مثل مادة ٣ ــ ٤ ــ بنزبيرين Benzpyrene . فلقد وجدت في جو المدن بتركيزات تتراوح ما بين ٨ ــ ١٢ مرة قدر تركيزها في الخلاء» !

والواقع أن هذه الكارثة المحدودة بزمانها ومكانها من الكوارث العديدة التي تتناولها معظم المراجع العلمية بطريقة أو بأخرى ، هذا ومما يذكر في هذا المجال أن التلوث لم يكن السبب المباشر في موت هذا العدد الكبير من الناس ، بل كان بمثابة عامل مساعد وهام في التعجيل بوفاتهم ، ذلك أن الأصحاء قد سعلوا وتضايقوا ، لكن ذلك مر بسلام ، في حين أن ٩٠٪ من الذين راحوا ضحايا التلوث كانت أعمارهم أكثر من ٥٠ عاماً ، وأن ٧٠٪ من هؤلاء بلغت أعمارهم أكثر من ٦٥ عاماً .

ليست الكارثة الوحيدة

ومن جهة أخرى يذكر دكتور كلايد أور في كتابه «بين الأرض والفضاء» مأساة أخرى حدثت في عام ١٩٣٠ بوادي نهر ميوز ببلجيكا ، فيصفها بقوله «في خلال ثلاثة أيام من حدوث شابورة مصحوبة بدخان متصاعد من مداخن عدة مصانع في لييج ، صحا الناس وهم يسعلون ، وشعروا بالكارثة عندما وجدوا ماشيتهم وكلابهم وطيورهم راقدة على الأرض وهي ترتعش وتلهث ، ومر يومان بليليهما ككابوس يجثم على صدر المنطقة ، وراح بعض الأهالي يحولون بين أنفسهم وبين هذا الهواء الخانق بأن اصطحبوا معهم ما تبقى من حيواناتهم الى داخل بيوتهم ، وأغلقوا عليها وعليهم النوافذ والأبواب ، وسدوا كل منفذ أو ثقب بقطع من القطن أو القماش ، لكن بعضهم ــ مثل سكان مدينة انجس الصغيرة البالغ عددها ثلاثة آلاف نسمة ــ قد هجروا مدينتهم وفروا بجلدهم ، ومع ذلك فقد مات في هذه المنطقة ٦٣ شخصاً ، غير عدد كبير من الحيوانات ، لكن بقيت المئات من البشر وهم يلهثون ، وكأنما النيران قد اشتعلت في حلوقهم وصدورهم» !

وتعليل ذلك لا يخفى على لبيب ، ذلك أن أدخنة المصانع المجاورة كانت تلقي كل يوم في الهواء بأطنان من غازات خانقة ، أهمها غاز ثاني أوكسيد الكبريت ، وغاز الفلور من مصانع الفوسفات في نفس المنطقة ، وعندما يركد الهواء ، وتختفي فيه التيارات الصاعدة الهابطة ، ثم يأتي الضباب ليكمل المأساة ، يصبح الهواء مصدر موت لا حياة .

ونسي الناس ما حدث في ذلك الوادي لسنين طويلة ، لكن مجلة «كولبير» كتبت في عددها الصادر في ٢٣ أكتوبر عام ١٩٤٨ تحذر من زيادة تلوث الهواء في الولايات المتحدة ، وتتنبأ بأن ما حدث في بلجيكا ، قد يحدث في أية ولاية أمريكية ، ولقد تحققت النبوءة بالفعل بعد أسبوع واحد في مدينة «دونورا» ببنسلفانيا ، اذ خيم عليها الضبخان يومي ٢٧ ، ٢٨ من الشهر نفسه ، وبدأ نصف سكان المنطقة البالغ عددهم ١٤ ألف نسمة يسعل ، وانهالت المكالمات التليفونية على المسئولين تطلب النجدة ، وتحركت الى المدينة ادارة المطافئ والصليب الأحمر وفرق الانقاذ ، ومع ذلك فقد مات منهم عشرون فرداً ، هذا بالاضافة الى مئات الحيوانات وآلاف الطيور ، وحل المرض والاعياء بنصف السكان ، وكان من بينهم ٤٤٠ فرداً قرر الأطباء أن حالتهم الصحية سيئة ، وتستلزم الرعاية الطبية ، ولقد ظل بعضهم عاماً كاملا وهم في حالة من الاعياء» .

وما حدث في لندن ووادي نهر ميوز ودونورا ، حدث ويحدث في أماكن متفرقة مثل لوس انجلوس وبرمنجهام وطوكيو .. الخ ، وسوف يحدث طالما كان هناك ضباب ودخان وركود هواء !

الرصاص .. من الهواء الى دمائنا فعظامنا !

ومع أن هذه الكوارث قد تبدو محدودة بظروفها ، الا أنها ليست كذلك حقاً ، فواقع الأمر أنها أصبحت جزءاً من الغلاف الهوائي المحيط بالكرة الأرضية ، لكنها تنتشر فيه بنسب متفاوتة .. عالية لدرجة الخطر في المناطق التي تنطلق فيها تلك الغازات الضارة ، ثم تقل بالتدريج كلما ابتعدت عن مصادرها .

ولكي نوضح ذلك أكثر ، دعنا نتعرض للتلوث الناتج من نفايات أو عوادم السيارات ، وفي هذه النفايات تشترك كل المدن الكبيرة ، ففي شوارعها

شكل (٧) من مصادر تلوث الهواء انفجار البراكين ، أو حرائق الغابات ، ومع هذه الحرائق تزيد نسبة غاز ثانى أوكسيد الكربون والرصاص فى الهواء ، لكنها ــ مع ذلك ــ لا تمثل إلا نزراً يسيراً ، ويصبح الانسان هو الملوث الأول

تنطلق عشرات أو مئات الألوف من السيارات ، وطبيعى أنه كلما زاد العدد ، زاد التلوث ، ومن هذه النفايات عنصر الرصاص السام الذى يستنشقه أهل المدن ليل نهار.

صحيح أن الرصاص أو مركباته توجد بنسب جد ضئيلة فى الغلاف الهوائى نتيجة للحمم التى يلقيها هذا البركان أو ذاك ، أو لحريق فى غابة ، أو من غبار تذروه الرياح ، الا أن ذلك كله فى حدود المسموح به صحياً ، لكن نسبة هذا المركب قد أخذت فى الزيادة تدريجياً فى وقتنا الحاضر ، وهى الآن أكثر بكثير عما كانت عليه منذ خمسمائة عام قبل الميلاد مثلا .

كيف اذن أمكن تقدير هذا العنصر فى الهواء ، رغم مرور ما يقرب من ٢٥٠٠ عام ؟

من الدراسة التى قام بها دكتور س . باترسون من معهد كاليفورنيا التكنولوجى على ثلوج القطب الشمالى بالقرب من جرينلاند ، وعلى أعماق أثبتت التحاليل أن ثلوجها قد ترسبت منذ ذلك الوقت الطويل ، اتضح أن نسبة الرصاص فيها وصلت الى حوالى ثمانية جرامات لكل طن من الثلج عند عمق معين ، لكن الرصاص فى الثلوج التى تكونت عام ١٩٥٠ قد وصلت نسبتها الى حوالى ٩٠ جراماً ، أى تضاعفت أكثر من أحد عشر مرة ، ثم الى ٢١٠ جراماً فى الطن فى الثلوج التى تكونت عام ١٩٦٥ !

وفى دراسة أخرى قام بها دكتور هنرى شرويدر وزملاؤه لتقدير نسبة الرصاص فى الحلقات السنوية لشجر الدردار الذى ينمو على مسافة ٥٠ متراً من طريق يتميز بحركة خفيفة لمرور السيارات ، فتبين أن هذه النسبة لا تتجاوز ٠،١٦ جزءا فى كل مليون جزء من خشب الحلقات التى تكونت فى منتصف القرن التاسع عشر ، لكنها ارتفعت الى ٣،٩ جزءا فى المليون فى الحلقات التى تكونت فى الستينات من هذا القرن .. أى أنها تضاعفت حوالى ٢٤ مرة !

ولقد أمكن ارجاع هذه الزيادة الى الرصاص الموجود فى عوادم السيارات ، ولاشك أن هذه النسب أعلى من ذلك فى هواء المدن ، وعلى الأخص فى شوارعها المزدحمة ، حيث يستنشق الناس منها هذه المركبات الضارة دون علم منهم (أو حتى بعلم منهم ، لأنهم لن يضربوا عن استنشاق الهواء على أية حال) .. ففى بعض الدراسات التى أجريت على شوارع المدن المزدحمة تبين أن تركيز الرصاص الموجود فى الهواء من عوادم السيارات أعلى بحوالى ٢٠ مرة من تركيزه فى المناطق الأقل ازدحاماً ، وأعلى بحوالى ألفى مرة من عينات الهواء الموجودة بعيداً عن القارات بمسافات شاسعة (من وسط المحيط الباسيفيكى أو الأطلنطى مثلا) .

وفى الدراسات الطبية التى أجريت على سكان المدن المزدحمة بسبل المواصلات تبين أن ٤٥٪ من كمية الرصاص الذى يستنشقه الناس يدخل الى الدم عن طريق الرئتين ، وأن كل سنتيمتر مكعب واحد من الدم يحتوى على ما بين ٤٠ ــ ٦٠ جزء فى المليون من الرصاص ، وهذه تساوى نصف الكمية اللازمة لحدوث التسمم ، ويقال أن الأطفال أكثر استجابة للتسمم من الكبار .. أضف الى ذلك أن وجود الرصاص ــ ولو بكميات طفيفة ــ يؤدى الى عرقلة تخليق انزيم أو خميرة هامة فى تكوين مادة الهيموجلوبين الحاملة لأوكسيجين الهواء ، كما أن هذا العنصر السام يتركز فى العظام بمرور الأعوام ، لكن أحداً لا يستطيع أن يتكهن الآن بما ستأتى به الأيام ، فنحن لازلنا حديثى عهد بهذا الدنس الذى حل بكوكبنا ، ومع ذلك فهناك دراسة تشير الى أن كثيراً من حالات تخلف الذكاء عند الأطفال ثبت أن لها علاقة بتركيز الرصاص فى دمائهم ، وكلما زاد التركيز ، زاد التخلف !

هذه ــ اذن ــ لمحات سريعة عن نصيب سكان الأرض من هوائهم ، فماذا عن مائهم وطعامهم وأرضهم ؟ .. لهذا دراسة قادمة نوضح بها ما خفى ، وما خفى كان أعظم .

عبد المحسن صالح



شكل (٨) صورة من الجو التقطت ليلا لمجموعة من المداخن المقامة بجوار أحد حقول البترول البعيدة عن العمران بالكويت ، وهى ــ كما ترى ــ تنفث فى الجو نصيبها من التلوث ... ! إنها واحدة من آلاف تنتشر فى دول البترول ، وتشارك مع نفايات السيارات والمصانع بنصيب الأسد فى تلوث الهواء !

عباس خضر

من الأدب الشعبي :

أبو زيد الهلالى يشكو الإهمال والنسيان

كان صديق الطفولة أبو زيد يحفظ قصص أبى زيد الهلالى وأشعاره ، وكنت أصغى اليه وهو يأخذنى الى عالم سحرى عجيب . لقد كان هو الفنان الأول فى حياتى . كان الشاعر ، والمطرب ، والقصاص .. والحديث عنه يأخذنى الى القصص الشعبية فى أدبنا العربى .. والحال الذى وصلت إليه !

أهمل دارسو القومية العربية الأدب الشعبى العربى .. فلم يلتفتوا إليه مع أنه مقوم من مقوماتها ، مشترك (بفتح الراء) بين شعوبها ، فمن من هذه الشعوب لا يعرف أبا زيد الهلالى ودياب بن غانم والزناتى خليفة ؟ اللهم إلا هذا الجيل الذى تعلم فى المدارس والجامعات .. وهنا إهمال آخر .. إهمال من جانب المشرفين على المدارس والجامعات .

ما عدا رسالات أو أطروحات جامعية قليلة ، هى ــ فيما أعلم ــ ثلاث بالتحديد ، رسالة لسهير القلماوى عن « ألف ليلة وليلة » نالت بها درجة الدكتوراة ، ورسالتان للدكتور عبد الحميد يونس عن الهلالية نال بهما درجتى الماجستير والدكتوراه .

على أن هذا ليس هو فقط المقصود من الاهتمام بالأدب الشعبى ، بل الأدب الشعبى نفسه ، لماذا يندثر ــ كما نرى ــ ويبتلعه النسيان ؟ وفيه قيم عظيمة الأثر فى حياة قومنا وأخلاقهم وعاداتهم ، كانوا يستشهدون فى المواقف المختلفة بما قال أبو زيد وما أثر عن القاضى بدير بن فايد . ويكون ذلك قولا فصلاً فيما قد يكون من خلافات ونزاعات .

حقاً إن هذه القصص تشوبها شوائب كثيرة فى الشكل والمضمون ، ولكن يمكن تنقيتها من هذه الشوائب ، أو استيحاء المادة فى تكوين يحدث إسقاطاً على الأحوال الحاضرة ، وقد فعل ذلك الأستاذ فاروق خورشيد برواية « سيف بن ذى يزن » ونال بها جائزة الدولة التشجيعية . وأذكر ــ متردداً خجلا ــ أنى فعلت ذلك أيضاً فى بضع روايات قررت إحداها على طلبة الشهادة الاعدادية فى مصر من نحو عشرين سنة . واقتصر الأمر على هذا الجهد المحدود ، كما اقتصر ــ من حيث الدراسة ــ على تلك الرسائل الجامعية .. عذراً .. فاتنى أن أذكر دراسة مطولة جيدة لألف ليلة وليلة قام بها الأستاذ أحمد حسن الزيات ونشرها فى كتاب من كتبه ، وهو كتاب « فى أصول الأدب » .

أول ما قرأت

وأحمد الله على أن نشأت فى زمن كان فيه لا يزال للقصص الشعبية شأن من حيث الاهتمام بها ونشرها وقراءتها .

أول ما قرأت ــ بعد المصحف الشريف ــ كان فى قصة من قصص الهلالية وجدتها عند رجل قعيد اسمه « عبد الجواد العاجز » رجل كسيح يحمل من بيته الذى يشبه المخزن الى ناصية بجوار الجامع ، وما أكثر أهل الخير الذين يحملونه الى « المخزن » فى المساء والى الناصية فى الصباح ، ويدقون له الأوتاد والعصى التى يثبت فوقها « خيش » يقيه شمس الصيف ومطر الشتاء ، والذين يجودون عليه بما يفيض عن حاجتهم من الطعام . ثم الذين يشترون له من الأسواق « كتب الشعر » ذات الورق الأصفر والأغلفة المحلاة بصورة أبى زيد الهلالى أو صورة الناعسة أو عزيزة ويونس ... الخ .

والرجل أمى لا يقرأ ولا يكتب ، إنه يشير بيد مرتعشة وهو يضحك لى متودداً ، أو يحاول الضحك فتستعصى عليه عضلات وجهه .. يشير الى طاقة فى الحائط فوق رأسه ، فأمد يدى بداخلها وأخرج تلك الكتب ، وأنفض عنها الغبار ، وأجلس الى جواره وأقرأ ، ويستغرق كلانا أى استغراق ، فلا نشعر بالزمن الا عندما يؤذن المؤذن لصلاة المغرب ، ربما لا ننتبه لأذان الظهر أو العصر ، ولكن أذان المغرب ينذرنا بانطفاء المصباح الذى أقرأ على ضوئه : غروب الشمس !

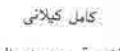
لو كنت اذ ذاك أعرف قولة « أرشميدس » عندما خطر له حل المسألة التى كانت تشغل فكره : « وجدتها » لرددت تلك الكلمة وأنا فى سرور لا يقل إن لم يزد على سرور أرشميدس .











د . سهير القلماوى — د . عبد الحميد يونس — كامل كيلانى — أحمد حسن الزيات

أبو زيد يحكى عن أبى زيد

وذلك لأنى وجدت شيئاً أقرأه ، شيئاً غير ما نتعلمه فى الكتاب ..

وكان لى فى تلك المرحلة الباكرة صديق يكبرنى قليلا : غلام يعمل عندنا راعياً للجاموسة اسمه أبو زيد . كنا نقضي شطراً من الليل فى سمر .. وأى سمر ذلك الذى كنا نتسامر به .. ؟ كان أبو زيد يحفظ قصص أبى زيد الهلالى وأشعاره ، ربما كان يحفظها لأنه أمى لا يقرأ . كنت أصغى إليه وهو يأخذنى الى عالم سحرى عجيب .. تشتجر فيه السيوف وتصهل فيه الخيول ويتناحر الأبطال ، ويشدنا بعضهم اليه والى ما يحبه من إنسانية وقيم .. موقعاً ذلك كله على نغم من كلمات آسرة وصوت كان أوقع على سمعى من أى صوت .. مرة يسترسل فى الحكى ، ومرة ينشد لا ينقصه إلا « الربابة » .

وكان النشيد يسترعى انتباهى بما فيه من عبارات البدء بالصلاة على النبى « العربى » الذى هو من ولد « عدنان » .

وطالما ترنمنا بهذا المطلع :

أول ما نبدى نصلى على النبى
نبى عـربى من ولد عدنان

والهلالية كانوا فى بلاد عربية ، وسماتهم وأخلاقهم عربية . ورجالهم كانوا فرساناً عرباً يتشبه بهم بعض الرجال فى القرية ، ويصيحون بتلك الأشعار وهم على ظهور الخيل يتسابقون ..

شاعر الربابة

قلت لصديقى :

ــ ممن عرفت كل هذا يا أبو زيد ؟

ــ من « الشاعر » .

ــ هل أستطيع أن أرى هذا الشاعر ؟

ــ ممكن ، عندما يجيء الى « عرس » فى البلد .

وكان عرس ، وجاء الشاعر . وكانت ليلة ..

تمثل لى الشاعر نفسه أبا زيد الهلالى .. بيده الربابة كأنها سيف .. يجلس على كرسى وضع على « طبلية » خشبية كبيرة تعلو به الى مستوى أنظار الجمهور ، كأنه يمتطى ظهر حصان ، وعند المناسبة الحماسية يدق بحذائه الطبلية كأنه يلكز جنب الحصان ، فيعلو صوت كأنه صهيل .. ونحن معه أو مع من يحكى عنهم ويمثلهم لا نعى شيئاً مما حولنا .. حتى إذا أخذته الحماسة فى موقف بلغ الذروة ضرب بقدمه الطبلية ضربة شطرتها شطرين !

وكانت تلك الضربة حديث اليوم التالى فى مجالس الرجال وملاعب الصبيان ، وما كان أشد اعتزاز من رأى وهو يحكى لمن يسمع ..

مررت يوماً ــ بعد عشرات السنين ــ بدكان فى القرية ، فخرج صاحب الدكان يسلم على ، وما كان أسعدنى به .. انه أبو زيد ، صديق الطفولة ..

ــ كيف أنت يا أبو زيد ياهلالى سلامة ؟

ــ الحمد الله ، تفضل ، لازم تشرب الشاى .

ــ والله زمان يا أبو زيد ..

وقلت له : سأعود بعد « المشوار » الذى نحن ذاهبون إليه .

وتقدم بنا الليل . فسألت من معى :

ــ يا ترى أيكون أبو زيد فى الدكان الى الآن ؟

ــ انه يبيت فيه وان كان قليل النوم ، أصل ابنه مات .. مات شهيداً فى الحرب .

قبل أن أدق باب الدكان سمعت صوتاً وأزيزاً ، أو قل صوتاً يوقع على أزيز .. الصوت يعود بى الى أغوار ماض سحيق .. أيام أن كان يقول أبوزيد الهلالى سلامة :

« والنار فى القلب زايدات اللهايب »




ولما دخلت رأيت مصدر الأزيز براد شاى يغلى فوق وابور الجاز .

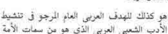
لم أذكر ابنه الشهيد خشية أن أثير شجونه ، ولكنه كان يدير الحديث منساقاً الى جهة السياسة وأخبار العرب وما أعدوه لحرب اسرائيل فوجدتنى منساقاً الى سرد أخبار سارة وتعليقات متفائلة . فلاحت على أساريره انفراجة عن ملامح عهدتها منذ ذلك العهد البعيد ..

كان أبوزيد هو الفنان الأول فى حياتى ، كان الشاعر ، وكان المطرب ، وكان القصاص .

ندوة الدوحة

قرأت ما نشرته « الدوحة » (العدد ١٠٨) عن ندوة التراث الشعبى الخليجى فى الدوحة التى شهدتها دولة قطر أخيراً عن الأدب الشعبى الخليجى والتى نظمها مركز التراث لدول المنطقة ، وافتتحها الأستاذ عيسى غانم الكوارى بكلمة قال فيها « إن الحرص على رعاية التراث الشعبى لهذه المنطقة هو جزء من اهتمامنا الشامل بالفولكلور العربى » .

والاهتمام الشامل بالثقافة العربية ككل « شنشنة نعرفها من أخزم » و « أخزم » هنا هو دولة قطر التى تعد هذه المجلة من ذلك الاهتمام المحمود . وحتى الاهتمام بالتراث الخليجى يعد عملا صالحاً ، ليس فقط للمنطقة الخليجية ، بل



هو كذلك للهدف العربى العام المرجو فى تنشيط الأدب الشعبى العربى الذى هو من سمات الأمة العربية فى كل مكان .

وقال الأستاذ الكوارى وزير الاعلام القطرى وهو يبين أهمية مركز التراث الشعبى وجهوده العلمية فى هذا المجال : « والعبرة هنا ليست فى أن يحقق المركز أهدافه العلمية المحددة فقط ، وانما أن ينطلق ليؤثر فى حركة الثقافة والفكر بالمنطقة ، وأن يضيف الى الثقافة العربية شيئاً مما كان مطوراً من تراث هذه الأمة » .

وجاء فى توصيات الندوة أن من أهدافها التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبى . ويهمنى أن أنبه على شيء هو الناتج من هذا ، ذلك هو أن يقدم الأدب الشعبى للناس كباراً وصغاراً فى أسلوب حديث منقى مما لا يتفق مع عصرنا الحاضر شكلا ومضموناً ، ولكل طريقته فى التناول ، وقد حدث فعلا أن استمد بعض الرواد الأوائل فى الكتابة للأطفال قصصاً من « ألف ليلة وليلة » وقدموها للأطفال فى أسلوب عربى سهل جميل ، على رأس هؤلاء المرحوم كامل كيلانى ، والتفت هذا الرائد الكبير إلى الأولاد الذين جاوزوا سن الطفولة ، فأخرج لهم كتاب « أساطير ألف يوم » .

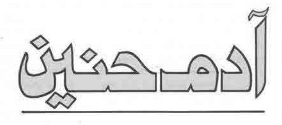
القراءة بعد الطفولة

والواقع أنها فجوة كبيرة تلك التى تقع بين الطفولة والشباب ، فإذا قرأ الطفل قصص الأطفال ثم كبر شيئاً وتطلع الى مستوى أكبر من القراءة لايكاد يجد شيئاً يناسبه ، وكان كتاب « أساطير ألف يوم » الذى لم يتكرر مثله كثيراً يلبى تلك الحاجة . ومما يذكر أن كامل كيلانى كان يتتبع ولده « مصطفى » من صغره حتى شب عن الطوق ، فكان يقدم من القصص ما يناسب المرحلة التى بلغها ، فلما قارب الشباب كتب « أساطير ألف يوم » وكثيراً ما نرى فى مقومات قصصه عبارة « ولدى مصطفى » وكان مصطفى هو كل ولد عربى يقرأ ويستمتع بالأسلوب العربى الفصيح السهل القويم الجذاب .

ونعود إلى الندوة التى أجتمعت أخيراً فى الدوحة . ونقول : حقاً إن الجمع والتصنيف والدراسة مهمة فى التراث الشعبي ، ولكن ثمرتها الناضجة وخاصة فى مجال الأدب هى الثمرة المرجوة .

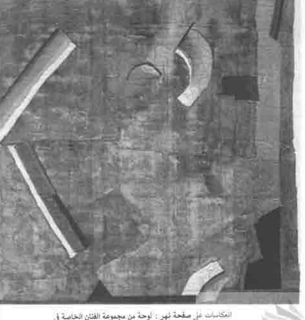
تحية واحتراماً لكل جهد عربى يبذل فى لم شعث التراث الشعبى واستثمار أدبه .

بقلم: صبحي الشاروني



آدم حنين

فنان عربي في مدرسة باريس!



انعكاسات على صفحة نهر: لوحة من مجموعة الفنان الخاصة في باريس.. وخاماتها ألوان مائية على ورق بردي (١٩٨٢)



• [illegible] على أفضل [illegible] تقديري

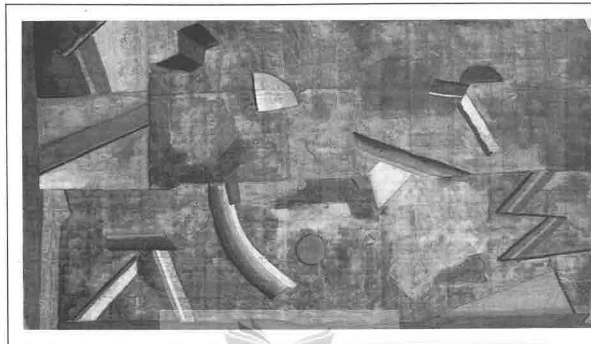
• في سنوات العزلة في أرض النوبة أصر على تغيير اسمه الأصلي إلى إسم جديد هو آدم حنين

• باريس تحتضن الفنان العربي وتتيح له الفرصة ليقدم فنه إلى العالـــــم

• رفض جميع الوظائف والمناصب اللامعة ليتفرغ للفن.

الفنان آدم حنين أو الفنان العربي الذى اعترفت به رسمياً وزارة الثقافة فى فرنسا

آدم حنين هو الفنان العربى الذى اعترفت به رسمياً وزارة الثقافة فى فرنسا. والفرنسيون ينفقون ميزانية ضخمة للمحافظة على المكانة العالمية للفن الفرنسى، وهم يعملون جاهدين للمحافظة على تقاليد «مدرسة باريس الفنية» التى كان من أقطابها المعروفين «بيكاسو» الأسبانى و «جياكوميتى» السويسرى و «شاجال» الروسى.. ثم الشاعر «بول ايلوار» الفرنسى... فمدرسة باريس تضم الفنانين الذين يعيشون فى باريس سواء كانوا فرنسيين أو أجانب.



وقد حصل آدم حنين على محترف (ورشة) مجهز للنحت قدمته إليه وزارة الثقافة فى فرنسا ، بعد أن بدأت أعماله تشق طريقها متميزة فى سياق الحركة الفنية بباريس .

المحترف الذى يعمل به لا يبعد سوى خطوات قليلة عن مسكنه على أطراف باريس .. انه واحد من مجموعة محترفات متجاورة اقامتها بلدية باريس للفنانين الذين تم الاعتراف بهم خلال السنوات العشر الماضية .. وهذه المجموعة أعدت خصيصاً للنحاتين ، جزء منه فى الهواء الطلق ، وجزء منه داخل واجهة زجاجية تسمح لنور النهار أن يغمر المكان ، وهو مزود برافعة (ونش) لتحريك الأدوات والأحجار الثقيلة .. أما مدخل المحترف ، فيضم ردهة استقبال وحجرة جانبية ليستريح فيها الفنان ، ثم شرفة ترتفع بضع درجات عن المحترف ، وهى تتيح للفنان رؤية أعماله من عدة زوايا .

طريق الفن

وآدم حنين الذى حقق هذا النجاح هو الفنان الذى عرفته مصر أولا .. ورسخت أقدامه فيها ، وحقق مكانة متميزة بين نحاتيها قبل أن يسافر إلى باريس عام ١٩٧١ .. لقد كان فناناً رائداً فى اتجاه « التعبيرية الاجتماعية » الذى ابتدعه خلال حقبة الخمسينات .

ولد الفنان بالقاهرة عام ١٩٢٩ .. وكان اسمه « صمويل هنرى حنين » . وقد تعرف على عالم التشكيل منذ طفولته ، فكانت أول وأهم حادثة فى

البندول الثابت : لوحة بالألوان المائية وأكاسيد على ورق بردى ، وهى ضمن مجموعة خاصة للفنان فى أمستردام بهولندا

حياته هى زيارة المتحف المصرى (الانتكخانة) مع مدرس التاريخ « زكى أفندى » خلال دراسته بالسنة الثانية الابتدائية بمدرسة التوفيق .. لقد بهرته هذه الزيارة ، وجذبته آثار المصريين القدماء ، ومخلفات الفراعنة ، وبالنسبة للفنان فهى زيارة لا تنسى .

ثم شاهد مدرس الأشغال « وهيب أفندى الياس » ، وهو يصنع تمثالا من « البلاستسين » فراح يرقبه بشغف ودهشة ليتعلم منه .

بعدها عمل تمثالا لرأس اخناتون من طين الصلصال ولونه عندما جف .. ولما رآه أبوه : أبدى اعجابه عمليا فعرضه فى « فاترينة » المحل الذى يملكه في حي الصاغة وسط المعروضات الأخرى من الفضيات ، ليشاهده المارة والزبائن .

وهكذا اختار « صموئيل » طريق الفن من وقت مبكر .

والتحق بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة عام ١٩٤٩ ليتخصص فى دراسة فن النحت ، وتخرج عام ١٩٥٣ بدرجة الامتياز مع مرتبة الشرف .. وقد اتاحت له سنوات الدراسة ان يتلقى التعاليم الاكاديمية على ايدى أساتذته من المثالين التقليديين ، وفى نفس الوقت لمس ثورة الفنان « جمال السجينى » على تلك التعاليم من أجل ادخال المذاهب الحديثة فى فن النحت ، حيث درس على يديه أيضاً .

بعد تخرجه التحق بمرسم الفنون الجميلة بالأقصر فى أقصى الصعيد لمدة عامين (١٩٥٤ — ١٩٥٦) وهو عبارة عن بعثة داخلية تقتصر عضويتها على المتفوقين عند التخرج . وكان هذا هو أول شكل من أشكال التفرغ عرف فى مصر .

هناك عاش الفنان بين آثار الفراعنة وأهالى « البر الغربى » بالقرب من الدير البحرى ووادى الملوك حيث حافظ الأهالى — بدرجة ما — على نفس نمط الحياة التى عاشها المصريون القدماء .. فى هذه البيئة الأصلية اكتملت شخصيته الفنية ، وأنتج مجموعة رائعة من التماثيل التى لا تنسى : « السر » — « انتظار الماء » — « الكيف » ... وغيرها .

من هذه البيئة استمد الفنان مقومات المرحلة الأولى في فنه فكانت أعماله هى امتداد واع ومتطور لقيم النحت الفرعونى ، ومعبرة بصدق رائع عن المرحلة التى عاشتها مصر فيما بين عامى ١٩٥٠ ، ١٩٥٦ .

وبعد أن انتهت اقامته فى مرسم الأقصر أصر على أن يتفرغ لفنه فى مواجهة اغراء الوظيفة الحكومية فيما عدا تدريس النحت بكلية الفنون الجميلة وهى المهنة الوحيدة التى كان يحلم بها ، حيث يستطيع أن يواصل الانتاج الفنى فى قلب معمل تفريخ الفنانين وفى بؤرة الحركة الفنية ، لكن العراقيل وقفت امامه تمنعه من تحقيق هذا الحلم ، فذهب الى سفح الهرم وأقام مرسمه هناك بالاشتراك مع زميله الرسام « ممدوح عمار » .. وهناك واصل المسيرة الشاقة فى دأب . بينما شبح الحاجة يهدده فكان يقول « اننى استغل فرصتى فى الانتاج الفنى قبل أن تهزمنى الحاجة ولا أجد الفرصة لتناول أدوات النحت » وفى عام ١٩٥٥ انجز تمثاله الرائع « الحرية » وهو موضوع حالياً فى متحف التعليم بوزارة التربية والتعليم بالقاهرة .. وقد اشترك بهذا التمثال فى مسابقة الانتاج الفنى ففاز بالجائزة الأولى على كبار الفنانين الذين خاضوا المسابقة وتناولوا نفس الموضوع . هذا التمثال هو المثال الناضج للمرحلة الأولى من فنه التى تستمد من الفن الفرعونى أروع قيمه التشكيلية والذى عبر به الفنان عن الأحداث فى ثورية واضحة ، وكان آخر تماثيل تلك الفترة هو تمثال « أم الشهيد » الذى عبر به عن أحداث ١٩٥٦ وهو لأم تحمل ابنها الشهيد على ركبتيها واضعة احدى يديها عليه وقابضة بالأخرى على بندقية ، وقد نفذ الفنان هذا التمثال بأسلوب بسيط معبر خال من الهتاف والميلودرامية التى كانت تنتشر فى الأعمال الفنية التي انجزت فى تلك الفترة .

مميزات المرحلة الأولى

لقد تميزت هذه المرحلة الأولى بميزتين واضحتين .. الأولى هى التطور بفن النحت من التعبير الخارج والساذج عن الأحداث .. ومن المواقف المسرحية الميلودرامية .. ومن بقايا القيود الأكاديمية والمدرسية فى التشكيل ، تلك القيود التى كان « السجينى » قد وجه إليها أولى الضربات .. الى التعبير المستتر الذكى عن الأحداث .. الى الديناميكية والحيوية الداخلية بعيداً عن الصخب والضجيج الشكلى المفتعل .. فكان أول من استخدم غير المباشر للتعبير عن الأحداث ، [illegible] تناول



تمثال وادى الملوك (١٩٧٤) وهو فخار زلطى ارتفاعه ٢٧ سنتيمتراً ، وأنتجه فى بلدة تيزيه بفرنسا

الأحداث الجارية منفعلا بها ومعبرا عنها فى عمق وصفاء .. واوضح مثال لهذه المميزات نراه فى تمثاله الخالد « أم الشهيد » الذى عبر به عن انفعالاته تجاه العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ .

أما الميزة الثانية فهى اضافته الجديدة لخامة النحت .. فقد استخدم خامة الفخار لأول مرة فى مصر لتشكيل التماثيل .. وقد كانت هذه الخامة تتفق تماماً مع أسلوبه الفنى فاضاف بذلك استخداماً جديداً لهذه الخامة كما أثرى عالم النحت بميدان جديد للتشكيل .. فقد وجد فى الفخار مخرجاً من خامة الجبس البيضاء الميتة والتى لا تستطيع الألوان أن تتغلب على همودها .. وكانت هذه الخامة تمثل مزيداً من الالتصاق ببيئتنا المحلية التى تناولها فى موضوعات هذه المرحلة الأولى من فنه .

وعندما أقام معرضه الشامل فى أوائل عام ١٩٥٦ بالقاهرة ، قال النقاد رأيهم وقدمه كبار الفنانين باعجاب كبير ، وأثار هذا المعرض الكثير من المناقشات .

قدمه المثال الراحل أحمد عثمان قال : « المثال صموئيل هنرى هو ركن هام من مجموعة الفنانين الشبان الذين آمنوا برسالة الفن وعبروا عن مشاعرهم أصدق تعبير فاخرجوا لوناً جديداً من الانتاج الفنى الرائع الذى يتسم بطابعه المصرى .. الافريقى .. الانسانى . ان أعماله تربط الحاضر بالماضى وتتميز بطابعها المحلى الذاتى .. بالبحث والاستنباط . لقد اختط الفنان طريقه السليم نحو فن مصرى حديث بلغ فيه مرتبة كبيرة من التفاعل مع البيئة » .

كما كتب الناقد ارتين ماريل « ان صموئيل هنرى يعطى أعظم برهان على صدق موهبته . وهو يعترف بأنه قد نظر وعانى سحر النحت المصرى القديم ولكن لم يستمر فى الخضوع لتأثيره ، فإن علاقته بالحياة الشعبية المصرية هى التى اتاحت له أن يعكس ما يدور حوله .. وهو يحقق ذلك بسيطرة وعيه على الاحتياجات العميقة التى يحملها داخله .. ان هذه الأعمال ليست « بدايات » تبشر بالخير ، ولكنها أعمال متكاملة تماماً » .

المرحلة الثانية

واستمر الفنان فى هذه المرحلة حتى عام ١٩٥٧ ، عندما سافر الى مدينة ميونيخ بالمانيا الاتحادية فى منحة دراسية لمدة عامين ، عاد منها عام ١٩٥٩ بعد أن درس فن النحت على يدى البروفيسور « انتونى هيلر » .

لقد تطلع الفنان بعد أن نضجت شخصيته واكتملت معالمها ، الى الانطلاق لرحاب الفن العالمى ، وفى هذه المنحة أقام عدة معارض لأعماله وراح يتابع التيارات الحديثة التى كانت تندفع فى مجرى الحياة الفنية بعنف .

وقع الفنان فى صراع مع نفسه وبدأ يلتقط بعض



لقطة تذكارية مع أصدقاء الفنان - من اليمين الفنان العراقي ضياء العزاوي ، يليه الفنان المغربي محمد المليجي ، ثم صاحب قاعة معرض (فيك ٨٠) وضاح فارس .. ويبدو الفنان آدم حنين (على يسار الصورة)

القيم التجريدية ويهضمها ليمزجها بفنه ، وهكذا أكتسب خبرات جديدة وبدأ يتطور بفنه حتى لا يتجمد عند حدود معينة مسترشداً في كل هذا بالصدق في التعبير والرغبة في تجنب التحرك في دائرة مفرغة يدور فيها حول نفسه .

وهكذا بدأ يتحول شيئاً فشيئاً الى اعلاء القيمة الشكلية في عمله على القيمة الموضوعية معتمداً على الامكانيات الصناعية التي اتيحت له هناك في ميونيخ مقر منحته الدراسية ، وهكذا اتجه الفنان الى تجريب أساليب جديدة في التشكيل حتى يقترب بأعماله من الاتجاه التجريدي الذي شاهده طاغياً هناك وراح يجرب خامات لم يطرقها من قبل كالبرونز والخشب وغيرهما .. كل هذا في محاولة لتحقيق العالمية في فنه .

وفعلا انتقل تمثاله « الفارس الصغير » الى متحف الفن الحديث بلندن وهو من أعماله في مرحلة الانتقال التي مر بها الفنان . انه تمثال صغير لصبي فلاح يركب جاموسة .

ولكن هذه المرحلة من الانتقال لم تتمخض عن شيء سوى انها اكسبته خبرات جديدة اضافت الى فنه اضافات لم يصل بها الفنان الى نهايتها . فقط طعمت اتجاهه الخاص بهذه الخبرات .. وهكذا لم يتبلور ذلك الخط الذي بدأه الفنان وذلك بسبب عودته الى مصر .

وبعد عودته تحقق حلم حياته وعين مدرساً مساعداً بقسم النحت الذي تخرج فيه قبل ذلك بسنوات ، ولكنه لم يلبث سوى شهرين ثم انطلق هارباً بعد أن قدم استقالته ، ذلك أن الحلم تحقق بعد فوات الأوان وبعد أن اتسعت أحلام الفنان وراح يصبو الى التفرغ الكامل لفنه ، ولم يطق جو كلية الفنون الجميلة الذي أصبح غريباً عليها بعد أن تشوهت الصورة الذهنية التي كانت مرتسمة عنده عنها .

واشتغل عام ١٩٦١ كرسام صحفي في مجلة صباح الخير لمدة عشرة أشهر ، محتفظاً بشخصيته المتميزة ، لكنه لم يطق هذا العمل ولا أي عمل يقطع استغراقه في النحت .. في ذلك الوقت عرض عليه وزير الزراعة وقتها الدكتور عبد الرزاق صدقي أن يعينه بالمتحف الزراعي حيث يستطيع التفرغ بدرجة من الدرجات لفنه ، ولكنه رفض ذلك أيضاً . وبعد محاولات عديدة حصل الفنان على منحة التفرغ للانتاج الفني على نفقة الدولة .

محاولة للهروب

هاجر « صموئيل هنري » الى النوبة ، ترك أضواء القاهرة وزحامها وصراعاتها ليعيش بين سكان النوبة القديمة نفس حياتهم .. واشترى منزلا وراح ينحت « عصافيره » ويرسم لوحاته هناك .

ولم تكن هذه أول مرة يتجه فيها الفنان الى منطقة بكر بعيداً عن الأضواء وجو الريبة الذي يحيط دوما بالمثقفين .. فقد سبقه « جوجان » الذي هجر باريس وسافر الى جزر « تاهيتي » ليعيش بين أهلها نفس حياتهم ويسجل في لوحاته حياة الفطرة والبداوة .. وكذلك فعل فان جوخ عندما عاش بين الفلاحين وعمال المناجم : وهناك أمثلة أخرى لفنانين هجروا بيئاتهم ليعايشوا بيئات أكثر أصالة ، ولكن في كل حالة تختلف الدوافع .

أعلن الفنان : « ان صموئيل هنري قد مات ! ولم يتبق منه سوى برعم صغير بالكاد يتنفس ويعيش .. ان هذا البرعم الضعيف الهش من الممكن أن ينمو ويترعرع .. » .

وفي النوبة اختار الفنان اسمه الجديد « آدم حنين » .. في تلك الفترة تعرف على شريكة حياته التي ارتبطت بهذا البرعم وايقنت انه سيكون دوحة شامخة .. فكرست حياتها من أجله ورافقته في أعصب مراحل حياته . مخففة عنه ومشجعة اياه .

ولم يكف آدم عن النحت . ولكن في محاولة للهروب من كل ما سبق ليعيش في سكينة بين أحضان الفطرة . مستغرقاً في صياغة تماثيله التي اعتبرها بداية جديدة لمرحلة فنية قطعت كل علاقة لها بالمراحل السابقة .

لقد حصل الفنان على منحة التفرغ للانتاج الفني لمدة عام سنة ١٩٦٠ .. ثم تجددت عام ١٩٦٣ وظلت تتجدد كل عام حتى ١٩٦٩ .

وفي عام ١٩٦٥ غادر النوبة مع أهلها عند تهجيرهم قبل أن تغطي المنطقة مياه بحيرة ناصر . وانتقل الى الاقامة في جزيرة « الفنتين » بأسوان متابعاً خطته في الابتعاد بأقصى ما يستطيع عن ضوضاء القاهرة وقسوتها .

ولكنه عاد الى القاهرة حيث عين مستشاراً فنياً بدار التحرير للطبع والنشر (دار جريدة الجمهورية) لمدة عشرة أشهر عام ١٩٧١ .. ثم سافر الى باريس مع معرض مصري أقيم هناك وكان مشاركا فيه .. وقد باع أحد تماثيله التي شارك بها في هذا المعرض فقرر الاقامة الدائمة في باريس كفنان محترف .

وللفنان أربعة تماثيل برونزية وخامس من الجبس اقتنتها وزارة الثقافة في مصر ، وله ثلاث قطع أخرى من مقتنيات متحف الفن الحديث بالقاهرة أهمها تمثال « البومه » الذي نفذه عام ١٩٦٥ وهناك تمثال « حامل القدور » من البرونز ١٩٦٠ في حديقة النحت الدولية بمدينة دالاس في تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية . هذا بخلاف تمثال الحمار الذي ثبته الفنان الراحل رمسيس ويصا واصف في قرية الفن بالحرانية بالجيزة .

ومن أعماله المعمارية نحت من الخزف الملون عن الموسيقى على واجهة مدينة الفنون بالهرم قام بتنفيذه عام ١٩٦١ .. كما ينتصب أمام مبنى مؤسسة الأهرام بالقاهرة أحد طيوره مفرود الجناحين وقد نفذه من معدن البرونز .

جرانيت من الفخار

وخلال اقامته في باريس تحول فنه من





من الأعمال الهامة للفنان آدم حنين

زجاجة ماء الزهر .. لوحة للفنان بالألوان المائية والأكاسيد المعالجة على ورق البردى

الأسلوب التعبيرى الاجتماعى الى مرحلة تجريدية حيث أقام مجموعة من التماثيل بخامة الفخار الزلطى ، وقد عاونه فى تنفيذ هذه الخامة السيد « دانييل » ببلدة « تيزيه » بفرنسا .

لقد اجريا ابحاثاً على الفخار واقاما أفراناً لحرقه فى بلدة تيزيه .. كان آدم حنين يفتقد خامات النحت المصرى .. فأراد أن يحقق ما يعوضها .. كان هدفه هنا مختلفاً عن هدفه عندما أقام تماثيله فى الأقصر من خامة الفخار .. الأولى كانت اقترابا من الخامة الشعبية النبيلة الحية ، ولكنه فى المرة الثانية كان يريد أن يحصل على بديل للجرانيت والبازلت والشيست والديوريت ... وامثالها من أحجار التماثيل الفرعونية ..

وقد عرض نتائج هذه الأبحاث فى « جالارى الجامعة » خلال شهر مايو عام ١٩٧٥ ، كانت تماثيله من الفخار الزلطى الذى تعرض لدرجات حرارة تصل الى ١٣٠٠ درجة مئوية .. وكأنه يعيد تأثير العوامل الطبيعية التى أوجدت الأحجار النارية فى صحراء مصر الشرقية .. كانت تماثيله خشنة الملمس سوداء يشع من مسامها بريق معدنى ، ذات أشكال تجريدية واسماء مصرية : « وادى الملوك » ـ « الماسة » ـ « جزيرة الحمام » ..

وقد احتفل الفرنسيون بهذه التجربة وكتب الناقد ايرى ماريل دراسة عن أعماله يقول فيها :

« التصوير مثل النحت ، كلاهما وسيلتان لنقل الأفكار والمشاعر ، وتكمن قوة هذه الوسائل فى أنها تستخدم اللغة الدولية الوحيدة ، لأن أى انسان فى العالم عندما يرى اللوحة أو التمثال يستوعب دلالته .

رغم ذلك فهناك بعض الصعوبات لأن أى فنان يتأثر بعادات وأساطير بلده ، ويبذل جهداً كبيراً ليخرج من المحلية الى العالمية ، وباستمرار عمله ينجح فى النهاية فى توصيل أفكاره عن طريق هذه اللغة المشتركة ، وهو ما تعجز عنه اللغات العادية .

ان آدم حنين يجسد تجسيداً كاملا هذا الفنان الذى يرتبط ارتباطاً وثيقاً بماضيه وفى نفس الوقت يفهم بعمق العصر الحاضر ، انه فنان يرغمك على أن تتأمل أعماله طويلا ..

كان ذلك فى متحف « جاليرا » فى أكتوبر عام ١٩٧١ ، عندما رأينا نماذج من نحت هذا الفنان للمرة الأولى فى اطار معرض « ملامح من الفن المصرى المعاصر » ، وقد كشف عن مقدرته الكامنة فى احساسه بالحاضر وارتكازه بعمق على أصالة الماضى ..

بمناسبة هذا المعرض جاء الفنان الى باريس .. ومن ذلك التاريخ قرر الاقامة بها .. وقد تابعنا عمله باهتمام كبير ، ليس فقط لأنه استطاع أن يحفظ نفس نزعة الحداثة « المودرنزم » الزائفة . بل أيضاً لأنه يصنع أعماله الفنية ويجمل حديقته بهدوء فى صمت ومثابرة ..

كنا قد رأينا فى متحف جاليرا تماثيله النحتية المسماه « الرجل والسمكة » و « العصفور » و « الصقر » و « البومة » .. وكانت كلها تشهد على موهبته وخبراته السابقة . انها تكثف المشاعر ، وهى عملية لا يمكن بدونها أن يكون للفن حضور انفعالى حقيقى .

ومع ذلك نكتشف فى بناء منحوتاته شكلا من أشكال المنطق الداخلى الذى يعمل على انتزاع قشرة الأسلوب أو النزعة الشكلية الزائفة ، أو الاقتصار على الشكل والأسلوب فقط .. اننا عندما ننظر الى



الليل والنهار .. كما عبر عنه النحات بأسلوبه المتميز

منحوتات آدم حنين تقفز على الفور فى اذهاننا صورة النحت الفرعونى كما نراه فى اللوفر ، تمثال الكاتب المصرى الجالس القرفصاء مثلا ... اننا إذا أردنا أن نحدد آدم حنين فهو فنان معاصر ، استطاع أن يعيد الصلة المفقودة مع الماضى ، وان يعمل على محو الزمن بتحويل ذلك الماضى الى حاضر أبدى ، وخلال أعماله كلها استطاع — بشكل مبهر — أن يحصل على روح أرض خصبة على الدوام .

على هذا النحو تطور فنه وتطور أسلوبه ، ولن تستطيع أن تقتنع بذلك الا عندما ترى تمثاله « وادى الملوك » المفرط فى أسلوبه السهل الممتع ، المسرف فى غموضه وشاعريته ، انه أيضاً يسيطر عليه احساس معمارى سام وخالص .. مطبوع بقوة رفيعة ، انها نفس القوة التى تكتشفها متألقة فى فنون المصريين القدماء » .

* * *

هذا وقد أقام الفنان عام ١٩٨٠ تمثالا ضخماً اسمه « الطائر » فى حديقة الاكاديمية المصرية للفنون الجميلة فى روما ، ويزن أربعة أطنان وهو من رخام منطقة « كرارا » النقى .

وقد أقام الفنان ١٦ معرضاً خاصاً لأعماله منذ عام ١٩٥٦ حتى الآن فى القاهرة والاسكندرية وموناكو وعدة مدن فرنسية أخرى وفى يوغوسلافيا وامستردام والرباط وروما .. كما شارك فى عدد كبير من المعارض العالمية ، بينما تنتشر أعماله فى المجموعات الخاصة بالولايات المتحدة وكندا والمانيا الاتحادية وفرنسا ومصر والمغرب .

الرسوم والبرديات

فى باريس لا يستطيع أى فنان أن يبدع أعماله الفنية ويعرضها ويقوم بالدعاية لها ثم يبيعها ... بمفرده ... عليه أن يعتمد على المتخصصين فى إقامة المعارض والدعاية والبيع والا لن يجد الوقت الكافى لينتج أعماله .

وفى باريس رجل أعمال مصرى يستثمر جانباً من أمواله فى تجارة التحف والأعمال الفنية .. يتصل به سماسرة الفنون ويخبرونه أن لديهم لوحة لفان جوخ أو عملا لجوجان أو سيزان أو رينوار أو أمثالهم من أساتذة الفن المشهورين ويحددون الثمن المطلوب فى هذا العمل .. فيشتريها الرجل .. وبعد فترة يتصل به أحدهم ويخبره أن لديه مشتريا لتلك اللوحة مستعدا ان يدفع فيها ثمناً مناسباً فيقبل أو يرفض طالبا ثمناً أفضل .. وهكذا يستثمر الرجل جانباً من أمواله فى هذه التجارة التى دخلتها البنوك الكبرى .

هذا الرجل أحب أعمال آدم حنين من بين أعمال جميع الفنانين المصريين الذين يعرضون أعمالهم فى باريس على مدى السنوات العشرين الماضية .. ولفت أنظار سماسرة الفن إليها .. واشترى من آدم حنين بعضها .. فبدأوا يعرضونها فى « الجالاريهات » أى محلات بيع اللوحات والتماثيل الفنية .. وهكذا دخلت أعماله دائرة الضوء .

ولقد ظل الفنان أكثر من سبع سنوات مقيماً فى باريس قبل أن يحصل على محترفه المجهز للنحت ، وكان عليه أن يلبى طلبات الجالاريهات



وبعد معارضه بينما هو يعيش في مسكن ضيق .. وفيما عدا الفترة التى قام خلالها بتجاربه على الفخار الزلطى مع الفرنسى « دانييل » في بلدة « تيزيه » بفرنسا ، كان انتاج أعمال النحت مسألة متعذرة للغاية .. ولهذا اتجه الى الرسم مبتدئا بفن الجرافيك وطباعة الرسوم بالشاشة الحريرية .. ثم اكتشف الحرير اليابانى الذى يشبه في كثير من خصائصه أوراق البردى المصرية .. ورسم عليه مجموعة كبيرة من اللوحات .. ثم راح يزور مصر مرة أو مرتين كل عام ويحصل على أوراق البردى من الدكتور حسن رجب صاحب معهد البردى على نيل الجيزة ..

واحتفل الفرنسيون احتفالا كبيراً ببرديات آدم حنين حتى شغلته الى حد كبير عن انتاج تماثيله المنحوته وعُرف الفنان العربى ونال شهرته من خلال بردياته .

ولم يكن هذا هو أول عهده بالرسم .. ففى معرضه ببيت السنارى بالقاهرة عام ١٩٦٦ تحت اسم « حصاد ٤ سنوات تفرغ » عرض ثمانى لوحات مرسومة بأسلوب « الرسم الحائطى » (الفرسك) .

وفى باريس اقام « وضاح فارس » العراقى قاعة لعرض أعمال الفنانين العرب في شارع الجامعة حيث تعاقد على تسويق أعمال خمسة فنانين عرب اثنين من لبنان وعراقى ومغربى ومصرى هو آدم حنين .. وفارس يهتم برسوم الفنان المصرى على البردى أكثر من اهتمامه بتماثيله .. ان أصالة الخامة وخصوصيتها المرتبطة بمصر دون بقية بلاد العالم تدفع الناس الى البحث عن جالارى فارس لمشاهدة « البرديات المعاصرة » بعد مشاهدة برديات مصر الفرعونية في متحف اللوفر .

ويقول ناقد جريدة الهيرالد تريبيون عن هذه الرسوم :

« .... علينا ان نتذكر دائماً ان آدم حنين نحات حتى عندما نتحدث عن رسومه . لأن تعامله مع العالم يبدأ بالاحساس باللمس والوعى بالكتلة .. ان رسومه تعبر عن نفس الاهتمام باللمس المادى الذى يظهر في لوحاته .. وهو أمر يثير الدهشة ، فعندما نتأمل لوحاته لا نجد فيها التعبير عن العمق أى المنظور ولكننا نجد بدلا من ذلك توازنا صامتا كالذى تتميز به تماثيله ، حتى يمكننا القول انه يحول مجسماته الى تشكيلات ملونة على ورق البردى .

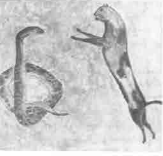
لهذا يمكن القول أن لوحات آدم حنين تنبثق من الصمت وبسبب الدفء المشع من لوحاته فإن هناك تشابها بينها وبين الموسيقى ..

يرسم آدم حنين على أوراق البردى بألوان طبيعية (أكاسيد) .. الألوان دافئة مع ملمس محسوس وشكل ذى كثافة مقبولة . بدلا من الشفافية ، وهذا يرتبط بأساليب الفنون القديمة عند قدماء المصريين وفى الايقونات المصرية . لكن النتيجة معاصرة .. ومع هذا تبدو وكأنها قادمة من عالم آخر ، وهى تنجح في نقل وهج سرور الانسان الرقيق والحميم بالحياة ... » .

بينما يكتب ناقد آخر عن رسومه على الحرير اليابانى فيقول :

« ... ان لوحاته المرسومة بالألوان المائية تظهر الوجه الآخر لحساسيته الفنية . فهو يستخدم بتوفيق نادر الحرير اليابانى ، وبذلك استطاع آدم حنين أن يخلق جواً مليئاً بالنقاوة . ومفهومه للملمس والرقة والشعر . تخلقه نغمات رقيقة بالألوان : الوردى والأزرق والأخضر والأصفر (أربعة ألوان) وهى تشكل في مجموعها العلامات الرمزية بمصر القديمة حيث : الرسم معنى . انها أدوات عمله التى تنطلق كالحروف الهيروغليفية مكونة شخصيات في مجموعها : أو ملامح وجوه نفذت وفق منهج جماليات المصريين القدماء . وغالبا ما يستعير شكل الزورق أو العصافير .. مع خليط من المواكب السابحة في النهر المتعددة المجاديف ذات الشراع الطويل الذى ينطلق في الفضاء كى يعود الى أهل النيل .. وخليط من مراكب الشمس .. وصور أسماك أسطورية تحددت في خطوط هندسية ، ونباتات تخترق الفضاء وكأنها آتية من أساطير بعيدة ..

ان الطابع العام في الخطوط هو الرقة والنعومة ، والاحلام تفتح أبواب عالمها الذى يصبح عالماً سيريالياً خيالياً (فانتازيا) وهو انعكاس لخيال الفنان ولا شعوره ، حيث يختلط الماضى بالحاضر ويجعلنا نتعرف على شخصية آدم حنين كفنان أصيل جاء من بلاد النيل ومع ذلك يتجاوز كل الحدود ليبدو واحداً من الفنانين المعاصرين » .


لوحة القط والحية .. مرسومة بألوان «الفرسك» وهذا النوع يرسمه الفنان على الحائط مباشرة

حوار مع آدم

أحياناً ما تلقى كلمات الفنان ضوءاً أفضل على أعماله من كل كلمات النقاد .. ورغم ان آدم حنين من الفنانين المقلين جداً في الكلام ، الا أنه تحدث باقتضاب عن حياته وفنه قال :

ــ بعد فترة الطفولة والصبا تأثرت بكل ما شاهدته ، بما في ذلك أعمال التراث والأوانى والأدوات .. وهناك تجربة رمسيس ويصا واصف في قرية الحرانية التى اطلعتنى على قدرات الانسان بالنسبة للفن وامكانيات خروجها بشكل رائع .

ــ أحب عمل الى قلبى من التراث القديم هو تمثال الملك خفرع في دار الآثار بالقاهرة المصنوع من حجر الديوريت .. أما الفن الأوربى فتعجبنى أعمال هنرى مور ثم ماريتو ماريني ثم مايول . وكل منهم يخاطب جانباً منى .

اما من الفنانين المصريين فإننى أحب تمثال « الخماسين » لمحمود مختار وتمثال « البطة » لعبد البديع عبد الحى وهو من الجرانيت .

ــ ليس هناك مذهب فنى أفضله ، وأنا لا اتبع مذهباً فنياً كما لا أحب الارتباط بأحد المذاهب الفنية ... وفى نفس الوقت ارى أن جميع هذه المذاهب تفيدنى .

ــ أهم العلامات في تاريخ فن النحت المصرى هى العلامة التى وضعها محمود مختار وترجع قيمتها الى أنها جاءت في وقت كان هناك أساتذة أوربيون مسيطرون ، وقدرة مختار على ملاحظة الفن الفرعونى ربما تكون أهم ما في أعمال محمود مختار .. اما العلامة الثانية فهى الأساليب التى استوردها جمال السجينى ومنها الرمزية .. لقد طرحت مجموعة من التساؤلات على جيلنا .. وفعلا خرجنا بسببها من عباءة محمود مختار .

ــ الجماعة الفنية ضرورية لحماية فكر الفنان .. وهى تنتشر في الفترات التى يكون فيها ازدهار فنى ، أى انتاج فنى ومعارض متتالية .. وأنا أقصد بالازدهار الازدهار الثقافى .

صبحى الشارونى

في انتظار اللقاء

شعر: حسن توفيق



في انتظار اللقاء احيا حياتي
كل ليل مؤرق الامنيات
أرهف السمع ظامئا في ظلام
مُشرَع النصل غادر الخطوات
واراني فدىً لعينيك اخطو
في متاهات حيرةٍ يا حياتي
ربما تاتين انبثاقا لحلم
مقمر كالحنان حلو الصفات
فتعودُ الطيورُ من كل منفى
منشدات على الربى اغنياتي
وتمسُّ القلوبَ نايات حبٍّ
ويذيبُ الغناءُ ثلج الشتات

★★★

ربما الشهدُ يستعادُ بوصلك
بعد أنْ ذقتُ اللسع من سرب نحلك
ربما يشرقُ الصباحُ .. وفيه
يتلاقى اهلُ الشتات باهلك
ربما تاتي موجةٌ تحتويني
ثم تلقينني ضاحكا فوق رملك
نافضا همَّ المستبدُّ بروحي
موقظا بالحنين اشجار فُلّك
باحثا عن وجوه صحبي القدامى
في مدى الزيتون السخيّ بظلّك
في مدى عينيك اللتين تقودا
ن حياتي إلى اهازيج سهلك

★★★

آهِ من ربما .. وحلم تَعلَّقْ
بين اهدابي خاشيا ان يُمزَّقْ
فانتظارُ اللقاءِ باتَ ثقيلاً
والرؤى غامتْ في فراغٍ مُطوَّقْ
اوقدَ القلبُ نارَه فتلظّتْ
في كياني وها هو البابُ مُغلَقْ
والغيومُ التي استقرتْ بروحي
أسلمتني لوحشةٍ تتعمَّقْ
فاكشفي ـ يا اميرتي ـ عن زمانٍ
يحضنُ الحلمَ .. عَلَّه .. يتحقَّقْ
واحملي قلبي للديارِ التي لم
تَنْسَ وجهي ولم تزلْ تتشوَّقْ



صورة لبيت ـ متحف ديكنز ، ٤٨ شارع داوتي .

غرفة المعيشة في ، داوتي ، حيث كان ديكنز يقرأ أمام المدفأة

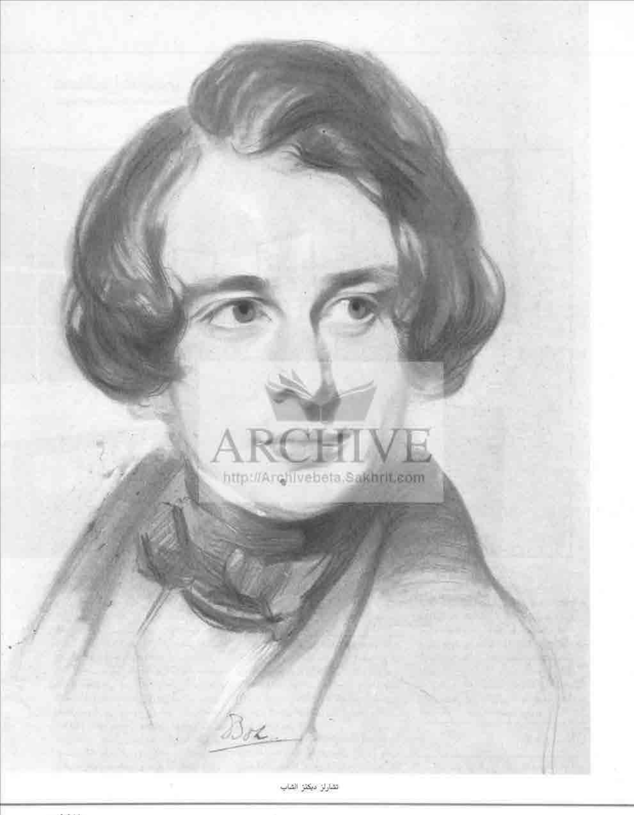
رسالة لندن من : مجدي نصيف

"الدوحة" في بيت ديكنز بالعاصمة الإنجليزية

قصة المنزل التاريخي الذي بدأت فيه الشهرة وانتهت السعادة!

أنصار ديكنز يقاومون هدم المنزل ويفرضون تحويله إلى متحف عالمي

في عام ١٩٢٢ ، أصبح منزل تشارلز ديكنز ، في شارع داوتي ، مهدداً بالإزالة ، غير أن أعضاء ، رابطة أصدقاء تشارلز ديكنز ، أصروا على شراء المنزل والحفاظ عليه كمتحف وكمكتبة يؤمها كل محبيه ودارسي أدبه . وبالفعل افتتح المنزل الذي أصبح متحفاً للزيارة في عام ١٩٢٥ ، وعهد بإدارته الى ، لجنة أمناء ، تضم بعض أعضاء الرابطة ، بالإضافة الى ، مجلس مدينة لندن الكبرى ، . ومنذ الاعلان عن انشاء هذا المتحف التاريخي ، وهو يتلقى هدايا قيمة أهمها مجموعة الكونت والكونتيسة دى سوزانيت التي تضم مخطوطات ولوحات عظيمة القيمة لديكنز . أما مكتبة المتحف فقد تكونت أساساً من مجموعة الكتب التي أهداها بعض محبي ديكنز للمتحف .



تشارلز ديكنز الشاب



في هذه الغرفة كان ديكنز يكتب أعماله الأولى

ورابطة أصدقاء ديكنز هي نموذج للجماعات التي تنشأ للمحافظة على تراث أحد الأدباء أو الفنانين ، وهي نموذج يحتذى . ولا أعرف لماذا لا تنشأ مثل هذه الجماعات من محبي أدبائنا وفنانينا ؟ أعلم أن هناك جماعات رسمية مسجلة ، لكن لا أحد يعرف ماذا تفعل . فرابطة أصدقاء تشارلز ديكنز هي التي كافحت حتى أقامت هذا المتحف الذي اتخذه ديكنز من قبل منزلا له . وهي تصدر مجلة ربع سنوية ، تعيد نشر أعماله كما تنشر لكتبه وأدبه . ويقتنيها كل من يهوى أدب تشارلز ديكنز أو يدرسه . والرابطة تقوم الى جانب ذلك بضم كل محبي الأديب الانجليزي وعقد ندوات وجلسات . وتجمع كل أعماله وآثاره للحفاظ عليها .

البداية في داوتي

كانت مشكلة تشارلز ديكنز أكبر أديب كتب بالانجليزية ـ بعد شكسبير ـ أنه لا يستطيع أن يرد أحداً ، فلم يقل « كلا » أبداً . لذا فعندما توقعت عائلته وعائلة زوجته « كيث » ، وصول طفله الأول : قررت العائلتان « الانقضاض الجماعي » على منزله الصغير الذي كان في « فرينيفال » آنذاك . وضاق المنزل بمن فيه .

آنذاك قرر ديكنز الانتقال الى معشوقته ، مدينة لندن العاصمة . بعد ولادة الطفل الأول ، ذهب وزوجته الى بيتهما الصغير في « كنت » ، وهي من أجمل مناطق بريطانيا حتى يومنا هذا ، وكانا قد قضيا هناك شهر العسل ، حتى تسترد « كيث » صحتها بعد الولادة . كانت تصحبهما « ماري » أخت « كيث » التي كانت تقيم معهما ، آنذاك . وبينما هم يقيمون هناك ، كان السماسرة قد بدأوا في البحث عن بيت في لندن ليقيم فيه ديكنز بصورة دائمة .

ووقتها كان تشارلز ديكنز في الخامسة والعشرين من عمره ، وكان قد بدأ في نشر حلقات كتابه الأول « مذكرات السيد بيكويك » .

٤٨ شارع داوتي

كان هذا هو عنوان المنزل الذي وقع تشارلز ديكنز في غرامه والذي بدأ فيه صعود سلم الشهرة :

ونشر أثناء اقامته به باكورة أعماله العظيمة : « مذكرات السيد بيكويك » وسرعان ما تلاه رواية « أوليفر تويست » فنال تلك الشهرة في فترة قصيرة . هي الفترة التي قضاها في شارع داوتي فلقد انتقل إليه في الأسبوع الأول من ابريل عام ١٨٢٧ .

والبيت الذي أصبح « متحف ديكنز » بعد ذلك ، هو بيت كبير يتكون من ١٢ حجرة ومن ثلاثة طوابق ، وهو مبنى بالطوب الوردي ، وله حديقة صغيرة وبوابة بيضاء . أما شارع داوتي نفسه فقد كان آنذاك من أرقى شوارع لندن ، واسع ممهد ، طلق الهواء ، له بوابتان ، واحدة في أوله والثانية في آخره ، يغلقهما كل ليلة حارس أنيق الملبس . قالوا عن هذا الشارع « إنه ليس شارعاً عاماً تمر به العربات التي تهز الأرض ، لكنه شارع هادىء جداً عائلي جداً ، وخاص جداً ، شارع يليق بالكاتب الذي أصاب شهرة كبيرة ، ويتميز بالهدوء الذي يمكنه من العمل المتواصل . ولقد كان ايجار هذا المنزل الكبير ثمانين جنيهاً استرلينياً في السنة .

وبدأ الزوجان الشابان في تأثيثه كأول منزل عائلي يملكانه ، إذ لم تكن غرف « فرينيفال » مؤثثة كما يجب ، حتى أن الناقد الأمريكي ناث ويليس قال عندما زاره هناك « تعجبت جداً لرؤيتي غرفة معيشة الكاتب الانجليزي الذي يعد بمستقبل مشرق ، فهي لا تزيد عن مقعدين ومنضدة يكتب عليها وبعض الكتب » .

ولكن من أين كان بالمال الذي أعد به البيت ؟

من الناشر بنتلي بطبيعة الحال ، الذي كان قد بدأ في نشر كتابيه الأولين على حلقات ، فقد طلب منه مائة جنيه مقدماً ، من حساب « أوليفر تويست » كتابه الثاني ، والذي كان « بنتلي » قد بدأ بالفعل نشره على حلقات .

وسرعان ما امتلأت غرف البيت الكبير ، بالأثاث ، والأقارب معاً ، فقد أتى أخوه « فريد » ليقيم معه في نفس المنزل . وكثيراً ما كانت أخته ليتيا ، وخطيبها الكاتب هنري أوستن ، صديق ديكنز الحميم ، يزورانه في بعض الأمسيات طامعين في أن يقرأ لهما ما انتهى من كتابته ، قبل أن تلتهمه المطبعة .

ولقد عاش ديكنز أسعد أيام حياته في « ٤٨ شارع داوتي » ، عاش عامين وكأنهما قصة ألفها هو نفسه . ولم يكن يريد من الحياة أكثر من ذلك : المال والشهرة ومحبة الأقارب والأصدقاء .

نهاية الاقامة بالبيت

ولقد كان العشاء الفاخر الذي أقامه ديكنز في إحدى أمسيات نهاية العام التالي ، هو واحد من آخر مشاهد ذلك المنزل الكبير . دعا إليه « بنتلي » الناشر وجون ديكنز والد تشارلز ، وجورج هوجارت الكاتب ووالد « كيث » زوجته ، وبالطبع كانت هناك ماري الصغيرة أخت كيث ، وكذلك كاثرين أخت زوجته الكبرى . كانت ليلة سعيدة ، وانتهز تشارلز الفرصة ليثبت إجادته الغناء الكوميدي ، قدر إجادته الكتابة ، ثم ليؤكد لهم موهبته في التمثيل ، وتقليد الممثلين ، وتصاعدت الضحكات والتعليقات . كان الوقت قد تجاوز منتصف الليل عندما إستاذن « بنتلي » في الرحيل .

كان وراء هذه السعادة الجمة النجاح الباهر الذي حققه ديكنز ، بعد صدور حلقات « السيد بيكويك » و « أوليفر تويست » ، وليتحول من مجرد « صحفي مبتدىء واعد » الى أكثر الكتاب إثارة وشهرة ، فهو مبدع شخصيتي « بيكويك » و « تويست » ، ويعيش في بيت جميل مع زوجته وأختها الصغيرة ، وطفله الأول .

ولكن بعد أسبوع واحد من تلك الليلة التاريخية في حياته تأتي نهاية القصة السعيدة في « ٤٨ شارع داوتي » . في الأسبوع التالي اصطحب تشارلز ديكنز زوجته وأختها الصغرى « ماري » وأخاه « فريد » الى المسرح ، وعاد الجميع وهم يطلقون التعليقات والضحكات . وفي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل أطفئت الأنوار ، وذهب الجميع الى غرف نومهم . ولم تمر دقائق حتى سمعت صرخة مدوية من غرفة « ماري » .

كانت « ماري » ، أخت كيث الصغرى قد انتقلت للاقامة معهما منذ كانا في « فرينيفال » . وكانت ماري هذه فتاة جميلة ، وكان الجميع يحبونها ، وعلى الأخص تشارلز ديكنز .

وعندئذ أسرع تشارلز ديكنز وخلفه « كيث » يستطلعان الأمر ، بينما ذهب « فريد » لإحضار الطبيب . لكن عندما حضر الطبيب كانت ماري قد فارقت الحياة وهي بين ذراعي ديكنز .

ولقد كتب ديكنز عن هذا الحادث يقول :
« لم تظهر عليها أية أعراض للمرض ، حتى اللحظات الأخيرة من حياتها . وماتت في هدوء شديد ، ولم يشعر أحد بذلك ، حتى أنا الذي كنت ألف ذراعي حول جسدها الرقيق ، وظللت هكذا حتى الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم التالي . وقيل لنا إنها نوبة قلبية . ولكن ماذا يفيد ذلك الآن ؟ لقد ذهبت وتركت فراغاً لا يستطيع أحد أن يشغله » .

كان أكثر المشاهد تأثيراً ، عندما أخذ ديكنز خاتماً من أصبع يد الفتاة الراحلة ليضعه في أصبعه هو ، وليظل معه حتى وفاته .

ولقد حزن تشارلز ديكنز على الفتاة ، ولازمه هذا الحزن طوال حياته . وفي إحدى رواياته وجد متنفساً للتعبير عن مشاعره وحزنه .

ولم يطق تشارلز وكيث الحياة في هذا البيت بعد وفاة ماري ، لحظة أخرى ، فقد كان كل ركن من أركانه يذكرهما بها ، فقررا الرحيل الى مزرعتهما الصغيرة في هامستد . وهناك لم يستطع ديكنز أن يكتب كلمة واحدة . انقطع الكاتب الكبير ــ بسبب الحزن ــ عن الكتابة ، لأول وآخر مرة في حياته .

ولكن ديكنز لم يمكث كثيراً في هامستد ، وانتقل الى منزل جديد في « ١٠ شارع ديفو نشاير » ، وترك منزل « شارع داوتي » الى غير رجعة . وكان البيت الجديد أكبر وأفخم ، عاش فيه ديكنز معظم أيام حياته مع زوجته كيث وأولاده التسعة ، وكتب فيه أعظم أعماله الأدبية . واذا كان « منزل فرينيفال » هو بداية الطريق ، ومنزل « داوتي ستريت » هو بداية المجد والشهرة ، فإن منزل « ديفو نشاير » هو بقية حياته الأدبية الغنية .

البيت ــ المتحف

وعندما فكر أصدقاء ديكنز في « الرابطة » في تخليد ذكراه لم يجدوا أمامهم غير « بيت شارع داوتي » ذلك أن « بيت فرينيفال » و « بيت ديفو نشاير » هدما لتحل محلهما مبان شاهقة حديثة لكن « بيت شارع داوتي » لم يبق كما كان أيام ديكنز ، فقد أزيلت البوابتان في طرفي الشارع ، وذهب الحارس الأنيق . ولم تعد الحياة فيه « هادئة عائلية » كما كانت ، كما أن الثمانين جنيهاً التي كان يدفعها كإيجار لكل البيت ، لم تعد كافية لدفع ايجار سنة ، بل ولا حتى ايجار يوم واحد في « شارع داوتي » ، لكنه كان لاشك أنسب مكان لإقامة متحف ، فهو أول بيت عائلي يسكنه ديكنز مع كيث ، ومازال ــ تقريباً ــ كما كان عليه في أيامه ، لم تتغير من معالمه الكثير ، والأهم من ذلك كله أنه مازال يحتفظ بملامح هامة جداً في حياة ديكنز ، واذا تجولت خلاله ، يمكنك أن تعرف الكثير عن حياة الكاتب الكبير ، فهذا البيت ظهرت فيه عبقريته ، وفيه بدأ ديكنز أكبر الكتاب والأدباء الانجليز حياته الأدبية ، والعائلية ، وهنا ذاعت شهرته .

مجدي نصيف



بقلم: أحمد العناني

لكى يكون القارىء مرافقاً حسناً لهذه المسيرة العاجلة عبر تاريخنا أود التذكير بأن نهاية القرن الثالث عشر الميلادى شهدت نجاة مصر والشام من عدوان الصليبيين والتتار ، وعاد البلدان يفيدان كثيراً من عطايا التجارة وأصبحا الموئل الناشط للحضارة الاسلامية ، لكن الأمر لم يدم سوى قرنين من الزمان ، حيث حدث حادثان خطيران للغاية أحدهما استيلاء الأتراك العثمانيين على سوريا ومصر والعراق والحجاز واليمن وامتداد ذراعهم البحرية أيضاً الى بلدان الشمال الأفريقى التى كانت تعانى من الزحوف الصليبية وغارات رجال الشمال الهمج من النورمانيين .

ولم تكن الكارثة الوحيدة هي ضياع الأندلس كما يتصور البعض . ولكن شيئاً أكبر من ذلك كان يتم . فلقد سقطت صقلية وضاعت حضارة الإسلام فيها وسقط الساحل الايطالى الغربى ، وغاب الوجود الاسلامى عن سائر جزر الجانب الغربى من البحر المتوسط فيما ضاع العديد من مدن المغرب . ولولا نجدات المتطوعين البحريين المستبسلين . والنصر العظيم الذى أحرزه مسلمو شمال أفريقيا فى معركة وادى المخازن لمضت فتوح الصليبيين تتغلغل الى عمق الوجود الاسلامى فى شمال أفريقيا .

ولما عجز الأوروبيون عن كسر ذلك الطوق التركى المصرى السورى المغربى تحولوا بأنشطتهم البحرية الى المحيط الاطلسى . وذلك هو الحادث الجلل الثانى . فقد وصل البرتغاليون الى قوم آمنين سذج من مسلمى شرقى أفريقيا وعمان . فلم يكتفوا بفشلهم فى إدراك الخطر الذى يداهمهم ، ولكنهم أعانوا أولئك الواغلين بحسن نية ودلوهم على الوسائل الملاحية والمعلومات الجغرافية والفنية وجداول الرياح الموسمية ووصف الطرق البحرية حتى الهند : وما لبث البرتغاليون ومن تبعهم من ألوف القراصنة والمغامرين الأوروبيين أن استولوا على سائر المواقع التجارية الإسلامية بين بحر العرب والهند ، وبين عمان والهند ، وبين شرقى أفريقيا والخليج وبين هذه جميعاً وجزر الهند الشرقية والملايو.. ولم تتمكن القوى البحرية المصرية ومعها بعض القادة المتحمسين من الأتراك أن تؤمن شيئاً أكثر من إغلاق البحر الأحمر فى وجوه المعتدين الأوروبيين . أما تجارة المسلمين الدولية فقد ضاعت وضاع معها الثراء الذى كان يرفد معاهد العلم وجهود العلماء وبلغ حال المسلمين الدرك الأسفل من الفقر والجهل والتأخر ، وتوقفت حركة الفكر المبدع خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، وانهار مع السياسة المتخذلة البناء الثقافى للأمة ، وأصبح اشتغال الناس فى أكثره بالسير الشعبية الأسطورية المبالغة ، وبالكلام المسجوع المحشو بالمحسنات البديعية والخارج عن موضوعية التعبير والأداء .. وبالتالى انحطت الثقافة وانحط كل شيء ..

هؤلاء المؤرخون

ومن العجيب أنه حتى فى حلكة تلك الظلمات

المتراكبة كان هناك مؤرخون لهم فضل كبير ، في الوقت الذى كان يطوى فيه علم الإسلام عن الأندلس وجزر البحر المتوسط كان هناك مؤرخون من طراز أبي المحاسن ابن تغرى بردى ، وعلي بن داود الجوهرى ، وشمس الدين السخاوى وجلال الدين السيوطي وسائر هؤلاء ظهروا بمصر قبيل دخول الأتراك العثمانيين إليها .

ولابد من الاشارة الى ما يمكن تسميته بالمدرسة اليمانية في تدوين التاريخ ، ومن أشهر روادها الخزرجي ، وابن الدنيع (١٥٣٣ م) ، ويصعب التمييز بين هذه المدرسة ومدرسة المؤرخين المصريين الذين عاصروهم .. ولاشك بأن الاهتمام بتاريخ الخليج على ضوء نهضة هذه المنطقة سوف يميط اللثام عن الذين ساهموا في التأريخ للفترة السوداء الحرجة للغزو البرتغالي خلال القرن السادس عشر كالنهروالي وحتى ابن ماجد العالم البحار الذى ضمن أحد مؤلفاته وصفاً لغدر البرتغاليين ووحشيتهم في صحار وخور فكان ومسقط .. وفيما عدا ابن ماجد لا نجد مع الأسف أحداً من أبناء المنطقة كتب شيئاً عن أحداث تلك الفترة لأسباب لا مجال للخوض فيها الآن ..

ولعل القارىء قد لاحظ أنني كنت وما أزال أتحاشى التفصيل في شئون ما يمكن تسميته بالتأليف « المعجمي » أو سمه « الموسوعي » اذا شئت ، وكذلك في التواريخ الخاصة بالمدن كتاريخ غرناطة للسان الدين بن الخطيب ، وتاريخ حلب للقاضي كمال الدين ومعاجم التراجم كابن خلكان ومؤلفاته في هذا الباب ، وابن شاكر الكتبي وخليل بن أيبك الصفدى .. بل إن مجرد الاشارة الى هؤلاء في الحقيقة رجوع من الزمن الذى انتهينا إليه وهو القرن السادس عشر للميلاد الموافق للقرن العاشر الهجرى ، وما ذلك إلا لأن التاريخ المعجمي أو الموسوعي يشكل دنيا متكاملة في تاريخ الجهد الاسلامي لتنظيم المعرفة وحفظها وتيسير الوصول إليها .

كل ذلك كما أسلفت القول كان سابقاً للهيمنة التركية على بلدان الشرق الأدنى والجزيرة العربية ، وسابقاً أيضاً لحالة الفقر التى بدأت تلقى ظلالها الكثيفة السواد على العالم الاسلامي نتيجة سقوط طرقه التجارية ، وأشهر موانئه ومنافذه البحرية للصليبيين . ومهما يكن من شيء فإن تأليف المعاجم والموسوعات إنما هو دليل الإدراك العميق لقيمة القراءة والمعرفة وتيسير الحصول عليها ، وليس ذلك بدليل على الحيوية الذهنية المتطورة بأصالتها نحو الابداع .. لقد أصبح العالم الإسلامي الكبير



عبد الرحمن الجبرتي

وكأنما هو جسد ضخم يضخ الدم فيه قلب مجهد ، ففيه حياة ولكنها حياة واهنة مكدودة .

ومن حيث كاد ينتهي الكاتبون بالعربية من مهمتهم بدأ نشاط كبير في المناطق المرتدة عن العربية الى لغات الشعوب كالمغولية والفارسية والتركية وقد احتلت سير الأولياء والدراويش مساحة كبيرة من اهتمام كتاب المغول والأتراك بخاصة ..

اللغة والعلم

وليس من شك في أن انتحال الأتراك صفة الخلافة الإسلامية ، وتوليهم الحكم في سائر البلاد العربية فيما هم يستخدمون في دواوينهم لغتهم التركية ، قد أدى الى ضعف العربية لمزاحمة التركية لها ، واللغة تتبع العلم كما هو معروف .

ويقتضينا الحق أن نقرر أن هناك فرقاً كبيراً بين المرحلة الأولى من السيادة التركية والمراحل التى تلتها . فالفاتحون الأولون من الأتراك كانوا يعتبرون اتقان العربية عملا مقدسا ، وكان كتابهم يستنكفون عن الكتابة بسواها ، وذلك واضح تماماً في مؤلفات البركوى المتوفى عام (٩٨٠هـ) ومؤلفات أبي السعود والدارى وملاخسرو والخيالي وخوجه زاده وحاجي خليفة وغيرهم ، وفي كتابات هؤلاء ومعاجمهم ثراء للمكتبة العربية والمراجع التاريخية ، لكن ذلك التوجه الاسلامي كان عرضة لعوامل ضعف الدولة فكان لذلك يضمر فيها بمرور الأيام الى أن أصبحت التركية هي لغة الدولة والثقافة في الدولة العثمانية ، فتراجعت العربية

وهزلت ووصلت أدنى دركات التعبير الصناعي ، وصار هم المتأدبين بالعربية نظم الشعر الحسابي ونظم الأحاجي وحديث المجالس التافهة وما إلى ذلك من أغراض اللغو والتبطل واللهو ..

لكن الرياض التى تصل حالة الازدهار والروعة ، مهما تجدب لاحقاً ويذبل زهرها فإنها لا تخلو من زهرة هنا وأخرى هناك .. وقد تكون هذه زهرات ضخمة ، فكأنما هي بالنجاة بالمعاناة كالبشر تزكو على الآلام والشدائد .

الجبرتي والمقرى

من هذه الزهرات الباقية المؤرخ المصرى المشهور عبد الرحمن الجبرتي المتوفى عام ١٨٢٢ للميلاد (١٢٢٧ هـ) ، والمؤرخ المغربي المقري التلمساني المتوفى عام ١٠٤١ هـ (١٦٣٢ م) الذى يعتبر تاريخه عن الأندلس من أهم مصادرنا حالياً عن الفترة الأخيرة من الوجود الإسلامي في شبه جزيرة ايبريا . وبالرغم من التفاوت الزمني الواضح بين المؤرخين المصرى والمغربي لكنهما يمثلان مدرسة واحدة . فمن حيث الشكل نجد التعبير واهناً متراخياً ركيكاً فكأنه يمثل آخر مراحل انحدار الفصحى الى العامية ، أما السجع والمحسنات البديعية فذلك شيء كثير .. ولاشك أن أسلوب الجبرتي أوضح في هذه النواحي من أسلوب المقرى الذى سبقه بمئتي سنة لكنه ظهر في وضع متضعضع في المغرب كما كانت مصر مضعضعة أيضاً من بعد ..

والواقع أن أهمية المقرى والجبرتي تنحصر في أنهما كتبا في فترتين يصعب أن تجد كثيرين يدونون خلالهما من جراء الظروف الضاغطة ، ويمتاز الجبرتي بملاحظة أمور تبدو في ظاهرها بسيطة ، لكنها في الواقع عميقة الدلالة . إن الجبرتي يعكس الأحوال البائسة لتدهور الحركة العلمية في مصر وبالتالي في كل ما حولها .. ويصف الصراع الدامي بين طلبة المذاهب الأربعة على خلافات يسيرة من فقه السنة ، كما يصف أحوال البؤس في كثير من مظاهر الحياة الشعبية المصرية .

ويلاحظ أن هبوط المستوى اللغوى يؤثر تأثيراً كبيراً في السرد التاريخي ، فالمؤرخ سواء أكان ممن يعتبرون التاريخ علماً محضاً أم علماً في محتواه وأدباً في تعبيره ، يحتاج الى الاقتدار اللغوى .

وعلى الرغم من النهضة العظيمة التى أصابتها الحياة الأدبية العربية في نهضتها الراهنة ، والتى بدأت اشعاعاتها في الاتضاح منذ بداية هذا القرن ، إلا أن هذه النهضة لم تجد لها أي تعبير قوى في مجال التأليف التاريخي العربي ..

علي حسن

التراث الفلسطيني في لوحات الفنان عبد الرحمن المزين

المقاومة من أجل السلام



الفنان الفلسطيني عبد الرحمن المزين

- من قطر خرجت رسوماتي إلى العالم العربي
- ارساء دعائم الفن التشكيلي الفلسطيني تم على يد: اسماعيل شموط وزوجته تمام الأكحل
- الخط العربي ليس تراثنا الوحيد

ذكريات البداية دائماً في القلب ، طالما أننا لم نحد عن الطريق ، وعبد الرحمن المزين مازال في الطريق يبحث عن الوطن المحاصر ، يسعى إليه ، وهو يعرف جيداً أن المستحيل ربما يتلاشى أمام استمرار الارادة ، واستمرار العطاء واستمرار البحث .

والفنان التشكيلي عبد الرحمن المزين معروف على صعيد الوطن العربي ، وفي قطر بشكل خاص ، ومع ذلك كان لابد من سؤاله عن البدايات ، فلقد أردنا الحوار شاملا .. والخطوة الأولى غالباً ما تكون هي القياس الحقيقي لتقييم التجربة بموضوعية وانصاف .

البداية ــ يقول عبد الرحمن المزين ــ لم تكن بدخولي كلية الفنون الجميلة وحصولي على شهادات أكاديمية ، بل كانت في ذلك اللقاء الأول مع الجمهور في دولة قطر .

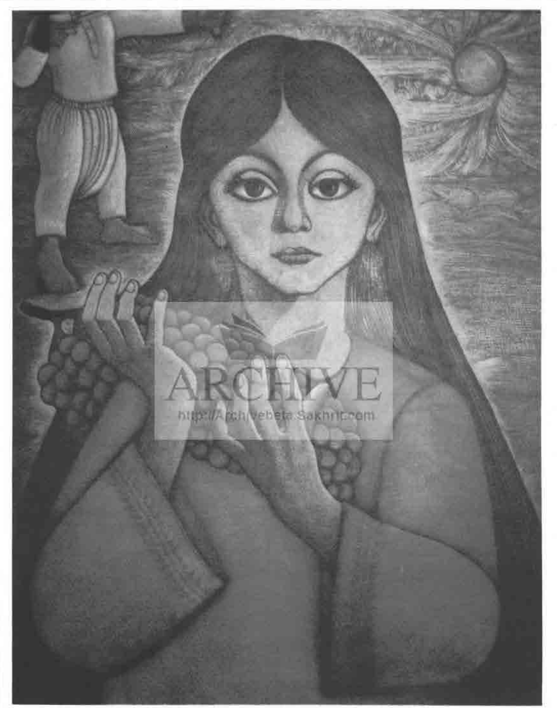
في قطر كان أول معارضي ، ومنها خرجت رسوماتي الى الوطن العربي .

الحنين إلى الوطن

تجربتي الفنية تبدأ مع الحركة التشكيلية الفلسطينية في مرحلتها الثانية ، فهذه الحركة يمكن تقسيمها الى مراحل ثلاث ، تمتد الأولى في الفترة ما بين ١٩٤٨ حتى ١٩٦٥ ، وقد أطلقت عليها مرحلة « فن النكبة » .

• هل يمكن أن تستعرض لنا ملامح هذه الفترة أو المرحلة ؟

ــ تتميز هذه المرحلة بأن موضوعاتها مستمدة من مخيمات التشرد والضياع ، فيها موضوعات الحنين إلى الوطن والبيت ، وهي مرحلة اقتصرت الأعمال فيها على فن التصوير الزيتي وبعض فنون الرسم الأخرى ويبدو فن التصوير الزيتي بوضوح في أعمال الفنان اسماعيل شموط وتمام الأكحل ، ولابد



وجه من الأرض المحتلة

من الاشارة الى أن الأعمال في تلك الفترة كانت قوية مما ساعد على تكوين بدايات الحركة التشكيلية الفلسطينية . فهذه المرحلة جاءت قوية بحيث ساعدت على تكوين مدرسة للأجيال التى جاءت فيما بعد ، ويعتبر اسماعيل شموط وزوجته تمام الأكحل أصحاب الفضل الكبير في إرساء دعائم الحركة التشكيلية الفلسطينية بشكل عام وفن التصوير الزيتي بشكل خاص .

• لابد أن لكل بداية نقاط ضعف أو بعض السلبيات التى ترافقها . كيف ترى تلك السلبيات لمرحلة البداية ؟

ـ من سلبيات تلك المرحلة إهمال فن النحت والحفر ، وإن كان قد ظهر في نهايتها بعض البدايات القوية للفنان مصطفى الحلاج ، إلا أنه يعتبر من فنانى المرحلة الثانية .

الشخصية المعاصرة

• هذا يقودنا للحديث عن المرحلة الثانية ؟

ـ المرحلة الثانية تبدأ من عام ١٩٦٥ إلى عام ١٩٨٢ ، وهى من أغنى مراحل الفن التشكيلي الفلسطينى المعاصر ، وقد اطلقت عليها اسم « فن الثورة » ، لأنها المرحلة التى تبلورت فيها شخصية الفن التشكيلي الفلسطينى المعاصر ، وذلك يعود لعدة عوامل أهمها كثرة عدد الدارسين والخريجيين من الأكاديميات والمعاهد الفنية ووجود المؤسسات الوطنية الواعية التى احتضنت هؤلاء الفنانين ومدتهم بالخامات وكافة الوسائل التى يحتاجونها وولادة الاتحاد العام للفنانين التشكيليين الفلسطينيين .

وقد اتسمت هذه المرحلة بملامح أساسية أعطت لها الهوية المميزة . من أهم هذه الملامح موضوع واحد وهو القضية الفلسطينية مهما كان بعد الموضوعات التى أصبحت تصب في قالب واحد ، سواء كان رسم الشهيد أو المعارك البطولية أو العمليات الفدائية الجريئة أو عمليات القمع داخل الأرض المحتلة .

الرمز كان واضحاً في هذه المرحلة وكان في اتجاهين هما : الرمز التراثي ، والرمز السياسي ـ والواقع أن الرمز التراثي هو أخطر الرموز لأنه يمثل الهوية ، ومن يريد تناوله فإن عليه معالجته بوعي تام أساسه المعرفة بهذا التراث تجنباً للخطأ ، وبعبارة أوضح فإن من يتناول هذا الرمز يتوجب عليه أن يقدم رموزاً تراثية ميثولوجية تاريخية لربط الماضى بالحاضر وتحقيق الهدف من توظيف الرمز .

أما الرمز السياسى فيتعلق بأعمال المناسبات (معركة الكرامة) مثلا وفيه كثير من الصعوبة ولابد من فهم طبيعته وخط الثورة ومستقبلها وطموحاتها ، وهناك العديد من الفنانين الذين استخدموا هذه الرسوم في أعمالهم .

من ملامح المرحلة الثانية أيضاً الالتزام ، وقد كان الالتزام سمة جميع الفنانين الفلسطينيين والالتزام هنا لا يعنى ظهور « الدبابة » و « الرشاش » في اللوحات لنقول ان صاحبها ملتزم ، بل يعنى التعبير عن مطالب الجماهير ومطالب المجتمع الذى يعيش الفنان فيه بشكل عام .

كما تميزت مرحلة « فن الثورة » بأن الفنان الفلسطينى انتشر خلالها عبر « المطبوع » سواء اللوحة التي يطلقون عليها اسم « الملصق » أو « البطاقة » أو « الرزنامة السنوية » .

وفي حين نمت الحركات التشكيلية العربية داخل حدود كل قطر فإن الحركة التشكيلية الفلسطينية نمت في أماكن تجمعات الفلسطينيين ، وهى مرحلة امتازت بأعمال الفنانين في جميع المجالات (التصوير ، النحت ، السراميك ، الحفر) .

فن ما بعد الحصار

المرحلة الثالثة هى « مرحلة فن ما بعد الحصار » أو « مرحلة فن الجداريات » وهى مرحلة هامة جداً وأحداثها كبيرة جداً لأن الثورة تعرضت فيها لمؤامرات ومذابح خصوصاً في صبرا وشاتيلا وحصار بيروت . هذه الأحداث لم تكن عادية ، ومن الصعب على الانسان أن يعبر عنها في مساحة صغيرة ، فالشحنة كانت كبيرة وتحتاج لنوع من الأعمال الدرامية التى لا تقتصر على فن التمثيل فقط ، إنما هى موجودة في الفن التشكيلي أيضا وهى تحتاج إلى مساحات كبيرة وإن كان هناك صعوبة في هذا النوع من الأعمال الذى مازال مقصوراً على عدد قليل جداً لأن من شروطه توافر ملكة الابداع الفنى والتمكن من الخطوط والألوان ومن السيطرة أيضاً على الفراغ الكبير وعدم جعل اللوحة « كبانوه » تزيينى .

• هذا يعنى أن هذه المرحلة لن تشمل سوى رسامى الجداريات ؟ .

ـ نعم ، وقد أكون مخطئاً في ذلك ، لكننى أقول أنه من لم يكن من رسامى الجداريات فإنه لن يكون من فنانى هذه المرحلة .

تجربة الفنان

• إذن بعد استعراض مراحل الحركة التشكيلية الفلسطينية .. أين هو عبد الرحمن المزين منها وما هى معالم تجربته الخاصة ؟

ـ تجربتى تدخل في المرحلة الثانية والثالثة . اذ أعتبر نفسي من مؤسسي مرحلة « فن الثورة » وهناك فنانون برزوا في هذه المرحلة وكانوا رواداً لها أذكر منهم « مصطفى الحلاج ومحمد المزين وشفيق رضوان » . أما في الداخل فهناك ، سليمان منصور ونجيل عنانى وكامل المغني وبشير صنوار وعصام بدر وعبد العابدين ، وقد ظهروا خلال فترة السبعينات .

وتجربتى مع هذه المرحلة بدأت خلال وجودى في قطر حين كلفت من الثورة بأن أعد أعمالا تعبر عن انطلاقة الثورة الفلسطينية ، وفيها قدمت أهم أعمالي كالجزء الأول من أعمال العمليات الفدائية وأول ملصق عن الكرامة وكانت هذه الملصقات تعلق على الجدارن في قطر كما كانت « بطاقات المعايدة » لدى الشباب في المدارس بطاقات من الثورة الفلسطينية .

التجربة مع المسرح

• هل كانت لك تجارب مع المسرح الفلسطيني ؟

ـ نعم .. وهى الأخرى كانت في قطر ومن ثم انطلقت الى الخليج العربى ، ومعظم المطبوعات التى نفذتها عددها لا يقل عن ١٨ ملصقاً و ٢٤ مطبوعة في الفترة ما بين ١٩٦٧ و ١٩٧١ كانت في قطر . عام ١٩٧١ تابعت دراساتي العليا ، وهنا أختلف مسارى الفنى حيث بدأت أبحث عن التراث الفلسطيني وأبحث في الميثولوجيا والتاريخ الفلسطينى حتى أستطيع أكون أرضية فكرية ذات مدلول في العمل التشكيلي الثورى .

وكانت رسالتي هى « الفن التشكيلي الفلسطينى القديم » حتى ألم بأساسيات الفن التشكيلي الفلسطينى ومن ثم انطلق لما هو معاصر .

توظيف التراث

• كيف تلخص تجربتك في عملية توظيف التراث في العمل الفنى ؟

ـ بدأت عملية توظيف التراث في العمل الفنى منذ سنة ١٩٧١ ، وتجلت أعمالى أكثر وضوحاً عام ١٩٧٤ ، وفي هذه الفترة سيطر على أعمالى العامل الميثولوجى أو الوحدات الأسطورية والوحدات الأثرية بشكل عام وبدأت أربط بين الوحدات التاريخية أو التراثية وبين الوحدات الثورية أو الموضوع الثورى سنة ١٩٧٦ ، وفي السنة التى تلتها تبلورت بعض الأعمال وأصبحت أكثر وضوحاً ، وقد كان اقبال الجماهير عليها خير دليل على صحة هذه التجربة ، اضافة للجوائز التى حصلت عليها على هذا الأسلوب ومنها جائزة الشراع الذهبى في بينالي الكويت للفنانين التشكيليين العرب عام ١٩٧٩ ثم الجائزة التقديرية في بينالي الكويت ايضاً سنة ١٩٨١ وشهادة جائزة النقاد والصحفيين التشكيليين أيضاً .

• خضت تجربة رسم الجداريات ، إلى أى مدى استطعت التقدم فيها وما هى رؤيتك الخاصة لهذه التجربة ؟



الأمل والمستقبل

ـ بدأت هذه التجربة سنة ١٩٨٢ وهى تجربة ليست جديدة بالنسبة لي لكن الموضوع وشكله والحدث جاء في فترة كنت أعمل خلالها على توظيف التراث في العمل الفني ، فاضطررت أيضاً إلى توظيف التراث في المذبحة وفي عملية الحصار وفي الخروج ، وحتى في المقاومة داخل الأراضي المحتلة . وأنا الآن أعد لجدارية اسمها « حرب الحجارة » أعبر فيها عن الداخل والخارج .

لقد حاولت خلال مسيرتي الفنية ان أقدم تجربة من نوع أن يكون هناك لوحة فلسطينية تصلح للصالة المغلقة كأصل تعرضها . وتصلح أيضاً خارج الصالة المغلقة بعد أن تطبع ولا تفقد قيمتها الفنية . فهناك نوعان من الفن ، نوع اسمه ملصق ونوع اسمه لوحة تعرض في الصالة المغلقة ، وهناك ملصق يصمم لعرضه خارج الصالة لحاجات الشركات والمصالح الاقتصادية ويخدم مصالح الشركة أو الشركات العالمية في أوروبا ، والأساتذة الأوائل في أكاديميات الفنون بالوطن العربي الذين تعلمنا على أيديهم تعلموا في أوروبا وجاءوا بهذا القانون ، وهو أن اللوحة تتكون من البضاعة المعلن عنها ، كشكل وعبارة مكتوبة تتضمن اسم الشركة أو البضاعة المعلن عنها،أى أن الملصق يتكون من شكل مرسوم وكتابة أو حروف تدل على الشكل ، والاثنين لا نستطيع أن نفصلهما عن بعضهما ولذا فان تطبيق هذا القانون يعبر عن آمال وطموحات الشعب العربي . وبالتالى بدأوا يضعون الجندى أو الفدائى مكان البضاعة المعلنة واسم الشركة استبدلوه بشعار وطنى أو بيان سياسى .

وقد حاولت أن أقدم شيئاً ، لخلق عمل تشكيلي يعيش داخل الصالة المغلقة كعمل أصل وآخر مطبوع يعيش خارج الصالة المغلقة بالأسلوب أو القانون الذى وضع في أوروبا الغربية .

هذه التجربة امتدت من سنة ١٩٧٧ وحتى الآن ، وأنا أركز حالياً على عمل لوحة ثورية ملتزمة تعيش داخل الصالة المغلقة وخارجها .

• تحدثنا عن تجربتك مع المسرح ثم انتقلنا لموضوعات أخرى . هل لنا أن نكمل الحديث عن تلك التجربة ؟

ـ كما ذكرت تجربتى مع المسرح « مسرح الثورة الفلسطينية » كان أرض قطر وأذكر من المسرحيات التى صممت ديكوراتها « شعب لن يموت » و « الطريق » و « مشاهد فلسطينية » المسؤولون في قطر قدموا لنا مساعدات كبيرة وهذا ليس جديداً عليهم ، منحونا أجازات لمدة شهر وأرسلونا الى دولة الامارات وقدموا لنا عدداً من موظفى الدولة لمساعدتنا ، وهنا أسجل أن بدايات المسرح الفلسطينى ولدت في قطر .

• وبالنسبة للصحافة ؟

ـ أيضاً تجربتى مع الصحافة ولدت في قطر حيث رسمت أول غلاف لمجلة العروبة ورسمت ثانى غلاف لمجلة الدوحة وامتد عملى معها لأكثر من سنة ، وكان أول مقال فنى أكاديمى لي في أول عدد من مجلة العروبة .

• مارأيك في عملية توظيف واستغلال طاقات الحرف العربي في اللوحات التشكيلية ؟

ـ الحرف العربى لا يشكل الهوية للفن التشكيلى العربى ، بعض الفنانين العرب كان لهم اجتهاداتهم وكان لهم تطلعاتهم باتجاه الثقافة التشكيلية العالمية ، نحن لسنا ضد الثقافة العالمية التشكيلية ، لكننا ضد أن نكون جزءاً من هذه الثقافة ، ونحن مع أن يكون لنا دور في هذه الثقافة ، وهذا الدور لن يتأتى إلا اذا عبرنا عما يحيط بنا وعن تطلعات جماهيرنا .

لاشك اننا نستطيع أخذ « التكنيك » المتقدم للثقافة العالمية ، ولكن لا نستطيع أن نأخذ الأسلوب . فلابد أن يكون لنا أسلوبنا الذى نضيفه للثقافة العالمية .

المطلوب من التشكيليين العرب أن يضيفوا ، البعض أخذ من التراث ، ولكن أغلبهم التزم في تجربة واحدة وهى الخط ، لماذا هذا الاتجاه للخط؟ وهل التراث هو الخط فقط !؟

أنا أرى في الخط عبارة عن يافطة وتحريكا للحروف بحيث تأخذ توازنا لونيا ، لا أعتقد أننى أتجنى ، لكن لدى طموح . فلقد بدأت أنحى نحو هذه التجربة وأعتبر نفسي في بدايتها ، وفي أعمالى الجديدة الآن أوظف الخط ضمنا مفرداً تشكيلياً ، والخط يمكن أن أضيفه إلى جانب مفردات أخرى ميثولوجية مثلا وأطرحه ضمن التراث الفلسطينى مكان وحدة هندسية أو زخرفية بحيث لا يغير في الشكل النهائى .

على حسن

من روائع الفن العالمي

بقلم: جمال قطب

فتاة من الجزائر

في قاعات العرض الشهيرة المنتشرة في ربوع العواصم الغربية ، نرى عالماً مثيراً من روائع الفن الشرقي : تحفاً نادرة من التراث العربي الاسلامي لا ندرى كيف حصلوا عليها ، ولوحات يتفاوت تقييمها حسب مكانة الفنان وعراقة المكان وبعد الزمان ، كما نجد لوحات أخرى مقلدة لا تخطئها العين الخبيرة المدربة ، بالرغم من أنها تتسم بالمهارة الحرفية مما يضعها في عداد الفنون المبهرة والبصريات المثالية .. وبين هذا وذاك نرى بعض المعروضات الغثة التي لا تصل الى مرتبة الأعمال ذات القيمة الفنية ، وهكذا تعددت الأساليب واختلفت القدرات ، ولكنها توحدت في مضامينها وموضوعاتها عن حياة الشرق بمظاهره الآسرة التي تلهب خيال الفنان وتثير وجدانه بإيحاءاتها الملهمة .

وفي مواسم السياحة الصيفية ، تتألق هذه المعارض ، حيث تقام فيها المزادات وتنصب لها المواكب والمهرجانات وسط مظاهر الدعاية الذكية التي تروج لهذه المعروضات الشرقية .. وغالباً ما يكون الرواد والمشترون منا ـ نحن الشرقيين ـ لما لهذا الطابع الشرقي من وقع تراثي وروحي في نفوسنا !

وفي السنوات الأخيرة وصلت الأثمان الى أرقام خيالية .. وبقدر ما يغالي أصحاب المعروضات في تقييمها ، بقدر ما يزداد الإقبال عليها من الموسرين والهواة وتجار التحف .. لأنها تجارة رائجة تتضاعف أرباحها عاماً بعد عام ، وبذلك ظهر نوع جديد من الاستثمار بتداول التحف الفنية في الأسواق العالمية ..

وتربعت العاصمة البريطانية على عرش اللوحات الشرقية متمركزة في كثير من المحلات الشهيرة مثل (المتحف جالاري) ، (سوذبي) و (كريستي) و (ميجور أوكشان هاوس) ... وغيرها . وجميعها تهتم في المقام الأول بالأعمال الفنية الشرقية التي رسمها فنانون غربيون أو مستشرقون أو مستعربون في القرنين الماضيين .

وقد أطلق على هذا النوع من الفن الاسم العالمي الشهير Orientalism ، وتزخر المكتبات العالمية بالعديد من الكتب التي تتناول الأعمال الشرقية بالدراسة والتحليل والتقييم .. ويجمع معظم المؤرخين على أن الطابع الشرقي قد بدأ جلياً في أعمال الفنانين الغربيين منذ الفنان العالمي الفرنسي (ديلاكروا) .. وحتى (ماتيس) . أي أنهم يركزون على القرن التاسع عشر بصفة خاصة ، ولكن الاهتمام بالطابع الشرقي قد بدأ في الحقيقية قبل ذلك بكثير . فبعد سقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣ وانتقال الامبراطورية الرومانية الى ايطاليا ، بلغ هذا التأثير في أوروبا حداً كبيراً في فنون عصر النهضة .. كما رأيناه في أعمال فناني بلاد الشمال وبخاصة هولندا .. ويذكر التاريخ أن (رمبرانت) ـ وهو أعظم فناني هولندا ، كان له فضل الريادة في هذا الاتجاه الذي يستوحي سحر الشرق وفتنته وزخارفه المميزة في أعماله ، وكان لنشر (ألف ليلة وليلة) و (رباعيات الخيام) وغيرهما من كتب التراث ، مفعوله السحري الذي ألهب مشاعر الفنانين العالميين وأطلق جموح خيالاتهم ، فألبسوا واقعنا الشرقي أثواباً من الخيال السابح في أطياف الجمال والشاعرية ، وتوافدوا تباعاً على بلادنا حيث عكفوا على تسجيل حياتنا وتقاليدنا وآثارنا وتراثنا .

وكونت رحلاتهم الى بلاد الشرق ظاهرة استشراقية ، مما أضفى على فنونهم طابعها المميز واسمها العالمي الشهير . وما إن حل القرن التاسع عشر ، حتى أصبح الفنانون في شتى أنحاء الأرض يتوقون الى زيارة بلادنا العربية والاسلامية عامة .. وإن حظيت القاهرة ـ بالذات ـ بالنصيب الأوفر من إبداعات هؤلاء الفنانين ، وذلك لأسباب كثيرة ، كان من أهمها : الحملة الفرنسية وانجازاتها العلمية والفنية وبخاصة موسوعة (وصف مصر) وملاحقها المصورة المثيرة .

ومن ناحية أخرى ، فقد وجد الفنانون في مصر بغيتهم في شتى الحضارات والآثار التي خلفتها تراكمات الحقبات التاريخية المتتابعة ، بجانب طابعها العربي الاسلامي الأصيل الذي أكسب الحياة المصرية آنذاك سمات مميزة .

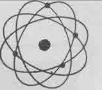
ومن هؤلاء الفنانين ، برزت أسماء كبيرة من أمثال (لويس) الذي برع في رسم السيدات ، و (كيلي) وقد تخصص في رسم الصحارى والقوافل وحياة البدو ، و (جيروم) وقد أثارت خيالاته قصص الجواري والأساطير وفاتنات التاريخ الفرعوني . و (أوسبورن) حيث تألق في رسم مناظر النيل وأشرعة السفن على صفحة الماء وانعكاسات الشفق وألوان الغروب . و (لودفيج) الذي اشتهر بتسجيل المهرجانات الشعبية والعادات والتقاليد المتوارثة ورسم المساجد والعمائر ذات الطابع الاسلامي بزخارفه المعجزة . و (هولمان هانت) ويكاد أن يكون متخصصاً في رسم المناظر الريفية ذات الطابع الرومانسي الجميل .

أما الأساطين الكبار من أمثال (ديلاكروا) (رينوار) و (مانيه) .. بجانب العديد من الفنانين الفرنسيين الآخرين ، فقد استهوتهم بلاد المغرب العربي ولاسيما الجزائر .. وكانت بطبيعة الحال تحت النفوذ الفرنسي ويعتبرونها امتداداً لفرنسا نفسها .. ويحدثنا التاريخ عن تلك الرحلات الفنية لهؤلاء الفنانين بين ربوع الجزائر .. وتزخر المتاحف العالمية بإبداعاتهم الشرقية التي استلهموها من الحياة الجزائرية والمظاهر التراثية الرائعة في الشمال الأفريقي .

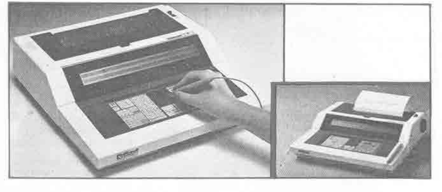
وهذه احدى لوحات رينوار رسمها بين عامي ١٨٦٩ ـ ١٨٧٠ وأسماها (امرأة من الجزائر) وهي من مقتنيات المتحف الوطني بواشنطن حالياً .. كما أنها واحدة من عدة لوحات عالمية شهيرة ، كانت محصلة رحلة الفنان للجزائر ، تلك الرحلة التي ظلت إيحاءاتها تسبغ على لوحات الفنان طابعاً شرقياً محبباً الى نفوسنا .

◄ إحدى روائع الفنان رينوار التي استلهمها من رحلاته إلى الجزائر .. ويبدو فيها الطابع الشرقي .. وأسماها : فتاة من الجزائر





العلم هو المستقبل



هكذا تعمل الآلة الذكية

الآلة الكاتبة الذكية!

هذه الآلة الكاتبة الذكية لمن لايتمتعون بموهبة الخط الجميل وفي الوقت نفسه لايفضلون استخدام الآلة الكاتبة التقليدية . وتستحق هذه الآلة اليابانية الصنع وصفها بالذكية لأنها تستطيع فهم الخط اليدوى وترجمته الى كتابة مطبوعة . فقد زودت بشاشة حساسة للمس مقسمة الى مربعات تضم خلايا للتعرف على ما يكتب عليها ، بحيث يستطيع صاحبها أن يكتب عليها ما يشاء بواسطة قلم الكترونى خاص . وعلى الفور تتعرف الآلة الذكية على ما تم كتابته ، ويظهر على شاشة أخرى

المرآة السحرية

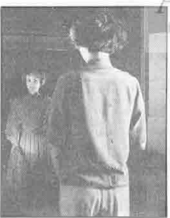
بدأت الابتكارات الألكترونية تغزو النشاط التجارى فمحلات الملابس الأتوماتيكية التى تعمل ليلا ونهاراً طوال أيام الأسبوع أصبحت حقيقة واقعة ، وذلك بفضل غرفة القياس الألكترونية التى تضم مرآة سحرية . في هذه المحال لا يوجد بائعون أو بضائع ، وانما ينتقى المشترى البدلة أو الثوب الذى يريده بواسطة شاشة الفيديو ، ويقوم بتجربته دون أن يضطر الى استبدال ملابسه . ويعتمد هذا الابتكار على فكرة بسيطة ولكنها عبقرية . فالزبون يقف أمام مرآة بدون طبقة قصدير — وهى طبقة يطلى بها ظهر المرآة — وبواسطة لوحة مفاتيح يتم اسقاط صورة ظلية على هذه المرآة بحيث تنعكس على الزبون داخل هذه الصورة ، ويمكن للجهاز تحديد مقاسات جسم هذا الزبون .

ويوجد خلف المرآة السحرية جهاز أتوماتيكى متحرك يقوم باسقاط الموديلات التى تم اختيارها على المرآة ، وعندئذ يرى الشخص نفسه مرتدياً البدلة التى اختارها دون أن يغادر مكانه ، أو حتى يلمسها . ويمكن تجربة أى عدد من الأزياء في زمن قياسى . فالفرق بين تجربة زى وآخر لا يزيد عن ثانيتين فقط .

فكل زى من الأزياء قد تم تصويره مسبقاً على عارض أو عارضة أزياء متوسطة الحجم ، ولكن الجهاز يستطيع توسيع أو تضييق الصورة لتغيير مقاسات الثوب أو البدلة تبعاً لمقاس الزبون ، بحيث يستطيع الجهاز الانتقال من مقاس ٣٦ الى مقاس ٤٦ في ثوان معدودات .

ولقد بدأ بالفعل اقامة غرف قياس الكترونية في بعض المدن الفرنسية وتم تصديرها الى الولايات المتحدة واليابان .

المرآة السحرية تحدد مقاسات الزبون



المرآة السحرية وتجربة الثوب الذى تم اختياره

صنعت من البللورات السائلة . ومن ثم يمكن كتابة النص ومراجعته قبل طبعه اتوماتيكياً بواسطة الطباعة الحرارية للآلة الكاتبة المبتكرة .

كما استبدلت لوحة المفاتيح بورقة حساسة للمس أيضاً طبعت عليها الحروف والأرقام والإشارات لمن لا يريد الكتابة بخط يده ، فيمكنه الاستمتاع بطباعة هادئة ، اذ يكفى لمس الحرف أو الرقم ليتم طبعه على الفور .

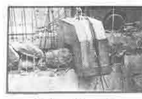
وتستطيع ذاكرة الآلة الكاتبة التعرف على ٣٤٤٨ حرفاً ورمزاً : حروف الأبجدية اللاتينية بشكل عام وإشارات ورموز الكتابة اليابانية . كما تتسع هذه الذاكرة لاختزان عشرة آلاف معلومة أى ما يوازى سبع صفحات من القطع المتوسط .

ومهما كانت رداءة الخط فإن الآلة الكاتبة الذكية تنجح فى قراءته ، فهى لاتخطىء إلا نادراً فنسبة الخطأ لا تزيد فى المتوسط عن ٥٪ وبالرغم من هذه المميزات فهى ليست أكبر حجماً من الآلة الكاتبة التقليدية فطولها ٣٨ سم وعرضها ٤١ سم وارتفاعها ١٠سم ، وهى تزن ٤,٨ كيلوجرامات .

آلة "الهدم" الصامتة !

تستطيع هذه الآلة السويسرية الصنع هدم وتفتيت الجدران الأسمنتية دون أن تحدث ضوضاء أو تولد أى اهتزازات ، ولكنها بالرغم من ذلك يمكنها هدم جدار من الأسمنت المسلح سمكه ٩٠ سم . فهى مزودة بأسنان قوية مدفوعة بروافع هيدروليكية تعمل بضغط يساوى ٤٥٠ « بار » بحيث تستطيع هذه الاسنان اختراق أصلب أنواع الاسمنت حتى الشديد التسليح .

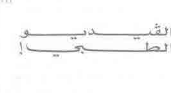
وتتميز هذه الآلة الى جانب هدوئها بمعدلات انجاز عالية ، فضلا عن أن تشغيلها لا يحتاج الى أيد عاملة كثيرة ، فلا يستغرق مثلا هدم حوالى ثلاثين متراً مكعباً من الأسمنت المسلح سوى ثمانى ساعات ، ولا يتطلب هذا العمل الا عاملين فقط .



الآلة الصامتة لا تزعج أحدا !

ولذلك فإن هذه الآلة تصلح لعمليات الهدم الجزئية أو الكلية . ويجرى حالياً استخدامها فى هدم عشرة طوابق فى وسط مبنى احد المستشفيات بينما تظل الواجهات سليمة . وخلال فترة العمل والهدم تستمر الأجهزة الطبية الدقيقة مثل أجهزة الاشعة فى عملها فى الجزء المجاور من المبنى ولا يشعر المرضى بأى ازعاج !

الفيديو الطبى !



ابتكرت شركة أمريكية نظاماً جديداً لتصوير أجهزة الجسم وعرضها مباشرة على شاشة فيديو .

ويعتبر هذا النظام تطويراً للمنظار الطبى المستخدم حالياً ، والمتكون بشكل عام من أنبوب مرن مزود بمجموعة من العدسات ومصدر ضوئى وألياف ضوئية . الا أن الطبيب فى حالة استخدام الجهاز الجديد لا يضطر الى النظر خلال العدسات الى داخل أجهزة الجسم ، فإن الصورة تظهر ملونة وواضحة على الشاشة أمامه . ويتركب هذا الجهاز المتطور من مصدر ضوئى يرسل الضوء الى داخل تجويف المعدة مثلا خلال ألياف ضوئية تمر داخل أنبوب مرن رفيع قطره ١٤ مم وطوله متر ونصف المتر . أما الضوء المنعكس داخل تجويف المعدة أو العضو المراد فحصه فيمر خلال عدة عدسات تقوم بتركيز الأشعة على دائرة الكترونية لرصد وتحليل الضوء ، تعمل على تحويل الاختلافات فى شدة الضوء الساقط عليها الى تيار كهربى متغير الشدة ينتقل بواسطة كابل الى الأنبوب الخاص بشاشة الفيديو .



الفيديو الطبى : تطوير للمنظار المستخدم حاليا

ومن ثم يرتكز عمل هذا الجهاز على دائرة التحليل والرصد الميكروسكوبية التى تتميز بصغر حجمها وقدرتها العالية على التحليل . وهى عبارة عن رقيقة من السليكون مساحتها واحد سنتيمتر مربع مثبت عليها ٤٠ ألف ترنزستور حساس للضوء تقوم بتحويل الطاقة الضوئية الساقطة عليها الى تيار الكترونى . وبالتالى يمكن نقل الصور الداخلية لأجهزة الجسم الى الكابل الكهربى ومنه الى الشاشة .

وأثبت الجهاز الجديد سهولة استخدامه كما أنه يتيح للطبيب فحصاً أكثر دقة ومناقشة الحالة مع زملائه أثناء الفحص ، بالاضافة الى الاستفادة بمميزات الفيديو مثل تكبير الصور وتسجيلها للاحتفاظ بها . وهى صور تتميز بدقة ونقاء كبيرين ، فهى توضح أدق التفاصيل الداخلية لأجهزة الجسم .

هـــامش على الشـــعر والموســـيقى

علي محمود طه
وجـــدان يتـــغنّى

بقلم: كمال النجمي

علي محمود طه ، نجم شاعر ، يسبح في مداره فيصدح بالغناء والموسيقى والإيقاعات الراقصة ، تنبعث من وجدانه ، لا من تفعيلاته وأوزانه .. فالغناء جوهر شاعريته . وما أبياته إلا شعاع هذا الجوهر الشعرى ، وذبذباته الصوتية ترتسم على الورق كما ترتسم ذبذبات الصوت الجميل على الأسطوانة أو شريط التسجيل ! ..

وقديماً كان « إخوان الصفا » يتخيلون في بعض شطحاتهم ذات اللفتات الفنية ، أنهم يسمعون موسيقى كونية هائلة تنبعث من النجوم والكواكب ، ولكن أسماع الناس لا تلتقط شيئاً من هذه الموسيقى الكونية فالستار مسدل بينهم وبين أسرار الكون ! ..

وسواء صدقوا في قولهم أو كذبوا ، فإن لكل نجم في سماء الشعر موسيقاه الكونية الخاصة ، يسمعها من يتلقون شعره ، وقد يعجز بعضهم عن سماعها كما يعجزون عن سماع الموسيقى المنبعثة من الكون فيما زعم إخوان الصفاء أو تخيلوا ..

ومن حسن الطالع أن موسيقى الشعر أقل ضخامة وتعقيداً من موسيقى الكواكب والنجوم والمجرات ، وإن كانت مثلها تتعلق بعظمة الكون الحافل بالأسرار ! .. فيتاح لمن رزقوا الوجدان الصافي ، والذوق الثاقب ، والسمع العميق ، أن ينعموا بموسيقى الشعر التي هي من جوهره لا من مظهره .. فاستمتاعهم بها ، استمتاع بالشعر كله باطناً وظاهراً ، في تجلياته وراء المدركات الحسية ..

وتبدو موسيقية بعض الشعر أحياناً كأنها من ظواهر الأسلوب أو اللغة ، ولكن هذا لا يكون إلا في منظومات الضعفاء والمتكلفين الشعر بلا وجدان ، فتجيء موسيقاهم السطحية من سطح جوهرهم .. وإنما تعلو طبقة الشعر من تلاحم موسيقاه وجوهره في طبيعة الشاعر المطبوع المحلق في كونه الشعرى الرفيع .

تكوينه الوجداني

وطبيعة علي محمود طه في موسيقى الشعر ، مثل طبيعة أستاذه أحمد شوقى ، لا تدل عليها كثرة الحديث في شعره عن الغناء ، وإن كان لهذا الحديث دلالة وجدانية واضحة .. وإنما أساس الموسيقى عنده ، تكوينه الوجداني الذى يعزف الموسيقى ويترنم بالغناء في نبض مشاعره ، وفي ومض أشعاره ، وليس له في ذلك فضل . فهذه كينونته هو وأمثاله من شعراء الوجدان الموسيقى ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً كما ولدتهم والغناء في جوهر وجدانهم ! ..

هذا المعنى الدقيق ، مسه أحمد شوقى مساً رفيقاً طلياً في قصيدته التى ألقاها تحية لضيوفه في مهرجان تتويجه أميراً للشعراء سنة ١٩٢٧ فقال يمدح الشعراء المحتفلين به ويذكر ألا فضل له عليهم في موهبته :

ما الرحيق الذى يذوقون من كر
مى ، وإن عشت طائفاً بدنانه
وهبونى الحمام لـذة سجع ..
أين فضل الحمام في تحنـــانه ؟!
وتـــر في اللهـــاة ما للمغنى
من يد في صـــفائه وليانه !

نعم ! . هب يا صديقى أن شاعرنا أحمد شوقى كالورقاء المغردة ، فأين فضله في ذلك ؟! .. إنما الفضل للوتر الذى في حلقه ، أوجده الله صافياً ليناً ، فتغنى به فأطرب الناس ! ..

ولكن هذا الوتر الصافي اللين لا يترنم فيهز مشاعر مستمعيه إلا إذا اتصل بوجدان صاحبه ، ثم قام له صاحبه بحقه عليه في الدربة والمرانة واستيعاب أرقى طبقات الشعر ، واتقان أسرار صناعته ، وتخرج نفسه بعد ذلك في مدرسته الشعرية الخاصة ، مستقلا عن الأساتذة ، غير مقلد ولا تابع ولا عاجز عن إضافة الجديد إلى القديم ، أو إحلال الجديد محل القديم على مقتضى الحال ، بلا افتعال ولا اعتمال ! ..

ينابيع شاعرين !

وكذلك كان على محمود طه ..

استوعب أجمل وأعذب وأجزل الشعر عند القدماء من البحترى إلى ابن زيدون ، ثم ارتوى من ينابيع شاعرين معاصرين هما أحمد شوقى وأحمد

محرم .. وهما – فيما نرى – أعظم شاعرين في عصرنا حباهما الله بالوجدان الموسيقي ! ..

وقد عرف الكافة أحمد شوقي ولم يعرفوا أحمد محرم ، على أن كثيراً من شعره يضج بالموسيقى ضجة الكواكب والنجوم بموسيقاها في أسماع إخوان الصفاء ! ..

ولايشك من يطالع شعر علي طه مطالعة الخبير البصير ، أنه أدمن شعر أحمد محرم ، حتى جرى في دمه مذهبه في النظم بالأنغام على نسق نعرف به أحمد محرم منذ عرفناه ، متفردا به بين شعراء عصره .. وقد جرى على آثاره فيه علي محمود طه ، برغم ما بينهما من تباين وتناقض في اتجاهات كثيرة ..

ولو لم يكن الغناء في التكوين الوجداني للشاعر علي طه ، لما أجداه شيئاً إدمانه التحصيل من شعر شوقي ومحرم وأشعار الأقدمين من ذوى التكوين الوجداني الموسيقي ..

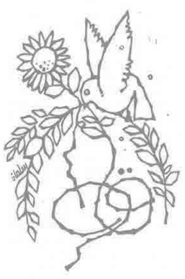
لم يقتصر علي محمود طه ، على الثقافة العربية كما فعل شوقي – على معرفته التامة بالفرنسية – وكما اضطر أن يفعل أحمد محرم الذى استطاع بجهده الخاص أن يكون حجة في الأدب والدين والتاريخ ، وعلما في الشعر العربي ! ..

قرأ علي طه بالفرنسية كثيراً ، وبالانجليزية دون الكثير ، واقتدى في القراءة باللغات الأوربية بمدرسة الديوان التى اشتهرت بمصر منذ ستين عاماً .. ولكنه لم يتأثر بهذه « المدرسة » إلا في توسيع نظرته إلى أغراض الشعر واتجاهاته ، أما أداته الشعرية فقد نضجت على النار الهادئة لمختاراته من الشعر العربي المعاصر والقديم ..

فلما ورد بعدها ينابيع الشعر الأوربي ، لم يكن مفتقراً الى توجيهات مدرسة الديوان التى كانت تخلط في النقد والنظم ، عملا صالحا بآخر سيء ، وارتطم شعراؤها بالنظم العقلاني ، وتقليد النماذج الأوربية ، وبخاصة الانجليزية ، تقليداً لا يرجح في ميزان النقد على كل تقليد آخر ، وقد كان أساس دعوتهم محاربة التقليد ! ..

اغراق في العاطفة

هكذا لم يقف علي طه عند تجارب هذه المدرسة إلا للتأمل في مصيرها ودراسة أخطائها ومزاعمها ، وانطلق يأخذ من الكلاسيكية الحديثة في الشعر المصرى أجمل موسيقاها ، فالتقت فيه أبهة هذه الكلاسيكية المتجددة ، وتهاويل الرومانسية المصرية البازغة ، وصعد شعره إلى العلالي الكونية ، وأغرق في العاطفة ، وأوغل في الأخيلة والتصورات والأحلام ، وتاه عن دنيا الناس ، فهو « الملاح التائه » .. وأحلامه هي « أحلام الملاح التائه » .. والكثير من شعره « أرواح وأشباح » أو « زهر وخمر » .. أو نفثات من « الشوق العائد » أو سبح طويل بين « شرق وغرب » .. وتلك هي أسماء دواوينه الستة ، تنم أسماؤها عن مكنونها ، وتكشف خافية



سريرته ! ..

كان مثقفاً جديد الاهتمامات ، وكان غناؤه الشعرى جديداً ، غير أنه لم يضرب بمعوله عمود الشعر العربي ، ولم يحتقر الأساليب الفصيحة كما احتقرها بعض الرومانسيين في بداية أمرهم حينذاك فكانوا مثلاً في الركاكة والعجز عن التعبير ، وسقطوا في الرموز العشوائية ، والعلاقات الملفقة بين الألفاظ ، واختنقوا في ركام المجاز والاستعارة والصور المشوهة المتناقضة ، الى غير ذلك مما لا يتسع المجال لبيانه ! ..

فطلع علي محمود طه بين هؤلاء كأنه يعلن ثورة شعرية رومانسية بيضاء في ساحة الكلاسيكية الحديثة ، فلم يثر على أسلافه ثورة ازدراء وتحطيم ، بل ثورة اتساع وتحرير ، فيها تكريم للقديم ، بتجديده والإضافة إليه ! ..

كان علي طه وجداناً حساساً جياشاً ، يتغنى سراً وجهراً ، كأنه وردة أو ريحانة سعيدة بمكانها فوق ربوتها من حديقة الحياة ، أو كقول شوقي :

وشدت في الربى الرياحين « همساً »
كتغني الطـــروب في وجدانه

ولكن « الهمس » كان صوتاً واحداً من الأصوات الكثيرة عند علي طه ، فهو لا يقتصر في الغناء على الهمس ، فهذا وتر واحد في وجدان هذا الشاعر المتغني ، وما أكثر ما تتشعب أوتار التغني وتتكاثر وتتلون عنده ، في لحونها وشجونها ..

الشعر العربي والأوربي

علي طه – إن صح التعبير – شاعر يتغنى بمقامات الشعر العربي والشعر الأوربي في وقت معاً ، فتسمع منه حيناً ما يشبه أناشيد الشيخ علي محمود ، وقصائد أم كلثوم وعبد الوهاب ، وأغاريد أسمهان ، وتسمع حيناً ما يشبه الموسيقى الاوربية السيمفونية والراقصة وصدحات كاروزو في الأوبرات الايطالية بصوته المستعار الجبار ، ودندنة مطربات أوربا ومطربيها حين يتغنون بأصواتهم الطبيعية ! ..

وهو لا يكتفي – كشوقي – بالتغني ، بل يزيد عليه الرقص ، لأن له وجدان مطرب يرقص لنفسه طرباً ، ولغيره ..

كان شوقي يعيش في طبقة الباشوات العثمانيين بمصر ، فلا يخالف عنهم في السمت وطرائق الحياة والآداب الاجتماعية ، ولم يعرف عنه أنه كان مشغوفاً بممارسة الرقص ، وبخاصة ذلك النوع من الرقص الافرنجي المختلط الذى يضع فيه الرجل راحته على خصر صاحبته ..

وقصارى ما يعرفه الناس عنه ، أنه وصف هذا الرقص وغيره من ألوان الرقص التى كانت تقام لها الحفلات في قصر الخديو عباس حلمي في بداية القرن العشرين ، ومن هذه الحفلات خرج شوقي بقصيدته الذائعة :

حف كأسها الحبب
فهـــي فضة ذهب

وقصيدته الأخرى :

ـال واحتجب وادعى الغضب

أما علي محمود طه فكان يجيد الرقص المختلط ويقبل عليه في أوربا ومصر ، منهمكاً فيه ، سعيداً به ، يمارسه في الفنادق والملاهي والحفلات في ربيع القاهرة ، وصيف أوربا ، وشتاء الأقصر وأسوان ..

الليل مسرحه !

وقد فتنت حياة المرح الليلي هذا الشاعر من بداية أمره ، فلم يكد يستقر في القاهرة حتى صار الليل مسرحه الذى يمثل عليه حياته ، سهراً ونشوة وطرباً ، قائلا :

أيهـا الشاعر اعتمد قيثارك
واعزف الآن منشداً أشعارك
واجعل الحب والجمال شعارك
وادع ربا دعا الوجود وبارك

وفي فينيسيا – المدينة الايطالية الشهيرة – لا يقنع بالنزهة في « الجندول » على صفحة الماء ، بل يخال نفســه عاشقاً يشدو على معزفه تحت نافذة حبيبته :

دنا الليل فهيا الآن ياربة أحلامي
تعالى فالدجى وحى أناشيد وأنغام
يلف الصمت روحينا ويشدو بلبل الحب

ثم يتذكر أن الفتاة الايطالية لا تفهم شعره العربى ، فيصرف قصيدته إلى فتاة مصرية مجهولة ، ويسمى القصيدة « سيراناداً مصرية » وهى نفسها السيرانادا الايطالية ، فليس فى مصر هذا اللون من الغناء والوقوف تحت نوافذ الحبائب .

وقد كنت فى عهد الشباب أعرف عازفاً إيطالى الأصل ، إذا ذكر السيرانادا قال : « سيريناتا » .. فهى عند الطليان بالتاء لا بالدال كما ينطقها الفرنسيون الذين أخذها عنهم علي طه ..

وقد اختار فى هذه السيرانادا المصرية ، وزناً متوسط السرعة ، ثلاثى الأبيات ، رمزاً لشكل من أشكال السيرانادا ، متوسط السرعة ، ثلاثى الزمن أو الايقاع .. حتى إن هذه السيرانادا المصرية يمكن تركيبها ــ بشيء من التسامح الفنى ــ على القوالب الأوربية المتداولة للسيرانادا .

هو وسيدة الشعر !

وأظن أن سافو أميرة الشعر الغنائى فى الأساطير القديمة هى التى حركت شاعريته لنظم قصيدته « الأحلام » .. وكانت سافو تتغنى بالحب والجمال والانطلاق كشاعرنا علي طه ، فإذا قرأت قصيدته فكأنما هى قصيدة من نظم سافو ، وكأنما هى فتاة عصرية يراقصها الشاعر العاشق كجميلات الأساطير القديمة ! ..

ولم يختلف مصير الملكة « كليوباترا » بين يدى هذا الشاعر ، عن مصير « سافو » الاغريقية ، فقد أنطقها وجدانه المضطرم بغنائه الخاص :

كليوباترا .. أى حلم من لياليك الحسان
طاف بالموج فغنى وتغنى الشاطئان

اصدحى أيتها الأرواح باللحن البديع
امرحى ياراقصات الضوء بالموج الخليع

ليلنا خمر وأشواق تغنى حولنا
كلما غرد كأس شربوا الخمرة لحنا

القصيدة كلها غناء وجدان يعبر تعبيراً مباشراً بكلمة « الغناء » أو غير مباشر بكلمات أخرى .. غير أن كل شيء فى هذا الموقف الشعرى يتحول عند الشاعر فى تحليله النهائى الى غناء أو لحن .. فالشاطئان يتغنيان .. والرياح أو الأرواح تصدح ..

وفى قصيدته « أغنية الحب » :

يارفاقى هذه الساعة من حلم الزمان
إن هذا زمن الحب فضجوا بالأغانى

كل شعر عند هذا الشاعر ينبثق نغمات من وجدانه ، حتى تجاربه المتخيلة غير الواقعية التى ادعى فيها لنفسه دور كازانوفا أو دون جوان ــ ولم يكن كذلك وبخاصة فى أخريات حياته ــ تتحول تلقائيا الى غناء ! ..

فى منزل فاجنر

وفى إحدى رحلاته الأوربية ، زار المنزل الأثرى للموسيقار فاجنر فى مدينة ليبزج ، وكانت الدعاية النازية حينذاك تحيط هذا المنزل بدعاية طنانة وتصف فاجنر بأنه « موسيقار القومية الألمانية » و « الموسيقار الحبيب إلى قلب هتلر » .. وصاحب كتاب « اليهودية فى الموسيقى » .. وكان علي محمود طه معادياً للنازية ، لكنه بوحى وجدانه الموسيقى زار المنزل الذى كانت تدوى حوله طبول الدعاية الجوفاء .. وتغنى بالبيت وصاحبه ..

وفى سنة ١٩٤٦ ــ بعد سقوط النازية وزوالها ــ زار علي طه منزل فاجنر مرة أخرى ، مسوقاً بوجدان الشاعر المتغنى ، إلى بيت الموسيقار الذى كتب أوبرا « فحول الشعر الموسيقى » ..

وفى رحلته هذه ، عرج الشاعر على سويسرا فأقام أياما واستمع ــ لأول مرة بعد الحرب العالمية الثانية ــ إلى فرقة موسيقية تصحبها إحدى المغنيات .. وأثار ذكرياته ما سمع من هذه الفرقة ، مثل لحن الفالس الكبير ولحن الدانوب الأزرق ..

ولم ينس فى شعره عن هذه السهرة الموسيقية ، أن يجعل تفعيلاته صالحة للغناء فى نغمة « الفالس » وهى نغمة عربية الأصل :

فى اهتزاز العصب الثائر والروح المعنى
طالعته يابهاء الليلة الأولى فغنى
ورأى من حوله الأرض سلاما فغنى

فهذه كلمات تدخل فى نغمة الفالس بغير عناء لو وجدت ملحنا مثل زكريا أحمد يجعل الفالس عربى اللسان ! ..

ويشاهد الشاعر راقصته فيقول :

تمـــد يديـهـا وتثنيـهمـا
وترتد فى عـــوج واعتدال
محيرة الطيف فى مـــائج
من النور يغمرها حيث جال
تخيل للعين فيما تـــرى
فراشة روض جفتها الظلال
على إصبعي قـــدم ألهمت
هبوب الصبا ووثوب الغزال

فهذه راقصة باليه ترقص بخفة الغزال على إصبعى قدمها ، ورقصها موسيقى وجدانية شاعرية ، تهز شاعرنا فيقول :

اسمعى ايتها الروح .. أفى الكون غناء ؟!
وانظرى هل فى نواحي الأرض بالليل ضياء ؟!

ومن عجب أن راقصة الباليه التى هام برقصها الشاعر ، قد دخلت ديوانه تحت عنوان « راقصة الحانة » .. ومهما تكن هذه الحانة فى أوربا أو فى مصر ، فإن الرقص والموسيقى فيها قد اختلطا على الشاعر فجعلا راقصته هذه فنانة باليه مرة ، ومرة أخرى راقصة حانة ! ..

أبو نواس العصرى !

وتمور فى الشاعر أخيلته التى لا تفارقه ، فهو عند نفسه أبو نواس العصرى المستمتع بالحياة ، وهو فاتك كثير من الحبائب فى كل مكان من مصر وأوربا .. وهن مغنيات راقصات ممثلات فنانات ، من كل الألوان ، وهو يحبهن ، فهو إذن موجود ، وسواء عنده أن يرى فى نشوته رقصة باليه ، أو رقصة تانجو أو مازوركا ، أو هزة خصر فى ملهى مصرى ! ..

هكذا كان علي طه يرى كل شيء ، ويعبر عن كل شيء .. يحيل الصور والأخيلة والمشاعر والرموز والأحلام والنزوات إلى غناء فى الوجدان قد لا يطرب إلا صاحبه وقد يطربك معه ! ..

وكان علي طه مثلا حياً للشاعر اللامنتمى فى مجتمعه وعصره ، وانتماؤه يقتصر على « شلة الأنس » التى يأوى إليها فى المجتمع القاهرى القديم ، والقاهرة أيامئذ مدينة رومانتيكية حالمة مغسولة الشوارع ليلا ، هادئة مبتهجة نهاراً ..

وكانت قضيته فى مجتمعه هى قضية الاستمتاع بحياة الوجدان ، وحماية جوارحه من الحرمان ، وهى قضية جميع الشعراء الرومانسيين الذين عاشوا فى القاهرة تلك الحقبة الثلاثينية البارزة فى تاريخ القاهرة الحديث ، أمثال ابراهيم ناجى وصالح جودت ومحمد عبد المعطى الهمشرى وأحمد فتحى وأحمد رامى وغيرهم ..

إلا أن علي طه فاقهم بتعبيره الموسيقى عن قضيته ، فرسم لحياته ومجتمعه وعصره صورة ناطقة متغنية .. ونظر فى الحياة والمجتمع والكون نظرة وجودية قبل أن تصبح الوجودية مذهباً معروفاً فى مصر ، وكان فى تعبيره عن جميع أحواله يغنى من وجدانه ، ويرقص إذا اقتضى الحال ! ..

وقد أطلنا ــ فيما أظن ــ مع أننا تركنا أوراقا كثيرة أعددناها لهذا المقال حافلة بموسيقى وجدان هذا الشاعر ..

ولسنا نقول إن شعره الذى كان غناء وجدانه ، قد خلا من الهنات والعيوب الفنية ، وشيء هنا وهناك من السطحية والتخيل المستعار أو « الكاذب » .. ولسنا نقول إن هذا الشاعر قد خلا ميدان الشعر فى عصره إلا منه ، أو أن كل كلمة نظمها قد انبعثت من وجدانه دون أن تلعب بها خفة يده فتدخل عليها شيئاً من الزيف أو الطلاء الخادع أو زواق الكلام ! ..

ليست هذه سبيلنا فى التحدث عنه .. ولكنا اخترنا جوهر الغناء فى شاعريته فتحدثنا عنه فى أضيق حدود الوجازة ، وفى أقل مادل من الكلام ! ..

كمال النجمى

معـــــركة أدبيـــــة

حول الإســـلام والشّــعر

إشـــــارات لابُــدّ منـــــها

بقلم: الدكتور يحـيى الجبـــوري

أثيرت منذ شهور قضية من قضايا السرقة الأدبية حيث اتهم الدكتور يحيى الجبورى أستاذ الأدب العربى بجامعة قطر الدكتور سامى العانى بسرقة كتابه « الاسلام والشعر » الذى نشره الدكتور الجبورى فى بغداد سنة ١٩٦٤ . وقد كتب الدكتور سامى العانى فى مجلة « ألف باء » العراقية يدافع عن نفسه وينفى أنه سرق كتاب الدكتور الجبورى ونشره باسمه . وفى هذا المقال يطرح الدكتور يحيى الجبورى القضية من جديد . ويرد على الدكتور سامى العانى . ويدافع عن حقه فى كتابه « الاسلام والشعر » الصادر قبل كتاب الدكتور العانى الذى يحمل نفس الاسم بعشرين عاماً.

قرأت فى مجلة (ألف باء) الغراء العدد ٨٤٩ الصادر فى ٢ كانون الثانى ١٩٨٥ رداً للزميل سامى العانى وإن خجل أن يذكر اسمه ، ولا أظن أن اسمه صار عورة تستر . فما زال الأخ العانى عزيزاً علينا ولو لم يكن كذلك لأخذنا حقنا بالقانون وبتعويض باهظ . وإن كان قد أباح لنفسه أن يغرف من أفكارنا ويدعى ما شاء من كتبنا خلافاً للحق والأصول . ويستسيغ كل ذلك ، فاذا عارضنا سبنا وهجانا ، وأظن أن من تأدب بآداب البحث والجدل كما ورثناه عن أسلافنا العرب فى كتبهم ومجالسهم ، ومن تعلم المنطق ، لا يرضى لنفسه أن يسب ويهجو ويكذب الناس دون بيان ، وانى لأجل قلمى ولسانى أن ينزلق فيما انزلق إليه . وقد أسفت أنه استعمل بعض الألفاظ النابية ، قال : « إن إدعاءه بأنى سرقت كتابه الاسلام والشعر المنشور سنة ١٩٦٤ ... » . انى يا أخى لست مدعياً بل أثبت ذلك بالأرقام الواضحة وأثبتها غيرى بالدليل القاطع سواء فى السعوديه حين أنيط الأمر بخبير عالم عدل . وأثبت خبير عالم عدل آخر فى بغداد حين حول اليه الكتابان ، وأثبته ثالث فى الكويت خبير من عالم المعرفة التى تورطت بنشر الكتاب على مسؤولية مؤلفه . فأثبتوا أنك أخذت من كتابى الاسلام والشعر وحده سبعين صفحة دون أية اشارة له ، وهو كما تقول أنت كتاب صغير عملته وأنا معيد فى كلية الشريعة قبل عشرين عاماً . أما اساءتك الثانية فى ردك فقولك : « ولكنه أضاف كذباً جديداً فادعى أن الجامعة عاقبتنى بعد التحقيق » ، وأقول اننى لم أدع ولم أكذب فالتحقيق حصل باعترافك والعقوبة وقعت كما سيأتى ، وأسفت ثانية أن تهبط الى مستوى التهاتر فأنت أستاذ كما تقول وتعلن ، والاستاذية علم وسلوك وكفاءة وليست ورقة توت ، وانى مع كل ذلك ألتمس لك العذر فانك فى حالة لا تحسد عليها وأنت بين محنتين أو ثلاث ، الأولى لما تندمل جراحها بعد ، وهى سرقة اطروحة الدكتوراه (دمية القصر) دراسة وتحقيقاً عام ١٩٧١ ، والثانية التورط فى سرقة مكشوفة ومثبتة بأرقام الصفحات والنصوص ، وليس فى الأرقام عواطف أو عصبيات ، والثالثة التورط فى رد متهافت فيه اعتراف أكثر مما فيه من دفاع . وذنبك فى أعناق من دفعوك الى الرد ، فقد كان السكوت أبلغ وأعذر .

أما أنا أيها الأخ الزميل فانى لا أجاريك فى أسلوب ردك وأنت وغيرك يعلم اذا جد الجد فلسانى مبرد وقلمى سيف . ولكنى أدعو الله أن يهديك ويشفيك ويعيدك الى الحق ، فالرجوع الى الحق فضيلة والله سبحانه يتقبل التوبة اذا كانت نصوحاً ، وعجبت لك وأنت الأخ المسلم والمتخصص بأدب الاسلام كيف لم تفد من الأحاديث النبوية بأن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين . فقد لدغت عام ٧١ وتعهد وسطاؤك لى

بأنك تبت وستكف أذاك عنى وعن الناس وهكذا توقفنا عن مواصلة النقد والكشف ، ثم عدت بعد اثنتى عشرة سنة لتستحوذ على كتابى الاسلام والشعر وعلى فصول من كتابى شعر المخضرمين وأثر الاسلام فيه الذى أغفلت ذكره فى ردك الكريم ، وهكذا أبيت الا أن تلدغ من الجحر نفسه مرتين ، وأنت تعلم أن جناية الكبير كبيرة ، فاذا كنت قد عملت ما عملت وأنت معيد ، فانك الآن أستاذ ورئيس الدراسات العليا فى الجامعة المستنصرية ، وذو مسؤوليات كبيرة وخطيرة أخرى ، وأنت فى مراكزك قدوة والقدوة لابد ان يكون أمينا ، فأين الأمانة أيها الأخ المؤمن.

انى أعلم أن مساحة المجلة لا تسمح بالافاضة فى الحديث ، والحديث ذو شجون وفى جعبتى لك أحاديث كثيرة تشجيك ولا ترضيك ، ولذلك سأوجز وأضمن كلامى بعضا من أرقام الصفحات المسروقة ففيها دلالة وبيان ، واسمح لى أيها الأستاذ المختص أن استوضح بعض النقاط التى لم استطع فهمها فى ردك الجليل ، وأنت تعلم أن الناس تتفاوت فى الفهم والفطنة ، تقول : « إنى أستاذ فى الجامعة أكثر من عشرين سنة ومختص بالأدب الاسلامى الذى كتبت فيه عشرات الأبحاث ... فلماذا ألجأ الى سرقة كتاب صغير نشره مؤلفه عندما كان معيدا فى كلية الشريعة ؟

١ ــ كونك أستاذاً فى الجامعة أكثر من عشرين سنة هذا غير صحيح ، الا اذا كنت تعنى ان كل من حمل حقيبة كتب فيها أسفارا ولا يعلم هو ما فى الأسفار ، عد أستاذا ، اذن أين السنوات الطوال العجاف التى كنت فيها معيداً فمدرساً فمساعداً ، على كل حال فما الذى يضطر أستاذاً كبيراً مثلك أن يغير على كتاب معيد ، الا اذا كان تأليف المعيد قبل عشرين عاماً خيراً من تأليف الأستاذ بعد عشرين عاماً.

٢ ــ أما قولك : ما الذى ألجأك الى سرقة كتاب صغير ، فهذا هو السؤال الذى لم تجب عنه ، وهو مسؤوليتك وحدك ، وان كنت وغيرى يعلم الجواب ، وما دمت لم تجب عن سؤالك فانى سأتبرع باعانتك على الجواب ، هناك يا عزيزى أكثر من احتمال : منها : ان بعض الناس لا يستطيعون اختيار موضوع أو عنوان أو رسم خطة لبحث أو لم يسمعوا بعد بمناهج البحث العلمى وأصوله ، وانما يهجمون على ما يعجبهم من الكتب الجاهزة ، وقد كان هناك من يتابعنى حين أصدرت بعض الكتب فى السبعينات فكلما صدر كتاب لى أعلن بعضهم انه يعمل فيه ويوشك أن ينشره ، وأعرف بعض الأساتذة لهم ثلاثة كتب كلها مأخوذ من كتب الآخرين اسماً ومادة وكثيراً من المضامين ، هذا احتمال ، والاحتمال الآخر أن السرقة مرض لدى بعض الناس ، وهم يسرقون لأجل السرقة لا لحاجة ، وانما هو داء اعاذنا الله واياك منه واسمه العلمى فى كتب علم النفس Kleptomania وهؤلاء يجدون لذة فى السرقة والسرقة لديهم هواية مفضلة ، ولا ضير على هؤلاء أن يراجعوا عيادة الصحة النفسية التابعة لجامعة بغداد ففيها أساتذة أفاضل علماء متخصصون .. ويكتمون أسرار مرضاهم أيضاً.

٣ ــ ولا أدرى ماذا تقصد بقولك « كان معيداً بكلية الشريعة » ، هل المعيد فى كلية الشريعة عيب ، فاذا كان ذلك عيباً ــ ولست أراه كذلك بل انى أعتز به وأشرف ــ فقد كنت مثلى ، وجئت بعدى معيداً بكلية الشريعة ام انك تتنكر لذلك ان الأفعى وحدها هى التى تنسلخ من جلدها وتنزع كل عام ثوبها ، ونزع الثياب عيب أيها الأخ أم انك تقصد أن المعيد قبل اثنين وعشرين عاما لا يستطيع كتابة بحث جيد يستحق أن يسرق لعلك تعلم أن الكثيرين ممن نالوا جائزة نوبل فى العلوم كانوا معيدين ، واننى نلت شهادة الماجستير بتقدير ممتاز والدكتوراه بتقدير شرف أولى وأنا معيد ، وهل نلت أنت شهادتيك اذا أقررنا جدلا أن شهادة الدكتوراه بظروفها العلمية ومستواها المعروف مقبولة ، الا وأنت معيد ، فأين العجب فى هذا ، أفى كلية الشريعة التى كنت بها ، أم فى المعيدية التى [illegible] أكثر الباحثين أتريد أن أعدد لك أسماء المعيدين الممتازين فى الجامعات العراقية وحدها وهم أكفأ وأوعى وأعلم من كثير من الأساتذة الذين لم تقدمهم السنون ولم يطورهم طول العمر.

٤ ــ وتقول : « والمؤلفات لكبار الأساتذة فى هذا الموضوع كثيرة » ولا أظنك مصيباً فى هذا ، فعندما أصدرت كتابى الاسلام والشعر » عام ١٩٦٤ لم يؤلف أحد كتاباً كاملا فى هذا الموضوع وأنا أول من ألف فيه ووضع له هذا الاسم ، وكل الذين ألفوا بعدى وأشرت إليهم كانوا قد تناولوا الموضوع أو جانباً منه بصفحات أو سطور ، وكثير ممن كتب أشار الى كتابى وأفاد منه وأثنى عليه ولم يغفله أحد ــ مع سبق الاصرار ــ غيرك.

٥ ــ وتزعم أن الكتاب صغير ، فهل يقوم هذا عذراً لسرقته أو لاغفاله ، والأمانة العلمية تقضى أن تذكر كل المؤلفات التى سبقتك وأفدت منها ، أليس هناك اسم تختاره غير اسم كتابى ، واذا تشابه الاسم فهل تتشابه الخطة والتسميات والافكار والشواهد والاستنتاجات والعنوانات ، ومع كل ذلك تغفل كتابى وتذكر من كتب سطوراً فى الموضوع معتمداً على كتابى ، أليس وراء الأكمة ما وراءها ، أما ان الكتاب صغير ، فلا أظن أن كتاباً يقع فى ١٧٦ صفحة يعد صغيراً وكتابك ٣٠٠ صفحة من القطع الصغير مع كل الحشو والانشاء والتكرار ، فاذا قسم على اثنين تكون المساحة هى هى ، ألا تعلم أن الابحاث الرصينة بجملتها صغيرة ، فرب بحث بخمس عشرة صفحة أفضل من كتاب بخمسمائة صفحة مما يثرثرون ، ثم ان العلم يوزن بقيمته وأفكاره ومادته وأصالته ولا يوزن بعدد الصفحات ، فالهراء والانشاء المدرسى والاجترار فى هذه الأيام كثير ، وليس العلم جوزاً يعد ، ولا بطيخا يوزن ، ولا حشفاً يكال.

٦ ــ وذهبت تعدد عدد مصادرك ومصادرى ــ وأرجو أن لا تخلط بين المصدر والمرجع ــ وما أضفت من صفحات ومصادر وأبواب ، وذكرت مشكوراً الموضوعات التى عندى وعندك فظهرت انها هى هى أو هى إياها ، إذا شئت ، وانى أسألك سؤالا أخويا ، وأرجو ان تجيب عليه دون عصبية أو غضب ، خوف أن يرتفع ضغط أو ينقطع عرق ، ولا بأس أن تجيب عليه مع نفسك فى الأقل ، والسؤال هو : اذا سرق أحدهم سيارة موديل ٦٤ ثم أعاد طلاءها وبدل فراشها وغير فى (رفارفها) وأضاف إليها ما لا حاجة فيه من اضافات ، ثم ادعى بعد ذلك انها له وانها موديل آخر سنة ٨٣ فهل يصدق عاقل انها كذلك ، قد يصدق بعض الناس من قليلى الخبرة ولفترة تقصر أو تطول ولكنها عند خبراء المرور ، وهناك خبراء فى كل ميدان ، لاتخدعهم المظاهر والترهات ، سيارة قديمة مسروقة يعاقب عليها القانون ، والعبرة ليس فيما أضاف سارقها ، ولكن العبرة فى قوة بنائها وجودة صنعها ومهارة مهندسها ، ان المظهر لايغنى بأى حال عن المخبر.

لقد كتب المرحوم طه أحمد ابراهيم قبل ما يقرب من خمسين سنة (سنة ١٩٣٧) ــ ولم يكن دكتورا ولا استاذا متبجحا ــ كتابه تاريخ النقد الأدبى عند العرب ، وهو صغير فى حجمه رائد فى بابه ، وكتب الناس فى تاريخ النقد بعده فلم يبلغوا ما بلغ ولم يغمط حقه أحد ، ولم ينهد له جاحد يغير على كتابه فيدعيه بدعوى انه قديم أو صغير انه كان حين ألفه معيداً.

٧ ــ وتقول ــ ايها الأخ الحبيب ــ انك كتبت عن الصراع الشعرى بين مكة والمدينة فى المجلات وفى كتابك السابق (دراسات فى الأدب الاسلامى) ، فهل كتبت ما كتبت فى المجلات قبل ظهور كتابى شعر المخضرمين وأثر الاسلام فيه ١٩٦٤ ، وهل خلا كتابى المذكور من هذا الموضوع الذى ذكرته بتفصيل فى الصفحات ٥٧ ــ ٢٠٩ ، وقد أفدت منه ونقلت عنه ، وأغفلت ــ كالعادة ــ ذكره ، هذه واحدة ، والثانية ، لقد ذكرت بنفسك ، ولم أثر أنا هذا الموضوع وهو كتابك (دراسات فى الأدب الاسلامى) ، من أين لك هذا الكتاب ، اسمه ، وموضوعاته ، وما يخص الشعر

الاسلامي فيه ، وشعر حسان خاصة ، أليس هو مسلوخاً من كتاب (دراسات في الأدب الاسلامي) لأستاذنا المرحوم محمد خلف الله أحمد . أم أن الناس لا تقرأ ، واذا قرأت لا تفطن ، واذا فطنت لا تتحدث . أرجو ألا تسيء الظن بالناس ، أم انها سيارة أخرى مع تغيير الديكورات واضافة الاكسسوارات .

٧ — وتذكر أن موضوع (الرسول والشعر) وان اتفق عنوانه فموضوعاته مختلفة ثم تذهب في تعداد الموضوعات التي عالجتها ، وأنا ذاكر لك موضوعاتك التي عددتها مع ما يقابلها من صفحات كتابي الذي أغرت عليه وغرفت منه :

أ — الأحاديث النبوية عن الشعر والشعراء ، وهي في كتابي ص ٤٥ — ٤٦ .

ب — انشاد الرسول الشعر . وهذا كلام عامي مخطيء ، قل : انشاد الشعراء الرسول الشعر ، أو : استنشاد الرسول الشعر ، وهذا مأخوذ من كتابي الصفحات ٤٣ — ٦٥ ومن شعر المخضرمين الصفحات ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٨ . ودعك من عمليات التضليل في التقديم والتأخير وفي أخذ النصوص مرة من الاسلام والشعر ومرة من شعر المخضرمين . قفزا بين الصفحات .

ج — الاستشفاع بالشعر بين يدى الرسول (صلى الله عليه وسلم) . وهو في كتابي ص ٥٢ ، ٦٠ ، ٦١ .

د — الشعر من أسلحة المعركة . هو عندى بعنوان : الشعر من أسلحة الدعوة ص ٦٢ — ٧١ .

هـ — الأشعار التي نهى الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن روايتها . هو في كتابي ص ٥٠ .

ز — من أهدر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دمه من الشعراء . هو في شعر المخضرمين الصفحات : ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٥٠ ، ١٥٧ — ١٦٠ ، ١٧٠ ، ١٩٥ — ١٩٦ ، ٢٢٠ — ٢٢٦ .

وتقول : فهل يتفق هذا الباب مع ما ذكر . وأجيب : الأرقام التي أمامك تقول نعم مع شيء من عندك هو الاستكثار من الشواهد المتشابهة قصد التضليل والتضخيم .

٨ — وتذكر يا صديقي الوفي أن بعض المصادر المشتركة مصادر عامة . نعم أنت محق هي عامة وفي كل قضية عشرات الشواهد ، ولكن لماذا ينصب اختيارك على الشواهد نفسها التي اخترتها أنا دون غيرها ، هل تعني ان ذوقينا متشابهان ، لا أظن ، بل هذا محال .

وتقول إن الأغراض الشعرية والخصائص الفنية ليسا في كتابي . ولهما اتصال بالشعر الأموي وتكرر الشعر الأموي ، نعم أخي المكرر هما ليسا في كتابي ، لأنهما خارج موضوع الاسلام والشعر ، ولكن هل تريد أن أدلك من أين أخذتهما من كتب عباد الله غيري دون ذكر لهم ، أم أن هذا فتق جديد



غلاف كتاب الدكتور يحيى الجبوري (١٩٦٤) وغلاف كتاب الدكتور سامي مكي العاني (١٩٨٣)

لم يأن أوانه . ثم هل اضافة موضوعين — غير مسروقين جدلا — يبرر سرقة بقية الكتاب . ثم انى أسألك سؤالا بسيطاً في حدود العلم بالشيء ، لماذا لم تذكر كتابي ، الاسلام والشعر ، و ، شعر المخضرمين ، على فرض انك لم تسرق منهما وانما أخذت بحسن نية ، هل أغفلتهما جهلا — وحاشاك — أم تضليلا — وبياك — أم منهجاً جديداً من مناهج السطو الحديث ، ولعل هذا هو منهجك الحر الجديد كما جدد الشعراء في الشعر الحر الجديد . ومن حقك على الباحثين أن يقيموا لك تمثالا في مدخل الجامعة التي رفعت رأسها ، كما عملوا للسياب تمثالا على ثغر الخليج .

٩ — لقد نقلت — ايها الباحث الجهبذ — كلاما جميلا وأفكاراً ناضجة عن ضعف الشعر في العصر الاسلامي وخلوه من الفحول عن كتاب « الشعر الاسلامي والأموي » ص ١٣ للاستاذ الدكتور عبد القادر القط ، والأستاذ القط كان أميناً دقيقاً حين قال ص ١٤ : « أما الدكتور يحيى الجبوري فيقرنه (أي الحطيئة) بالأعشى ويقول متحدثا عن طائفة من الشعراء عند ظهور الاسلام : ولم يكن في هؤلاء الشعراء من الفحول البارزين غير الحطيئة والأعشى ... (شعر المخضرمين وأثر الاسلام فيه ص ٢٤٢) » ، ان أستاذك القط يذكر الفضل لأهله حين نقل عني ، فلماذا تجحد حق الناس وأنت تنقل عن أفكاري (أم على قلوب أقفالها) .

١٠ — وتقول أيها الصادق الثقة — عن دمية القصر : (فقصته معروفة لكل المطلعين) وهذا حق وصدق ، فالكل يعرف الفضيحة التي لم ينسها أحد لا من الباحثين ولا من وفودك الذين حفيت أقدامهم بين أروقة الجامعة في بغداد والقاهرة في سبيل لم القضية وجمع شظايا القارورة التي تهشمت ، وأنت تعلم بأن الزجاجة كسرها لا يشعب ، واذا كنت قد اكتفيت بفضح الدراسة بالنصوص الناطقة والحجة البينة التي لا تقبل المراء ، وقد كنت عازماً على الاستمرار بفضح سرقة التحقيق ، والكتاب محقق مرات ، وكنت قد اعتمدت على جهد عبد الفتاح الحلو ومصصت عصارة ذهنه ، وأنا مطلع على الاتفاقات التي عقدتها معه : ومنها عدم طبع كتابك ، ثم نكثت العهد وورطت الرجل حين طبعت الجزء الأول . وان أساتذتك في جامعة القاهرة على علم — فيما بعد — بكل ذلك ، واذا سألت : لماذا توقفت أنا عن التعرية الكاملة ، فأقول انك تعلم وأنت الصديق الثقة بأن قلبي رقيق لا أستطيع رؤية الدموع من عين صديق ولا النزيف الداخلي من جوف حبيب ، هذا غير الوفود التي كانت تصلني في البيت وفي كلية الآداب ، كل ذلك أثار عطفي وبخاصة حين جاءني بعض من أجل من أساتذتي وقبل أحدهم رأسي وهم بتقبيل يدي ، فأكبرت فعلته وتأثرت وعفوت ونزلت عند رغبته بعد أن وعد بأنك تعهدت بكل مقدساتك أن تمسك عن ايذائي وايذاء الناس وأنك ندمت وأعلنت التوبة واستقمت وليس في الحياة أثمن من الاستقامة ، ولكن مع الأسف بعد عشر سنوات نسيت ريمة وعادت لعادتها القديمة .

١١ — أما قولك — يا صاحب الود القديم — ان الجامعة لم تعاقبك على فعلتك في الدمية ، فنعم ، اذا كنت تقصد أن الجامعة لم تخرجك من رحابها ، ولم تقم عليك حد السارق ، فنعم أيضاً لأن الجامعة ليست محكمة شرعية تقيم الحدود ، ولكن خبرني بحقك لماذا تأخر ترفيعك سنوات . ولماذ رفضت ترقيتك من مدرس الى أستاذ مساعد سنوات أيضاً . ان نظرة من عين طالب متميز في عيني أستاذه وهي نظرة شك بأمانته هي أشد وأقسى من مائة جلدة ، وكانت الجامعة حريصة على سمعتها فتصرفت تصرفاً حكيماً بعد أن ثبتت الادانة فرأت أن الرحمة فوق العدل وان ربنا أمر بالستر ، وما كل ما يعرف يقال .

وبعد يا عزيزي أرجو أن لا تنسى حين تطبع كتابي — كتابك مرة ثانية أن تذكر عليه اسمي ثم تذكر بعده اسمك مقروناً بـ (زاد فيه وأضاف اليه) ، ولا تستكثر ذلك على وتأخذك العزة بالاثم ، وأرجو أن يتصل الود بيننا ولا تقطع رسائلك عنا فلدينا الكثير الكثير مما نقوله لك معززا بالوثائق والبينات .

يحيى الجبوري — جامعة قطر

رأي للمناقشة

إينشتاين لم يكن صهيونياً.. وإسرائيل زيّفت صورته وأفكاره

بقلم: عصام شريح

هناك فكرة لا ينفرد قطاع كبير في العالم العربي في اعتناقها ، خلاصتها أن « كل يهودى هو صهيوني بالضرورة » ، بل إن بعض المفكرين من اليهود أنفسهم ، مثل اسحق دويتشر ، يقولون صراحة « إن اليهودى يظل يهودياً ، وإن ارتكب خطيئة » ، ويقصد بذلك ، أن الفيلسوف اليهودى ، يظل يهودياً في تفكيره ، وإن لم يكتب في اليهودية ، وحتى لو كتب عن « الأممية » ، فان جوهر اليهودية لا يفارق خياله ابداً ، ومن علماء الغرب الذين نحوا هذا المنحى ، على سبيل المثال ، اريك فروم ، الذى إتهم « سيغموند فرويد » اليهودى النمساوى ، مؤسس مدرسة التحليل النفسي ، بأنه إنما جاء بنظرية دينية قوامها السيكولوجيا ، مستكملة بعلاج نفسي ، وهذه النظرية هي في جوهرها الدين اليهودى لا غيره ، ناهيك عن أن اليهودية ، كما جاءت في التوراة التي بين أيدينا « المحرفة » ، هي مصدر الفكر الصهيوني الحديث .

ومن الاسماء اليهودية اللامعة ، التي تصادفنا في هذا المجال ، « البرت آينشتاين » ، ذلك العالم الرياضي الكبير ، صاحب نظرية النسبية الشهيرة .

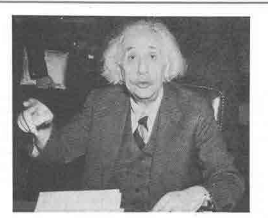
والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الموقف هو : الى أي مدى يمكن الأخذ بفكرة « أن كل يهودى هو صهيوني بالضرورة » ؟؟! من خلال عرضنا ومحاكمتنا لموقف آينشتاين ، سنحاول أن نصل الى جواب .

اتهام آينشتاين بالصهيونية

في الواقع جاء اتهام ألبرت آينشتاين بالصهوينة ، على لسان الصهاينة أنفسهم ، وذلك في مجال استغلال شهرة هذا العالم اليهودى الكبير لصالح الحركة الصهيونية ، فعندما توفى آينشتاين في ١٨ نيسان (ابريل) من عام ١٩٥٥ ، وصفته صحيفة « ويرلد تلغرام » النيويوركية ، بأنه كان « صهيونياً متحمساً » ، كما قالت صحيفة « نيويورك تايمز » إن الدكتور آينشتاين ، « كان نصيراً لفكرة إنشاء اسرائيل » .

وبالاضافة الى ما روجته الصحف الصهيونية عن كون هذا العالم صهيونياً ، فإن قادة العدو الصهيوني ، لم يوفروا فرصة وفاة الرجل ، دون استغلال هذه المناسبة ، لشد الانتباه والتأييد للصهيونية وإسرائيل ، عن طريق ربط اسمه بهما ، فقد نشرت صحيفة « النيويورك تايمز » تأبيناً لآينشتاين من كل من رئيس حكومة العدو آنذاك « موشي شاريت » ، والسفير الاسرائيلي لدى الأمم المتحدة « أبا إيبن » ، ورئيس المؤتمر اليهودى الأمريكي الدكتور اسرائيل غولدشتاين ، واذا جميع كلمات هؤلاء ، تشد العالم الرياضي الكبير الى الصهيونية . وكانت أكثر الكلمات تضليلا للرأى العام ، تلك التي كتبها رئيس المؤتمر الصهيوني العالمي ،ناحوم غولدمان عندما قال : « إن آينشتاين ، ترك أعماله العلمية منذ عام ١٩٢١ ، لكي ينضم الى الدكتور ناحوم وايزمان ــ أول رئيس للكيان الصهيوني ــ في العمل من أجل الصهيونية ، حيث قصد الرجلان الولايات المتحدة لهذا الهدف » ، وكانت عبارة غولدمان « لمثل هذا العمل أعد الشعب اليهودى آينشتاين وغذاه » ، كافية لتصوير هذا الرجل ، بأنه أحد زعماء الصهيونية ، وليس نصيراً للحركة فقط .

ويشير الكاتب اليهودى الامريكي (المعارض للصهيونية) « ألفرد ليلنتال » ، في كتابه « هكذا يضيع الشرق الأوسط » ، الى خطاب مزعوم لآينشتاين ، نشرته صحيفة « نيويورك تايمز » على مدى صفحة كاملة ، يؤيد فيه « اسرائيل » ونهجها



البرت اينشتاين : العالم الرياضي الشهير .. هل كان صهيونيا ؟ !

العدواني التوسعي في الأرض العربية . وقالت الصحيفة إن آينشتاين وضع هذا الخطاب بنفسه ، وإن لم يلقه قط . وإن القنصل الاسرائيلي . أفرغ كلمات آينشتاين في قالب أدبي : باستثناء صفحة واحدة مفقودة . وأضافت أن العالم الرياضي . كان يعتزم إلقاء الخطاب المزعوم عبر شاشة التليفزيون الأمريكي : من برنستون . ونسب الى القنصل الاسرائيلي « روفن دافني » . قوله إنه يملك الأصول الأولية للخطاب . الذي يستعرض ما حققته « اسرائيل » من انجازات ! !

لكن ليلنثال يتهم الصحيفة والقنصل . والصهاينة الأمريكيين والإسرائيليين : بالوقوف وراء حكاية هذا الخطاب ، التي إنما هي من نسج الخيال . ليس إلا . وقد كانت أكثر الشبهات وضوحاً في تزييف عباراته وفقراته ، أنها صيغت في لغة غريبة كل الغرابة عن أسلوب آينشتاين : بما في ذلك تكرار عبارات مثل « العداء العربي » . أو قول آينشتاين في وصفه للكيان الصهيوني ب « جمهوريتنا » و « اسرائيلنا » .. الخ . ولعل أكثر ما يؤيد فكرة تزييف الخطاب المنسوب لآينشتاين ، أن جميع الجهود الرامية الى الاطلاع على أصول الخطاب . قد ذهبت أدراج الرياح . وقد رفض القنصل الاسرائيلي « رفين دافني » التعاون لجلاء حقيقة هذه المسألة ، علماً بأن آينشتاين كان قد وفد الى الولايات المتحدة ليجمع المال للجامعة العبرية في القدس .

بيد أن الدكتور عبد المنعم الحفني ، يورد في مقدمة كتابه « الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية » . أن لآينشتاين كتاباً « عن الصهيونية » أصدره في عام ١٩٣٠ ، ويقول الدكتور الحفني إن آينشتاين وظف نظرية النسبية بطريقة ما لخدمة الصهيونية ، وإن هذه النظرية كانت أحد العوامل التي أدت بالولايات المتحدة الامريكية الى الاعتراف « باسرائيل » حال قيامها » .

لكنني ـ وعلى الرغم من فشلي في العثور على هذا الكتاب ـ أعتقد أن الصهاينة استغلوا اسم الرجل في الدعاية وتزييف الحقائق ، نظراً لشهرة آينشتاين ، وما استقرت اليه آراؤه العلمية من تأثير واسع النطاق على الصعيد العالمي .

هل كان آينشتاين مناهضاً للصهيونية ؟

على العكس من الاتهامات التي وجهت الى آينشتاين حول التزامه وحماسه للصهيونية ، فإن هناك الكثير من البراهين والقرائن المكتوبة أو المنسوبة الى الرجل ، والتي تشير صراحة الى معارضته للفكرة الصهيونية .

فصاحب كتاب « هكذا يضيع الشرق الأوسط » ـ ألفرد ليلنثال ـ يورد في كتابه « أن ألبرت اينشتاين ، رفض جهاراً منصب رئيس الكيان الصهيوني ، لكنه علل ذلك بمزاجه المعتدل ، وبكونه غير مؤهل في حقل العلاقات العالمية والبشرية . ويذكر « بارنت ليتفنوف » في كتابه « بن غوريون : اسرائيل » . « أن الإسرائيليين » شيعوا في التاسع من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٢ جنازة أول رئيس للكيان الصهيوني حاييم وايزمن ، وأن سبرينزاك رئيس الكنيست ، كان يأمل آنذاك أن يصبح رئيساً للكيان خلفاً لوايزمن ، وكان باستطاعة بن غوريون أن يضعه في هذا المنصب ، ولكنه تغاضى عنه ، وطلب من العالم المشهور ألبرت آينشتاين ، أن يأتي الى « اسرائيل » . ويتولى منصب « رئيس الدولة » . ولكن آينشتاين رفض العرض ، مما جعل بن غوريون يشعر بالاحراج والغضب . »

كما أن آينشتاين ، قال أمام اللجنة الانكليزية ـ الامريكية ، في كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٤٦ ... قال جواباً على سؤال وجه إليه ، حول ما إذا كان توطين « اللاجئين اليهود ! » في فلسطين . يستدعي إقامة دولة يهودية : « إن فكرة إقامة دولة يهودية ، لا يستسيغها فؤادي . وأنا لا أستطيع أن أفهم ، لماذا نحتاج الى هذه الدولة .. إن فكرة الدولة اليهودية ، مرتبطة بضيق الأفق العقلي ، وبالعقبات الاقتصادية . وأنا أعتقد أن فكرة الدولة ، هي فكرة سيئة ، ولقد كنت دائماً أقف ضدها » .

وبعد قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين المغتصبة في عام ١٩٤٨ ، أعلن اينشتاين بحماسة ، تأييده لآراء الدكتور « يهودا ليون ماغنيس » ، الذي شغل لفترة منصب رئيس الجامعة العبرية بالقدس ، والذي بدأ صهيونياً ، وانتهى بالابتعاد عن الصهيونية السياسية ، ومستقراً عند « الصيغة الثقافية » للصهيونية . وقد كان « ماغنيس » من القلة النادرة من قادة الحركة الصهيونية ، التي تنبهت الى المخاطر التي تنطوي عليها فكرة إقامة دولة يهودية في فلسطين . حيث أدرك أن هناك شعباً فلسطينياً وعربياً سيقاوم هذه الفكرة ، وأن الكيان الصهيوني الذي أنشىء بالقوة « ودون التعاون مع العرب » . سوف يعيش حالة حرب دائمة . وكانت من العبارات التشاؤمية للحاخام ماغنيس قوله : « سينزل بنا عقاب من الرب .. إننا نعبد الذهب ، إذ نحن ننشر الدعايات المأجورة ، ونعبد الدم .. إذ نحن نبث الرعب بين الناس ، وهذا لدى الرب حرام ، وشعائرنا شاهدة على أننا كنا نلقى العقاب في كل مرة فعلنا مثل ذلك » ..

لقد أعلن آينشتاين مساندته « للصهيونية الثقافية » ـ اذا جاز التعبير ـ كما نادى بها الدكتور الحاخام ماغنيس ، ففي رسالة الى صحيفة « نيويورك تايمز » مؤرخة في نيسان (ابريل) من عام ١٩٤٨ ، أعرب اينشتاين هو والحاخام الالماني « ليوبابيك » ، عن تضامنه مع موقف ماغنيس ، الذي ينادي بقيام دولة ثنائية القومية ! ! في فلسطين .

وبعد ذلك ـ في عام ١٩٥٢ ـ تحدث الدكتور آينشتاين في رسالة موجهة الى ما يسمى « بمنظمة الأطفال في فلسطين » ـ وهي منظمة صهيونية في جوهرها ، برغم إدعائها بأنها غير سياسية ، وأنها تقتصر في نشاطها على رعاية الطفولة ، تحدث عن ضرورة وضع حد « لضرب من القومية ظهر في

اسرائيل ، اذا كنا نطمع فى التعايش الودى المثمر مع العرب ». ولكن ــ وبالرغم من أن آينشتاين لم يكن واضحاً بما فيه الكفاية فى هذه العبارة ــ فان سكرتيرة المنظمة « أوليفيا تيريل » ، حذفت هذه الفقرة من رسالة آينشتاين لدى توزيعها على الصحف لنشرها ، مبررة ذلك بقولها إن المنظمة « تعنى برعاية الأطفال فقط .. لا بأية مظاهر سياسية » . !!

ويقول ليلنثال : إن آينشتاين أخبره ، بأنه لم يكن صهيونياً فى أى وقت من الأوقات ، ولم يناصر يوماً إنشاء « دولة اسرائيل » ، ويضيف أنه روى على مسامعه كذلك : حديثاً ذا مغزى ، جرى بينه وبين حاييم وايزمن ، فلقد سأل آينشتاين وايزمن قائلا : « .. وما الذى سيحل بالعرب اذا ما أعطيت فلسطين لليهود ؟؟ » ، فأجابه وايزمن : « أى عرب هؤلاء ؟! .. إنهم لا يكادون أن يكونوا ذوى أهمية على الاطلاق !! » .

ويشير ليلنثال الى أن آينشتاين حوله الى كتاب له منشور فى عام ١٩٥٠ ، شرح فيه موقفه ورؤياه كما يلى : « أنا أفضل أن نصل الى اتفاقية معقولة مع العرب ، قوامها العيش معاً ، على خلق دولة يهودية .. ففيما عدا الاعتبارات العملية ، يبدو لى أن طبيعة اليهودية الأساسية ، تتعارض مع فكرة دولة يهودية ذات حدود ، وجيش ، وقوة زمنية ، مهما تكن متواضعة .. وأنا أخاف الأذى الباطنى ، الذى سوف يحل باليهودية من جراء ذلك » .

عود على بدء

ونعود الآن الى طرح السؤال التالى : هل كان آينشتاين صهيونياً .. ونبادر الى الاجابة ، بأن كلمات العالم الرياضى الشهير نفسه ، التى أوردناها فى سياق هذا البحث ، كافية لرد التهمة عن الرجل ، خاصة واننا لم نعثر له على تصريحات حقيقية أو مؤلفات منشورة ، تؤيد الصهيونية و « اسرائيل » ، بل إن قوله : « إن فكرة الدولة اليهودية مرتبطة بضيق الأفق العقلى » كافية الحكم على آينشتاين ، وتبرئة ساحته من تهمة الصهيونية ، التى هى فى الواقع القانونى والتاريخى تهمة بالعنصرية ، وتجريم بالإرهاب والفاشية والتعصب ، ولو كان آينشتاين رأنا لقادة الصهيونية ومفكريها من تيودور هرتسل الى يهودا القلعي ، وموسى مونتفيور ، وبنسكر ونوردو ، وجابوتنسكى ووايزمن وبيغن وبن غوريون ..

وغيرهم ، فهؤلاء جميعاً ، كتبوا بوضوح ، ووضعوا مؤلفات صريحة فى العنصرية الصهيونية ، وما كان يمنع آينشتاين شىء من أن يضع أفكاره حول الصهيونية والدعوة اليها ، فى كتابات أو كتاب بشكل علنى وواضح ، لو كان فعلا من معتنقى الصهيونية .. لكن وعلى الرغم من أننا لم نعثر على دليل مكتوب أو وثيقة حقيقية تدين آينشتاين بالصهيونية ، فاننا لا نفهم بالفعل ، كيف يمكن لهذا الرجل العالم ، أن يكون حتى يهودياً تقليدياً ، حيث مقولات التوراة تتحدث بعنصرية ساحقة عن « الشعب المختار » و « الوعد الآلهى » المزعوم ، و « أرض الميعاد » ، فمثل هذه المقولات ، بل الأساطير المتحجرة ، لا تليق بالعلماء .. على أقل تقدير ..

ولذلك نعود ، ونطرح سؤالا آخر : « هل كل يهودى صهيونى بالضرورة ؟ » .

من الصعب فى الواقع تعميم تهمة الصهيونية على كل يهودى : ناهيك عن كون عديد من الشخصيات اليهودية يقفون ضد الحركة الصهيونية ، من أمثال الحاخام إلمر بيرغر ، والحاخام ألفرد ليلنثال والدكتور اسرائيل ساحاق .. وغيرهم .. وناهيك أيضاً عن الخطأ التكتيكى الذى يرتكبه القائلون بصهيونية كل يهودى مهما كان وأينما كان ، بحق النضال العربى ضد الحركة الصهيونية ، وبالنسبة لحديثنا عن ألبرت آينشتاين ، فانه يبدو لنا من الضرورة بمكان ، العودة الى أفكار هذا العالم العالمى الكبير ، المناهضة للصهيونية و « اسرائيل » ، لإثارتها مجدداً على كل صعيد ، خاصة أمام اليهود أنفسهم قبل غيرهم ، وعبر أجهزة الإعلام العربى ، لأن هذه الأفكار ، كما ألمحنا اليها فى سياق هذا البحث ، كافية بحد ذاتها لدحض النظرية الصهيونية ، وتسفيه مبادئها وقواعدها ، وابراز خطرها ، ليس على العرب فحسب ، وانما على اليهود أنفسهم قبل غيرهم ، وعلى الإنسانية برمتها .. وهل هناك شهادة أفضل من « شهادة شاهد من أهله » ؟!

عصام شريح

مـــن هــــو؟

ولد ألبرت آينشتاين فى عام ١٨٧٩ من أبوين يهوديين فى مدينة « أولم » ــ ورتمبرغ بالنمسا ، وتلقى دراسته فى جامعتى زيوريخ وميونيخ ، وعمل بعد تخرجه ، فى مكتب براءات الاختراع بمدينة « بيرن » السويسرية ، وفى عام ١٩٠٥ ، تفتقت عبقريته عن نظريته فى الديناميكية الكهربية وعلم البصريات ، ثم أتبعها بنظريته فى النسبية .

التى نال بسببها منصب الأستاذية بجامعة زيوريخ ، ثم بجامعة برلين ، وفى عام ١٩١٥ ، نشر اينشتاين نظريته فى الجاذبية ، فاستطارت شهرته فى الآفاق ، وبذل جهوداً مضنية بأبحاثه فى نظرية الكم Quantum فى النشاط

الذرى ، فأفاد كثيراً (الكم هو أصغر مقدار من الطاقة يمكن أن يوجد مستقلا ، أو هو هذا المقدار من الطاقة باعتباره وحدة) ، ولم يلبث آينشتاين أن نال جائزة « نوبل » فى الفيزياء فى عام ١٩٢١ ، ووسام « كوبلي » فى عام ١٩٢٥ .

وخلال الفترة النازية فى المانيا ، والموقف من اليهود ، نزح آينشتاين الى أكسفورد فى بريطانيا ، متخلياً عن منصبه وجنسيته الالمانية معاً ، ومنها ارتحل الى العديد من البلدان ومنها فلسطين واسبانيا وأمريكا اللاتينية والهند والصين بيد أنه استقر أخيراً فى الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث عين أستاذاً فى جامعة « برنستون » الشهيرة ، وتابع فيها أبحاثه ونشاطه العلمى ، وفى عام ١٩٥٠ ، بسط نظريته فى الكهرطيسية والجاذبية فى معادلة واحدة ، وبقى يعمل محاضراً حيناً وباحثاً حيناً آخر بجامعة برنستون ، حتى وافاه الأجل المحتوم فى نيسان (ابريل) من عام ١٩٥٥ : تاركاً من بعده تراثاً من الدراسات والأبحاث والاكتشافات فى عالم الرياضيات ، ندر مثيله .

الزواج



بقلم : إبراهيم عبد القادر المازني

لا أدرى ماذا دها الناس ؛ فإنه يندر أن أسمع فى هذه الأيام بزواج موفق . فهل صار نظام الزواج غير صالح لهذا الزمن ؟ أم العيب فى الناس لا فى النظام ولا فى الزمن ؟ ولا شبهة فى أن للزواج عيوبه . فما يخلو شىء فى دنيانا هذه من عيب ، وإن له لمتاعب ، وإن مسئولياته لعديدة وثقيلة ، ولكن النجاة من المتاعب عسيرة فى الحياة ، وإنه ليظن حمقا من يتوهم أنه يستطيع أن يحيا ويخلو مع ذلك من المتعبات سواء أتزوج أم آثر الوحدة والاستفراد . وأحسب أن كثيرين من الرجال والنساء أيضاً يقدمون على الزواج وهم يعتقدون أنه صفو لا كدرة فيه ، ومتعة لا تنقص ولا ينغصها أو يفسدها شىء ، وحلاوة لا تشوبها مرارة ، فتخيب آمالهم كما لابد أن يحدث ، ويضجرون ويتأففون ويشكون وتتلف أعصابهم فلا تعود تقوى على احتمال ما كان ظنهم ألا يكون . وهذا شأن كل من يتناول الحياة بخفة ، وواجهها بغير ما ينبغى من التهيؤ للاحتمال ، ومن الاستعداد للتشدد والجلد والمقاومة .

وقد كنت أتكلم فى هذا وما إليه مع صديق فقال : « الحقيقة أن الزواج نظام ثبت إخفاقه وقلة صلاحه فى هذا الزمن » فعذرته لأنه ممن جر عليهم الزواج نكبات كثيرة يشق احتمالها ، ولكنى لم أر رأيه ، فقلت له :

الزواج

لا تغلط يا صاحبى فان كل زمن ككل زمن ، وهذه الاختراعات الكثيرة لم تغير شيئاً من حياة الناس وفطرهم ، ولم تقلب الحقائق الاجتماعية ، وما خلا زمن قط ممن يسعدهم الزواج وممن يشقون به ، ولا من الراضين والساخطين على هذا وغيره من أحوال الحياة ، ومازال الرجل كما كان ، والمرأة كما عهدها آباؤنا وأجدادنا عفا الله عنهم ورحمهم . ومع ذلك قل لى ماذا تطلب من الزواج وأنا أقول لك ماذا ينبغى أن تبلغ به ، أو ما لابد أن يصيبك من خيره أو شره » .

قال : « أطلب الراحة والاستقرار ... ماذا أطلب غير ذلك ؟ » .

قلت : « إن الراحة مطلب لا سبيل إليه فى الحياة ، وهى لا تكون إلا بالموت . على أن هذه لا تعد راحة مادام المرء لا يحسها ولا يدرك أنه مرتاح ، ولا يعرف حتى ما صار إليه ، والاستقرار كذلك عسير لأن حياتك كلها قوامها التحول والتغير ، وجسمك ونفسك وخواطرك وآمالك وشهواتك وكل ما فيك أو لك يتغير ، فكيف بالله يكون هذا الاستقرار ؟ وأين السبيل إليه ؟ » .

قال : « إنما أعنى الراحة النسبية والاستقرار بالقياس إلى حياة العزوبة والوحدة » .

قلت : « ولا هذه أيضاً . إن الزواج ليس أداة لراحة ولا وسيلة لاستقرار أو غير ذلك مما تتوهم ، وإنما هو نظام . فاذا كان يوافقك أن تحيا فى ظل هذا النظام فتفضل وأهلا بك وسهلا ؛ ولكن يجب حينئذ أن تعرف أن له مقتضيات ، وأن توطن نفسك على الاذعان لها واحتمالها ، كما يخضع الجند للنظام العسكرى . ولم يقل أحد إن الجندية سبيل لراحة أو استقرار أو لذة ، أو غير ذلك مما يجرى هذا المجرى . وإنما هى نظام تقتضيه حياة الجماعة ، وكل جندى يقول لنا إنه نظام شاق عسير ثقيل الوطأة ، ولكنه لازم ولابد منه . والفرق بين الزواج والجندية أن الجندى يعلم أنه داخل فى نظام لالذة فيه ولا متعة له منه ، وأنه سيلقى عناء ويكابد متاعب ، وأنه معرض للجلد والسجن ، بل للموت حتى من غير حرب . ولكن طالب الزواج يمنى نفسه الأمانى المستحيلة فيلقى خلاف ما كان يقدر ، ولو أنه وطن نفسه — كما يفعل الجندى — على التعب والنصب ووجع القلب ومعاناة المنغصات إلى آخر ذلك لسعد بالزواج ، ولفاز منه بلذات كثيرة ونعم جزيلة ومتع يضن بها على النسيان . وقد ذكرت الجندية على سبيل التمثيل ، ولكن للجندية علاقة وثيقة بالزواج ، لأن الزواج غايته تنظيم أمور النسل اللازم للجماعة ، أى مد الجماعة بالعدد الكافى من الأفراد للقيام بأعباء حياتها ، فهو نظام تمهيدى للجندية . وأنا أستعمل الجندية هنا بالمعنى الأعم الأشمل ، وأعنى كل فرد لا الذين يحملون السلاح ويسيرون إلى القتال حين يدعون إلى ذلك — لا أعنى هؤلاء وحدهم . فان كل فرد جندى للجماعة وإن لم يحمل سيفاً ولم يتقلد رمحاً ، إذا كان قد بقى فى عصرنا هذا من يتقلد رماحاً . والواجب على كل حال أن يدرك المرء أنه بالزواج يكون كالذى يعمل فى شركة ، وللعمل نظامه ، والعمل لا تطلب منه اللذة بل الثمرة ، والعمل لا يفيد الراحة بل التعب ، ولا آخر للتعب ما دامت الشركة قائمة تعمل وتؤدى ما هو منتظر منها . نعم يستطيع المرء أن يفوز باجازة ، ولكن هذا ميسور فى نظام الزواج : خذ إجازة كلما شعرت أنك تعبت ، وامنح زوجتك مثل ذلك كلما بدا لك أن أعصابها كلت » .

فعجب وسألنى : « كيف ذلك .. ؟ إن هذا مزاح » .

فأكدت له أنى جاد ، وقلت : « إنى أعيش مع زوجتى كأنا صديقان ، وليس يسعنى أن أفعل غير ذلك ، لأنها إنسان مثلى ولها حياتها المستقلة عن حياتى وإن كنا متعايشين تحت سقف واحد . وأنا أحرص فى حياتى معها على الاعتراف بهذا الوجود المستقل فلا أحاول أن أفنى وجودها هذا وأجعله يغيب فى وجودى ، ولو تيسر لى هذا لما كان لى فيه أى لذة لأنى خليق أن أشعر حينئذ أنى أعايش آلة لا إنساناً محساً مدركاً يبادلنى ما يسرنى أن أراه يبادلنى إياه من العواطف والاحساسات والخوالج . ولو أفنيت شخصيتها فى شخصيتى لانحطت فى نظرى إلى منزلة الخدم الذين تطعمهم وتنقدهم أجرهم على أن يفعلوا ما تريد ولا يجاوزوا مشيئتك . وليست زوجتى خادماً ولا آلة . وإنما هى رفيق حياة ، أى صديق معين . ولست أقول هذا تملقاً أو نفاقاً بل أقوله لأنى لا أفهم معنى للزواج غير ذلك . كلا . لست أحاول أن أغلب إرادتى على إرادتها لأنى لا أحس حاجة إلى ذلك ، وسبيلى التفاهم لا الاكراه ، وأرانى أبلغ بهذا ما لا أبلغ بالقوة والضغط . ومطلبى ما هو أوفق لكلينا ، لا ما هو أوفق لى وحدى ، فان الشركة لا تصلح بهذا الاستئثار ، والزواج شركة على التحقيق . ولا يحسب أحد أن الرجل يضع فى هذه الشركة أكثر مما تضع المرأة ، وأنه لهذا مغبون فيها ، فان هذا خطأ ، فليس السعى للرزق كل ما تقتضيه هذه الشركة ، وإن المرأة لتبذل حياتها كلها لا جهدها لإنجاح الشركة ، وحسبها الحمل والوضع . ولو أمكن أن يحمل الرجل لأمكن أن يدرك هول ما تتحمل المرأة فى سبيل هذه الشركة ، ولكنه لا يحمل مع الأسف ، فهو فى الغالب لا يستطيع أن يقدر نصيب المرأة وما يكلفها الزواج وما يعرضها له ، ولا كيف تضحى بها الحياة لتملأ الدنيا بمثلى ومثله ممن لا يستحقون هذه التضحية » .

فترك هذا وقال : « ولكن ألا يجب أن يكون للبيت سيد ... إن المركب يغرق إذا كان له رئيسان » .

فقلت : « آه .. حكاية التركى الذى جرد سيفه ليلة الزفاف وأطار به عنق القطة ليرهب الزوجة المسكينة .. لا يا سيدى .. ليس الأمر أمر سيد أو سيدة ، فما ثم محل لذلك . وأين محل هذا ولكل من الرجل والمرأة عمل ؟ وأصدقك فأقول إنى لا أدرى كيف يمكن أن تجور المرأة على الرجل أو يجور الرجل على المرأة . أخل ذهنك من كل فكرة عن السيادة وأخل لها ذهنها أيضاً .. تفاهما معاً .. هى لها عملها وواجباتها التى لا تستطيع — حتى إذا أرادت — أن تشاركها فيها ، وأنت لك عملك وواجباتك التى يعييها أن تشاركك فيها ، وكل منكما يمضى بعد ذلك فى طريقه لينهض بأعبائه الموكولة إليه . فأين يكون الاختلاط والاحتكاك والخلاف ؟ وإذا حدث خلاف فلماذا لا يكون بالحسنى .. » .

قال : « والغيرة .. أليست بلاء ؟ » .

قلت : « طبعاً .. والرجل أيضاً يغار .. أليس هذا بلاء ؟ .. فلماذا لا تضع نفسك فى موضع المرأة وتنظر إلى الأمور من ناحيتها هى أيضاً .. صحيح أن المرأة أسرع إلى الغيرة من الرجل وأن غيرتها أحمى ، فبلاؤها لهذا أعظم ، ولكن هذه طبيعتها ولا حيلة لها فى ذلك ، لأن الغريزة الجنسية فى المرأة أقوى منها

فى الرجل إذ كانت هى مدار حياتها . ثم إن الواحد منا يتقبل أصدقاءه على علاتهم ويحتمل أمزجتهم التى تخالف مزاجه ، ويوفق بين رغباته ــ وما أكثر ما تتباين ــ ويظل مع ذلك صديقهم ويظلون هم أصدقاءه . فلماذا لا يكون هذا حال الزوجين ..؟ لماذ لا يحتمل منهما الآخر على العلات وهما بذلك أولى من الصديقين ...؟ المسألة يا أخى أن الرجل يريد أن يسود ، وأن المرأة تريد أن تتحكم ، لأن هذا هو « المودة » الجديدة . ولو تركا هذا وأهملاه فنزل الرجل عن الرأى الموروث فيما ينبغى أن تكون عليه علاقة الرجل بالمرأة ، وتركت هى ما تشير به « المودة » الحديثة من أن الست هى السيدة المطاعة والرجل هو التابع والخادم الذليل ــ لو تركا هذا وسارا فى الحياة سيرة شريكين متعاونين على إنجاح الشركة واحتمال متاعبها والصبر على بلاياها فى سبيل مزاياها وفائدتها لارتاحا جداً ونعما بالحياة الزوجية » .

فسألنى : « هل أنت سعيد ؟ » .

قلت : « إنى سعيد لأنى لا أطلب من الزواج سعادة ، ولو كنت أطلبها لشقيت على التحقيق ، وقد تزوجت وأنا موطن نفسى على أن هذا واجب أؤديه كما أؤدى واجبى بالعمل فى الصحافة وبالاشتغال بالأدب ــ واجب والسلام . فاذا فزت بمتعة فهذا فضل من الله . وإذا فاتنى ذلك فما كنت أطمع فيه أو أرجوه . وقد أدخلت هذا فى رأس زوجتى فهى تفهمه حق الفهم . وقد كان على أن أفهمها هذا فى أول الأمر لأنى أردت من البداية أن اتجنب سبيل الاخفاق . وقد أفلحت ولله الحمد والشكر . فاذا حدثتك نفسك بالزواج مرة أخرى فاصنع هذا » .

فصاح : أنا ... أعوذ بالله يا شيخ ! » .

فقلت : « أرانى لم أوفق إلى إقناعك .. لا بأس .. المسألة فى الحقيقة مرجعها إلى الاستعداد . ولو شئت لقلت إلى العقل والحكمة وسعة الصدر ورحابة أفق النفس » .

فقال : « متشكر يا سيدى » .

فعلمت أنه غضب . ومع ذلك ماذا قلت .. إننى لم أزد على إبداء رأى ، فاذا كان لا يحتمل هذا بل يعده تعريضاً شخصياً به فلا غرابة إذا كان قد أخفق فى زواجه .

ابراهيم عبد القادر المازنى

١٩٣٧



بقلم : جان جيتون
عضو الأكاديمية الفرنسية

ترجمة : محمد طنطاوي

كان بيير برسون يقول لى فيما مضى : اننى أحتفظ لك بمذكرات الموتى . ان ذلك عمل يكاد يكون مستحيلا . كيف تجد الطريق لتفرق بين الأشياء العادية وذلك الشيء الذى يحتفظ بغموضه . ذلك السر الوحيد الذى يجب أن نصل إليه . السر الوحيد الذى سيجهله العلم دائماً رغم ادعائه بأنه سيعرف كل شيء ذات يوم . إن الموت مفارقة تضفى على كل ما تحمله لنا غموضاً أكثر .

ولكننى سأمر بتجربة جديدة فى اللحظة التى سأبتعد منها عن الشاطيء للأبد . اننى ابحث عما يدور قبل الدفن عند أولئك الذين يكونون قد ماتوا تقريباً ، أولئك الذين مسهم الموت .

ان كتاباً جميلا صدر فى هذه الأيام يضيء لى الطريق . ان مؤلفه واحد من المقاتلين وهو خبير فى فن الوصف والاحساس كانسان . لقد كان قائداً بطلا وعمره خمسة وعشرون عاماً . إنه يحكى كيف رأى الموت ثلاث مرات .. رآه عن قرب ؟

ان موريس جنيفوا يؤكد أن الموت قد ظهر له فى تلك الحالة كشيء غير مألوف . ان الانسان لا يرى جيداً عندما يمسه الموت فى حادث أو مرض أو معركة . إنه يجهل أكثر ما يوجد خلف الستار ليس هناك تجربة للموت فى الحياة . إنها فى الحقيقة الأنفاس التى تصعد وتهبط ، لأننا لا نفقد الأمل أبداً .

لقد سمعت فى الواقع موريس جنيفوا عدة مرات وهو يحكى فى كلمات انسانية مليئة بالدفء الحنون وبالشفقة على نفسه تلك اللحظة الفريدة (قبل الأخيرة) حيث رأى استعراض حياته كلها فى رؤيا هادئة وبانورامية . انها تجربة تكاد لا توصف . تلك التجربة التى يلمس الانسان فيها ما يسمى بالموت : عناق عجيب للرهبة والسعادة ، والحسرة والفرح ...

اننى اكرر ما سمعته وما علق بذاكرتى . يقول الجندى الجريح : لقد كان مشهداً لسلام وحنان لا يمكن وصفهما ، صور فى غاية البساطة تتغير ولكن برقة عظيمة . لقد كان نهراً هادئاً ناعماً أشقر ممدداً تحت شمس النهار . إنه دون شك نهر « اللوار » ــ هل هذه هى صورة الوجود اليومى العائلى الهادىء العذب ؟ إننى كنت أسمع حفيف أوراق الصفصاف وحتى هدير المياه . اننى كنت أعى كل ما حولى : القنابل وهى تتفجر ، وكنت أرى مستنقعات المياه المخضرة من الغازات السامة . اننى كنت أموت ، ولو كنت قد مت بالفعل فاننى كنت مع ذلك سأموت وأنا أشعر بالامتلاء ، كنت سأموت وأنا أسبح فى نهر من السعادة !

في الرجل إذ كانت هي مدار حياتها . ثم إن الواحد منا يتقبل أصدقاءه على علاتهم ويحتمل أمزجتهم التي تخالف مزاجه ، ويوفق بين رغباته – وما أكثر ما تتباين – ويظل مع ذلك صديقهم ويظلون هم أصدقاءه ، فلماذا لا يكون هذا حال الزوجين .. ؟ لماذ لا يحتمل منهما الآخر على العلات وهما بذلك أولى من الصديقين ... ؟ المسألة يا أخي أن الرجل يريد أن يسود ، وأن المرأة تريد أن تتحكم ، لأن هذا هو « المودة » الجديدة . ولو تركا هذا وأهملاه فنزل الرجل عن الرأى الموروث فيما ينبغي أن تكون عليه علاقة الرجل بالمرأة ، وتركت هي ما تشير به « المودة » الحديثة من أن الست هي السيدة المطاعة والرجل هو التابع والخادم الذليل – لو تركا هذا وسارا في الحياة سيرة شريكين متعاونين على إنجاح الشركة واحتمال متاعبها والصبر على بلاياها في سبيل مزاياها وفائدتها لارتاحا جداً ونعما بالحياة الزوجية » .

فسألني : « هل أنت سعيد ؟ » .

قلت : « إني سعيد لأني لا أطلب من الزواج سعادة ، ولو كنت أطلبها لشقيت على التحقيق ، وقد تزوجت وأنا موطن نفسي على أن هذا واجب أؤديه كما أؤدي واجبي بالعمل في الصحافة وبالاشتغال بالأدب – واجب والسلام . فاذا فزت بمتعة فهذا فضل من الله . وإذا فاتني ذلك فما كنت أطمع فيه أو أرجوه . وقد أدخلت هذا في رأس زوجتي فهي تفهمه حق الفهم . وقد كان على أن أفهمها هذا في أول الأمر لأني أردت من البداية أن أجتنب سبيل الاخفاق . وقد أفلحت ولله الحمد والشكر ، فاذا حدثتك نفسك بالزواج مرة أخرى فاصنع هذا » .

فصاح : « أنا ... أعوذ بالله يا شيخ ! » .

فقلت : « أراني لم أوفق إلى إقناعك .. لا بأس .. المسألة في الحقيقة مرجعها إلى الاستعداد . ولو شئت لقلت إلى العقل والحكمة وسعة الصدر ورحابة أفق النفس » .

فقال : « متشكر يا سيدي » .

فعلمت أنه غضب . ومع ذلك ماذا قلت .. إنني لم أزد على إبداء رأي ، فاذا كان لا يحتمل هذا بل يعده تعريضاً شخصياً به فلا غرابة إذا كان قد أخفق في زواجه .

ابراهيم عبد القادر المازني

١٩٣٧



بقلم : جان جيتون
عضو الأكاديمية الفرنسية

ترجمة : محمد طنطاوي

كان بيير برسون يقول لي فيما مضى : انني أحتفظ لك بمذكرات الوتي . ان ذلك عمل يكاد يكون مستحيلاً . كيف تجد الطريق للتفرق بين الأشياء العادية وذلك الشيء الذي يحتفظ

بغموضه . ذلك السر الوحيد الذي يجب أن نصل إليه . السر الوحيد الذي سيجهله العلم دائماً رغم ادعائه بأنه سيعرف كل شيء ذات يوم . إن الموت مفارقة تضفي على كل ما تحمله لنا غموضاً أكثر .

ولكنني سأمر بتجربة جديدة في اللحظة التي سأبتعد منها عن الشاطئ للأبد . انني ابحث عما يدور قبل الدفن عند أولئك الذين يكونون قد ماتوا تقريباً ، أولئك الذين مسهم الموت .

ان كتاباً جميلا صدر في هذه الأيام يضيء لي الطريق . ان مؤلفه واحد من المقاتلين وهو خبير في فن الوصف والاحساس كانسان . لقد كان قائداً بطلا وعمره خمسة وعشرون عاماً ، إنه يحكي كيف رأى الموت ثلاث مرات .. رآه عن قرب ؟

ان موريس جنيفوا يؤكد أن الموت قد ظهر له في تلك الحالة كشيء غير مألوف . ان الانسان لا يرى جيداً عندما يمسه الموت في حادث أو مرض أو معركة . إنه يجهل أكثر ما يوجد خلف الستار ليس هناك تجربة للموت في الحياة . إنها في

الحقيقة الأنفاس التي تصعد وتهبط . لأننا لا نفقد الأمل أبداً .

لقد سمعت في الواقع موريس جنيفوا عدة مرات وهو يحكي في كلمات انسانية مليئة بالدفء الحنون وبالشفقة على نفسه تلك اللحظة الفريدة (قبل الأخيرة) حيث رأى استعراض حياته كلها في رؤيا هادئة وبانورامية . انها تجربة تكاد لا توصف . تلك التجربة التي يلمس الانسان فيها ما يسمى بالموت : عناق عجيب للرهبة والسعادة ، والحسرة والفرح ...

انني اكرر ما سمعته وما علق بذاكرتي ، يقول الجندي الجريح : لقد كان مشهداً لسلام وحنان لا يمكن وصفهما ، صور في غاية البساطة تتغير ولكن برقة عظيمة . لقد كان نهراً هادئاً ناعماً أشقر ممدداً تحت شمس النهار . إنه دون شك نهر « اللوار » – هل هذه هي صورة الوجود اليومي العائلي الهادئ العذب ؟ إنني كنت أسمع حفيف أوراق الصفصاف وحتى هدير المياه . انني كنت أعي كل ما حولي ، القنابل وهي تتفجر ، وكنت أرى مستنقعات المياه المخضرة من الغازات السامة . انني كنت أموت ، ولو كنت قد مت بالفعل فانني كنت مع ذلك سأموت وأنا أشعر بالامتلاء ، كنت سأموت وأنا أسبح في نهر من السعادة !

فى الرجل إذ كانت هى مدار حياتها . ثم إن الواحد منا يتقبل أصدقاءه على علاتهم ويحتمل أمزجتهم التى تخالف مزاجه ، ويوفق بين رغباته — وما أكثر ما تتباين — ويظل مع ذلك صديقهم ويظلون هم أصدقاءه ، فلماذا لا يكون هذا حال الزوجين ..؟ لماذ لا يحتمل منهما الآخر على العلات وهما بذلك أولى من الصديقين ...؟ المسألة يا أخى أن الرجل يريد أن يسود ، وأن المرأة تريد أن تتحكم ، لأن هذا هو « المودة » الجديدة . ولو تركا هذا وأهملاه فنزل الرجل عن الرأى الموروث فيما ينبغى أن تكون عليه علاقة الرجل بالمرأة ، وتركت هى ما تشير به « المودة » الحديثة من أن الست هى السيدة المطاعة والرجل هو التابع والخادم الذليل — لو تركا هذا وسارا فى الحياة سيرة شريكين متعاونين على إنجاح الشركة واحتمال متاعبها والصبر على بلاياها فى سبيل مزاياها وفائدتها لارتاحا جداً ونعما بالحياة الزوجية » .

فسألنى : « هل أنت سعيد ؟ » .

قلت : « إنى سعيد لأنى لا أطلب من الزواج سعادة ، ولو كنت أطلبها لشقيت على التحقيق ، وقد تزوجت وأنا موطن نفسى على أن هذا واجب أؤديه كما أؤدى واجبى بالعمل فى الصحافة وبالاشتغال بالأدب — واجب والسلام . فاذا فزت بمتعة فهذا فضل من الله ، وإذا فاتنى ذلك فما كنت أطمع فيه أو أرجوه . وقد أدخلت هذا فى رأس زوجتى فهى تفهمه حق الفهم . وقد كان على أن أفهمها هذا فى أول الأمر لأنى أردت من البداية أن أجتنب سبيل الاخفاق . وقد أفلحت ولله الحمد والشكر ، فاذا حدثتك نفسك بالزواج مرة أخرى فاصنع هذا » .

فصاح : « أنا ... أعوذ بالله يا شيخ ! » .

فقلت : « أرانى لم أوفق إلى إقناعك .. لا بأس .. المسألة فى الحقيقة مرجعها إلى الاستعداد . ولو شئت لقلت إلى العقل والحكمة وسعة الصدر ورحابة أفق النفس » .

فقال : « متشكر يا سيدى » .

فعلمت أنه غضب . ومع ذلك ماذا قلت .. إننى لم أزد على إبداء رأى ، فاذا كان لا يحتمل هذا بل يعده تعريضاً شخصياً به فلا غرابة إذا كان قد أخفق فى زواجه .

ابراهيم عبد القادر المازنى

١٩٣٧



بقلم : جان جيتون
عضو الأكاديمية الفرنسية

ترجمة : محمد طنطاوي

كان بيير برسون يقول لى فيما مضى : انى أحتفظ لك بمذكرات الوتى . ان ذلك عمل يكاد يكون مستحيلاً . كيف نجد الطريق لنفرق بين الأشياء العادية وذلك الشىء الذى يحتفظ بغموضه . ذلك السر الوحيد الذى يجب أن نصل إليه . السر الوحيد الذى سيجهله العلم دائماً رغم ادعائه بأنه سيعرف كل شىء ذات يوم . إن الموت مفارقة تضفى على كل ما تحمله لنا غموضاً أكثر .

ولكننى سأمر بتجربة جديدة فى اللحظة التى سأبتعد منها عن الشاطىء للأبد . اننى ابحث عما يدور قبل الدفن عند أولئك الذين يكونون قد ماتوا تقريباً ، أولئك الذين مسهم الموت .

ان كتاباً جميلا صدر فى هذه الأيام يضىء لى الطريق . ان مؤلفه واحد من المقاتلين وهو خبير فى فن الوصف والاحساس كانسان . لقد كان قائداً بطلا وعمره خمسة وعشرون عاماً ، إنه يحكى كيف رأى الموت ثلاث مرات .. رآه عن قرب ؟

ان موريس جنيفوا يؤكد أن الموت قد ظهر له فى تلك الحالة كشىء غير مألوف . ان الانسان لا يرى جيداً عندما يمسه الموت فى حادث أو مرض أو معركة . إنه يجهل أكثر ما يوجد خلف الستار ليس هناك تجربة للموت فى الحياة . إنها فى الحقيقة الأنفاس التى تصعد وتهبط . لأننا لا نفقد الأمل أبداً .

لقد سمعت فى الواقع موريس جنيفوا عدة مرات وهو يحكى فى كلمات انسانية مليئة بالدفء الحنون وبالشفقة على نفسه تلك اللحظة الفريدة (قبل الأخيرة) حيث رأى استعراض حياته كلها فى رؤيا هادئة وبانورامية . انها تجربة تكاد لا توصف . تلك التجربة التى يلمس الانسان فيها ما يسمى بالموت : عناق عجيب للرهبة والسعادة ، والحسرة والفرح ...

اننى اكرر ما سمعته وما علق بذاكرتى ، يقول الجندى الجريح : لقد كان مشهداً لسلام وحنان لا يمكن وصفهما ، صور فى غاية البساطة تتغير ولكن برقة عظيمة . لقد كان نهراً هادئاً ناعماً أشقر ممدداً تحت شمس النهار . إنه دون شك نهر « اللوار » — هل هذه هى صورة الوجود اليومى العائلى الهادىء العذب ؟ إننى كنت أسمع حفيف أوراق الصفصاف وحتى هدير المياه . اننى كنت أعى كل ما حولى ، القنابل وهى تتفجر ، وكنت أرى مستنقعات المياه المخضرة من الغازات السامة . اننى كنت أموت ، ولو كنت قد مت بالفعل فاننى كنت مع ذلك سأموت وأنا أشعر بالامتلاء ، كنت سأموت وأنا أسبح فى نهر من السعادة !

اسكندر يقتل صديقه



بقلم : الدكتور عبد الوهاب عـزام

اسكندر العظيم يثبت عرشه وسلطانه وهيبته وكبرياءه فى مقدونية واليونان . ثم يتوجه تلقاء آسيا .

الفريقان من اليونان والفرس يلتقيان على نهر (كرانيكوس) الصغير عام أربع وثلاثين وثلاثمائة . فيتاح لأسكندر أول فتح فى آسيا ، وتخضع له المدائن حتى سرديس . فقد دانت له آسيا الصغرى كلها .

ثم يتقدم صوب الجنوب ، فيجتاز طوروس ويسير تلقاء الشام . واذا جيش دارا ، الجيش اللهام الذى لا يغلب من قلة رابض فى طريقه . وفى سهل إسوس الضيق بين الجبال والبحر تزدحم مئات الألوف فى المعترك ، ويسقط فى البحار مائة ألف من الفرس . ويفر دارا وينهب معسكره ، وتؤسر أمه وزوجه وابنتاه . فانظر اسكندر قد قهر « الملك الأعظم » ملك الفرس الذين طالما فخر اليونان بأنهم احتملوا صدمتهم ، وردوهم عن بلادهم ! !

يتقدم الفاتح العظيم فيقهر مدن الشام ، وتقاومه صور وتتحدى جبروته وسلطانه . ثم تخر امامه بعد حصار سبعة أشهر . فيقتل منهم ثمانية آلاف . ويؤسر ثلاثون ألفاً فيباعون عبيداً . ويصلب على القلاع ألفان عبرة ونكالا ! ذلكم اسكندر الفاتح العظيم ، وذلكم جزاء من يقف فى سبيله !

ويفتح اسكندر مصر عام اثنتين وثلاثين وثلاثمائة . ويرفع نسبه الى امون . ثم يجمع جنده ويسير الى العدو الأكبر الملك الأعظم . يجتاز الفرات ودجلة الى حيث يعسكر دارا . وهنالك على مقربة من أطلال نينوى العظيمة التى تندب مجد آشور الغابر . وعلى سبعين ميلا الى الشمال والغرب من مدينة أربيل ، ليس بعيداً من ملتقى عبد الله بن على العباسى . ومروان بن محمد خاتمة الخلفاء الأمويين ، حيث سقطت دولة وقامت دولة ! هنالكم تراءى الجمعان . وعسكر اسكندر تجاه دارا . ويشير (برمينيو) على الفاتح المقدونى أن يهاجم عدوه ليلا . فيأبى مجد اسكندر وكبرياؤه . فيقول له : أنا لا أسرق النصر » . ثم يلتقى الجمعان . وتدور الدائرة على دارا . وجنوده فيفر صوب المشرق . ارأيت بابل العظيمة مدينة السحر والعلم ؟ ها هى تفتح أبوابها لاسكندر ويباركه كهنتها . ويطوى الملك الشاب المراحل الى سوس واصطخر حاضرتى الفرس . لا يصمد لمدينة الا فتحها . ولا يعمد لجيش الا مزقه .

تمتد الفتوح والآمال والنشوة والكبرياء باسكندر الى ما وراء النهر فى طريقه شطر الهند . بعد أن طارد دارا حتى عثر به فى الطريق قتيلا .

اسكندر العظيم فى مدينة سمرقند عام سبع وعشرين وثلاثمائة . قد طوى المراحل والممالك ما بين مقدونية ونهر سيحون . ينعم هنالك بالشباب والظفر والملك الفسيح ، والكنوز التى لا تحصى . والجند الذى لا يعد . اسكندر الآن أعظم ملك فى العالم كله !

* * *

ويدعو أصحابه وقواده الى مأدبة فى سمرقد ، فيأكلون ، ثم تترع للملك الظفر كؤوس من الاطراء والاعجاب والاجلال والاكبار . ويغلو المتملقون المعجبون فيرفعونه فوق الأبطال جميعاً . ويشارك الملك الشاب فى اعظام مآثره والاعجاب بها . ثم لا يقنع بما فعل ، فيجعل لنفسه ما نال أبوه من ظفر فى آخر عهده ، ويغض من فيليب وان كان أباه !

يسخط المقدونيون من الزراية ببطلهم القديم ، ولكنهم لا ينبسون . و (كليتوس) رابض ينظر الى اسكندر ومادحيه ساخطاً محملقاً . كليتوس أحد قائدى الفرسان ، كليتوس الصديق القديم أخو (لانيس) حاضنة اسكندر التى قتل اثنان من أبنائها تحت رايته : كليتوس الذى نجي اسكندر فى معركة كرانيكوس حين أبصر أحد الفرس يهوى بسيفه الى الملك من خلفه . فسارع كالبرق فضرب السيف فقده دون رأس الملك . كليتوس هذا لم يسطع صبرا على الغض من فيليب ! قال كليتوس : ما لهؤلاء المادحين يضعون أقدار الغابرين ليرفعوا عليها مجد الحاضرين ؟ ان فيليب كان عظيماً ! — ثم تأخذه الحدة فيقول : « ليست مآثره دون مآثر ابنه ! لا ، ان مآثره لأعظم . فقد خلق الرجل لنفسه ملكاً وجيشاً . وانما صلت أيها الملك بما أورثك فيليب من ملك ممهد وجند مدرب . انما ظفرت بفضل هؤلاء المقدونيين الذين تحقرهم اليوم وتقدم الفرس عليهم الم تقتل برمنيوم العظيم ؟

هاج الحاضرون وقذفوا كليتوس بالجدل والتوبيخ . وثار ثائر اسكندر الفتى الفاتح الذى سخر ملك مصر وبابل وأشور وفارس ، اذ قرعت أذنه لأول مره نبأة ناقد يعترض كلامه ويرد عليه دعواه . غضب اسكندر وصاح بكليتوس يزجره ويجادله ، وانحاز الحاضرون للملك المعجب بنفسه ، وكليتوس كالأسد يزمجر ويرد الكلمة بمثلها ، ثم ينتفض قائماً ويصيح مادا يده الى الملك : « اذكر أن حياتك دين لهذه اليد التى نجتك يوم كرانيكوس !

وأصخ لصوت الحق الصراح ، أو تجنب دعوة الأحرار الى مأدبتك ، واختص العبيد بصحبتك !

اهتاج اسكندر لموقف كليتوس ولذكرى كرانيكوس وبرمنيون . فنهض يتحسس خنجره . فاذا الخنجر بعيد قد نحاه أحد الحاضرين . فينادى الحرس مغضباً هائجاً ويأمر أن ينفخ فى الصور ايذاناً للجند ، فما اطاع أحد أمر الملك الهائج النشوان . وتقدم نحوه بطليموس (وبردكاس) الكبيران فأحاطا به وأمسكا يده برفق يسكنان ثورته ، ويكسران حدته ، ويحيط آخرون بكليتوس يخرجونه من البهو . فيأبى أن يخرج فيعترف بأنه أساء واعتدى . ويقول اسكندر : « واأسفاه ! إن قوادى قد غلونى كما فعل بسوس بدارا . وانما لى من الملك اسمه . ويتقدم اسكندر تلقاء كليتوس ، ولا يجرؤ القواد أن يعوقوه قسرا . ثم ينقض كالصاعقة فينتزع حربة أحد الجند فيغمدها فى صدر كليتوس الصديق القديم !

يرتاع الحاضرون ، ويفيق اسكندر من نشوته وثورته وعنجهيته ، فيفتح عينيه فاذا كليتوس طريح يضطرب فى دمه .

خرج اسكندر من البهو يعدو الى فراشه ، فارتمى عليه ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ، يبكى بدموع عزت على الخطوب الشداد ، وغلت فى الحوادث السود . ويتمادى به البكاء ، وكلما كفكف دمعه تمثل له صديقه طعينا بيده . ويلعن نفسه نادماً ، ويهتف باسم كليتوس وأخته لانيس ، ثم يقول : ويلى ! أنا الغادر الكنود . لقد جزيت كليتوس ولانيس شرا بما أحسنا الى . لست بعد اليوم جديراً بالحياة .

ويجتمع اليه صحبه يعزونه . ويسوغون ما عمل ، فلا يزداد الا حزناً واكتئاباً وندماً وأسفاً . ويجتمع الجند المقدونيون فيجمعون على أن كليتوس قتل بحقه ، وأنه ينبغى ألا يدفن . فيغضب اسكندر ويقول : كلا ! انه سيدفن بأمرى . ويأتى الكهنة فيقولون : ان الملك لم يقتل صديقه بيده ، ولكنها نقمة الاله (ديونسوس) أجراها على يد الملك انتقاماً لنفسه بما حرم القربان فى هذه المأدبة . ثم يأتى الفيلسوف (أنكشر خوس) فيقول : ايها الملك ان الذى أنت فيه لعجز . وانك أيها الملك العظيم والفاتح القاهر لجدير بأن تحل وتحرم وتحق وتبطل بارادتك لا أن تخضع للقوانين التى سنها الناس . ثم يأتى كلستنوس الفيلسوف فيجهد أن يهون على الاسكندر ما فعل .

فارق اسكندر مضجعه بقلب كليم اجابة لنصائحه وإجابة لواجبه فى هذه البلاد النائية . ولكنى أحسب الجرح قد ذهب مع اسكندر الى قبره !

اسكندر العظيم لم يعظم عليه مطلب ، ولا بعدت على همته غاية ، ولا ثبتت فى طريقه دولة ، ولا وهن قلبه فى سلم ولا حرب ، ولكن اسكندر الفاتح القاهر ، والملك المسلط ، لم يحتمل وخزة واحدة من وخزات الضمير ، فخر كالطفل يبكى ويتململ ، وكاد يبخع نفسه فرارا من الندم !

ان عذاب الضمير هو العذاب الأكبر ، ولكن لا يعرفه الا ذوو الضمائر ، وقليل ما هم !

لله در كليتوس ! لقد ذهب مثلا فى الوفاء ، واين فى الدنيا الأوفياء ؟

ولله در كليتوس ! لقد ذهب مثلا فى الوفاء ، واين فى الدنيا الأوفياء ؟

ولله در كليتوس صريع الوفاء ! ولله در اسكندر صريع الوجدان ! .

عبد الوهاب عزام
١٩٣٣





شعر:
خالد سعود الزيد

ما لمعناه في الحقيقِ حَدُّ
كلُّ شيء من نورِه مُسْتَمدُّ

هو هذى العصُور ترى تباعاً
هو هذى الجموعُ حين تُعَدّ

هو ما بينَ ظاهرٍ يتوارى
وهو ما بين باطنٍ يستجد

قد مشى عَبْرَهُ الوجودُ سباقاً
نحو غاياته التي لا تُحَد

صُلبتْ في مكانها عادياتٌ
ضَبحَتْ والطريقُ قَتْلٌ وَحَدُّ

عمّر الدربَ حُلْمُها وبعيدٌ
ما رماها إليه وَجْدٌ وَوَجْدُ

ما أرى الشمسَ غيرَ جذوةِ شوْقٍ
ساقها في مسيرةِ الحبِّ عبد

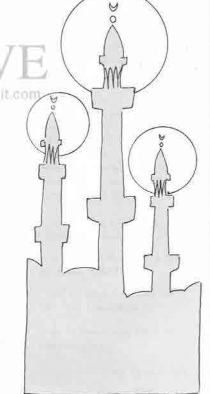
والنجوُم المسخراتُ لأمر
قَتلتْ ليلَها ولم تَجْرِ بعد

غرِقَتْ في فضائه تائهاتٍ
مثلَ قَطْرٍ لو كان في البحر يَبْدو

سَلْ حراءَ عن ليلةِ القدرِ ما من
شاهدٍ غيرِه هناك يُعَد

شَهِدَ اللحظةَ اليتيمةَ لمَّا
وَقفَ الكونُ خاشعاً لا يُرَد

وصفوفٌ من الملائكِ رَتْلٌ   خلف رتلٍ من خير ما صَفَّ جُند
وتوالى على البسيطةِ جبريلُ   وحيداً يروح فيها ويغدو
ثم نادى في الكونِ ثَمَّ منادٍ   أيها الظامئون قد حانَ وِرْدُ
قد تلاقى ركبُ السماء بركبِ الـ   أرضِ في أحمدِ الهدى وهو فردُ





بقلم: رءوف توفيق

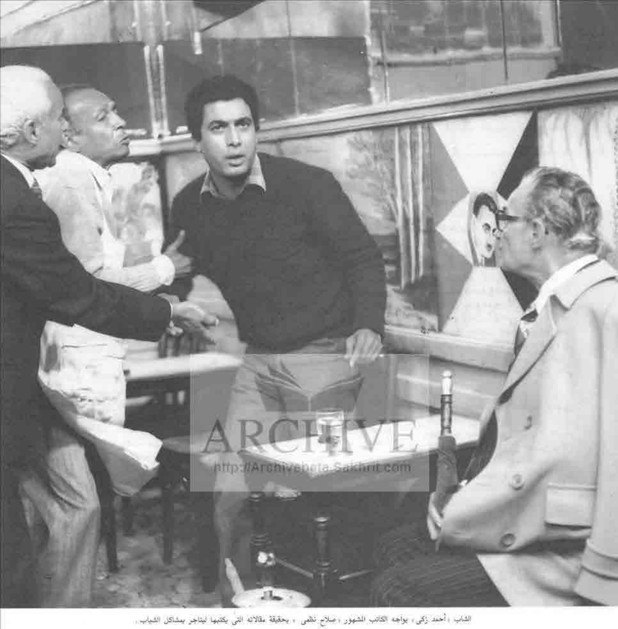
المفاجأة الجديدة لمخرج فيلم "سواق الأتوبيس":

الأحلام البسيطة.. المستحيلة!

لقطة تجمع بين آثار الحكيم.. وأحمد زكى.. فى لحظة مواجهة حول مشاكل الاستمرار فى إجراءات الزواج!

بعد مفاجأة فيلم «سواق الاتوبيس».. يعود المخرج الشاب «عاطف الطيب» ليحقق اضافة فنية جديدة، بفيلم «الحب فوق هضبة الأهرام»، محافظاً على خطه الفكرى فى البحث عن هموم الشباب بين المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية.

وهذه المتغيرات التى هزت المجتمع.. وقلبت الموازين.. أوحت بالضرورة للادب والفن، أن يتأمل ويناقش ويحلل التأثيرات التى حدثت فى الأفكار والطموحات وفى أسلوب الانسان فى العمل والحياة.



الشاب « أحمد زكي » يواجه الكاتب المشهور « صلاح نظمي » بحقيقة مقالاته التي يكتبها ليتاجر بمشاكل الشباب .

قدمت السينما المصرية . في السنوات الخمس الأخيرة . أفضل أفلامها حول هذا الموضوع .. بدءا من فيلم « انتبهوا ايها السادة » للمخرج محمد عب العزيز .. الى « أهل القمة » للمخرج علي بدرخان .. الى « أمهات في المنفى » لمحمد راضي .. الى « الحب وحده لا يكفي » و « العار » و « السادة المرتشون » لعلي عبد الخالق .. الى « قهوة المواردي » لهشام أبو النصر .. الى « حب في الزنزانة » لمحمد فاضل .. الى « الغول » لسمير سيف .. الى « بيت القاضي » لأحمد السبعاوي .

ولكن يبقى فيلم « سواق الاتوبيس » كجوهرة صافية : تبرق وتخطف الانتباه ، وتثير الشجن والتأمل .. حتى ان نقاد السينما المصرية اختاروا ذلك الفيلم واحداً من أفضل عشرة أفلام انتجتها السينما المصرية خلال ثلاثين عاماً (استفتاء مجلة الفنون ١٩٨٤) .

واذا كان فيلم « سواق الاتوبيس » ـ عام ١٩٨٣ ـ هو ثمرة أفكار وحماس مجموعة من الشباب (قصة محمد خان ـ سيناريو بشير الديك ـ تصوير سعيد شيمي ـ اخراج عاطف الطيب) ..

فإن فيلم « الحب فوق هضبة الأهرام » هو تزاوج رائع بين فكر الأديب الكبير نجيب محفوظ ، وخبرة كاتب السيناريو مصطفى محرم .. مع رؤية المخرج عاطف الطيب . وكاميرا نفس المصور المبدع سعيد شيمي .

في مهرجان « كان »

هـــذا العـــام

وقد اختير فيلم « الحب فوق هضبة الأهرام »



ليمثل السينما المصرية ، فى برنامج نصف شهر المخرجين بمهرجان «كان» السينمائى القادم (مايو ١٩٨٥) .

وهذا الاختيار لا يضيف ـ فقط ـ أهمية للفيلم .. بل يؤكد أيضاً قيمته الفنية المتميزة .

والمعروف ان المسئول عن اختيار الأفلام فى برنامج « نصف شهر المخرجين » بمهرجان كان .. يجوب مختلف انحاء العالم بحثاً عن الجديد فى السينما .. ليختار عشرين فيلماً فقط من بين الانتاج العالمى ، ليتم عرضها فى ذلك البرنامج الموازى للمسابقة الرسمية للمهرجان .. وليضع تحت الأضواء وأمام الاهتمام العالمى ، من النقاد والمتتبعين لتطور السينما .. نماذج من الأفلام المعبرة عن القضايا الانسانية .

• الاحلام البسيطة .. المستحيلة

ورواية « الحب فوق هضبة الأهرام » كما كتبها نجيب محفوظ .. أغرت الكثير من السينمائيين بتحويلها الى فيلم .. وخضعت الرواية لثلاث محاولات من ثلاثة كتاب سيناريو .. ورؤى مختلفة من ثلاثة مخرجين .. ولكن تعثرت هذه المحاولات جميعها .. حتى تحقق الفيلم أخيراً باصرار المنتج الذى أنتج من قبل فيلم « أهل القمة » .. وبتعاون كاتب السيناريو مصطفى محرم مع المخرج عاطف الطيب .

والفيلم يقدم صورة واقعية عن حيرة شاب من الطبقة المتوسطة .. يواجه الحياة العملية ، ويحلم بتحقيق أحلامه فى العمل والحب والزواج ..

انه لا يطالب بالمستحيل .. ولكنه يبحث عن المنطقى والمعقول .. أن تتحقق احلامه البسيطة وان يحصل على حقه الطبيعى فى الحياة ..

ولكن هل الأمر بهذه البساطة ؟

الاجابة .. لا ..

والفيلم لا يدعى أنه يقدم جديداً فى هذه الاجابة .. فالمسألة معروفة ومكتوبة كل يوم فى سطور صفحات الجرائد .. وعلى وجوه الشباب الباحثين عن فرص فى العمل والحياة ..

كل المشاكل معروفة مسبقاً ..

لكن الجديد الذى يقدمه الفيلم .. هذا الاقتراب الحميم والمخلص لحالة من هؤلاء الشباب .. ومحاولة النفاذ الى الأعماق .. لتفاجأ بأنك تكتشف المعنى الحقيقى لكلمات نرددها كثيراً ، وكدنا ننسى معانيها من فرط التعود والتكرار ..

كلمات مثل .. الاستسلام للأمر الواقع .. والحيرة والضياع بين ما يردده المثقفون والكتاب ، وبين الحقيقة المعاشة يومياً .. الكذب والصدق .. العقل والجنون .. الحكمة والتهور .. الرفض والانصياع !

وفوق كل هذا .. الثمن المدفوع فى الدم والأعصاب .. والسحب المستمر من رصيد الأحلام !

يفاجئنا الفيلم بأنه لا يقدم جديداً .. ولكنه يدفعنا للتساؤل فيما نعرفه ونلمسه .. وكأنه يوقظ فى داخلنا تلك الدهشة المفقودة .. وكيف تعودنا كل هذه الأخطاء ؟ !

• صورة من العمل

بطل الفيلم ، شاب يتفجر بالحيوية .. (يلعب الدور أحمد زكى) يعمل فى احدى المصالح الحكومية بقسم العلاقات العامة .. له مكتب .. وعلاقته حسنة بزملائه ورؤسائه .. وليس عنده مشكلة سوى انه لا يعمل ، بالمعنى الحقيقى لكلمة العمل .. ولا أحد من زملائه فى المكتب يعمل .. انهم يأتون كل صباح ، فى المواعيد المحددة ، ليقفوا فى طابور طويل للتوقيع على كشوف الحضور .. ثم يدخلون مكاتبهم .. ليبدأوا فى شرب الشاى والقهوة ويقرأوا الجرائد .. !

هذا هو كل عملهم .. ان يقرأوا الجرائد ليلتقطوا ـ اذا وجدوا ـ خبراً هنا أو هناك منشوراً .. فيقصونه ويلصقونه على ورقة .. ثم يضعون الورقة داخل دوسيه .. ليقدم للسيد مدير العلاقات العامة .

أربعة موظفين .. هو واحد منهم .. لهذا العمل .. أو بمعنى أدق .. اللاعمل .. ! !

ولهذا وجد أفضل طريقة للتغلب على الملل والرتابة .. ان يوقع كل صباح بالحضور .. ثم يشرب الشاى .. ثم يخرج الى الشارع « يتسكع » حتى يحين موعد الانصراف .. فيعود ليوقع بالانصراف وتنتهى دورة يوم مثل كل الأيام .. بلا معنى أو هدف .

ويقدم لنا الفيلم هذا الشاب .. بشكل حيادى .. فهو شاب مثل كل الشباب الذين يتخرجون من الجامعة .. وينتظرون توزيع القوى العاملة .. لتلقى بهم فى ادارات حكومية لديها فائض من الموظفين جاءوا من تخصصات مختلفة .. لينسوا كل مادرسوه طوال سنوات الجامعة .. وليدفنوا احلامهم مع الفراغ اليومى .. والثرثرة المتثائبة التى لا يكسر رتابتها سوى صوت فراش المكتب الذى يظهر بين الحين والآخر مهللاً بوصول بعض السلع الاستهلاكية فى مجمع السلع التابع للمصلحة .. فيهب الموظفون ، تدب فيهم اللهفة والحيوية للحصول على احتياجاتهم !

ويضع كاتب السيناريو تفسيراً ساخراً وذكياً على لسان هذا الشاب الذى يصف هذه الظاهرة .. بأنها وسيلة لتسلية الموظفين .. ووضعهم دائماً فى حالة انتظار ! !

اذن .. نحن امام شاب عادى .. وشريحة مبسطة من حالة البطالة المقنعة .. والتى تفيض على شوارع المدينة .. فتزدحم بهم فى كل ساعات النهار .. وهى الساعات المفروض انها مخصصة للعمل . ! !

• وصورة من البيت

ويقترب الفيلم من عائلة هذا الشاب .. الأب موظف على المعاش يشغل وقته بقراءة الجرائد ومشاهدة التليفزيون .. الأم سيدة بيت مصرية عادية .. وهناك ابنتان فى مقتبل العمر .. يواصلان دراستهما الجامعية ..

عائلة متماسكة .. تعرف فروض الدين .. أفرادها يتبادلون الحب والاحترام .. يعيشون فى منزل صغير فى حارة شعبية .. يدبرون حالتهم بالقدر المتاح من الدخل .. فى تعود وصبر وبأقل قدر من التذمر .. واذا احتاجت احدى البنات الى حذاء جديد ـ مثلاً ـ فإنه من الممكن ان تستعيره من شقيقتها أو من أمها .. والحال يمضى فى هدوء .. ذلك الهدوء الذى ينم على قناعة تامة بالأمر الواقع .

حتى الاحلام .. فهى كلها أحلام مشروعة وفى إطار الأمر الواقع ..

وتبدو براعة المخرج عاطف الطيب فى تقديمه لهذه العائلة .. انه يقترب من كل التفاصيل وبأقل قدر من الثرثرة .. فنشعر أن هذه العائلة ليست غريبة عنا .. انها موجودة فى كل مكان .. ربما كانت مثل أغلب العائلات التى ننتمى اليها .. ليس فى حياتها شيء شاذ أو مثير ..

ومن هذه « العادية » يصنع المخرج عاطف الطيب مادته .. ويجسد شخصياته .. ويخلق من المكان هذا النوع من الألفة والتواصل .. فكل ما نراه على الشاشة مأخوذ من الواقع الحى الملموس .. بلا مبالغة أو حذف .. وانما بعين صافية ، فيها كل الحب والاحترام ... وأيضاً فيها كل الدهشة والحزن . !

• الزواج .. غير المرفوض !

حتى عندما يطرق باب هذه العائلة .. شاب غير متعلم ، يعمل سباكا .. ويطلب يد احدى البنات .. فإن الأمر قد يبدو منذ الوهلة الأولى انه سيفجر الخلافات داخل هذه العائلة الصغيرة .. ما بين الرغبة فى استكمال الفتاة لتعليمها الجامعى وانتظار العريس المناسب .. وما بين الرغبة فى ضمان الفرصة السانحة والموافقة على الزواج من هذا العريس الجاهز مادياً .. والذى يعلن استعداده لتحمل كل نفقات الزفاف وتأثيث الشقة علاوة على



المخرج : عاطف الطيب



كاتب السيناريو : مصطفى محرم

« وجود » الشقة أصلا التي اشتراها « تمليك » من حر ماله . !

وبإيجاز بليغ يلخص سيناريو الفيلم .. هذا الموقف .. في مشاهد سريعة وموحية .. متنقلا بين حزن الأم التي كانت تتمنى لابنتها الزوج المتعلم صاحب الشهادة والمركز الاجتماعي اللائق ..

واستسلام الأب الذي يخشى الجهر به ، فيترك القرار لابنته لتحدد مصيرها .. وحسم الأخ المدرك للأمر الواقع فيعلنها بوضوح « ان هذا السباك وامثاله من أصحاب تلك الحرف .. هم الآن الذين يملكون النقود ويعرفون كيف يعيشون حياتهم .. اما أصحاب الشهادات الجامعية فهم مثله لا يضمنون المستقبل » .

وتوافق الفتاة على هذا الزواج .. بنفس منطق « الأمر الواقع » .

ويلعب المخرج عاطف الطيب بذكاء شديد على الفروق والتناقضات بين شخصية السباك وشخصية الفتاة الجامعية .. في طريقة الكلام وارتفاع درجة الصوت .. وعدم التناسق في الملابس ..

ويجسد شخصية السباك .. الممثل نجاح الموجي بتلقائية شديدة .. ودون الوقوع في مطب المبالغة ..

ويختار كاتب السيناريو مصطفى محرم أن يعبر عن هذه الشخصية .. بالرغبة في الانفاق والمظاهر .. ولكن أيضاً بأخلاق وشهامة ابن البلد المستعد دائماً للتعاون وتأكيد الصداقة والترحيب المستمر المقرون دائماً بالطعام ..

• مشكلته .. أنه يفكر !

وهذا الخط الذي يلجأ اليه الفيلم للتعبير عن هذه الشخصية .. يخدم على الجانب الآخر الخط الرئيسي للموضوع والذي يمثله هذا الشاب « أحمد زكي » المحاصر باحباطات العمل والرغبة في تفريغ الطاقة المشحونة بداخله ..

إنه يفكر .. ويتأمل .. ويسخر .. ولكنه كشاب يريد ان يعيش حياته .. وهو كلما يتعمق في أفكاره .. كلما وقع في الحيرة أكثر ..

مشكلته أنه يفكر ! !

يهرب من الواقع أحياناً الى احلام اليقظة .. والى التلصص من وراء نافذة حجرته على ابنة الجيران .. انها تدعى الاخلاق والشرف ، وهي غير كذلك .. مجرد اكذوبة دنيئة تتستر بالزحام وغفلة الأهل ..

اكذوبة أخرى يلمسها في قرار صديقه الشاب « احمد راتب » الذي أراد الحياة السهلة .. فباع شبابه لامرأة عجوز ثرية .

وصديق آخر .. اختار ان ينجو بنفسه بالعمل في الخارج عن طريق الارتباط بامرأة لا يعرفها .

إنه بين كل هذه التيارات يخاف الغرق .

فيبحث عن أي دليل يرشده الى الطريق السليم .. فيلجأ الى مشورة الكاتب المشهور الذي يكتب دائماً عن مشاكل الشباب .. فلا يجد عنده غير الشعارات السريعة ..

وتزداد حيرته .. وفي وسط الظلمة .. تضيء حياته هذه الموظفة الجديدة « آثار الحكيم » التي ألقت بها القوى العاملة في نفس المصلحة التي يعمل بها .. وفي نفس الغرفة .. مكتبها امام مكتبه .

وينمو في داخله هذا الشيء الجميل .. الحب .. واللهفة على اللقاء .. والحوار ..

وينسج الفيلم مشاهد بالغة العذوبة والجمال .. لبداية هذا الحب .. ولكنه حب مخنوق بنظرات زملاء المكتب .. وزحام الشوارع .. والخوف من الأهل ..

ويسرع هو لاعلان رغبته في الزواج منها .. هذا هو الحل الطبيعي الوحيد .. ولكن كيف ؟ ومن اين له أن يدبر نفقات الزواج .. والعثور على شقة .؟ إن المسائل كلها معقدة وتبدو كأنها حلقة جهنمية تبتلع بلا هوادة .. أي محاولة للحلم !

ويقرر أن يلغي تفكيره .. ويتصرف بجنون .. وتفاجأ هي بمنطقه .. فيبرر نفسه بأن التفكير لن يحل لهما المشكلة .. فكلما فكرا في الأمر ، كلما ازداد تعقيداً .. ولابد من حل .. ولا حل غير أن يتقدم للزواج منها .. وإن يواجها اعتراضات عائلتيهما ، بتماسكهما معاً .. وليحدث بعد ذلك ما يحدث ..

ويبدأ كلا منهما في اعلان عائلته بقرارهما .. وفي مشاهد مكثفة ومحكومة ببراعة .. نتابع ردود الأفعال .

• الطرق المسدودة

فوالد الفتاة يعمل كوكيل وزارة .. ويعيش في شقة أنيقة .. أما والده فموظف سابق على المعاش .. ولكن الشاب يلغي هذه الفروق مقنعاً والده بأن وكيل الوزارة ما هو الا موظف .. ولا داعي للحرج .. فجميع الموظفون غلابة ..

وبين الرفض والاحتجاج .. تصمم الفتاة على موقفها وتعلن رغبتها في الارتباط بهذا الشاب .. وتنجح أخيراً .

وتعلن الخطبة .. وينتصر الحب ولو لبضعة أسابيع .. حتى تبدأ أم الفتاة في مطاردته للبحث عن شقة وشراء الأثاث المطلوب .. وتصل المواجهة الى حد التجريح .

ويشعر الشاب انه من العبث الاستمرار في هذا الحب .. فالحب يحتاج الى نفقات .. هو غير قادر عليها .. ويضطر الى فسخ الخطبة .. ويعيش مأساة الحب الضائع ..

يلجأ مرة أخرى الى الكاتب المشهور يسأله



لقطة من مشاهد النهاية لفيلم « الحب فوق هضبة الأهرام »



هل يستطيع اقناع صاحب الفندق بتخفيض سعر الحجرة التى قرر أن يستبدلها بعش الزوجية ؟

النصيحة .. فيسمع نفس الشعارات .. فلا يحتمل المزيد ويفقد أعصابه ويصرخ فى وجهه ويتهمه بالكذب والخداع والمتاجرة بمشاكل الشباب . !

ويفقد حماسه .. ويتحول الى شخص مهزوم ، ضائع تماماً .. يحاول الهرب والاختفاء من طريق الفتاة التى أحبها .. حتى تسعى إليه .. وقد ذبلت تماماً .. انها مثله لا تعرف الخلاص من هذا المأزق ..

ويتفقان مرة أخرى على الغاء التفكير .. والعودة الى الجنون .. ويقرران الزواج .. فكلا منهما يملك ارادة نفسه .. ومن حقهما ان يقررا مصيرهما بعيداً عن تدخلات المجتمع ..

ويتم فعلا الزواج .. دون علم الأهل ..

• الزواج .. فى الشارع

ولا تنتهى القصة .. ولكن تبدأ المشاكل ..

انهما زوجان .. ولكن بلا بيت يحميهما من نظرات الآخرين وتطاردهما الاشاعات المشبوهة فى العمل .. ويخنقهما الزحام .. وترهقهما الطرقات المسدودة ..

ويقترح هو .. أن يأخذها بعيداً عن كل العيون .. هناك على سفح الأهرام ..

وفى هذا المكان يلتقط أنفاسه .. محاولاً أن يبعث الطمأنينة فى قلبها .. يقول لها .. عليك أن تتخيلى هذا بيتنا .. هذا الحجر هو حجرة الطعام .. وهذا الحجر حجرة النوم .. وهنا حجرة الاستقبال ..

فإذا كان الواقع لا يحتملهما .. فلابد من الخيال ..

ولكن الأضواء الكاشفة لسيارات الشرطة تحاصرهما .. والأيدى الخشنة تمسك بهما لتلقى بأحلامهما داخل سيارة الشرطة المغلقة تماماً .. الا



العائلة فى منزل الابنة التى تزوجت من « السباك » .. ولم تنتظر ابن الحلال الجامعى !

من نافذة مزروعة بالقضبان .. ينظران من خلالها الى المدينة التى لم تعترف بهما..

ولكنهما كان يبتسمان .. وكأنهما انتصرا على الأمر الواقع !!

الرغبة فى إعادة الاكتشاف

فيلم جرىء وممتع .. ومثير للشجن ..

يقول كلمته فى هدوء وقوة .. يواصل فيه المخرج « عاطف الطيب » نفس القضية التى أثارها فى فيلم « سواق الاتوبيس » .. بنفس الروح .. وبنفس نبرة الحزن النبيل .. وبنفس الرغبة فى إعادة اكتشاف أنفسنا ..

مصطفى محرم ككاتب سيناريو يعود الى مستواه الجاد المتمكن الذى افتقدناه أخيراً فى سلسلة من الأفلام التجارية الهابطة ..

سعيد شيمى كمصور .. أعطى خلاصة خبرته الطويلة فى التعبير بالاضاءة والظلال .. خصوصاً فى مشاهد الحب على سفح الأهرام ..

نادية شكرى .. مونتاج ممتاز احتفظ بإيقاع الفيلم دون لحظة هبوط أو ملل ..

هانى مهنى .. اعطى مذاقا خاصاً للموسيقى التصويرية .. وكأنها غلالة شفافة من العذوبة والشجن ..

أحمد زكى فى دور يؤكد به موهبته كفنان من الطراز الأول..

آثار الحكيم بسيطة ، معبرة ، قريبة من العين .

عدوى غيث فى دور الأب .. اكتشاف جديد لممثل قديم ثرى بمشاعره..

انه فيلم .. يؤكد الثقة بجيل الشباب الذى يصنع الآن السينما المصرية .

رءوف توفيق





أسرة تشاهد اللوحات المشتركة من دولة قطر في قاعة المعارض في كوبنهاجن بالدنمارك .. ثم لوحة من أعمال الفنان الاسترالي (مايكل مارس)



٤٠٠ لوحة في أضخم مهرجان فني في الدنمارك

بقلم : يوسف أحمد

إحتفلت الدنمارك منذ فترة قصيرة بيوم الأمم المتحدة ، احتفالا مختلفا ، فبعيداً عن السياسة ومتاهاتها المعقدة وجهت الدعوة من قبل وزارة الخارجية الدنماركية لمائة وتسع وخمسين بلدا من مختلف قارات العالم ، ايماناً منها بأن رسالة الفن هي الوحيدة التي تنصهر فيها آمال شعوب هذا الكوكب كما ذكر رئيس مجلس مدينة كوبنهاجن في كلمته التي ألقاها في حفل الافتتاح الرسمي في قاعة المعارض التابعة للمبنى الرئيسي لبلدية مدينة كوبنهاجن .

وتأتي هذه المناسبات النادرة على ساحة أوروبا وبخاصة الشمالية منها والوجود العربي يكاد يكون معدوماً اللهم إلا من بعض الغيورين على سمعة بلادهم والذين يسعون إلى تقديمها تقديماً حسناً في مثل هذه المناسبات والاحتفالات .

وفي المعارض التي أقيمت غابت معظم الدول العربية عن المشاركة ، بالرغم من أن هناك عدة سفارات عربية بالدنمارك كان في استطاعتها أن تشارك ولو بالشيء البسيط لإعطاء فكرة عن دولها ، فقد شاركت جمهورية مصر العربية بثلاثة أعمال للفنان المصري مجدي صبحي ، والتي جاءت أعماله متضمنة للقيم اللونية في البيئة المصرية ومتمثلة في اللون البني والموضوعات المصرية القديمة والاسلامية منها والشعبية . ولقد جاءت الأعمال الثلاثة في تقنية واحدة لتؤكد مدى ما توصل إليه الفنان من تجربة وبخاصة في طواعية اللون وإدخاله في مفهوم الفراغات .

أما دولة قطر فكان حضورها مشرفاً ، فلقد تقدمت باثني عشر عملا فنيا ، ولم يعرض سوى ثلاثة أعمال منها وذلك بعد تقديم الاعتذار من مدير القاعة لضيق القاعة والمشاركات العالمية الكثيرة غير المتوقعة ، وكانت برفقة هذه المعروضات الكتب التعريفية عن دولة قطر والتي وزعت على الجمهور ، وكذلك صاحبت هذه الكتب نشرات توضيحية عن دول مجلس التعاون الخليجي .

وقد انتقت إدارة المعرض ثلاثة أعمال تنوعت بها الموضوعات البيئية والاسلامية والمعاصرة : فبالنسبة للموضوع البيئي جاء الاختيار على عمل الفنان جاسم زيني الذي يحمل اسم ملامح من البيئة القطرية : وهو يمثل فتاة تثبت زرار أخيها بالابرة والخيط ، وقد أراد بهذه اللوحة أن يوضح مدى ما كان يسود المجتمع القطري القديم من تعاون وألفة ومحبة بين أفراد الأسرة الواحدة .

أما العمل الثاني فكان من أعمال الفنان سلمان ابراهيم ، ولقد وضحت فيه صورة مسجد الأصمخ الذي يعتبر من النماذج النادرة للعمارة القطرية في أوائل الخمسينات ، ولقد أصبغ الفنان حيوية على هذه اللوحة بلمساته السريعة الواضحة وبخاصة في خلفية اللوحة .

وكانت المشاركة الثالثة لكاتب المقال الذي استمر في تجاربه السابقة في الحرف العربي واعتمد على مدى إمكانات الحرف العربي في ملء فراغ اللوحة بحس شرقي معتمد على البعد الواحد .

وقد عرضت باقي دول العالم أكثر من أربعمائة لوحة وتمثال جاءت متنوعة ، وتطرقت لمعظم ميادين الفن التشكيلي سواء تصوير زيتي ومائي أو فن اللصق « الكولاج » أو التخطيطات بالأقلام الملونة ، اقلام الرصاص ،كما كان لفن الكرافيك النصيب الكبير في معروضات بعض الدول مثل اليابان وبولندا .

ومن بين الأعمال التي شدت الانتباه :

• أعمال الكرافيك للفنان البولندي (مارك جارومسكي) التي تميزت بأداء عالي المستوى ، فهو يستخدم اللون الأسود ولكن بتقنيات عالية ، مستفيداً من سمك وتأثيرات الورق الخاص الذي يستخدمه : وعند مناقشتي معه ، اتضح أنه يقوم بصنع هذا النوع من الورق بنفسه ، وهذا يدل على صدق العملية الفنية في وجدان الفنان منذ فترة الولادة حتى فترة النضج .

• أعمال الفنان البرتغالي (خوزيه كراميز) التي تقترب من أعمال فنون الأطفال ، ولكن الفنان هنا عندما يضع لزمات فنون الأطفال مثل الشفافية ، وخط الأرض انما يضعها عن قصد وذلك لاستفادة العناصر الباقية في لوحته ، ولكن الفنان خوزيه مازال يدور في دائرة خوان ميرو الفنان الاسباني وبخاصة في معالجاته لأرجل شخصياته ولعلها تذكرنا بأحد أشهر لوحات ميرو وهي كلب يعوي للقمر .



شخصيات غير معروفة الملامح ـ من أعمال الفنان البلجيكي (جاى بولير)

• وتأتي أعمال الفنان القادم من رومانيا (لازار لاكوب) لتذكرنا لوحاته بالخريف في بلاده ، ولكن معالجات الفنان تدور في محيط المدرسة التأثيرية ، ويتضح ذلك من لمسات الألوان العريضة والكثيفة على سطح اللوحة .

• وقد عرضت بلجيكا للفنان (جاي بولير) عدة لوحات بتقنية فريدة من نوعها بالمعرض ، بل أنه يتميز في بلجيكا بهذه التقنية فهو يستخدم لون الخشب الأصفر بطبيعته ويضيف عليه شخصياته غير المعروفة ملامحها ، وأحياناً يجمع أكثر من شخصية في اللوحة ليتحاوروا مع بعضهم البعض ، وتأتي هذه التساؤلات بين الشخوص تحت القناع المزيف لانسان القرن العشرين وعدم كشف كل مالديه من صدق ! !

• أما مشاركة استراليا فتأتي في عملين للفنان (مايكل مارس) . الأول عبارة عن منظر لعله من البيئة الاسترالية ولكن قوة اداء الفنان تتضح في تعامله مع اللون الأخضر والبني وتوزيع الاضاءة بينهما ، أما عمله الثاني فهو عبارة عن قطعة سيراميكية اتضحت فيها لمسات ألوانه بنفس طريقة تعامله مع الألوان الزيتية .

• وفي جناح الولايات المتحدة الأمريكية والذي خصصت له إدارة المعرض أكبر مساحة في الصالة جاءت كلها لفنان واحد وهو (جيم دين) وهي عبارة عن أعمال بالليثوغرافيك أو فن الطباعة الحجرية ، ولكن اضيفت عليها لمسات الفنان بألوان (الكواشر) في صورة وحشية تذكرنا بأعمال الفنان الأمريكي المعروف جاكسون لولوك ، أما أسماء لوحاته فهي السماء ـ الأرض وأزياء تذهب الى المدينة فلقد اقتنت أعمال هذا الفنان عدة متاحف منها قاعة التيت في لندن ، ومعهد الفنون الجميلة في شيكاغو .

• وجاءت أعمال تركيا متواضعة نوعاً ما بالقياس مع مستويات الدول المشاركة اللهم الا أعمال السراميك والذى تميزت بالخطوط العربية والزخارف الاسلامية أما أعمال التصوير فهي متواضعة كما ذكرت سواء من ناحية اللون أو الموضوع .

• وتتصدر أعمال تشيلي لوحتان بهما التقنية العالية في معالجات الألوان الزيتية فهما للفنان (بول مايكل) موضوعهما بسيط وهما عبارة عن مناظر تمثل الفجر والغروب ولكن معالجاته الدقيقة الحديثة في الألوان الزيتية جعلت منه استاذاً فريداً في هاتين اللوحتين عن باقي اللوحات المعروضة في الصالة

• أما الدولة المضيفة الدنمارك فلقد شاركت بخمسين عملاً جاءت للفنانين المحترفين بالدنمارك ولطلبة وطالبات كلية الفنون بالدنمارك ، ومن الفنانين المحترفين الفنان (توم كروجر) الذى جاءت ألوانه مباشرة وبمساحات عريضة ساعدت على اعطاء قوة أكثر للون.أما أعمال الطلبة المعروضة ضمن هذا الجناح فلقد تراوحت الموضوعات بين المؤثرات مثل الموديلات والطبيعة الصامتة وبين بيئة الدنمارك وعولجت معظمها بقلم الرصاص والألوان المائية .

• وكانت معروضات الأرجنتين عبارة عن عمل كبير في حجمه ولقد سماه الفنان (هير منكرو) وحدة وتمثل عائلة ممزقة الملامح وخلفها جو ضبابي وبرغم المآسي التي تبدو على وجوه شخصياته الا انها تحدوها الأمل في الوحدة والعودة الى الوئام والاستقرار النفسي .

• وقد عرضت يوغسلافيا عملين للفنان (بوم غولي كلارفادريس) اتضحت فيهما القيمة اللونية والبساطة في التعامل مع الموضوع ، وموضوعهما عبارة عن مرتفع يفصل الأرض عن السماء ويعزز هذه البساطة طريقة معالجة اللون الهادىء .

• وتميزت لوحات اندونيسيا بالقوة اللونية ، ولعل هذه القوة جاءت أصلا من الموضوع نفسه الذى عالجه الفنان وهو عبارة عن موضوع النخيل ومدى تعلق الفنان بهذا النبت . وبخاصة وأن تركيبة سعف النخيل وما تتميز به من علاقات خطية غنية نتيجة عن ترديد اجزاء سعف النخيل وبخاصة عندما تتمايل مع الزرع مكونة بذلك التوافق اللوني بين امامية اللوحة وخلفيتها .

• ولعل القيمة التصميمية طغت على مناظر الفنانين الايرلنديين أمثال (ثيوميكتاب) فهو بتحويلة السماء الى مساحات هندسية . وكذلك الأرض وتوزيع درجات اللون عليهما بحيث تبدوان كأنهما دراسة تقييمية للون الواحد .

• وفي أعمال الفنانين اليابانيين أصحاب التاريخ العريق في الطباعة ، فقد عرض الفنان الياباني (أكيراكوروساكي) ثلاثة أعمال تعتبر فائقة في التقنية العالية في استخدام الحفر على الزنك وبخاصة الدرجات اللونية التي أحدثها الفنان على لوحاته ، وتأتي صعوبة التحكم في هذه الدرجات للحجم الكبير في لوحاته وللتفاصيل الدقيقة التي تتميز بها تلك اللوحات .

وهناك دول كثيرة شاركت بنخبة ممتازة من فنانيها ، قد لا يتسع الحديث عنهم في هذه الصفحات ، ولكن الشيء المؤكد بأن دولة قطر ممثلة في وزارة الاعلام وفنانيها الشباب لا تفوتها مثل هذه الفرص النادرة وبخاصة في دول الغرب البعيدة التي لا تفهم الحضارة الانسانية لهذا العصر إلا بلغة الفن .



دوحة القراء

إشـراف
سنان المسلماني

ملاحظات هامة

(١) اذكر على غلاف الرسالة اسم المسابقة ورقم العدد .

(٢) المسابقة الثقافية تتضمن (المسابقة الشعرية ـ عبارة شهيرة ـ جواز سفر ـ مدن العالم)

(٣) لايجوز الاشتراك فى أكثر من مسابقة فى العدد الواحد حتى لا يلغى الخطاب .

(٤) ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجلة الدوحة ـ ص . ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر .

حاول أن تعرف





الصورة الأولى : لأحد القصور ، وقد تحول إلى فندق عام ١٩٧٢ ، وهو مقام بإحدى العواصم العربية ، التى اشتهرت فى العصور الوسطى بأسلحتها وثيابها ، واشتهرت فى عصور ما قبل الإسلام بقصورها وأشهرها قصر غمدان ، ما هو اسم هذه العاصمة العربية العريقة ؟

• • •



الصورة الثانية : مؤرخ وفيلسوف واجتماعى مسلم ، ولد عام ١٣٣٢ م وتوفى عام سنة ١٤٠٦ م ، انقطع للتدريس والتأليف ، وتعد مقدمة كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر ، من أهم مؤلفاته لاشتمالها على فصول فى أصول العمران والنظريات الاجتماعية والسياسية وتصنيف العلوم ، ومن أفكاره التربوية . الرحمة بالأطفال .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١٠٩



الصورة الأولى : قلعة قايتباى بمدينة الاسكندرية .
• الفائز : محمود الزين حامد آدم ـ السودان
• الفائز : عز الدين أحمد بهجت ـ الكويت



الصورة الثانية : العالم العربى الدكتور فاروق الباز
• الفائز : محمد صالح أحمد محمد ـ سلطنة عمان
• الفائز : مرتضى محمد علي المتوكل ـ الجمهورية العربية اليمنية

قــــالوا عن المـــــــرأة

• المرأة ظل الرجل .. عليها أن تتبعه لا أن تقوده .

« برنارد شو »

• لو صيغت الحقيقة امرأة لأحبها كل الناس .

« أفلاطون »

• لا شيء يرفع قدر المرأة كالعفة .

« اديسون »

• أمتع الحصون .. المرأة الصالحة .

« نابليون بونابرت »

• الرجل ألعوبة المرأة .. والمرأة ألعوبة الشيطان .

« فيكتور هوجو »

• المرأة حيوان طويل الشعر قصير الفكر .

« شوبنهاور »

• تتزوج المرأة لتدخل المجتمع ، ويتزوج الرجل ليخرج منه !

« شوبان »

محمود حلمى عباس لطفى
بنها ــ مصر

• • •

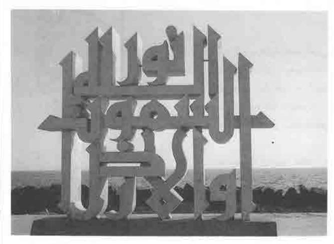
أســــوأ النـــــاس

هذه الأبيات تجعلنا نتوقف عندها لنستخلص منها منهجاً فى حياتنا ، وقد أعجبتنى عندما قرأتها منذ أول وهلة ، ولذلك قررت أن اشارك قراء مجلتكم فيما تحويه من دروس وعبر :

عَجبت للمَرء فى دنياه تَطمَعه
فى العَيش والأجل المحتوم يَقطَعه
يمسي ويصبح فى عَشواء يَخبطها
أعمى البصيرة والآمال تخدعه
يغتر بالدهر مسروراً بصحبته
وقَد تَيَقنَ أن الدَهر يصرعه
ويجمع المالَ حرصاً لا يفارقه
وقد درَى أنه للغَير يجمعه
تراه يشفق من تَضييع درهَمه
وليس يشفق من دين يضيعه
وأسوأ الناس تدبيراً لعاقبة
من أنفقَ العمرِ فيما لَيس ينفعه

حسين محمد عقبة-اليمن الديمقراطية

لقطة الشهر





فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى القارىء : أبو بكر محفوظ سالم ــ جدة ــ المملكة العربية السعودية

أوائــــل فى كأس العـــــالم

• أول بطولة لكأس العالم أقيمت فى أوروجواى عام ١٩٣٠ ، وفازت بها أوروجواى .
• أول هدف فى تاريخ كأس العالم سجله لويس لورانت ساعد هجوم منتخب فرنسا .
• أول مصاب فى كأس العالم هو الفرنسى الكسندر تيبو حارس المرمى عام ١٩٣٠ .
• أول مطرود فى الكأس هو دى لاس كاسياس رئيس فريق بيرو عام ١٩٣٠ م .
• أول لاعب يحرز ثلاثة أهداف فى مبارة واحدة هو الأرجنتينى ستابيل فى مباراة الأرجنتين والمكسيك والتى انتهت ٣/٦ لصالح الأرجنتين فى كأس العالم عام ١٩٣٠ م .
• أول شقيقين يلعبان معاً فى كأس العالم هما المكسيكيان ما نويل وفرناندو روساس عام ١٩٣٠ م .
• أول هداف لأول بطولة لكأس العالم هو الأرجنتينى ستابيل حيث أحرز ثمانية أهداف .
• أول ضربة جزاء مهدرة ، أهدرها البرازيلى دى بويتو فى مبارة أسبانيا والبرازيل عام ١٩٣٤ م .
• أول هدف ذاتى أحرزه السويسرى لورتشر فى مرمى فريقه فى كأس العالم عام ١٩٣٨ م .
• أول دولة عربية وأفريقية تشترك فى كأس العالم هى مصر وذلك فى كأس عام ١٩٣٤ م .
• أول حكم عربى يشترك فى تحكيم كأس العالم هو الحكم المصرى يوسف محمد فى كأس العالم ١٩٣٤ م .
• أول دولة تفوز بالكأس ثلاث مرات هى البرازيل أعوام ١٩٥٨ ، ١٩٦٢ ، ١٩٧٠ م .
• أول وأغرب التماس من نوعه هو ذلك الذى قدمه رئيس البرازيل للفيفا ، يطلب فيه العفو عن جارينشا ليتمكن من الاشتراك فى نهائى كأس العالم عام ١٩٦٢ م . وقد قبل هذا الالتماس !
• أول ضحية لكأس العالم هو مشاهد من أوروجواى ، وذلك عندما أحرزت البرازيل هدفها فى مرمى أوروجواى فى المبارة التى انتهت بفوز أوروجواى على البرازيل ١/٢ وفوزها بكأس عام ١٩٥٠ ، فلم يتحمل قلب هذا المشاهد ، فكان أول ضحية للكأس !

محمد مصطفى السمرى-كلية الطب جامعة الاسكندرية



استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رؤوف

أصل وصورة



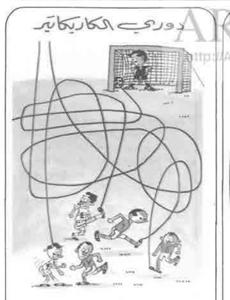


• بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى للاديبة السورية غادة السمان التى من أهم أعمالها رواية « كوابيس بيروت » .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. إذا استطعت التعرف عليها فلك جائزة

المثل يقول

• هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى إذا استطعت التعرف عليه قد تفوز بجائزة .

دوري الكاريكاتير



• اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. حدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته لتحصل على جائزة .

هات أجمل تعليق :



• هل تستطيع أن تجد تعليقا مناسبا خفيف الظل لهذا الرسم الكاريكاتيرى .. أرسل التعليق لتفوز بجائزة .

لعبة الظلال



• حاول أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى ؟
.. اذا نجحت فى ذلك فقل لنا كيف ، لتحصل على جائزة .

لوحة لم تتم



• هذه اللوحة لم تتم لشاعر شعبى مشهور ، ستظل كلمته الشريفة الصادقة حية فى ضمائرنا طوال كل العصور .. أكمل اللوحة وتعرف على صاحبها لتحصل على جائزة .

يخلق من الشبه أربعين

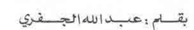





• الصور الست المنشورة لست شخصيات تشبه شخصية الاديب العربى الفريد فرج الذى اشتهر بمسرحيات سليمان الحلبى ، الزير سالم ، وحلاق بغداد .. من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماما .. وفى البقية اختلافات بسيطة ..
هل يمكنك التعرف عليها .. ؟

الورقة الأخيرة







الانتصار

تری .. هل يبدو أن هناك فرقاً بين « ذكاء ! » مجنون ، وبين « متهم » بالعقل ؟ !

إن الأضداد أصبحت تتحكم ـ بحالات كثيرة ـ في رسم الشخصية الآدمية ، وربما الشخصية الانسانية أيضاً .. ليحق لها « الاقتدار » عند خوض مشاكل الحياة ، وعند ظهور ما هو أفظع : وهي انفلاشات النفس .. خاصة اذا كان « النفس » ـ بفتح الفاء ـ ممارسة أكثر مما هو دليل على الحياة !

اننا في خلخلات الحيرة ، والألم ، والقلق ، والضيق « نمارس » أنفسنا ، ونحاول في ذلك أن نتخطى التجربة المرهقة .. لننتقل الى تجربة جديدة برغبتنا الكاملة !

إن هدف الانسان في حياته هو الانتصار الحاسم والكامل دائماً .

وهو عند بحثه عن سبل الانتصار قد يتخلى عن بعض معانيه .. لا يهمه سوى تفتيت كل المعترضات ، ويتهم ذلك بالأضداد التي يقتاتها الانسان بالاغراء ، أو بالتخلي ، أو بالمتعة ، أو بمجرد الايحاء فقط !

وليس شرطاً أن يكون الانتصار مادياً وانما يخضع الانتصار ـ كرغبة ـ لكل أفكار واحساسات ورغائب الانسان المعنوية أو المادية .. السامية أو السفلى !

وقد أعجبتني عبارة قالها حكيم : ـ « السعادة ليست في المتعة ، وانما في الظفر » ! !

وربما قيل أيضاً : إن ذلك الحكيم مادي النظرة والفكرة .. لأن المتعة أيضاً هي اللحن المميز للانتصار ، والمتعة هي التوأم لعمق النظرة .. لكن « الظفر » هو دوافع السعي في الحياة كلها .. بلا جدال !

ان الاضداد هي فلسفة « المتعة » التي عناها ذلك الحكيم .

فلكي تستمتع جرب أن تضحك ودموعك منسابة .

وجرب أن تشعر الآخرين بفرحك وأنت في قمة الحزن والمعاناة .

وجرب أن ترى وأنت مغمض العينين .

وجرب أن تتسامح وأنت تتألم .

وجرب أن تصمت وأنت في حاجة الى الكلام فربما كان صمتك أبلغ !

اننا نضحك بقهقهة عندما تكون الدموع تغسل حدقات عيوننا .

انه الضحك الذي يعبر عن صدق الدموع أكثر مما يعطي معاني الفرح .

وربما وصف علماء النفس هذه الصورة بأنها « الهستيريا » أو اضطراب النفس .. ولكن الراحة مؤكدة دائماً في قناعة الانسان بأنه قد ضحك من أجل من أبكاه .. فالذين يبكوننا هم الفرح الحقيقي في نفوسنا !

ولكنها الأضداد في حياة البشر .. شعرة نحيلة لامعة .. هي الفاصل ما بين الدمعة والابتسامة !

وأحياناً نعطي تفسيراً آخر لهذه الأضداد .. والتفسير يخضع بالضرورة لتعاطفنا مع الذي نحب وحزننا فيه .

ومرة بكت فلورندا الاسبانية عندما كان مطلوباً منها أن تضحك ، وقالت بعد أن جفت دموعها :

ـ إن الدموع التي تلدها ضحكاتنا المطلوبة من الناس .. هي أبرع وأعمق مفاهيمنا عن متناقضات الحياة !

ومرة أخرى .. كان نابليون القائد العظيم المنتصر يكبح الدموع لئلا تسقط من عينيه ، ولكنها طفرت بغزارة وهو صامت . فانتبه لما عجز أن يتحكم فيه ، فعالجه بضده .. بأن أطلق ضحكة مجلجلة ولما تجف الدموع من عينيه بعد ، وقال :

ـ ليس ضرورياً أن أستمر في البكاء .. حتى لا أنسى أن في الحياة ابتسامة !

فالحياة ترغم الانسان على الأضداد ، ويرضخ الانسان لهذا الإرغام لأنه يبحث عن الفرح ، ويتوق الى السعادة . أو لعله يرضى ـ فقط ـ بالدعة والهدوء والصمت !

ان الانسان يرضى بتزاوج دموعه مع الابتسامة : ولايهمه في ذلك إن كان حقا يمارس أنفاسه ، أو يتمرس من أجل البقاء !

وأهم مايشغلنا هو أن تكون الدموع صافية نقية .. تغسل شوائب النفس ، وتمنع ردة الفكر ، وتسمو بالروح بعيداً عن الكآبة ، وعن اليأس ! !

جـــدة